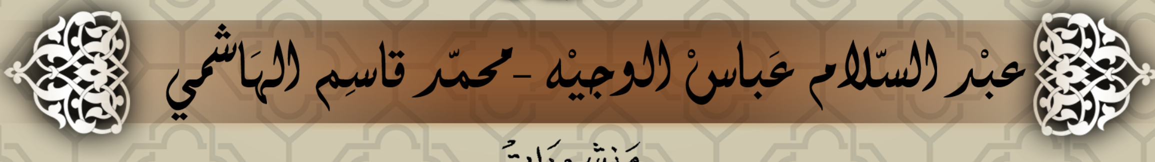
الإرشاد إلى نجاة العباد

تأليف







منشورات
مكتبة التراث الإسلامي

الطبعة الثالثة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

اليمن - صعدة ت: ٥١٣١٥٠

الإرشاد إلى نجاة العباد

تأليف

العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله

تحقيق

عبدالسلام عباس الوجيه — محمد قاسم الهاشمي

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

اليمن - صعدة ت: ٥١٣١٥٠



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ونستعينه ونستهديه ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين

وبعد :

فالحياة الدنيا مملوءة بالمتاعب والمنغصات ونحن نضيع ونهدر كثيرا من أوقاتنا فيما لا فائدة فيه ، ونعني بذلك الانشغال عن آخرتنا بدنيانا الفانية .

وهذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء بحلته الجديدة هو من أعظم الكتب التي تبين كيف يكون الإنسان مثالا في كل شيء من أول الواجبات وهو الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد إلى آخر خصلة إيمانية تؤدي إلى طريق الفلاح والنجاح في هذا المسار الشائك المليء بالمعوقات التي يضعها الشيطان في طريق الخير .

هذا الكتاب يوضح كيف ينقذ الإنسان نفسه من التردي في أنواع المعاصي الجلية والخفية ، ويبين كيف أن الإنسان يهدر وقته فيما لا فائدة فيه ، وأنه يجب أن يرتب الإنسان وقته ويستغله في النافع المفيد وهو طريق الآخرة التي إليها معادنا وفيها خيرنا وفلاحنا . بين الكتاب كيف يضع الإنسان جدولا لنفسه في يومه وأسبوعه وشهره وعامه ، ووضح الطاعات التي تختص بأوقات معينة ، وما لا يختص بوقت معين .

الكتاب يوضح بين جوانحه كيف يكون الإنسان محبا وسائرا على النهج النبوي الشريف ، وعلى خطى أهل البيت عليهم السلام ، ووضح كيف تكون محبتهم ، ووجوبها وأن الفلاح والنجاح يكون بمحبتهم واتباعهم لقد أوضح ذلك في أكثر من موضع في أول الكتاب وأوسطه وآخره ليبين ذلك أوضح بيان .

فمتى أراد الإنسان أن يكون على نهج واضح وطريق مستقيم فعليه بهذا الكتاب .

لقد كان هذا الكتاب مصدر إشعاع ونور منذ فرغ المؤلف من تأليفه إلى يومنا هذا ، ونحن بطبعنا لهذا الكتاب نرجو أن نكون قد وفقنا بأن يعم النفع به ، وأن تستمر الاستفادة منه في المستقبل ، وأن يهب الله لنا الأجر في عملنا هذا فمن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة كما أخبرنا نبينا عليه وآله أفضل الصلاة والسلام .

كما نود أن نشكر كل من أسهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور وأخص بـالذكر أحفاد هذا المؤلف العظيم ، والذين لم يبخلوا علينا بتراجم متعددة للعلامة المؤلف منهم القاضي العلامة محسن العنسي ، الأخ / أحمد بن محمد بن يحي العنسي ، والأخ / أحمد عبد الكريم العنسي .

بل كنا نود أن نضع التراجم بنصها هنا ولكن لكبر حجم الكتاب ورأينا الاختصار أولى فقد اختصرنا ما وصلنا ووضعناه هنا فنرجو المعذرة .

وكذلك نخص بالشكر الأخوة الذين ساهموا في تصحيح هذا الكتاب وعلى رأسهم العلامة على الوصابي وطلبته من طلاب العلم الشريف بـ(فروة) .

كما نود أن ننبه بأن هذا الكتاب يحتوي على بعض أحاديث ظاهرها يخالف المقرر عند الزيدية ، وأنه يجب تأويلها كما صرح بذلك الإمام محمد بن القاسم الحوثي ، والمولى العلامة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في كتابه الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة ص / ٣٤ ، وذكر بأن ذلك لا يقدح في الناقل ولا في كتابه .

وكما هي عادة من كتب في هذا الفن فإنهم لا يستقصون الأحاديث في هذا الباب ما دامت تحث على الخير وتبعد عن الشر ، فعلى الباحث أن يكرر البحث والاستقصاء . والله من وراء القصد .

الناشرون

نبذة عن المؤلف

هو القاضي العلامة الحبر ، البحر ، عبد الله بن زيد بن أحمد ، بن أبي الخير العنسي المذحجي .

وهو من كبار علماء القرن السابع الهجري ، زيدي المذهب ، عدلي العقيدة ، ولي آل محمد ، فقيه ، مجتهد ، أصولي متقن .

قال القاضي أحمد بن صالح بن ابي الرجال : هو العلامة إمام الزهاد ، ورئيس العبلد لسان المتكلمين ، وشحاك الملحدين مفخر الزيدية بل مفخر الإسلام . جمع ما لم يجمعه غيره من العلوم النافعة الواسعة ، والأعمال الصالحة ، وصنف في الإسلام كتبا عظيمة النفع ، رأيت بخط بعض العلماء أن كتبه مائة كتاب وخمسة كتب ، ما بين صغير وكبير ، جيد العبارة ، حسن السبك .

بلغ في العلم مبلغا عظيما فأصبح من العلماء المجتهدين ، وممن يشار إليهم بالبنان وتكون كلمتهم وشهادتهم حجة ، قال في سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين : وهذا القاضي من العلماء المجتهدين ممن شهد باجتهاد الإمام المهدي عليه السلام ، وكمال خصال الإمامة فيه ، و لم يزل على ذلك إلى أن مضى ، وكان يرى تحريم تقليد الموتى .

مولده تقريبا ٥٩٣هـ لأنه كتب بخط يده وعمره ستة وستين سنة كتابه اللائق بالأفهام سنة ٦٥٩ هـ

ومن شيوخه شيخ آل الرسول بدر الدين محمد بن أحمد بن يحي بن يحي .

ومن تلاميذه الأمير الحسين بن محمد صاحب الشفاء ، ومحمد بن جابر الراعي .

قال في طبقات الزيدية عن مطلع البدور : وكان هو وحميد الشهيد كالنضيرين ، إلا أن تصرفات ابن زيد في المعقولات أكثر ، وتصرفات الشهيد في المنقولات أكثر .

عاصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين عليه السلام ، وكان له في نصرته اليد الطولى ، والسهم المعلى ، وكان الإمام لا يعدل به أحدا ، ويسميه داعي أمير المؤمنين ، ويصفه بالدين الرصين ، والورع المتين ، وبعثه إلى صعدة سنة ٦٥٤هـ ، وكان يراجع ابن وهاس لما كان منه ما كان هو والرصاص ، وأحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة وغيرهم من مخالفة الإمام المهدي عليه السلام إلى أن مضى الإمام إلى ربه شهيدا بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام أقام المؤلف في هجرة فلله في نواحي صعدة ، ينشر العلم هناك ، ثم سافر إلى تعز في سنة ٦٥٩ هـ ، وكان طريقه حرض ثم زبيد ، وكان بينه وبين علمائها كابن حنكاش مراجعة ، وبعد بقاء في تعز عاد مديونا ضيق الحال ، إذ كما يبدو لم يكن ممن يجيدون التزلف والتملق للسلاطين ثم لما قام الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين في ٢٥ شوال سنة ٦٥٧هـ كان المؤلف رحمه الله ممن بايعه وناصره من العلماء ، وممن نهض بدعوته ، ونزل معه إلى ضمد ، ثم عاد بعد ذلك إلى كحلان تاج الدين ، واستقر فيها حتى مات يوم الخميس من شعبان سنة ٦٦٧هـ وقبره قبلي البركة التي تسمى (رحبه) .

وله مؤلفات كثيرة من أهمها :

١ ـ كتاب الإرشاد إلى نجاة العباد في الزهد وهذا هو الكتاب الذي بين أيدينا ، فرغ من تأليفه سنة ٦٣٢ هـ واشتهر به ، ومخطوطاته كثيرة في أغلب مكتبات اليمن الخاصة والعامة . انظر أعلام المؤلفين الزيدية ترجمة رقم ٥٩٨ .

٢ ـ المحجة البيضاء . في أصول الدين ، أربعة مجلدات .

قال في المستطاب جمع فيه أفنان مسائل علم الكلام ، ورد أقوال المجبرة ، وأشياء من مسائل المعتزلة ، وسائر الفرق المخالفة ، بأدلة واضحة .

قلنا : الجزء الثالث منه مخطوط سنة ٧١٨هـ بمكتبة السيد المرتضى الوزير هجرة السر ، يحتوي على القسم الخامس من أصول الدين والإمامة ، وفيها سبعة مقالات ، قال في آخره : يتلوه الجزء الرابع ، ويحتوي على القسم الخامس من أصول الدين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ ــ التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام . مخطوط في مجلد كبير .

٤ ــ التوقيف على توبة أهل التطريف ، مخطوط منه نسخة في مكتبة برلين برقم ١٠٢٩١ .

٥ ــ الفتاوى النبوية المفصحة عن أحكام المطرفية خ . في مكتبة برلين رقم ١٠٢٨٦

٦ــ عقائد أهل البيت عليهم السلام والرد على المطرفية خ في مكتبة برلين رقم ١٠٢٩٢ .

٧ ــ الرسالة الناطقة بضلال المطرفية خ مكتبة برلين رقم ١٠٢٨٩ .

٨ ــ الرسالة المنقذة من العطب السالكة بالنصيحة إلى أهل شظب ضمن مجموع ٦٤ المكتبة الغربية ، فرغ منها في ربيع الآخر سنة ٦٦٠هـ في حصن كحلان .

٩ ــ الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة ، قال الحبشي : ــ خ ــ الجامع الغربية رقم ١٢٠ مجاميع ، وأخرى ضمن مجموع بمكتبة السيد العلامة محمد عبد العظيم الهادي ، وأخرى ضمن مكتبتنا (آل الهاشمي) وأخرى بمكتبة السيد العلامة عبد الرحمن حسين شايم . ومصورة بمكتبة العلامة / يحي بن عبد الله راوية رحمه الله رحمة الأبرار .

١٠ ــ رسالة في الجمع بين الصلوات ضمن مجموع بمكتبتنا (مكتبة آل الهاشمي) .

١١ ــ مناهج البيان لرجال سنحان ــ خ ــ مكتبة برلين رقم ١٠٨٧ .

١٢ ــ السراج الوهاج المميز بين الإستقامة والإعوجاج . خ مكتبة برلين رقم ١٠٢٨٤ .

١٣ ــ الرسالة الحاكمة بتحريم مناكحة الفرقة المطرفية الظالمة خ مكتبة برلين رقم ١٠٢٨٨ .
١٤ ــ التحرير في أصول الفقه . ذكره ابن أبي الرجال في مطلع البدور .
١٥ ــ الدرة المنظومة في أصول الفقه . ذكره ابن أبي الرجال في مطلع البدور .
١٦ ــ الرسالة الداعية إلى الإيمان في الرد على المطرفية . ذكره ابن أبي الرجال .
١٧ ــ الشهاب الثاقب على مذهب العترة الأطايب .
١٨ ــ ماء اليقين في معرفة رب العالمين .
١٩ ــ اللائق بالأفهام في معرفة حدود الكلام ، قال الحبشي : وقف عليه ابن أبي الرجال بخط المؤلف .
٢٠ ــ مذكرة السراج .
٢١ ــ الرسالة الناعية المصارحة للكفار من المطرفية الأشرار (مصادر الحبشي) .
٢٢ ــ الاستبصار وشرحه ، قيل : نحو عشرين مجلدا في الفقه ، ذكره المؤرخ يحيى بن الحسين في المستطاب .
٢٣ ــ المصباح اللائح في الرد على المطرفية (ذكره في طبقات الزيدية) .

هذا ما تيسر لنا في هذه الورقات ، وإلا فالكلام حول المؤلف يطول ولن نوفيه حقه في هذه العجالة .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم .

المحققان
عبد السلام عباس الوجيه
محمد قاسم عبد الله الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللهم إني معترف لك بالربوبية ، ولمن سواك بالعبودية.

اللهم تصديقا لكتبك ، واتباعا لرسلك ، وإذعانا لأمرك ونهيك ، وخضوعا لعظمتك وجلالة قدرتك.

اللهم أني أستغفرك من سيئ ما اكتسبت واجترمت ، وأتوب إليك مما تعمدت وأخطأت ، وأسترضيك مما أغضبتك ، وأستمنحك العفو فيما خالفتك.

اللهم إني أحمدك على ما أسبغت على من النعم ، وأشكرك على ما صرفت عني من مستحقات النقم ، وأعوذ بك أن أشرك بك أحدا ، أو أتخذ من دونك ملتحدا ، وأسألك دوام التيسير بقية العمر ، وأعتصم بك من الخطأ والزلل في العلم والعمل ، وأستوهبك التوفيق ، وأسترشدك لواضح الطريق ، وأرغب إليك في الهام الحكمة ، وأطلبك إسبال العفو والرحمة.

وأصلي على ملائكتك المقربين وعلى أنبيائك المرسلين وعلى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الوصيين وعلى الآل الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين.

أما بعد :

أيها الطالب للنجاة الخائف من الغرق في بحار الهلكات ، فاعلم أنك إن تك صادقا في خوفك وإشفاقك ، محققا في طلب نجاتك ، تجد طريق النجاة واضحة ، وأعلامها نيرة لائحة ، ساخرا بنفسك في خوفك ، مستهزئا بها في معرض المخادعة لربك ، والمجاهرة له بمعصيتك.

فاعلم أنك الملقي لها وهي أعز النفوس عليك من حالق ، والمورط لها وهي المزلقة لذلك في أضيق المضائق ، وحينئذ أنت المهلك لها قصدا ، والقاتل لها عمدا ، وما مثلك إلا مثل من سلك طريقا فيها مهواة قد تحققها ، وظهر خوفه منها ، وأنذر البشر عنها ، فلما دنا من المهواة غمض عينيه ، وطرح نفسه فيها ، وهو المتظاهر بالمخافة منها ، أفترى هذا معدودا في زمرة العقلاء ، أو منخرطا في مسلك السفهاء والجهلاء ، فأحذرك يا مسكين أن تسخر بنفسك فتذبحها شفار جهلك ، وإياك أن تذعن لتزوير الشيطان ، وإن تدلي بحبل غروره إلى العصيان ، فتصير صفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ، وأعد لخوفك هربا ، ولرجائك طلبا ، فمن خاف شيئا فهو منه هارب ، ومن رجا شيئا فهو له طالب ، واقرن بالخوف والرجاء العمل بمقتضى الحجى ، فهو حجة الله عليك ووديعته لديك.

واعلم أن الناس أربعة : رجل آتاه الله علما فنشره في العباد ، فهذا معدود في زمرة السابقين ، وأهل الوراثة للأنبياء والمرسلين ــ عليهم صلوات رب العالمين ــ وهو الذي أراد الله تعالى بقوله : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[1] وبقوله : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}[2] وإياه عنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من أحياه الله بالعلم) وبقوله : (إن الفتنة لتجيء فتنسف العباد نسفا ينجو منها العالم بعلمه) وبقوله : (النظر إلى وجه العالم عبادة) وبقوله : (العلماء ورثة الأنبياء).

ورجل استولى عليه الجهل ، فركب الوعر والسهل ، لا يحتفل بالدين ، ولا يبالي بغضب رب العالمين ، فهذا من الخاسرين ، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة إلا ذلك هو الخسران المبين. وهو الذي نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مثل حاله في خبر آخر قال فيه : (عباد الله كونوا علماء ولا تكونوا جهالا فإن الجاهل في الدنيا كمثل

---

(١) فاطر : ٢٨ .

(٢) آل عمران : ١٨ .

الأعمى في سواد الليل لا يعرف طريقه فكيف يقطع الطريق وهو لا يعرف وهو في الآخرة ملوم خاسر عند الله) ثم قال : أي قلب يدرك عذاب الجاهل في الآخرة ولو أن الجاهل يعلم ما أعد الله له من العقوبة ما أكل طعاما بشهوة ولا شرب شرابا بشهوة) فصدق.

ورجل اتخذ الزهد مطيته والخشية بضاعته من غير رؤية صادقة ولا معرفة كاملة فهو خائف كخوف العارفين عامل في أمره على غير يقين ، يستقبل الليل بالعويل ويخشع خشوع العالم النبيل ، والشبهة قادحة في قلبه لا يجد لها ردا ، آخذةٌ بمجاميع لبه لا يجد عنها مصدا ، فهو من نفسه في بلاء ، والناس منه لكثرة إنكاره عليهم في عناء ، فهذا من المغرورين والأشقياء المدحورين ، وهو داخل في قوله تعالى : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لاَ يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}[1] وهو ممن أراد الله تعالى بقوله : {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}[2] .

روى الأصبغ بن نباته[3] قال : خرج أمير المؤمنين عليه‌السلام ذات ليلة يمشي وأنا خلفه ، وقنبر[1] بين يديه إذ سمع قنبر صوت رجل يقول : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ

---

(١) الغاشية : ٢ ــ ٧ .

(٢) الكهف : ١٠٣، ١٠٤ .

(٣) الأصبغ بن نباته التميمي الحنظلي المجاشعي ، أبو القاسم الكوفي ، أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المشهورين ، عرف بتشيعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام ، يروي عن أمير المؤمنين وشهد معه صفين ، وعن الحسن عليه السلام ، وعمار بن ياسر رضي الله عنه ، وغيرهم ، وعنه خلق كثير ، وهو محدث حافظ ثقة ثبت ، عند الشيعة ، ووثقه غير واحد من القوم ، وأنكروا عليه التشيع ، قال ابن حبان فتن بحب علي ، فأتى بالطامات ، قال السيد صارم الدين : يريدون الأحاديث المخالفة لمذهبهم ومعتقدهم [ولهذا وأمثاله صيروا الجرح والتعديل وفقا لما يخدم أهواءهم ومذاهبهم ، ولو كان فيه هدم للإسلام] خرج له أئمتنا الخمسة . (انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ، الفلك الدوار ص ٦٧ ، طبقات الزيدية ، أعيان الشيعة ٣ / ٤٦٠ ، رأب الصدع ١٨٦٢/٣ ، تهذيب الكمال ٣٠٨/٣ .

سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [٢] ويبكي ، ويقرؤها بصوت حزين ، فوقف قنبر فقال : أراك والله منهم) قال : فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بين كتفيه ثم قال : (امض نوم على يقين خير من عبادة [٣] في شك إنا آل محمد نجاة كل مؤمن) فلما كان يوم النهروان وجدنا الرجل القارئ في القتلى مع الخوارج فقال قنبر : صدق أمير المؤمنين يا عدو الله ، كان والله أعلم بك مني) [٤].

ورجل اتخذ علمه وسيلة إلى منافعه العاجلة ، ورفض الآجلة ينافس به العلماء ، ويناوئ به العظماء ، ويفاخر به ويكاثر ، ويماري به ويكابر ، ويدخل به كل مدخل ، ويقضي به كل أرب ، وهو لأجل علمه عارف بركاكة حاله ، ومستشعر بخسة مقصده ، فهذا من الهالكين والحمقاء المغترين ، وهو ممن وصفه الله تعالى بقوله :

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ [الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]} [٥] وفي قوله : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ [الذين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]} [٦]

---

(١) قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام ، روى عنه ، وعن كعب بن نوفل ، وعنه محمد بن آدم ، وأولاده وآخرون ، من الأتقياء الصادقين ، أنكر عليه تشيعه وولاؤه لأهل البيت عليهم السلام ، وهذا شأنهم مع كل من والى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (انظر معجم رجال الاعتبار، الطبقات .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) في نسخة (خير من صلاة في شك) .

(٤) وفي نهج البلاغة ، قصار الحكم ، ٩٧ مانصه (وسمع عليه السلام رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ ، فقال : نوم على يقين خير من صلاة في شك) .

(٥) الجمعة : ٥

(٦) الأعراف : ١٧٥ ـــ ١٧٦ .

هذه الآية نزلت في قصة بلعام بن باعوراء[1] وكان عالما يعلم الاسم الأعظم ، فلما أخلد إلى الدنيا واتبع الهوى أنسيه ، فمثّل الله عالم السوء المائل إلى الدنيا والراكن عليها بالكلب ؛ لأنه لا يكاد يرتدع عن غيه متى تظاهر به ، بل يستخف بمن يذكره ، ويتهاون به ، ويحتج لنفسه في حكمه ، ويدعي أنه عامل بعلمه ، كالكلب الذي لا يزال يلهث سواء طردته أو تركته .

وهذا الصنف والذي قبله هما اللذان حذر عنهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (اتقوا العابد الجاهل والعالم الفاسق)[2] وإنما حذر عنهما لعظيم اجترامهما ، فإن الزاهد الجاهل يدع الناس بزهده إلى سلوك مثل طريقته في جهله وإن لم يتبعوه في زهده ، والعالم الفاسق يدع الناس بعلمه إلى مثل عمله وإن لم يتبعوه في علمه ؛ لأن العلم والزهد عمل البررة الأخيار وخدمة الملك الجبار ، وقد جعل الله تعالى في القلوب لخدمه مودة ورحمة وجلالة وعظمة قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا﴾[3] فتدعوهم تلك الأعمال السنية التي هي العلم والزهد إلى الإتباع لهما في الأمور السهلة الشهية التي هي الفسق والجهل وإن لم يتبعوهما في العلم والزهد لمّا كانا من الأمور الشاقة ، فمن هاهنا يعظم وزرهما ، ويكثر الضلال بسببهما ، وما ـ تملكت الظلمة وتصدرت الفاسقة ، وقل نُمُوُّ الدين ، وارتفعت أصوات العاصين ، واستهين بالمؤمنين ، وتكالب الناس على الدنيا وطرحوا الأخرى ومالوا عن أئمة الهدى ، في أكثر الأزمنة والأعصار والأقطار ـ إلا بسبب هذين

---

(١) بلعام بن باعوراء ، قال في الكشاف ١٠٣/٢ : هو عالم من علماء بني اسرائيل ، وقيل : من الكنعانيين ، اسمه بلعم بن باعوراء ، أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها ، من الآيات ، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ، فلحقه الشيطان ، وأدركه .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه عن أنس ص ١٢٠ ، وله شواهد أوردها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الأول بلفظ (احذروا الجهال من العباد) والثاني بلفظ (احذروا الفجار من العلماء) ، وعزاهما إلى ابن عساكر ٢٣٠/٣ .

(٣) مريم : ٩٦ .

الصنفين وهما الزهاد الجهال والعلماء الفساق ، فلا يكاد الطغام وهم الأكثر يلتفتون إلا ووجدوا عالما متلفتا إلى الدنيا بكليته ذاهبا عن الآخرة بجملته ، أو زاهدا قد غمرته الجهالات فتغطمط في بحار الهلكات[1] فما أفسد الزاهد بجهله أكثر مما أصلحه بزهده ، وما أفسد العالم بعمله أكثر مما أصلحه بعلمه ، فقد صارا سببا لجرأة عباد الله على معاصيه أعاذنا الله من شرهما ، وصرفنا عن ضرهما بحقه العظيم ، ونبيه الكريم إنه غفور رحيم.

وعن بعض الصالحين أنه قال : بلغني عن كميل بن زياد النخعي[2] أنه قال : أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام بيدي فأخرجني إلى الجبانة ، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال : يا كميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها فاحفظ عني[3] ما أقول لك : الناس ثلاثة فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل مائل ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، يا كميل بن زياد العلم خير من المال ، العلم يحرسك والمال تحرسه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، مات خزان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها إن هاهنا علما جما ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة بل أصبت لقنا غير مأمون مستعملا آلة الدين للدنيا ، يستظهر بحجج الله على خلقه ، وبنعمه على عباده ، أو منقادا للشك ينقدح الشك في قلبه بأول

(١) في نسخة (في بحار الشبهات) .

(٢) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي الكوفي ، المتوفى سنة ٨٢ هـ أحد اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وأحد العباد والزهاد ، شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان شريفا مطاعا ، في قومه ، وعاش حياة مليئة بالزهد والجهاد حتى قتله الحجاج بن يوسف ، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدد من الصحابة ، وعنه خلق كثير ، ذكره السيد صارم الدين ، وابن حابس ، وابن حميد في ثقات محدثي الشيعة ، ووثقه ابن معين ، والعجلي ، وابن سعد ، وروى له السيد أبو طالب ، والنسائي في اليوم والليلة ، وعنه كثير من نصوص نهج البلاغة .

(٣) خ (فاحفظ مني) .

عارض من شبهة لاذا ولا ذاك أقمن ، أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات،أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة ، كذلك العلم يموت بموت صاحبه. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ؛كيلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يردوها إلى نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه هاه هاه شوقا إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولك ، إذا شئت فقم)[1] .

---

(١) كلام أمير المؤمنين لكميل بن زياد أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين برقم (٢/٥٠) بسنده إلى أبي مخنف ، عن كميل ، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ١٠٧ ، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ، ٦٦/١ ، بسندهما إلى كميل ، وهو في نهج البلاغة قصار الحكم ، رقم ١٤٧ ، بلفظ مقارب ، وأورده السيد محمد باقر المحمودي ، في كتابه القيم (نهج السعادة في المستدرك من نهج البلاغة) ٨/٥ ـــ ٢٩ ، بسنده عن الشيخ الصدوق إلى كميل ، من عدة طريق حديث (٢) باب ٢٦ من أكمال الدين ص ١٦٩ ، ط ١ ، وعزاه في الهامش إلى تذكرة سبط ابن الجوزي ، ص ١٥٠ ، ط النجف ، وتاريخ اليعقوبي ص ١٩٤ ، والخصال ، ومناقب الخوارزمي ٢٦٣ ، وأمالي الشيخ الصدوق ج ١ ، حديث ٢٣ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، وإثبات الهداة ٢١٧/١ ، وبحار الأنوار ١١/٧ ، وعلل الشرائع ص ١٩٥ ، قال السيد المحمودي : وهذه الوصية الشريفة مما تواتر عنه عليه السلام بين الخاصة والعامة ، بألفاظها المتقاربة ، ذكرها من أعلام الخاصة الثقفي المتوفى سنة ٢٧٥ ، أو ٢٨٣ ، واليعقوبي المتوفى قبل سنة ٣٠٠ هـ والحسن بن على بن شعبة المتوفى قبل ٤٠٠هـ والشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ والسيدان الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ والرضي المتوفى سنة ٤٠٤ هـ ومحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وغيرهم ، ثم أورد من رواها من أعلام السنة بالأسانيد وهم كل من : ابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ ، في العقد الفريد ٢٦٥/١ ط ٢ ، وابو نعيم المتوفى سنة ٤٠٣ هـ في حلية الأولياء ، و٧٩/١ ط مصر ١٣٥١ ، وابو عبد الله محمد بن سلام بن جعفر القضاعي المتوفى بمصر ٤٥٤ هـ في المختار من النوع الرابع من دستور معالم الحكم ص ٨٢ ط مصر ، وابو الحسن على بن أحمد العاصمي الخوارزمي (٤٨٤ ـــ ٥٦٨) في كتابه المناقب المتقدم الذكر ، و الذهبي في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تذكرة الحفاظ ١٠/١ ، وسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٠٤ ، في تذكرة الخواص السابقة الذكر ، وابن عساكر .. الخ

وهذه بعض معاني الألفاظ من كلامه عليه السلام : قوله : الجبانة ، وفي بعض الروايات الجبان : الصحراء ، وتطلق أيضا على المقبرة ، وأصحر ، أي : صار في الصحراء وأوغل فيها ، وتنفس الصعداء أي : تنفس تنفسا

فانظر أيها الطالب إلى هذا الكلام جمع فيه تلك الأقسام فأصحب الدنيا صحبة أهل المحل الأعلى لعلك أن تنجو غدا.

فإن قلت : أنبئني بطريق النجاة وكيفية السلامة من هذه الدحضات[1]؟

فاعلم قبل كل شئ أن الله تعالى ما خلق الخلق لفاقة به إليهم لكن لقصد التفضل عليهم ؛ لأنه عز وجل كان مستغنيا في القدم عن كل موجود وعدم ، لا تضطره شهوة ولا تعتريه نفره فهو لا يجد ألما ولا لذة ؛ لأن المتألم يتناقص والمتلذذ يزداد ، وربنا تبارك وتعالى لا يشبه أحدا من العباد ، وإذا لم يلتذ ولم يتألم فهو لا ينتفع ولا يتضرر ، ولا يغتم ولا يستر ، فإذا هو الغني في الأزل وفيما لم يزل ، المالك للملك ، الباقي وكل شئ هالك.

نعم ولما كانت الملوك لابد أن يكون لها تفضل وامتنان وإنعام وإحسان ، علمت أن الملك الديان المختص بالعظمة والسلطان ، الذي لا يحويه مكان ولا تراه الأعيان ، أولى بإفادة الجزيل من العبد الذليل.

ولما كانت عظمته لا يشاركه فيها مشارك ؛ كانت أياديه ونعمه مما لا يملكها عليه مالك ، ولا يشاركه في الاقتدار عليها مشارك ؛ ليختص في النعمة بمثل ما اختص به في العظمة ؛ فلهذا اختص الإله عز وجل بخلق أصول النعم ، وأساس جميع المنح والقسم ، وهي خلق الحي ، وخلق حياته ، وخلق شهوته ، وتمكينه من المشتهيات ، وإكمال العقل الذي يميز به بين الحسن والقبيح ، ويجتلب به المتجر الربيح ؛ فلولا هذه الابتدآت الحسنة لما كانت في الدنيا حسنة ، قضية قضاها العقل الرصين ،

ممدودا طويلا ، والهمج : الحمقى من الناس ، والرعاع : كالسحاب الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم من الناس ، والطغام : أوغاد الناس ، والواحد والجمع فيه على سواء . والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أوحق ، ويزكو أي : يزداد نماء ، واللقن ــ بفتح فكسر ــ من يفهم بسرعة ، وأقمن : أجدى ، وأحرى ، والمنهوم : المفرط في شهوة الطعام ، وسلس القياد : سهله ، والسائمة : التي ترسل لترعى من غير أن تعلف ومنه قوله ﷺ .(في السائمة زكاة) .

(١) الدحضات : جمع دحض ، وهو الزلق ، والادحاض : الازلاق .

وحكم حكم به رب العالمين ، فله الحمد على ما امتن ، والشكر كثيرا على ما أنعم وأحسن ، فقد اقتضت عليك هذه النعم التي هي أنهى النهايات ــ أن يبلغ شكرك عليها أقصى الغايات ؛ فإن الشكر يتزايد بتزايد النعم ، ويتنوع بحسب تنوع المنح والقسم ، فليس إعطاء الفلس كالتفضل بالفرس ، ولا الدينار كالقيراط[1] ، ولا الشكر على التفضل بالتاج كالشكر على الامتنان بالجاج[2] ، هذا وأنت لا تبلغ إلى شئ من شكره إلا بمنه وفضله ، فإنه لولا تعريفه لك بكيفية الشكر واقتداره لك على الاعتراف له ، والذكر ما أحسنت شكره ، ولا دريت ذكره ؛ ولهذا قال بعض الصالحين شعرا :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

[وقال آخر :

إن لله علينا أنعما ... يعجز الحمد عن الحمد لها

فله الحمد على نعمائه ... وله الحمد على الحمد لها] [3]

ولن يبلغ شكرك إلى أنهى النهايات ، وأقصى الغايات ــ إلا بالاعتراف للملك الديان بالإحسان ، والإقرار له بكثرة الامتنان ، والخضوع له في العبادة ، والتذلل له في وجوه القربات ، ولهذا قال بعض الخائفين وأصاب :

شكرك معقود بإيماني ... حُكّمَ في سري وإعلاني

عقد ضمير وفم ناطق ... ونقل أعضاء وأركان

---

(١) خ (ولا الدينار كالقنطار) .

(٢) الجاج : مفرده جاجه ، وهي خرزة وضيعة ، لا تساوي فلسا ، يقال : ما رأيت عليه عاجة ، ولا جاجة ، وأنشد لأبي خراش الهذلي ، يذكر امرأته ، وأنه عاتبها فاستحيت ، وجاءت إليه مستحيية :

فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة ... ولا جاجة منها تلوح على وشم (لسان العرب ٥٢٨/١) ترتيب يوسف خياط

(٣) زيادة في نسخة .

وهذا هو الذي عبر عنه الموحدون بالتكليف من الرب الرحيم الحكيم.

وعلى التحقيق أنه نتيج نعمتك ، وموجب منفعتك ، التي لولاها لخرجت عن سمتك على ما عرفتك ، من أصول الأيادي التي هي في النعم مبادئ .

نعم ـــ ثم إن الرب عز وجل زادك بسبب نعمته الأولى عليك أعظم النعم وأعلاها ، وأشرفها وأسناها بعد تلك الأصول ، وما أوجبته من الفصول ، وهو الثواب العظيم ، والفضل الجسيم ، في جنات النعيم ، فكأنه كلما أنعم عليك نعمة التزم تعالى لأجلها أن يعطيك أضعافها وأضعاف أضعافها ، فهذا غاية الكرم والجود ، مع المجاهرة بالصدود ، ولهذا شكره بعض المستبصرين المتأملين لتواتر النعم من رب العالمين فقال :

الهي لك الحمد الذي أنت أهله	على نعم ما كنت منك لها أهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا	كأني بالتقصير استوجب الفضلا

فما مثلك أيها العبد في جريان نعم الله عليك إلا مثل عبد صغير مسكين ، رباه ملك البلد أحسن التربية ، وغذاه أحسن الغذاء ، فلما مضى عليه خمس عشرة سنة في النعم السابغة ، والأيادي البالغة ألبسه الملك لباس الملك ، وخلع عليه التيجان وأنزله في أحسن منزل ، وأبعده عن القذارات وقال له : كلما رأيتك لابسا لهذه الخلع في المواضع الشريفة السلطانية أعطيتك في كل ساعة تمر عليك وأنت كذلك أضعافها وأضعاف أضعافها ، حتى يصل ملكك إلى ما لا غاية له ، وإن طرحتها واستعملتها في غير ما ذكرت لك نحو أن تستعملها في القذارات والمزابل فإني لا أعطيك شيئا سوى العطاء الأول ، وما يقوم بك وبقوتك ومن تحت يدك إلى وقت وفاتك ، فهل ترى هذا الملك عَدَلَ في حكمه أم جار ، هذا شبه بحالك ولا سواء ، فإن الملك هو الله الواحد القهار ، وأنت العبد الذليل ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، واسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنه ، ورباك أحسن التربية ، وغذاك بأطيب الغذاء ، حتى بلغت خمس عشرة سنة أو أقرب ، ثم أكمل

لك العقل الذي هو تاج الملك ولباسه ، وعماده وأساسه ، وأمرك أن تستعمله في الأمور السلطانية الإلهية ، ولا تخرج به إلى القذارات ، وهي الأخلاق الذميمة ، بل تقف به عند الأخلاق الحميدة الجميلة ، وضمن لك على ذلك ملكا عظيما ، وأمرا جسيما ، لا ينحصر ولا ينحد ، ولا يتناهى ولا ينعد ، وأعلمك أنك إن خالفته فإنه لا يسلب عنك ما قد أعطاك لأجل معصيتك ، بل يقيتك أنت ومن تحت يدك ، إلى وقت موتك ، وبلوغ أجلك ، فهل تعلم لربك مثيلا ، كلا ما كان ولا يكون أبدا ، ومتى تحققت ما ذكرت لك ، وتيقنت ما فصلت لك ، علمت أن ربك عز وجل لا تزيده طاعة المطيعين ، ولا تنفعه ولا تنقصه معصية العاصين ولا تضره ، وإنما ذلك كله تعود مصلحته إلى العبد الذليل بالتفضل من الملك الجليل فمن هاهنا تعلم أن النجاة بطاعة الله عز وجل ، والهلاك بمخالفته.

والآن يقع الإرشاد للطالب إلى طريق النجاة ليبلغ بذلك إلى هني الحياة إن شاء الله تعالى ، ومن الله عز وجل أستمد التوفيق والتسديد ، وإياه أسأل المعونة والتأييد ، فهو حسبي ونعم الوكيل.

الإرشاد إلى النجاة

اعلم أيها الطالب أن نجاة العبد إنما تحصل بطاعة الله ، وانقياده لمولاه في أمره ونهيه.

فإذا النجاة إنما تحصل بأمرين :

أحدهما : الانقياد للأوامر الإلهية على حسب ما اقتضته.

والثاني : الانقياد للنواهي الإلهية على حسب ما تضمنته ، وترك المناهي هو الأصعب والأشد فإن فعل الطاعات سهل على الجم الغفير ، وترك المناهي ومخالفة الهوى تخفى إلا على النّدِس[1] البصير قال تعالى : {**فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ**

(١) الندس : هو الذي يدقق النظر في الأمور .

الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [(١)]

وعنه (المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، والمهاجر من هجر السوء) [(٢)].

واعلم أنه لا ينبغي للعبد أن يقوم بين يدي مولاه في أولى الخدم وأعلاها وأشرفها وأسناها ومع ذلك هو يخطب إليه أكرم جواريه عليه ، ويطلب منه أعظم الممالك لديه ، وهو مسيء إليه ومجترم عليه ، وقد قتل خواص أهل خدمته ، وأهلك أجلاء أهل دولته ، واصطفى الأموال ، وتحمل الأثقال ، فإنه عبد سوء مشؤوم ، مستخف به ملوم ، مسخور به مغرور ، لا يأمن من سيده أن ينزعه من خدمته ، ويحكم بعقوبته ، فإن كان هكذا ، فينبغي أن لا يقوم بين يديه يطلب منه حوائجه إليه إلا وهو متطهر من الذنوب ، خال عن جميع العيوب ، فحينئذ ينظر إليه مولاه ويعطيه سؤله ومناه ، فلهذا ينبغي تقدمة الإرشاد إلى النجاة بترك السيئات قبل ذكر أحوال الطاعات.

واعلم أنه لا يتم لك كمال الارتسام لربك ، والانقياد إلا بحسن المعاشرة مع العباد فإنك عبد من عباده لا تشرف عنده على سائر خدمه إلا بالموافقة له في جميع مراده ، ومن جملة مراده حسن المعاشرة مع عباده بما يرضاه فلا تحسبن أنك تزيد عليهم عنده بحسن الصورة ، وكمال الخلقة ، أو بياض الوجه وسواد الشعر ، أو بكثرة الحذق ، أو بحدة البصر ، كلا فإن ذلك فيك من فعل الملك الجبار ، اختصك به للابتلاء والاختبار ، لينظر كيف شكرك فيما أعطيت ، وصبرك فيما به ابتليت ،

---

(١) النازعات : ٣٧ ــ ٤١ .

(٢) حديث (المؤمن) أخرجه ابن حبان عن أنس بزيادة (والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه) الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٦٤/٢ ، رقم ٥١٠ ، وأحمد ١٥٤/٣ ، والحاكم في المستدرك ١١/١ ، وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وشواهده كثيرة ، بألفاظ متقاربة ، وبعض فقرات الحديث وردت في أحاديث منفصلة .

فأنت وسائر عباده عنده بمنزلة واحدة باعتبار العبودية ، وإن اختلفتم في المرتبة باعتبار الانقياد في جميع المراد ، وهذه حالة الواحد منا في خدمه ، فإنهم عنده على سواء في اعتبار الرق ، وإنما يختلفون بحسب الجريان في ميدان المراد ، فأعدلهم فيهم ، وأحسنهم معاشرة لهم هو الأحب منهم عند مولاه ، والأرفع عند مولاه على سائر خدمه ، وكذلك عبيد الخدمة الإلهية يجرون هذا المجري فافهم ذلك.

ولهذا أمر الله تعالى بذلك واثني على من هذه طبيعته وحلته[1] وطريقته بقوله : {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[2] وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله)[3] وبقوله : (إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[4] فلهذا ينبغي أن يقع الإرشاد إلى ما يصلح أن يعاشر به العباد ، فهما قسمان قسم المعاشرة مع الخالق ، وقسم المعاشرة مع المخلوق ، وإن كان يرجع إلى باب المعاشرة مع الخالق ، ولكن باعتبار الانقياد له في المراد ، فلنقسم ذلك ثلاثة أقسام :

---

(١) نسخة (وحليته) .

(٢) فصلت : ٣٤ــ ٣٥ .

(٣) أكمل المؤمنين أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة ، (الإحسان) ٢٢٧/٢ رقم (٤٧٩) بدون زيادة (وألطفهم بأهله) قال محققه : إسناده حسن ، وأخرجه الآجري في الشريعة ص ١١٥ ، وأحمد ٢/ ٢٥٠ ، ٤٧٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٥١٥/٨ ، ٥١٦ ، ٢٧/١١، ٢٨ ، والإيمان ١٧، .١، ٢٠ ، وابو داود رقم (٤٦٨٢) والترمذي رقم ١١٦٢) والبغوي في شرح ..٣٤٩٥ ، وابو نعيم في الحلية ٢٤٨/٩، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٩١) والدارمي ٣٢٣/٢ ، والحاكم ٣/١ وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن ١٩٢/١٠ ، كما أخرجه ابن حبان بزيادة (وخياركم خياركم لنسائهم) رقم ١٤٩٧٦ الاحسان ، وفي الباب عن عائشة ، وجابر ، وعمرو بن عبه ، وعبادة بن الصامت .

(٤) أخرجه ابن حبان الإحسان ٣٠٧/٢ ، رقم ٥٤٧ ، قال محققه : وأخرجه الطبراني في الصغير ،١٥٤/١ ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٦٣ ، ١٠٦٥) وأحمد ٨٥/٦، ١٩٩، وابن ماجه رقم ٣٦٨٩ ، والدارمي ٣٢٣/٢ ، وعبد الرزاق ١٩٤٦٠ ، ومسلم رقم ٢١٦٥ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٨٣ ، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨١) والبخاري (٦٠٢٤ ـــ ٦٣٩٥ ـــ ٦٩٢٧) والترمذي (٢٧١٠) كلهم عن عائشة ، وفي الباب أحاديث كثيرة عن غيرها .

قسم أول : وهو تهذيب النفس بترك المناهي على الجملة.

وقسم ثان : وهو تهذيب النفس بالطاعة لله تعالى في جميع أوامره في المعاشرة مع خلقه.

وقسم ثالث : وهو تهذيب النفس بالخضوع لله سبحانه وتعالى في جميع أوامره.

القسم الأول

وهو تهذيب النفس بترك المناهي .

اعلم أيها العبد الذليل أنك إنما تعصي الملك الجليل بجوارحك ، التي هي نعمته عليك ووديعته لديك ، فاستعانتك بنعمته على معصيته غاية الكفران ، وخيانتك في أمانته التي أودعكها غاية الطغيان ، وما مثلك إلا مثل عبد لسلطان رباه السلطان من صغره إلى كبره ، فلما ترعرع العبد خلع عليه السلطان أعظم الخلع وأرفعها ، وبذل له نفائس الأموال وأعزها ، ومكنه من الألوف من خواص أهل مملكته ليدخلوا في طاعته ، فلما استوى للعبد أمره ، ونفذ بسلطان الملك حكمه وعظم شأنه ، قصد الملك بجنوده وأمواله التي هي من خزانة ذلك الملك ليبيد خضراءه ، ويقتلع جرثومته ، وشهر السيف الذي كان الملك أعطاه إياه في وجه ذلك الملك ، وقصد الاستخفاف والإسقاط لمترلته ، أترى هذا العبد إلا معدودا في أرذل الأرذلين ، وأكفر الكافرين ، وأسفل السافلين ، الذين لاجاه لهم ولا شرف عند أحد من العالمين ، كذلك العصاة لرب الخلق أجمعين هم أخس الأخسين ، وأخسر الخاسرين.

الإرشاد إلى النجاة بتهذيب النفس

وتطهيرها من رذائل الأخلاق التي هي مناهي الملك الخلاق.

اعلم أن تهذيب النفس وتطهيرها من الرذائل لا يقع إلا بترك المعاصي ، والمعاصي إنما تقع بالجوارح ، والجوارح الظاهرة سبع وهي العين والأذن واللسان واليد والبطن

والفرج والرجل ، فهذه الأعضاء هي التي يحدث منها الخير والشر ، وبها يقع النفع والضر ، وعليها قيم واحد وهو رئيسها وبسببه تصدر أفعالها وهو القلب ، فإنه إذا صلح صلحت كلها ، وإذا فسد فسدت بأجمعها ، وهذه الأعضاء هي صاحب الإنسان وجليسه المساعد له في الأعمال ، والملازم له في جميع الأحوال لا ينكتم منها عنه صغير ولا كبير ، ولا يخفى عليها منه نقير ولا قطمير ، وهي أعظم أعدائه يوم القيامة يوم الصاخة والطامة ، تقف بين يدي ربها فتشهد بما كان من كسبها بلسان طلق خحل ذلق ، وكلام فصيح منطلق قال تعالى : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2] وقال في الختم على الألسنة بعد نطقها : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [3].

ولهذا قال ﷺ : (أول ما ينطق من ابن آدم يوم القيامة فخذه) [4].

وعنه أيضا (أول عظم يتكلم من الإنسان يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال) [5].

---

(١) فصلت : ٢٢.

(٢) النور : ٢٤ .

(٣) يس : ٦٥ .

(٤) أخرجه الإمام الموفق بالله الحسين بن اسماعيل الجرجاني في الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٦٣ ، عن أبي أمامة ، وعزاه في موسوعة الأطراف ٢٦٨/٣ إلى الطبراني ٣٣٣/٧ ، وله شواهد منها ماورد في كنز العمال رقم ٣٨٩٩ ، والاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٥٨ ، انظر تخريجه هناك .

(٥) أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٦٢ ، عن عقبة بن عامر ، وأخرجه كذلك أحمد ١٥١/٤ ، وهو في مجمع الزوائد ٣٥١/١٠ ، وقال : رواه أحمد والطبراني ، وإسنادهما جيد ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٦٨/٣ ، إلى الطبراني ٢٩/٢٤، وتفسير ابن كثير ٥٧٢/٦، والدر المنثور ٢٦٧/٥ ، وجمع الجوامع ٦٣٦٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٨/٦ ، وغيرها .

وفي خبر عنه ﷺ (إن العار والتخزية ليبلغ من أهل القيامة في المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنون أنهم صرف بهم إلى النار من ذل ذلك المقام.[1])

وإذا عرفت شهادتها عليك ، وإهانتها لك ، وهي العزيزة لديك ، فاحترز من إهمالها ، واستعملها في أشرف أعمالها ؛ لعلك تنجو كفافا ، ويكون [ربحك أنك]معافى ؛ فإن الإنسان يتمنى ذلك اليوم أن يكون من أهل العافية ، دع عنك أن تكون من أهل الأجور الوافية ، ولن يتم لك الخلاص والنجاة إلا بأن تعرف ما يختص كل عضو من هذه الأعضاء من الفضائل والرذائل ، حتى تعمل بحسب علمك ؛ فلعل أن تلقى الله تعالى بأحسن عملك ، ولكن قبل التحرز في مستقبل أيامك من الذنوب لابد أن تطهر ما قد اكتسبت من كل حوب فإن منتك نفسك أنك لم تكن اكتسبت سيئة ، ولا أخطأت خطيئة ، فاعلم أنها إنما عمدت بك إلى الغرور ، وكلمتك بلسان الزور ، فإن كل إنسان لا يسلم من العصيان ، وقد حكى الله ذلك عن أهل ولايته ، وأحب الخلق لطاعته وهم الأنبياء المرسلون ، والأولياء المقربون فقال تعالى : {**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**}[2] .

وعن النبي ﷺ أنه قيل : يا رسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب ؟ فقال ﷺ: (ما من آدمي إلا وله خطايا وذنوب يقترفها ، فمن كان سجيته العقل ، وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه) قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه ، فيمحو ذلك ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة) .

---

(١)أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٧٧ ، وابو يعلى ٣/٣١١ ، رقم ١٧٧٦ ، وهو في مجمع الزوائد ١/٣٥٠ ، و المطالب العالية رقم ٤٦٢١ ، وكنز العمال رقم ٧٣٦ جميعهم بألفاظ متقاربة ، عن جابر ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث إلى ابن حبان ٤٦٥ ، وحلية الأولياء ٦/٢١٠ .

(٢) فاطر : ٤٥ .

فإذا معرفة ما يرحض[1] الذنوب ويغسل العيوب أصل في الخلاص ، وأساس في النجاة.

تنبيه على أساس النجاة

اعلم أن الله تعالى بفضله وبرحمته قد جعل لنا طريقا إلى التخلص من موبقات سخطه ومستحقات عقوبته ، حتى إن الواحد من الناس يأتي بالجرائم العظيمة والخطايا الجسيمة ، نحو الكفر والجحدان ، وعبادة الأوثان والفسوق والعصيان ، والقتل والظلم والافتراء والبهتان ، والاستخفاف بحق الرحمن ، ويدين بذلك ويدم عليه الدهور المتوالية ثم تمر عليه ساعة واحدة قليلة يفعل فيها فعلا سهيلا خفيفا نزرا فتطمس هذه المعاصي كلها ، ويأتي على جميعها فلا تبقى عليه تبعتها ولا يستحق بعد ذلك عقوبتها ، وهذا غاية الرفق والعفو من الملك الجليل بالعبد الذليل والحمد لله رب العالمين.

وهذا الجنس من الأفعال الراحضة لقبائح الأعمال ينبغي أن تكون أساسا للنجاة معتمدا عليه في كل وقت من الأوقات ، وهو التوبة النصوح الساترة من الفضوح ، قال الله تعالى : {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا}[2] وقال عز وجل : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}[3] وقال بعد تعداده الكبائر والعقاب عليها : {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}[4] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) الرحض : هو الغسل ، والراحضة : الغاسلة ، والراحض : الغاسل ، انظر لسان العرب ١/١١٤٠ ترتيب يوسف خياط.

(٢) التحريم : ٨ .

(٣) الشورى : ٢٥ .

(٤) الفرقان : ٧٠ .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار)[1] وعنه ﷺ (لكل شئ حيلة وحيلة الذنوب التوبة)[2] وسنبين إنشاء الله كيفية أدائها وتفاصيلها عند الكلام في الطاعات فإنها من أعظم الطاعات وانفعها ومن الله نستمد التوفيق ، وإياه أسأله المعونة والتأييد لما يحب ويرضى وإذا قد بان لكل أساس النجاة ، والطهور الراحض للسيئات الذي ينتفع معه بالحسنات فلنرجع إلى بيان ما يختص كل عضو من الأعضاء العاملة في الفضائل والرذائل والله تعالى الهادي للصواب بفضله.

اعلم أن المعصية الواحدة تكبر وتعظم وتزايد بحسب أحوال يكون عليها العاصي والمعصي والآن نرشد إلى طرف منها إنشاء الله تعالى.

الإرشاد إلى ما تتعاظم معه المعصية

الواحدة التي تصير بمترلة معاص كثيرة

واعلم أن الأمور التي بها تتعاظم المعاصي كثيرة قد شرحها العلماء في كتبهم وننبه الآن على خصال يسيرة من ذلك إنشاء الله تعالى .

منها : خصلة أولى

وهي أن يكون العاصي خادم المعصي وعبده ، فإن معصيته تكون أعظم من معصية غير عبده له ، وسواء كان المعصي شريفا أو وضيعا ، فقد عظمت معصية عبده له بسبب الرق ، وهذه حالتنا مع الله تعالى فإنا عبيده وخدمه من كل وجه بل نحن على أعظم من ذلك ، فإنه ما من عبد لمالك آدمي إلا وكان يصح أن لا يكون له عبدا ،

---

(١) له شاهد أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين رقم (٣١٩) من حديث طويل عن أنس ، وفيه (فإن داؤكم الذنوب ، ودواؤكم الإستغفار) وفي المستدرك ٢٤٢/٤ شاهد أخر بلفظ (دواء الذنوب أن تستغفر الله) .

(٢) له شاهد في الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٢٨ ، وفي الأمالي الخميسية ١٩٦/١ ، بلفظ (من أخطأ خطيئة ، أو أذنب ذنبا ثم ندم فهو كفارته) .

فإنه إنما تملكه بتمليك الله له إياه ، وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (انتم بنوا آدم طف الصاع لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى) [1] .

فإن انضاف إلى هذه الخصلة ثانية

وهي : أن يكون السيد شريفا عظيم القدر والشأن كانت حينئذ معصية العبد له زائدة بزيادة عظيمة على الأولى بدرجات كثيرة ، حتى إن معصية غير العبد له ربما ساوت معصية العبد لمولاه الذي ليس له مثل في الشرف والجلالة ، أو زادت على ذلك ، وهذه الخصلة حاصلة فينا على أبلغ الوجوه فأنه لا أعظم من ملك الله تعالى وسلطانه ، ولا أعلى ولا أكبر من شأنه ، بل هو المتفرد بالملك والإلهية والسلطان العالي شأنه على كل شأن ، فلا أحد مثله ولا إله غيره ، فمعصيتنا له أعظم معصية ، وخيانتنا في ذلك أعظم خيانة.

فإن انضاف إلى هذه الخصلة خصلة ثالثة

وهي : أن تكون الخيانة من العبد حصلت في ملك هذا السيد وبلاده ، التي استولى عليها فإن ذلك لا يساوي وقوعها من خارج ملكه ، وهذه حالة الواحد منا ما يعصي ربه إلا في دار مملكته ، فإن الدنيا وما فيها لله لا شريك له في ذلك.

فإن انضاف إلى ذلك خصلة رابعة

وهي أن الجناية وقعت في خواص الملك أو كبار جنوده ، أو بعض قواده في نفس أو مال أو عرض كان ذلك أكبر وأعظم من مخالفته لهذا السيد المعظم فيما يختص نفسه من الخدمة وهذه حالة الواحد منا في معصية الله تعالى فيما يتعدى إلى المؤمنين الذين هم أصفياء رب العالمين.

---

(١) لم أجده بلفظه ، وله شواهد كثيرة ، منها ما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٨٣ عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد ، وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع (هكذا) لم يملؤه ، ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدين وعمل صالح ..الخ ، قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني

فإن انضاف إلى ما تقدم خصلة خامسة

وهي أن يكون هذا الملك منعما على هذا العبد نعما زائدة على الإنفاق المعهود للخدام أضعافا مضاعفة ، نحو أن يوليه ممالك وأموالا عظيمة ، ويقول له : إن غرضي بخدمتك في هذه الممالك ما يرجع إلا إلى منفعتك ، فإني لا أحتاج إلى شيء من تصرفك ، ولا إلى صغير ولا كبير مما خولتك ، فإن معصية هذا العبد فيما يرجع إلى منفعة العبد تكون من أعظم الجرائم ، وأكبر المآثم ، حتى لا يساويها شيء مما ذكرناه أولا ، أصلا أبدا.

فهذه حالتنا مع الله تعالى بل هي أعظم لأنه خلق لنا الحياة والشهوة والمشتهي والعقل وكل الانتفاع بذلك إلينا ، وعرفنا أنه لا يحتاج لشيء من ذلك ، فتحققنا ذلك وعلمناه ، وبين لنا أيضا أن معصيتنا له لا تضره ، وإنما هي تضرنا ، ويرجع وبالها علينا ، ولا أعظم من معصيتنا له ، ولا أكبر من جرأتنا عليه.

فإن انضاف إلى ما تقدم خصلة سادسة

وهي أن يكون هذا السيد المالك مدرا بنعمته على هذا العبد في كل يوم من الأيام بحيث يعطيه كل يوم غير ما أعطاه أولا معه ، فإن مقابلة ذلك بالمعصية له يكون أعظم الكفران ، وأخسر الخسران ، بحيث تزيد على ما تقدم بدرجات كثيرة ، لا تكاد يدرك كنهها ، ولا يعرف تفصيلها.

وهذه حالتنا مع القديم جل وعز فإنه يجدد لنا في كل يوم بل في كل ساعة بل فيما هو أقل من الساعة نعما لا تحصى ولا تنعد ، ولو لم يكن إلا هذا الروح الذي يجريه لنا في كل وقت وحين ، وكذلك العقل والشهوات ، وأجناس ذلك لكان لنا فيه كفاية ، كيف والنعم دارة علينا لا تنفك منا، وليس علينا نعمة تتجدد في كل وقت وأوان إلا من الملك الديان قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1] وقال

---

(١) إبراهيم : ٣٤ ، النحل : ١٨ .

تعالى : {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}[1] فمعصيتنا له مع ذلك أعظم العصيان فالله المستعان.

وإذا انضاف إلى ما تقدم خصلة سابعة

وهي أن تكون معصية العبد بنفس هذه النعم المتوالية عليه من مولاه العظيم كانت أعظم وأكبر من جميع ما تقدم ، نحو أن يهب له سيفا محليا بأنواع الجواهر واليواقيت والعسجد ، ويكون السيف من الفضة ، فيضرب هذا العبد الذليل بهذا السيف الحسن الذي هو نعمة الملك أحب أولاده إليه ، فإن هذا من أعظم الجرائم وأرذل الرذائل.

وهذه حالتنا مع ربنا جل وعز ، أعطانا نعمته فعصيناه بها فإنه لا يمكننا أبدا أن نعصيه إلا بنعمته لأن الجوارح كلها وجميع الأموال ، بل كل الأجسام هي نعمة من الله تعالى علينا وخلقه وملكه ولا يمكن أحدا أن يعصيه إلا بها وفيها ، فالله المستعان ، وإياه أسأله التوفيق والاعتصام من جميع أنواع العصيان.

فإن انضاف إلى ما قد تقدم خصلة ثامنة

وهي أن تكون حالة تسليم هذا الملك العظيم نعمه الجسيمة إلى عبده في حالة مقابلة العبد له بمعصيته كأنه أخذها من الملك بشماله ولطمه في تلك الحال بيمينه فإنه لا معصية فوق ذلك ولا طاعة من هذا العبد أبدا يعتذر بها مع ذلك.

وهذه حالتنا مع الملك العظيم الرب الرحيم ، فإنا نقابله بالمعصية في حال إدراره النعم ، وهذا غاية الكفران ، ونهاية العصيان.

فإذا انضاف إلى جميع ما تقدم خصلة تاسعة

وهي أن يكون هذا السيد المالك ضمن لهذا العبد الخسيس على تركه العصيان له والمخالفة لأمره ضمانات عظيمة وممالك جسيمة لا يبلغ إلى وصفها ولا يعلم كنهها إلا الضامن بها لعظم أمرها ، ثم يعصيه مع ذلك بنعمته على الأحوال التي ذكرناها

---

(١) النحل : ٥٣ .

فإن ذلك العبد يكون من أخس الأخسين ولو أطاع غاية الطاعة ثم أتى بمعصية على هذه الحالات التي ذكرناها فإنه لا يعتد بطاعته بل تكون مستغرقة في ضمن معصيته ومخالفته.

وهذه حالة الواحد منا مع ربه عز وجل ، فإنا لا نعصي الله تعالى معصية إلا وقد وعدنا على تركها أعظم الممالك واجلها ، والإنعامات منه إلينا واردة ، والجنايات منا إليه صاعدة ومن هاهنا قال : يقول الله عز وجل : (يا ابن آدم ما تنصفني أتحبب إليك بالنعم وتمقت إلي بالمعاصي ، خيري إليك مترل وشرك إلي صاعد ، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك كل يوم وليلة بعمل قبيح ، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته) .

صدق الله العظيم ورسوله الكريم ونستغفر الله العظيم من جميع ذنوبنا.

نعم فإن انضاف إلى ما تقدم خصلة عاشرة

وهي أن تكون معصية هذا العبد لسيده بمرأى منه ومنظر ، نحو أن يقف بين يدي هذا الملك العظيم الشأن وهو يبزق في وجهه ويستخف بحاله ، فإنها تكون أعظم من معصيته له سرا منه ، وغير مجاهرة له وهذه حالتنا مع القديم تعالى فإنه لا يمكننا أن نستتر عنه ، بل لا تستتر عنه خواطر قلوبنا وما أكنته ضمائرنا فإنه يعلم السر وأخفى وهذا من أعظم الأمور الفواجع للعاقل إذا نظر بعين البصيرة ؛ إذ يستخفي من الناس في الصغيرة ، ويجاهر ربه في الكبيرة والصغيرة ، وإن كان كل صغير في حقه كبير.

وعلى أنه إذا انضاف إلى ما تقدم خصلة أخرى

وهي المكملة لما مضى إحدى عشرة خصلة. وهي أن تكون معصية هذا العبد الحقير لسيده بحضرة خواص الملك وأهل ولايته ، فيفعل الفاحشة بجاريته بحضرته ، ويبزق في وجهه ، ويستخف بحاله ، فإن ذلك يزيد المعصية عظما وكبرا ويبلغ بها إلى أنهى النهايات وأقصى الغايات ، فإنه لو لم يحضرهما أحد لكان من أعظم الجرائم ، فكيف

بحضرة أهل الفضائل ، وهذه حالتنا مع إلهنا وخالقنا ، فإنا لا نعصيه إلا وهو يرانا ، ووكلاؤه علينا ، وهم الملائكة المقربون الموكلون علينا الحافظون ، وهم خواص أهل خواص أهل مملكته عز وجل ، الواحد منا يتحاشم من يسيرة فعله ، أن يراه عليه الصبيان والمجانين ، ولا يتحاشم من الملائكة المقربين ، ولا من رب العالمين.

وعلى أنه إذا انضاف إلى ذلك خصلة أخرى وهي الخصلة الثانية عشرة.

وهي أن الواحد منا يستتر عن أعيان الناظرين من أصغر الآدميين ، حتى أنه يستتر عن الطفل الصغير ، ويستحي أن يواجهه أصغر الناس على معصيته ربه، ولا يستحي أن يواجه ربه بها ، ولا يتحاشم أن يراه عليها عز وجل ، ولا يستحي ممن هو أعظم من الآدميين ، وهم ملائكة رب العالمين ومع ذلك يغفر الله له ولا يعذبه عليها في الحال ، ولا يفضحه بها وهو يكرر المعصية لربه ، والمخالفة لخالقه بمرأى منه ومن ملائكته في كل وقت وحين ، ولو أن العبد في الشاهد عصا مولاه بحضرته وعلم أنه لا يتحاشم منه ولا من غيره لكان عنده أخف حكما من أن يعلم أنه لا يستحي منه في معصيته ويستحي من غيره في إساءته

وفي الخبر عنه ﷺ أنه قال : (قال الله عز وجل وعزتي وجلالي وفاقة خلقي إلي إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام أن أعذبهما. ثم بكى ﷺ قال الراوي : فقلنا : يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال أبكي ممن يستحي الله منه ولا يستحي من الله) [1] وصدق ﷺ إن هذا أمر يبكى منه ويستحيا من مثله ، والعبد إذا نظر بعين البصيرة في حاله في معصيته وجدها تزيد على كل معصية في الشاهد باعتبارات كثيرة زائدة على ما ذكرنا فإن الذي ذكرناه تنبيه على عظم المعصية بذكر بعض مما به تعظم على وجه التمثيل والتصوير للعبد الذليل ليقيس على هذا المثال وينسج على هذا المنوال ، ولعله أن يتضح للطالبين صغر الطاعات العظيمة في ضمن

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٠١ ، بسنده عن أنس ، وروى بعضه من طريقين عن أنس الإمام المرشد بالله يحي بن الحسين في الأمالي الخميسية ٢/٢٤٠ .

المعصية الواحدة بهذه الاعتبارات المذكورة وبأجناسها ، والآن نشرع فيما كنا بصدده من الإرشاد إلى النجاة بتجنب المناهي المختصة بالجوارح والآلات ، ومن الله سبحانه اسأل التوفيق والتسديد والعصمة والتأييد إنه حميد مجيد.

واعلم أيها الطالب هداك الله أن المعاصي كثيرة.

فمنها : ما يظهر ويتركه كثير من الناس إما لعادة جرت له بتركه ، أو خوفا من وبال الذم المستحق عليه وسقوط الجاه عند فعله.

ومنها : ما يخفى على الجم الغفير ، ويعرفه الخواص وهم العلماء الراسخون في العلم وإن اختلفوا في العمل ، فهذا القبيل من المعاصي يهلك فيه من لا يعرفه ، وبعض من يعرفه.

وعلى الجملة إن النجاة منه تقل بسبب أن الجاهل يقدم عليه ولا يأتي بغرض الله تعالى فيه وهو البحث عن حاله العلماء العاملين فيهلك ويضل بسبب ذلك ، والعارف له ربما أقدم عليه إما لاستصغاره أو لخفائه على الناس ؛ فإن الأكثر يتحاشم الناس ولا يتحاشم ربه ، ولا يستحي من خالقه وإن أنكر عليه بعض الصالحين فربما ادعى أنه فعله لأنه لا يعلم قبحه ، وربما دعاه ذلك للاحتجاج على تحليله بالشبهة التي يلقيها الشيطان في قلبه ، ويؤيده الهوى في تزويقها وتنميقها حتى يصوغها في مصاغ الحجج القاطعة ، وربما جعل ذلك مذهبا له وصار سببا لضلالة كثير من الخلق ، وربما اعتادت الجماعة القليلة جنسا من المعاصي من غير تناه منهم مع كونه كبيرا عندهم فيسري ذلك في غيرهم حتى انه ربما ظهر ذلك في أهل ذلك المسجد ، وربما ظهر في أهل تلك القرية ، وربما انطمس استقباحه عندهم لكثرة تخلقهم به.

وهذه العادة لها تأثير في الأفعال وقد رأينا كثيرا في أجناس من المعاصي نحو الغيبة واستماع النميمة وغير ذلك ، فإن كثيرا من المتفقهة والمتزهدة لا يكاد ينتهي من

ذلك بل يلهج به ولا يستنكره ولا ينهى عنه ، ولو رأى رجلا يؤما إليه بالصلاح لابسا للمعصفر وأجناسه لعظم ذلك عنده ونهى عنه ، والأول أعظم من هذه ، فالله المستعان.

وطريق النجاة من هذه المهواة أن تعلم أن لله تعالى في كل فعل أو ترك يختص به العاقل حكما من الأحكام إما أمرا أو نهيا ، وأما إباحة ، وإما ندبا وإما كراهة ما كان ولا يكون في العقلاء إلا ذلك ، فإذا كان العاقل لابد أن يكون فاعلا ، أو غير فاعل ، والفعل وغير الفعل لابد أن يكون حسنا أو قبيحا ، أو واجبا أو ندبا أو مباحا أو مكروها ، فيكون لله تعالى فيه حكم ورسم ، فإذاً العاقل المكلف ليس له أن يتصرف في دار مملكة الله تعالى في فعل ولا ترك إلا بإذن ، ولا تحصل له معرفة ما يأذن الله تعالى فيه وما لا يأذن في الأكثر إلا بنظر أو بحث لأرباب النظر ، فقد صار النظر والبحث لأرباب النظر لازما في حكم الأفعال ، وحكم تركها من أعظم الواجبات وأقواها ، فإن تحقق الحكم أقدم عليه على حسبه ، وإن لم يتحقق الحكم عمل على الأحوط المتحقق ، إن كان في المال واشتبه عليه فيه التحليل والتحريم عمل على الترك ، من غير اعتقاد لتحليل ولا لتحريم ، فإن الاعتقاد أيضا فيه حكم ولم يعرفه بعد فتجرأ فيه وكذلك يتجرأ في أمور العبادات وغيرها وهذا باب كبير وهو باب السلامة ، وتفصيله يطول ويخرج عن العرض ، ويكفي فيه قول النبي ﷺ (إن الحرام بين والحلال بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعرفها كثير من الناس ، فمن تركهن استبرأ من الريبة لدينه ، وإن واقعهن واقع الحرام ، ومثل ذلك مثل رجل رعي حول الحمي فيوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى وحمى الله في الأرض محارمه)[1].

---

(١) أخرجه بألفاظ مقاربة ابن حبان (الإحسان) ٢/٤٩٧ رقم ٧٢١ ، قال محققه : وأخرجه النسائي ٨/٣٢٧، ٧/٢٤١، والبخاري رقم ٢٠٥١ ، في البيوع ، ورقم ٥٢ في الإيمان ، وابو داود (٣٣٢٩ ــ ٣٣٣٠) وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٧٠، ٣٣٦، ٤/٣٣٦، ٢٧١، ٥/١٠٥، وابن المستوفى في تاريخ أربيل ١/١٤٧، ٢٠٤،

وقال بعض السلف : كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام.

وسأل رجل النبي ﷺ فقال له : ما الإيمان ؟ فقال ﷺ : (إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن) فقال : فما الإثم ؟ قال : (إذا حك في نفسك شئ فدعه)[1] فأشار عليه بما ذكرناه من العمل على الأحوط.

وعنه ﷺ (استفت نفسك وإن أفتوك وإن أفتوك)[2] فصار هذا حكما من الأحكام واجبا على من اشتبه عليه الحلال والحرام.

واعلم أن الشيطان مجتهد في الوفاء بقسمه في قوله : {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[3] وفي قوله : {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}[4] متسرع إلى ذلك مواظب عليه مشغوف به ، فإن قدر على أن يوقع ابن آدم في الواضح من الضلال ، وإلا اجتهد أن يوقعه في المشتبه بالحلال ؛ ليقضي غرضه ، ويبلغ فيه أمنيته .فأحذرك من عدوك فإنه أحب الخلق لهلكتك ، وأحرصهم على

وأحمد ٤/٢٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٤/٢٦٧، ومسلم رقم ١٥٩٩، وابن ماجه رقم ٣٩٨٤، والدارمي ٥/٢٤٥، و البيهقي في السنن ٥/٦٤، ٢٦٤، والبغوي في شرح السنة رقم ٢٠٣١، و الترمذي ٢٢٠٥ جميعهم من طرق عن النعمان بن بشير . وفي الباب عن جابر ، في تاريخ بغداد ٩/٧٠ .

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ١/١٦٧ ، وأحمد ٥/٢٥٥ ، ٢٥٢، ٢٥١، ٣٩٨، والقضاعي في مسند الشهاب رقم ٤٠١، ٤٠٢، والحاكم في المستدرك ١/١٤، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن منده (١٠٨٨ــ ١٠٨٩) وعبد الرزاق رقم (٢٠١٠) والطبراني رقم ٧٥٣٩، والبزار رقم ٧٩، وهو في مجمع الزوائد ١/٨٦ جميعهم من طرق عن أبي أمامة .

(٢) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١/٥١٠، وعزاه إلى كل من إتحاف السادة المتقين ١/١٣١، ١٦٠، ٧/٤٢، ٦٠، ٢٩٨، والمغني للعراقي ١/٢٠، ٢/١٠٤، ومشكاة المصابيح رقم ٢٧٧٤، وكنز العمال رقم ٢٩٣٣٩، وحلية الأولياء ٩/٤٤، وابن عساكر ٣/٢١٢، بالفاظ متقاربة.
وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢/٢٢٨، والبخاري في التاريخ الكبير ١/١٤٥، بلفظ (استفت نفسك وإن أفتاك المفتون) .

(٣) ص : ٨٢ .

(٤) الأعراف : ١٧ .

خدعتك ، فخالف الهوى والوسواس ، ودع ما لا بأس به حذرا مما به البأس ، فبهذا أنذرك أنصح الناصحين لك ، وأشفق الخلق بك محمد ﷺ .

وقال عليه السلام بعد أن خط خطا مستقيما وخطا يمينا وشمالا : (هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)[1] وهو إنما أراد بذلك السبيل طاعة الله عز وجل فمن سلكها فقد سلك في مرضاته ، وأراد بتلك السبل المتفرقة معاصي الله عز وجل فمن سلكها فقد سلك إلى معاصيه ؛ فاستحق الوبال ، وهذه السبل التي هي المعاصي لا تكون إلا في الأعضاء وأهلها.

فأحذرك أيها الطالب أن تجعل أعضاءك بل نفسك كلها سبلا للشياطين ، ومنهجا لدعوة الأباليس ، وسأشرح لك ما هي مستعدة له لجريانه فيها وعليها وبها من طريق الشيطان ومناهج الدعاء إلى غضب الرحمن ؛ لئلا تجعل للشيطان عليك سبيلا ، ولا تقبل له قيلا إنشاء الله تعالى ، وبه الاستعانة والهداية ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

العين

اعلم أن العين إنما خلقت لك لتنظر بها إلى غرائب الحكمة ، وعجائب الصنعة لتفكر فتعلم فتعمل فتطيع فتنعم.

قال الله تعالى : {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[2] الآية .

ولوجه آخر : وهو أن تهتدي بها في ظلمات البر والبحر ،وتستعين بها في الحاجات والطاعات والمباحات ، فمن استعملها في غير ما خلقت له عاد وبال ذلك إليه ،

---

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ١/١٨٠، ١٨٢، رقم ٦، ٧، من طريقين عن ابن مسعود ، وأخرجه الطيالسي رقم ٢٤٤، وأحمد ١/٤٣٥، ٤٦٥، والدارمي ١/٦٧ـ ٦٨، والطبري في تفسيره رقم ١٤١٦٨، والنسائي في السنن الكبرى ، كما في التحفة ٧/٤٩، والبزار بأرقام ٢٤١٠، ٢٤١٢، والحاكم ٢/٣٢٨، وصححه ووافقه الذهبي ، جميعهم عن ابن مسعود ، وفي الباب عن جابر عند أحمد ٣/٣٩٧، وابن ماجه ١١ .

(٢) الغاشية : ١٧ .

وصار ما كان له عليه ، فانعشها عن القذرات ، واجنبها جميع الآفات .

واعلم أن آفات العين أربعة :

الآفة الأولى : أن تنظر بها إلى غير مَحْرَمٍ ، أو تنظر بها إلى صورة مليحة لشهوة ، أو إلى عورة فإن هذه الآفة عظيمة الخطر ، كثيرة الضرر ، تزرع في القلب سنبل الشهوة يانعا فيقبل كل واحد من الأعضاء إلى اجتناء ثمرته طائعا ، وتولد لصاحبها الغفلة فلا يكاد يستعمل عقله ، وحسبك أنها محركة لجميع الأعضاء إلى المعصية ، ومضلة للإنسان مغوية تنسيه نفسه وعقله وحياءه وأدبه وحرمته ودينه ، وتنسيه مع ذلك ربه وقدرته وعقوبته ونعمته ، وهذه غاية البوار.

واليه أشار النبي المختار صلى الله عليه وعلى اله الأطهار بقوله : (وإياكم وفضول النظر فإنه يبذر الهوى ، ويولد الغفلة)[1].

وبقوله : (العينان تزنيان واليدان تزنيان ، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج)[2].

وبقوله ﷺ:(النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه خوف الله عز وجل آتاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه)[3]

---

(١) أخرجه السيلقي في الأربعين السيلقية خ ، عن أبي هريرة ، من حديث طويل بلفظ (إياكم وفضول المطعم فإنها تسم أهلها بالقسوة ، وتبطئ الجوارح عن الطاعة ، وتصم الهمم عن سماع الموعظة ، وإياكم وفضول النظر ، فإنه يبذر الهوى ، ويولد الغفلة ، وإياكم واستشعار الطمع ، فإنه يشرب القلب شدة الحرص ، ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا ، وهو مفتاح كل سيئة ، وسبب إحباط كل حسنة) وهو في مسند شمس الأخبار ٢/٩١.

(٢) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ١٠/٢٦٧ رقم ٤٤١٩، وأحمد ٢/٤١١ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٣/٢٨٩، والبغوي رقم ٧٦ ، عن أبي هريرة ، وله شاهد عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، انظر الإحسان ١٠/٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) رواه الحافظ اسماعيل بن علي السمان في أماليه ، كما في شمس الأخبار ٢/٢٠٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣١٤، وهو في كنز العمال ج ٥ ، بأرقام : ١٣٠٦٩، ١٣٠٧٥، ١٣٠٧٦، وعزاه إلى الطبراني عن ابن مسود ، والمستدرك ، ونقص فيه حذيفة ، والحكيم عن علي ، كما رواه في الترهيب والترغيب

وقد روى أن بعض الصحابة [وهو ابن عمر] [1] مر به غلام صبيح الوجه فخاف أن يفتتن به فدخل الدار إلى أن جاوز الغلام الطريق.

ولا نجاة من شر هذه الآفة إلا باجتنابها وبعد الوقوع فيها للتصور للموت وأحواله ، وأحوال القيامة والحشر والنشر والوقوف بين يدي الله عز وجل ، وأجناس ذلك فإن أثر وإلا فبالمفارقة للمحبوب ، والابتعاد عن المعشوق ، ولو كانت أمه التي ولدته وجب عليه ذلك ، ولو لم ينجه إلا أن يبعد وراء البحار لكان ذلك سهلا في رضي الملك الجبار.

الآفة الثانية :

أن تنظر بها إلى عيوب المسلمين طلبا منه لما نهى الله عنه من التجسس لقوله تعالى {وَلَا تَجَسَّسُوا} [2] وهذه الآفة تجر إلى معاصي كثيرة نحو التكبر والعجب بعمل نفسه ونحو الغيبة للمسلمين والهتك لأستار المؤمنين.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (ينظر أحدكم القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه) [1].

٣٤/٣، والمغني للعراقي ٢٣٥/١، واتحاف السادة المتقين ٢٤٥/٤، والدر المنثور ٤١/٥، ومجمع الزوائد ٦٣/٨، وكشف الخفاء ٤٥٥/٢ ، جميعهم بألفاظ الأصل أو مقاربة .

(١) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٤، صحابي من المكثرين ، هاجر مع أبيه وشهد الخندق ، وبيعة الرضوان ، وروي أن الحجاج قام خطيبا فقال ابن عمر : عدو الله استحل حرم الله ، وخرب بيت الله ، وقتل أولياء الله ، فقال الحجاج : من هذا ؟ فقيل : عبد الله بن عمر ، فقال الحجاج : اسكت يا شيخا قد خرف ، فلما صدر الحجاج أمر بعض الأعوان فأخذ حربة مسمومة فضرب بها على عبد الله بن عمر فمرض ومات منها ، وهو من المتوقفين عن بيعة أمير المؤمنين على عليه السلام ، وقيل : إنه تذكر حديث (من مات وليس في عنقه بيعة ..) الخ فجاء إلى الحجاج ليبايعه للخليفة الأموي ، فاستنكف الحجاج أن يمد له يده ـــ لعلمه بموقفه من بيعة الإمام على عليه السلام ـــ فمد رجله وبائع ابن عمر على تلك الحال .. وفي الدهر والتاريخ والسير عبرة لكل معتبر . انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ، وفيه مصادر الترجمة ، وانظر رأب الصدع ٣ /١٦٢٨، وتهذيب الكمال ٣٣٢/١٥.

(٢) الحجرات : ١٢ .

وفي حديث النبي ﷺ (من اطلع على دار قوم بغير أذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه)[2].

الآفة الثالثة :

أن ينظر إلى مسلم بعين الغضب عليه ، أو الاحتقار له ، فإن ذلك من جملة المهاوي والمخاطر.

وعلى هذا قال النبي ﷺ: (إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم فسأله دينارا لم يعطه ، ولو سأله درهما لم يعطه ، ولو سأله فلسا لم يعطه ، ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاها إياه ، ولو سأل الله الدنيا لم يعطها إياه لهوانها عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره)[3].

فأشار إلى النهي عن استحقار المسلمين المؤمنين ، وأولياء رب العالمين ، فينبغي للمؤمن أن يكون رفيقا بالصالحين على ما نذكره إن شاء الله تعالى وبه الاستعانة.

الآفة الرابعة :

النظر إلى ما يختص أخاه المسلم مما يكره النظر إليه إلا أن يكون مما يحسن على بعض الوجوه النظر إليه على حسب ما ورد به الشرع ، فإن قضايا الشرع كثيرة وتفصيلها عسير ، والتصدي لها في هذا الموضع لا يصلح لما قصدناه فيه ، وذلك نحو النظر في كتاب أخيه السلم إذا كره ذلك.

---

(١)اخرجه ابن حبان بلفظ (يبصر أحدكم القذى في ين أخيه ، وينسى الجذع في عينه) (الإحسان ١٣/٧٤ ، برقم ٥٧٦١، والقضاعي في مسند الشهاب ٦١٠، وابن صاعد في زوائده على الزهد لابن المبارك ٢١٢ ، وابو الشيخ في الأمثال ٢١٧، وأبو نعيم في الحلية ٤/٩٩، وأحمد في الزهد ص ١٧٨، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٥٩٢

(٢)أخرجه ابن حبان ١٣/٣٥١، رقم ٦٠٠٤، ٦٠٠٢، ٦٠٠٣، فانظر تخريج هذه الأحاديث هناك بتوسع ، وانظر كتر العمال ٩/ رقم ٢٥٢١٢.

(٣) رواه في كتر العمال ٣/ برقم ٥٩٤٢، ٥٩٥١، وعزاه إلى هناد ، عن سالم بن أبي الجعد .

وعلى هذا قال النبي ﷺ في آخر كلام : (وانه من نظر في كتاب أخيه المسلم بغير أذنه فكأنما ينظر في النار)[1] وهذا ما لم يكن فيه شبهة يرده عنها ، أو حكمة في الدين يطلب حفظها وأخذها بحقها .

فعلى الجملة إن آفات العين على ضربين : ضرب يختص به. وضرب يتعدى إلى غيره. فيجب التحرز والعمل على الحيطة ، وهو المتيقن على حسب ما تقدم.

الأذن

اعلم أن الأذن من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، وإنما وهبها لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة نبيه وحكمة أوليائه ، وتتوصل بذلك إلى النظر الصحيح ، والعمل بمقتضى ما يوجبه ، وإن تسمع بها آيات الله الحادثة فتذكر بها الآخرة ، وتصغي بها إلى كلام الغير فتسمع ما ينفعك في دنياك ودينك ، وتنفع بسببه غيرك ، فمتى استعملتها في غير ما خلقت له عادت مضرتها عليك ، وصارت كأنها جرت العقاب الأليم إليك ، وآفاتها أيضا كثيرة ولكن أمهات الآفات منها أربع :

الآفة الأولى :

أن تصغي بها إلى البدع لتأخذها فتدين بها ، أو تفسد بها غيرك فهذه من أعظم الكبائر ، وعلى حسب عظم تلك المعصية البدعة يعظم جرم صاحبها والمستمع لها على ذلك الوجه. ولهذا ورد النهي عن مجالسة أهل القدر[2] .

---

(١) له شاهد في كنز العمال ٢٤٣/١٠، برقم ٢٩٢٩٦، بلفظ (من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار) وعزاه إلى الطبراني ، عن ابن عباس .

(٢) أهل القدر : هم الذين يقولون : إن كل شئ من أفعال العباد بقضاء وقدر ، بمعنى أن الله قدرها عليهم ، وهو خالقها ليس لهم حول ولا قوة في هذا ، لا بمعنى العلم ، وهذا يشمل الجهمية ، وفي زماننا هذا يشمل السلفية ومن نهج منهجهم .

وقال ﷺ : (شر الأمور محدثاتها) [1] وقال أيضا ﷺ :(من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا) [2] فأما لو استمعها ليدحضها ويطمسها فهذا معدود في قسم الطاعات ، ولعله يأتي عليه البيان إن شاء الله تعالى .

الآفة الثانية :

أن تصغي بها إلى الملاهي والمزامير ، وأصوات العيدان التي حرم الله سمعها ، فإن هذه المعصية من أعظم المعاصي وكبائر الذنوب ، والمستمع بمنزلة الفاعل ؛ لأنه لا يطلب من ذلك إلا السماع ، ويدخل في ذلك سماع كل لهو ، نحو الاجتماع لسماع نشيد الشعر في الغزل والتشبيب والاشتغال به.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يترهون أسماعهم عن اللهو . قال : فيقوم ناس قليل ، قال : فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة : أسمعوا هؤلاء حمدي وشكري ومجدي ، وأخبروهم أنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون).

فالله الله في التجنب لهذه الآفة ولا يخدعنك قول قائل: قد كان النبي ﷺ ينشد بحضرته. فإن النبي ﷺما كان يجمع أصحابه لسماع الشعر في الغزل والتشبيب ، ولا يشتغل بذلك بل كان يذم الشعراء ، ولا تسمع في بعض الأحوال الندرة إلا ما فيه حكمة كما قال عليه السلام :(إن من الشعر لحكمة) [1].

---

(١) أسنده الديلمي عن عقبة بن عامر بزيادة في الحديث كما في كشف الخفاء ٩/٢ ، وقد أخرجه أحمد ٣١٩/٣، ٣٧١، والبيهقي ٢٠٧/٣، ٢١٣، ٢١٤، ومسلم الجمعة باب ١٣، رقم ٤٣، وفي الشهاب رقم ١٣١٥، وتفسير القرطبي ٨٧/٢، ومجمع الزوائد ١٧١/١، وتاريخ جرجان ٣٦٥، والدر المنثور ٢٢٥/٢، ١٤٧/٣، واتحاف السادة المتقين ٢٥٤/١٠، وطبقات ابن سعد ١ ، ٩٨/٢.

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث إلى اتحاف السادة المتقين ، ١٩٦/٦، والأسرار المرفوعة ٣٣٣، وبلفظ (أمنه الله) إلى اتحاف السادة المتقين ١٣٥/٦، والمغني للعراقي ١٦٧/٢، وتذكرة الموضوعات ٦٥٥، وكشف الخفاء ٣٢٦/٢. وقال : قال القارئ : موضوع .

واعلم أن الاشتغال بسماع الشعر واللهو يوقع في القلب ما يوقعه النظر ، فما عرفت أنه يلزمك في النظر فاحكم بمثله هاهنا؛ لأن الغرض بالمنع عن النظر هو أن لا يتحرك ساكن الشهوة ، وهي تتحرك مع هذه الهفوة . فافهم واعمل بحسب ذلك.

الآفة الثالثة :

استماع الغيبة ، والإصغاء إليها وإلى النميمة ، لا يغرنك لهج الناس بالإصغاء والاستماع لذلك ، فالمستمع مشارك ، وفي الحديث (المستمع أحد المغتابين)

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : (من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع أن ينصره نصره الله في الدنيا والآخرة ، ومن خذله خذله الله في الدنيا والآخرة) [٢] فافهم.

الآفة الرابعة :

التجسس بالاستماع لما يقوله المسلمون عند أبوابهم ومجالسهم والتسمع لأسرارهم والاصاخة إلى ما يقع من الناس من الفواحش وأجناس ذلك.

هذه الآفة أعظم الآفات وهي مفسدة للأذن عند عالم الخفيات {**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**} [٣] .

وروينا عن النبي ﷺ أنه قال : (إني لأعرف قوما يضرب في آذانهم بمسامير من نار تضرب في جانب فتخرج من الجانب الآخر . قيل : من هم يا نبي الله ؟ قال : الذين يستمعون إلى ما لا يحل لهم على أبواب المسلمين). [١]

---

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ٩٤/١٣، رقم ٥٧٧٨، عن ابن عباس ، وقد أخرجه أكثر المحدثين ، انظر تخريجه في الإحسان ، وبلفظ (إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما) عن ابن عباس ، في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم ٥٧٨٠ ، وانظر تخريجه هناك .

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١٢١/٨ إلى مشكاة المصابيح ٤٩٨٠، والمطالب العالية ٢٧٠٦، والترغيب والترهيب ٥١٨/٣، وإتحاف السادة المتقين ٥٤٥/٧، وشرح السنة للبغوي ١٧/١٣، والكامل لابن عدي ٣٧٧/١، والأسرار المرفوعة للقارئ ٣٢٢/١، وهو بلفظ (من ذكر عنده..) الخ في إتحاف السادة المتقين

(٣) آل عمران : ٣٠ .

وعنه ﷺ (من سمع فاحشة وأفشاها فهو كمن عمل بها).

اللسان

اعلم أن اللسان أطيب شئ إذا طاب ، وأخبث شئ إذا خبث ، وهو أعظم الأعضاء وأشرفها قدرا بعد القلب ، وهو أملك شئ للإنسان ، كما ورد مأثورا عن خير البشر ، وذلك لأن به تقع المحاورات ، والمجادلات ، والمواعظات ، والتلاوات ، والتسبيح ، والتحميد ، والإعظام بالذكر للملائكة والنبيئين ، والأئمة والصالحين ، والهداية والإرشاد.

وبه أيضا تقع المطربات ، والملهيات ، والمخذلات ، والمغريات ، والمغرمات ، فهو يبعث الخير والشر ، ويزرع النفع والضر ، والتحرز عنه عسير ، واللهج باستعماله كثير ، والسلامة منه نعمة جليلة ، وهي نزرة قليلة.

وفي حديث النبي ﷺ (ألا وإن كلامَ العبدِ كلّه عليه لا له ، إلا ذكرَ الله أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو إصلاحاً بين مؤمنين) [2] وأنت تعلم أن أكثر الكلام خال عن هذه الثلاثة الأقسام ، فينبغي أن تحذره غاية الحذر ، فإنك منه على خطر ، ونحن نذكر هاهنا من آفاته ما يكون دليلا على كثرة هفواته ، والله تعالى الموفق والمسدد ، ونحن نسأل الله تعالى هداية تبصرنا عيوب أنفسنا ، وتردعنا عن هفوات

---

(١) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢/١٨٠، وهو في كتر العمال برقم ٣٥٠٩٢، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٣/٦٣٧، إلى تتريه الشريعة للعراقي ٢/٥٨.

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين برقم ٤٣٩، عن أبي ذر ، وبرقم ٤٦٠، مرسلا ، وأخرجه الترمذي بلفظ (كل كلام) الخ بزقم ٢٤١٢، عن أم حبيبة ، وقال : حسن غريب ، وهو في الترغيب والترهيب ٣/٥٣٨، وزاه إلى الترمذي وابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، وفي التاريخ الكبير ١/٢٦٢، والمغني للعراقي ١/٧٠، وتاريخ بغداد ١٢/٣٣٣، ٤٣٤، ومشكاة المصابيح رقم ٢٢٧٥، والدر المنثور ٣/٠٣٨، وعمل اليوم والليلة لابن السني برقم ٥ ، والأذكار النووية ٢٩٧، والنوافح العطرة برقم ١٤٥٦، وانظر موسوعة أطراف الحديث ٦/٤٣٩، وهو بلفظ (كلام ابن آدم..) الخ في كتر العمال برقم ٧٨٦٥، وعزاه إلى الترمذي وابن ماجه والحاكم ، والبيهقي عن أم حبيبة .

ألسنتنا ، وتختلط بلحومنا ودمائنا حتى يسري صلاحها إلى جميع أعضائنا ، لعلنا ننجو مع الناجين فأما بغير هذا فلا ثقة بعملنا ، ولا ركنة إلا على رحمة ربنا ، والصلوات على محمد وآله . فلنرجع إلى آفات اللسان.

الآفة الأولى : الكذب

اعلم أن الكذب من رذائل الأخلاق وفواحش الأقوال ، ومن عرف به سقطت هيبته ، وقل إجلاله ، واستهجنت في الناس أقواله ، وازدرته الأعيان ، ولم يثق بقوله الجنان ، وهو عند الله أخس وأوضع ، وأذل وأحقر.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، مَنْ إذا حدث كذب ، وإذا أو عد أخلف ، وإذا أؤتمن خان)[1].

وفي حديث آخر (وإذا خاصم فجر) صدق عليه السلام.

إذا أردت أن تعلم رذالة الكذب فانظر إلى كذب غيرك كيف تسترذله وتستقبحه وتسخر بصاحبه ، وكذا في جميع عيوبك.

الآفة الثانية : استعمال اللهو والطرب

بالغناء والمزامير وأجناس ذلك ، وهي خصلة مستهجنة وصاحبها مرذول عند العقلاء ، مسخور به عند الأدباء ، وفي الآخرة عقابها عظيم ووبالها جسيم.

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين برقم ١٢٥، وابن حبان (الإحسان) ٤٩٠/١، ٢٥٧، ومسلم ٧٨/١، برقم ٥٩، وأبو عوانة ٢١/١، والبيهقي في السنن ٢٨٨/٦، وأحمد ٣٩٧/٢، ٥٣٦، وابن منده ٥٣٠، والبغوي ٣٦، والبخاري برقم ٣٣ ، الإيمان ، ورقم ٢٧٤٩، في الوصايا ، ورقم ٢٦٨٢ في الشهادات ، ورقم ١٠٩٥ في الأدب ، والترمذي ٢٦٣١، والنسائي ١١٧/٨، وعن أبي هريرة في الباب أحاديث كثيرة ، وعن غيره ، والحديث في شمس الأخبار ٥٠٦/١ ، عن الاعتبار.

أما لفظ (إذا خاصم فجر) فأخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين برقم ١٢٦، وابن حبان ٤٨٨/١ ، برقم ٢٥٤، ومسلم ٥٨٠١٠٦، والترمذي ٢٦٣٢، وأبو داود ٤٦٨٨، وغيرهم ، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٦٢/١ .

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال : (من تغنى أو غني له ، أو ناح أو نيح لـــه ، أو أنشد شعرا ، أو قرضه وهو فيه كاذب أتاه شيطانان فجلسا على منكبيه يضربـــان صدره بأعقاهما حتى يكون هو الساكت)[1].

وعنه ﷺ (أول من تغني إبليس ثم زمر ثم ناح)[2] فاحذر هذه الآفة.

الآفة الثالثة : الغيبـــة

اعلم أن الغيبة جرمها عظيم ، واللهج بها كثير والإنكار على مستعملها قليل ، وقد نطق الكتاب بالنهي عنها وتمثيلها بأسوأ الأشياء وأكرهها عند العقلاء قال الله تعـــالى : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

وعن النبي ﷺ (إن الرجل ليؤتي كتابه يوم القيامة منشورا فيقول : يا رب فـلين حسنات كذا وكذا عملتها في صحيفتي ؟ فيقول : تلك محيت باغتيابك للناس)[4].

وسأله رجل عن الغيبة فقال عليه السلام : (أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع) فقـــال : يا رسول الله وإن كان حقا ؟ فقال : (إذا قلت باطلا فذلك البهتان)[5].

---

(١) الحديث في شمس الأخبار ٥٠٥/١ ، عن أمالي الإمام أحمد بن عيسى .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب بسنده إلى الإمام زيد بن علي عليه السلام ، عن آبائه عن علي عليه السلام ، قال :(بئس البيت بيت لا يعرف إلا بالغناء ، وبئس البيت بيت لا يعرف إلا بالفسق ، ثم قال : قـــال رســـول الله ﷺ : أول من تغنى إبليس ثم زمر ثم ناح) . أمالي أبي طالب ٣٠٦.

(٣) الحجرات : ١٢ .

(٤) أخرجه في كنز العمال ، برقم ٨٠٤٧، من حديث طويل بلفظ (إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشـورا فيرى فيه حسنات لم يعملها ، فيقول : يا رب لم أعمل هذه الحسنات ، فيقال : إنما كتبت باغتياب الناس إياك ، وإن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيقول : يا رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا ؟ فيقال له : محيت عنك باغتيابك الناس) وعزاه إلى الخرافطي في مساوي الأخلاق عن أبي آمنة ، وهو في مسند شمـــس الأخبـــار ٢٦/٢.

(٥) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه كما في شمس الأخبار ٤/٢ ، وأخرجه ابن حبان في الإحسان ١٢/١٣، برقم ٥٧٥٨، وأحمد ٢٣٠/٢، ٤٥٨، والبغوي ٣٥٦١، والدارمـــي ٢٩٧/٢، وأبـــو داود برقـــم ٤٨٧٤، والترمذي ١٩٣٤، وله شاهد بلفظ مقارب أخرجه ابن حبان رقم ٥٧٥٩، وانظر تخريجه هناك .

الآفة الرابعة : النميمة

اعلم أن النميمة من كبائر الذنوب وعظائمها ، فإن الوقيعة بين الناس ونقل كلام بعضهم إلى بعض لإلهاب نار الفتنة من أعظم الجرائم ، فإنها ربما أفضت إلى القتل والقتال.

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار تغلي منها دماغه ، مزراقة عيناه يتلجلج لسانه ، ينادي بالويل والثبور)[١].

وعنه (إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ،وكثرة السؤال)[٢].

وليس يدخل تحت هذا إخبارك لولي الله بما يقوله عدو الله فيه ، على وجه الإنذار والتحذير ، وإلقاء العداوة بين من تحب ووقوع العداوة منه إلى غيره ، وقد أنذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بما يقوله المنافقون في كتابه قال تعالى : {هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ} إلى قوله : {مِنَ الْغَيْظِ}[٣] وقال تعالى : {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ}[٤].

وكان المسلمون يخبرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول المنافقين ، وأخبروا بقول قائلهم {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}[٥] يعني بالأذل خير الخلق وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا جرت عادة الصالحين من الصحابة إلى وقتنا هذا فافهم لتعمل

الآفة الخامسة

قذف المؤمنين والوقيعة فيهم بما تجتلبه الظنون والخيالات، وهكذا لو رمى محصنا أو محصنة بفاحشة أحبط الله عمله [لا] بما يتيقنه ويعلمه[١] ، فإن ذلك من كبائر

---

(١) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٧١/٨، إلى تذكرة الموضوعات ١٧١، وتتريه الشريعة ٣١٢/٢، وهو في أمالي السمان خ كما في مسند شمس الأخبار ١٧٢/٢.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، ١١١/٨والقضاعي في مسند الشهاب برقم ١٠٨٨١، ١٠٩٠،وهو في جمع الجوامع ٥٣٥٤، ٥٣٥٧، والتاريخ الكبير ٢٧/٥، وطبقات ابن سعد ٤٠/٧، وكتر العمال ٤٣٨٧٤، ٤٣٨٧٣.

(٣) آل عمران : ١١٩ .

(٤) التوبة : ٤٧ .

(٥) المنافقون : ٨ .

الذنوب على ما ورد به الكتاب المبين بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}[٢] الآية وعن النبي ﷺ (من رمى محصنا أو محصنة بفاحشة أحبط الله عمله ، ووكل به يوم القيامة سبعين ألف ملك يضربونه من بين يديه ومن خلفه ، ثم يؤمر به إلى النار ومن أكل لحم أخيه المسلم فليس منا ولسنا منه في الدنيا والآخرة) .

فاحترز من هذه الآفة فإنها مزلة قدم ، وقد استعمل الأكثر من أهل زماننا التحدث فيما بينهم بحسب ظنونهم وأوهامهم ، وكان النبي ﷺ يجلد ثمانين جلدة من يتحدث بما[٣] علم ، فكيف من يتوهم ، ثم يتحدث بما يتوهم أو بما يظن.

وفي حديث النبي ﷺ(من بهت مؤمنا أو مؤمنة ، أو قال ما ليس فيه أقامه الله تعالى يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال)[٤] فافهم.

الآفة السادسة شهادة الزور

وهذه الآفة هي أخت التي قبلها ونظيرتها ، والكتاب ناطق بها.

وفي حديث النبي ﷺأنه قال : (إن لشاهد الزور لعلما يعرف به يوم القيامة ، عاضا على لسانه ، يقرضه بأسنانه ، يلهث لهثان الكلب في الرعاء)[٥] .

الآفة السابعة

الذم للناس واللعن والاشتغال بالتمضمض بأعراض المسلمين والثلم لهم وهذه الخصلة من أردأ الخصال وأرذلها ، وصاحبها قليل الحياء كثير البذاء ، وهو مستصغر

---

(١) والواجب أن يسكت إذا لم يكن ثَمَّ شهود غيره ، لأنه يستحق بكلامه ولو كان حقيقة الجلد إذا لم يكن ثم شهود كما سيأتي ، إلا الزوج فشهادته بأربع شهادات ، وهي مفصلة في كتب الفقه والتفسير .

(٢) النور : ٤ .

(٣) وفي نسخ (عن علم) .

(٤) له شواهد ، عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٧٥/١ ، إلى الطبراني ٣٨٨/١٢، وتاريخ بغداد ٢١/٨، وتفسير القرطبي ٣٣٨/١٦، ومجمع الزوائد ٩١/١٠، وهو في كنز العمال برقم ٧٩٢٤، وعزاه إلى ابن النجار عن علي عليه السلام وهو بلفظ مقارب برقم ٧٩٢٥، وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي الدرداء .

(٥) أخرجه الحافظ السمان في أماليه كما في مسند شمس الأخبار ٢٧٣/٢.

في القلوب مرمي بالعيوب وهو عند الله أصغر وأحقر.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(لا ينبغي للصديق أن يكون لعانا)[1] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله عثرته يوم القيامة).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه مات رجل من أصحابه فقالوا : أبشر بالجنة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تدرون لعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه)[2] فانظر إذا كان الكلام فيما لايعني يبلغ إلى هذا الحد فكيف الكلام في الناس ، وربما كان مما يعني .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(أربى الربا استطالة المرء في عرض المسلم بغير حق)[3] فافهم واحذر.

الآفة الثامنة

الكلام عند المصيبة بما لا يحل ورفع الصوت بالعويل على الحد الذي قضى الشرع بتحريمه ، فإن ذلك من جملة الجرائم ، وفيه إظهار الإنكار على الله تعالى ، والرد عليه والكراهة لفعله ، وقلة الرضا بقضائه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(صوتان ملعونان فاجران في الدنيا والآخرة صوت رنة عند مصيبة ، وشق جيب ، وخمش وجه ، ورنة شيطان ، وصوت عند نعمة صوت لهو ولعب ومزامير شيطان)[1] .

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٤٣٨، وهو في شمس الأخبار ٥٠٩/١، عن مسند الشهاب ، عن أبي عمرو مولى أنس بلفظ مقارب ، وعزاه في موسوعة الأطراف ٥٢٩/٨، إلى كنز العمال ٦٩٠٢، وابن حبان ٢٥٧، وإتحاف السادة المتقين ٤٥٢/٧، والمغني للعراقي .

(٢) أورده في كنز العمال برقم ٨٢٩٢ ، بلفظ : (أو لا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه) وعزاه إلى الترمذي عن أنس ، وهو في الترمذي برقم ٢٣١٧، وقال : هذا حديث غريب ، وانظر تحفة الأحوذي ٦٠٦/٦، ورقم ٨٢٩٦، في كنز العمال ، وعزاه إلى البيهقي ، والخطيب في كتاب البخلاء عن أبي هريرة ، وهو في شمس الأخبار ٥٠٦/٢، وعزاه إلى المجالس ، برواية السمان .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٤٠٨، وأورده في كنز العمال برقم ٨٠٥٩، وعزاه البخاري في التاريخ عن عائشة ، وهو بلفظ (من أربى الربا) الخ برقم ٨٠٥٨، وعزاه إلى أبي داود ، عن سعيد بن زيد ، وله شاهد فيه زيادة (وإن هذه الرحم شعبة من الرحمن فمن قطعها حرم الله عليه الجنة) أورده أيضا في الكنز ، وعزاه إلى أحمد ، وأبي داود ، والطبراني ، وابن قانع ، وسعيد بن منصور ، عن سعيد بن زيد .

ولما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتفعت أصوات الرجال والنساء فنهاهم رسول الله عن النواح أشد النهي.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (الأنة والرنة والنخرة من الشيطان)

ولما استشهد جعفر الطيار[٢] واجتمعت النساء للبكاء أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا ينهاهن فلما لم ينجع قال له : (أسكتهن فإن سكتن وإلا فاحث في أفواههن التراب)[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (النائحة ومن حولها من امرأة مجتمعة عليهن لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ..

وقال : (ثلاث من أعمال الجاهلية لا يزال الناس فيها حتى تقوم الساعة الاستسقاء بالنجوم ، والطعن في الأنساب ، والنياحة على الموتى)[٤].

ولما ماتت بنت رسول الله رقية بكت النساء عليها فضربهن عمر فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال : (دعهن يبكين) وقال لهن : (ابكين وإياكن[٥] ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من العين ومن القلب فمن الله ، ومهما يكن من اليد واللسان فمن

---

(١) هو في موسوعة الأطراف ٢٥٨/٥، وعزاه إلى مجمع الزوائد ٢٣/٣، والترغيب والترهيب ٧٥٠/٤، وكنز العمال ٤٠٦٦١ ، ٤٠٦٧٢، ومسند الربيع بن حبيب ٥٥/٢ ، قلت : وقد أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام كما في مسند شمس الأخبار ٣٥٦/٢.

(٢) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، الشهيد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ سيد الشهداء ، له جناحان يطير بهما في الجنة ، أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك لأنه قطعت يداه وهو حامل للراية ، فضمها إليه و لم يتركها إلا عند موته ، وجد في جسمه تسعون طعنة ، من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم ، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فتح خيبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(ما أدري بأيهما أسر بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر) انظر رجال الاعتبار وسلوة العارفين .

(٣) رواه بلفظه في مجمع الزوائد ١٧/٣، وذكر أنه في موت عثمان بن مظعون ، وليس في استشهاد جعفر ، وعزاه إلى أحمد

(٤) أخرجه ابن حبان (الإحسان) ٣١٤١/٧ ، وانظر تخريجه هناك .

(٥) وفي نسخة (ودعن نعيق الشيطان) .

الشيطان) فبكت فاطمة عليها السلام على شفير القبر ، فلم يزل النبي ﷺ يمسح الدموع من عينيها بطرف ثوبه[1] .

وفيه دلالة على تحريم رفع الصوت ، وإن البكاء الحلال بالعين والقلب ، ولا أدري ما يكون حال النساء اللواتي قد اعتدن الاجتماع للبكاء بالصوت على الميت أياما معلومات ، والأقرب أنهن غير ناجيات ، بل نائحات هالكات ، داخلات في الأخبار الواردة المذكورة ، وغيرها من الأثر الوارد.

وفي ذلك عن النبي ﷺ مما لا يمكن إحصاؤه هاهنا لما قصدناه في هذا الباب

الآفة التاسعة إظهار المن بالنعم.

فإن من تمنن على غيره بما أنعم عليه به حبط أجره وانثلم دينه.

وقد قال تعالى : {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}[2] .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (تحرم الجنة على ثلاثة المنان والنمام ومدمن الخمر)[3] .

فاحذر أن تكون صدقتك وبالا عليك بامتنانك بها ، واحترز من أن تذكر ما فعلته مع أخيك المسلم ، أو صديقك أو قريبك وهو يسمع ، أو حيث تعلم أنه يبلغه فإن في امتنانك بما تفعله ثلاث خصال ، تود أن تترك صدقتك ولا تحصل .

أحدها : خسارة صديقك. والثانية : خسارة أجرها. والثالثة : ثلم سائر أعمالك فافهم واحترز

الآفة العاشرة المراء والجدال بالباطل

اعلم أن المراء والجدال من أقبح الخلال ، فإن ذلك فيه إبداء المنافسة للغير والتجهيل له ، وإظهار للظغن عليه ، وهو مشوش للصحبة ، مورث للظغن ، فإنك لا تماري

---

(١) له شواهد في مجمع الزوائد ١٧/٣ .

(٢) البقرة : ٢٦٤ .

(٣) في نسخة (تحرم الجنة على ثلاثة المنان ، والمغتاب ، والنمام ، وعلى مدمن الخمر) .

حليما إلا ويقليك ، ولا سفيها إلا ويؤذيك ، والنهي وارد عنه في الكتب ، فإن كل ما فيه نهي عن الجدال.

المراد به ما ذكرنا دون الردع عن البدعة والنقض للشبهة ، فإن ذلك معدود في قسم الطاعات إن شاء الله تعالى .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : (أنا ضمين ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان ممازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) [1].

الآفة الحادية عشرة التعظيم للفسقة والظلمة

بالكلام والمدح لهم عند الأنام .

فإن هذه الخصلة من أعظم الكبائر عند عالم السرائر ، فإن هذا نقيض ما أمر الله تعالى به من الذم لهم والاستخفاف بحقهم ، والميل عنهم ، ولو شرحت لك ما ورد من ذلك في الكتاب الكريم والسنة الشريفة لطال الشرح ، ولكنه أظهر من أن يخفى إلا على من طمس الله التوفيق عن قلبه ، وخذل بسوء فعله وكسبه.

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال : (إن الله يغضب إذا مدح الفاسق) [2] وكفى بهذا زاجرا لمن يطلب النجاة ، وما يقع من ذلك في أفعال الصالحين من السلف والخلف فهو على وجه الاستدعاء إلى الدين قال الله لنبيه عليه السلام : **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [3] وقال : **{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}** [4].

---

(١) أورده في كنز العمال برقم ٨٣١٠ ، و٨٣٠٩، ٨٣٠٨، ٨٣٠٧، بألفاظ متقاربة ، وعزاها إلى الطبراني ، عن ابن عباس ، وأبي أمامة ، ومعاذ ، وابن عمر .

(٢) أورده في كنز العمال برقم ٧٩٦٦ ، بلفظه ، وبزيادة (في الأرض) وزاه إلى البيهقي عن أنس ، وله شاهد أيضا برقم ٧٩٦٤، بلفظ (إذا مدح الفاسق غضب الرب فاهتز لذلك العرش) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة ، وأبي يعلى ، والبيهقي عن أنس ، وابن عدي عن غير أنس .

(٣) القلم : ٤ .

(٤) آل عمران : ١٥٩ .

الآفة الثانية عشرة   التزكية للنفس

اعلم أن هذه الخصلة مستقبحة عند العقلاء ، مسترذلة عند الأدباء ، والمتخلق بالقليل منها لا يسلم من وضع لقدره ، أو مقت أو استهزاء به ، وقد قال تعالى : {فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}[1] فلا ينبغي للمسلم أن يعرف الغير أحواله في أفعاله الحسنة ، ولا في شئ من أنظاره الدقيقة ، ولا في غير ذلك مما يستحسنه لنفسه ، فإنه ممقوت بذلك الأخبار عند غيره ، وإذا أردت أن تعرف حالك عند تزكيتك لنفسك ، فانظر إلى غيرك عند تزكيته لنفسه ، فما عرفت من نفسك بالاستقباح لفعله فاقتد به في نفسك ، والسعيد من وعظ بغيره.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (الاتقاء على العمل أشد من العمل ، إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول السر يتضاعف له أجره سبعين ضعفا ، فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه ، فيكتب علانية ويمحى أجره ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ، ويحب أن يذكروه ويحمدوه فيمحى من العلانية ويكتب رياء وسمعة ، ويمحى تضعيف أجره كله)[2] فاتقى الله عبد صان دينه فإن الرياء شرك ، ولا يحملنك على الإعلان به والإخبار طلب الإقتداء فإن ذلك حسن إذا خلص إلا أن الشأن في خلوصه عسير ، فيكفيك في الدعاء إلى الإقتداء بغيرك فإن للأنبياء المرسلين والأئمة والصالحين عليهم سلام رب العالمين أعلى منك وأجل ، فاجعلهم للخلق عمدة في الإقتداء كما قد جعلهم كذلك العلي الأعلى ، فإن ذلك أسلم لدينك ، وأحوط في نجاتك ، إلا أن تعلم به من تستدعيه من الجفاة والطغام العوام ، فربما انه لا يفسد عند ذلك متى قصدت معه التعليم والإقتداء ، فربما وقع الإقتداء بالمشاهدة ، وإن كان ضعيف المترلة ، ولا يقع بالغائب وإن كان جليل

---

(١) النجم : ٣٢ .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٣٢، بسنده عن أبي الدرداء ، ولفظه ، وبزيادة (فاتقى الله امرؤ صان دينه فإن الرياء شرك) .

المترلة والقدر كالأنبياء والرسل سلام الله عليهم ، فإن العامي قليل اللهج بـالدين ، فمتى رأى رجلا يبكي من خشية الله تعالى ، ويداوم على ذلك فربما أثر في قلبه، ولا يؤثر مثل ذلك ما قد سمعه من الأنبياء عليهم السلام.

الآفة الثالثة عشرة : الأيمان الفاجرة

وهذه وإن دخلت في باب الكذب فإنما أفردناها قوة لك لتتذكر ولا تغفل عنها ، ولانشرح فيها إلا ما قد بينت لك في الكذب ، بلى إن وزرها أعظم وأكبر ؛ لأن فيها الاستخفاف بمن له العظمة والجلال سبحانه وتعالى .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع) [1] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (لا يقطع رجل حق امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار) فقال رجل من القوم : يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا ؟ قال : (وإن كان سواكا من أراك) [2] .

والمؤمن لا ينبغي أن يكون كثير القسم وإن كان لا يفجر ؛ أي لا يحلف على ما لا يعلم كونه كاذبا فيه ، فإنه وإن كان صادقا في يمينه فإن ذلك من سيماء الجهال ، ومن لا معرفة له طائلة بذي الجلال والإكرام ،وربما أن مثل ذلك يورث كثرة الحنث فيما يتعلق بمستقبل الأيام ، وتلزم كفارة ، ويستجلب به تجديد كفارات عليه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (البلاء موكل بالقول ، ما قال العبد لشيء : والله لا أفعله أبدا إلا ترك الشيطان كل عمل ، وولع بذلك حتى يوقعه) [3] .

---

(١) هو في كتر العمال ٦٩٣/١٦، برقم ٤٦٣٨٨، وعزاه عبد الرزاق عن معمر بلاغا . وهو بلفظ (إياكم واليمين) الخ ٤٦٣٧٤/١٦، وله شاهد بلفظ (اليمين الغموس تذهب بالمال ، وتدع الديار بلاقع) ٤٦٣٨٣/١٦، ٤٦٣٨٦، وعزاه إلى الديلمي عن أبي هريرة ، والحديث أخرجه السمان في أماليه كما في شمس الأخبار ٢٧٥/٢.

(٢) هو في كتر العمال ٦٩٣/١٦، برقم ٤٦٣٦٦، وعزاه إلى البغوي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف .

(٣) في نسخة (حتى يؤثمه) ، أخرجه السمان في أماليه خ ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٧٥/٢، وآخره (وولع بذلك حتى يؤثمه) ، وهو في كتر العمال ٧٨٤٤/٣، ج ١٦، رقم ٤٦٤٠٠، وعزاه البيهقي والخطيب عن أبي الدرداء ، وبلفظ (البلاء موكل بالمنطق) ٣/رقم ٧٨٤٤، ٧٨٦٧.

الآفة الرابعة عشـــرة

الاعتماد على السؤال للناس **والإلحاح** عليهم في المطالب

وهذه خصلة من أردأ الخصال وأرذلها ، وفيها رفع الهيبـــة ، وحصـــول الذلـــة ، والتعرض للاستخفاف بالمؤمن ، وصرف الناس عن القبول للدين ، فإنه إذا وعـــظ لم تقبل عظته تهمة له بطلب المنافع ، وربما صرف الناس عن الأعمال الصالحة بسبب مـا يرون من كثرة الإقبال من بعض من ظاهره الدين على السؤال ، والإلحاح في الطلب ، والنفوس مجبولة عن النفور من ذلك ، والله تعالى يكرهه ، والإشكال إنما يقـــع في سؤال الحق الواجب ، وبعض الفقهاء قال : لا يجوز.

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال : (من يتكفل لي بواحدة أتكفل له بالجنـــة قـــال ثوبان : قلت : أنا يا رسول الله قال : لا تسأل الناس شيئا)[1].

وعنه ﷺ ما من عبد فتح على نفسه بابا من السؤال إلا فتح الله عليه ســـبعين بابا من الفقر)[2].

وعنه ﷺ أنه قال :(لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهـــه مزعة لحم)[3].

وعنه ﷺ أنه قال :(من سأل الناس أموالهم تكثرا فكأنما يسأل جمرا ، فليستقل عبد أو ليستكثر)[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤١٢/١، والبغوي ١١٧/٦، والطبراني ٩٥/٢، وأبو نعيم في الحليـة ١٨١/١، وهو في إتحاف السادة المتقين ٣٠٤/٦، وكشف الخفاء ٤٩٩/١، وكتر العمال ١٦٦٩٧، ٢٠٠٠٩، وانظـــر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦١١/٨.

(٢) هو في مسند شمس الأخبار ٦٣/٢، عن مسند أنس ، قال المحقق : وأخرج ابن جرير في تهذيبه مرفوعـــا إلى أبي هريرة شاهدا له .

(٣) أخرجه السمان في أماليه خ ، وهو في مسند شمس الأخبار ٦٢/٢، قال محققه : وأخرجـــه الشـــيخان ، والنسائي عن ابن عمر بلفظه ، والمزعة : هي القطعة .

هذه الخصلة آخر ما ذكرته من آفات اللسان ، وإن كان هفواها كثيرة ، والتحرز منها عسير ، وقد روى عن أبي بكر أنه لما حضرته الوفاة جعل ينضنض بلسانه ويقول :(هذا الذي أوردني الموارد)[٢] فالواجب على العاقل أن ينظر قبل أن يتكلم ، فإن كان الكلام واجبا أو مندوبا تكلم ، وإن كان قبيحا سكت ، وإن كان غير ذلك فالأحوط أن يسكت.

ومن كلام الحكماء إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب) ومن استفتاحا تهم من صمت نجا).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما وصل لقمان عليه السلام إلى داود صلوات الله عليه رآه يعمل درعا وهي أول درع رئيت في الدنيا فلم يدر لقمان ما هي ، ولم يزل يراود نفسه هل يسأل أو يسكت ، فتبين له فضل السكوت ، فملك نفسه فلما أتمها داود عليه السلام لبسها وجال فيها وقال : نعم جنة الحرب أنت . فعلم لقمان عند ذلك أنها أريدت للحرب بغير سؤال ، فكان ذلك سبب قوله : (الصمت حكمة وقليل فاعله) فافهم هذا واعمل به موفقا إن شاء الله تعالى . والله لي ولكافة المسلمين.

اليدان

اعلم أن اليدين من أعظم النعم وأجلها ، وهما آلتا البدن وقدرتاه ، يأخذ بهما ويعطي ، ويوفي ويستوفي ، ثم هما آلتا العبادة ، فبهما تطهر وتطهر ثيابك ، وبهما تركع وعليهما تسجد ، وبهما تجاهد وإمامك تعاهد ، ومبنى جزيل من المنافع الدينية والدنيوية عليهما ، وآفاتهما كثيرة ، وهما أخف من غيرهما في الضبط عما يحرم فإنهما تبع للقلب ، فبحراسة القلب يصلح مزاجهما على الطاعة ، وبفساده يفسدان ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه ، كما في شمس الأخبار ، قال محققه : وأخرجه أحمد ومسلم ، وابن ماجه عن أبي هريرة ، وصححه السيوطي .

(٢) وفي نسخة (هو الذي أوردني الموارد) .

فاحفظهما عن جميع ما يحرم ، وخصوصا عن خمس آفات هي الغالبة عليهما من المحظورات.

الآفة الأولى : قتل النفس المحرمة

هذه الآفة هي أعلى أنواع الفسوق ، وربما كان عقابها أعظم من عقاب بعض أنواع الكفر ، والأمر فيها عظيم ، والتحرز عنها يسير مع التوفيق.

وقد روى عن بعض كبار العلماء أنه قال : (لا توبة منها) مع اعتقاده لقبول التوبة في الكفر ، وما ذلك إلا لما علم من عظمها ، فقد بين الله تعالى : {**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**}[1] وأنت تعلم أن من قتل الناس جميعا كفر ؛ لأن من جملتهم الأنبياء عليهم السلام والكفر واقع بقتلهم ، وقد قال كبار من العلماء : "ليس لهذه الآفة كفارة أبدا" ولعظمها لا يكفرها شئ وإن كان في قتل الخطأ كفارة ، عتق رقبة مؤمنة ، أو صيام شهرين متتابعين إن عدمت الرقبة.

وفي حديث النبي ﷺ (من لقي الله بدم حرام لقي الله يوم القيامة وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله) .

وعنه ﷺ (من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ تحت العرش يقول : رب سل هذا فيم قتلني في غير منفعة)[2] وهذا في نفس عصفور ، فما ظنك في من قتل النفس المحرمة فاستكثرَ منها ، فاحترزْ منها ،ومما اشتبه عليك منها فخطرها عظيم

---

(١) المائدة : ٣٢ .

(٢) أخرجه ابن حبان الإحسان ٢١٤/١٣ ، رقم ٥٨٩٤، وأحمد ٣٨٩/٤، والنسائي ٢٣٩/٧، والطبراني ٧٢٤٥، ٧٢٤٦، عن عمرو بن الشريد ، والشافعي ١٧١/٢، والطيالسي ، والحميدي ٥٨٧، وأحمد ١٦٦/٢، ٩٧، والدارمي ٨٤/٢، والنسائي ٢٣٩/٧، والحاكم ٢٣٣/٤، والبيهقي ٨٦/٩، ٢٧٩، والبغوي ٢٧٨٧، عن ابن عمر .

الآفة الثانية سائر أنواع الظلـــم

اعلم أن أكثر الظلم إنما يقع باليدين من ضرب الناس ولطمهم وأخذ أموالهم بهمـــا وغير ذلك وهذه الآفة مما اجتمع العقل والسمع على قبحها ، والكتاب نـــاطق بهـــا وكذلك السنة بما لا يحتاج فيه إلى إطناب.

وفي حديث النبي ﷺ (إياكم والظلم فإنه يخرب قلوبكم كما تخرب الـــدور)[1] فاجتنبه فإن النجاة من هذه الأمور التي تتعدى إلى الغير بعد وقوعها تعسر جدا وعلى قدر عظمها فيهم تكون أشق لأنه لا نجاة إلا بالخروج عن حقهم والرجوع إليـــــهم بخلاف سائر المعاصي فإن الرجوع منها إلى ملك كريم غفور رحيم ، قد رآك عليـــها فعفا عنك ، فله الحمد في الآخرة والأولى حمدا لا ينعد ولا يحصى.

الآفة الثالثة أخذ عطايا الظلمـــة

ولست أعني بذلك المغصوبات ، فإن ذلك قد تقدم بيانه ، ولكني أعني به ما كـــان يحل أخذه من غيرهم ، نحو زكوا تهم وأعشارهم ، وما يكون من خواص أموالهـــم ، فإن في أخذها إعظاما وإيهاما وإشكالا، إذ لا إشكال أنك إذا رددت فقد استخففت لا يعرف غير ذلك ففيه إتيان بحق الله الواجب عليك ، وإذا أخذت فقد منعت حـــق الله فيهم ، وعلى حسب منزلتك عند الناس يجب عليك من هذا الحق ما لا يجب على غيرك ، فإنه لو أخذ منهم رجل لا يعرفونه ولا يعرفه أهل البلد الذين يعلمون بـأخذه لا نقول : إنه يحرم عليه إلا أن يكون عين الحرام ، وإن كان لو رد لكان قد أتى بحق من حقوق الله عز وجل ، ولو أن الأخذ منهم لم يورث الإيهام والإعظـــام ، فـــهو مورث لإسقاط حق الله تعالى وهو الاستخفاف ، وموقع للمحبة في القلـــب (فـــإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها) هذا تحدث النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه بسنده إلى الإمام على بن موسى الرضا عن آبائـــه عليـــهم السلام إلى رسول الله ﷺ . ص ٣١٤ .

وقال الإمام الزاهد محمد بن القاسم الرسي عليهم السلام : "لا تؤخذ أعشارهم إلا أن يكون المؤمن في حال قطيعة يخشى معها التلف ، أخذ ما يمسك به الرمق فقط ، ويترك الزائد قال : ويكون حالها كالميتة".

وأكثر العلماء ردوا و لم يأخذوا منهم : الحسن البصري[1] ، وعمرو بن عبيد، وبشير الرحال[2].

وأما أهل البيت عليهم السلام فلا ينبغي أن نعد أحدا أخذ منهم ، فإنهم يتجنبونهم ولا يأخذون منهم إلا ما يتوصلون به إلى إصلاح دين معلوم مشهور ، وربما توصلوا به إلى قتالهم وإهلاكهم ، أو عند ضرورة لازمة ، ولا خلاف أن ذلك جائز عند هذه الأحوال أو واجب .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخر كلام : (وسيليكم أمراء إن استرحموا لم يرحموا ، وإن حكموا لم يعدلوا ، وإن سئلوا الحقوق لم يعطوا ، وإن أُمِروا بالمعروف أنكروا ، حتى لا يحملوكم على أمر إلا احتملتموه طوعا أو كرها ، فأدنى الحق لله عز وجل على العباد في ذلك الزمان أن لا يأخذوا منهم العطاء ، ولا يحضروا في الملأ)[3].

قال بعض الصالحين : وقد كثر في زماننا هذا الأخذ من الظلمة ، وجرت العادة به لغير ضرورة ولا صلاح دين وكنت أدركت الإنكار على آخذيه ، إلى أن استمر

---

(١) هو : الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد مولى أم سلمة [١٢ــ١٢٠هـ]أحد أعلام العلماء المحدثين ، ومن عظماء التابعين ، كان إمام أهل البصرة ، واشتهر بعلمه وزهده ، وتقواه ، انظر معجم الرواة في أمالي المؤيد بالله ص ١٤٥ ، طبقات الزيدية مخطوط . رأب الصدع ١٧٢٥/٣، وغيرها

(٢) بشير الرحال ، أحد الزهاد العباد ، المجاهدين في سبيل الله ، كان يحرض كثيرا على أبي جعفر المنصور ، روى أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ، أنه لما أصيب الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليه السلام سقط فأسنده بشير الرحال إلى صدره حتى مات وهو في حجره ، وهو يقول :{وكان أمر الله قدرا مقدورا} انظر الفلك الدوار ص ١١٥ ، والمقاتل ٢٢٧، ٣٣٩، ٣٤٧.

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٧٩/٢ ، قال محققه السيد الجلال : أخرجه ابن منده ، والطبراني في الكبير ، والبغوي ، وابن عساكر ، وغيرهم ، وسرد أوله وهو طويل .

وكثر ومال من يعرف بالزهد إلى الأمراء والسلاطين والظلمة ، وحينئذ انطمس الإنكار فيه رأسا ، فلا أعلم زاجرا عنه ، وربما كان ولا أعلم) وهكذا المعاصي متى اعتيدت ولهج بإظهارها سهلت على القلوب ، وخف الوزر في قبحها على النفوس ، فنسأل الله أن يجبل قلوبنا بهدايته ويحملها على طاعته ، وإن يثبتنا على الاستمرار على مرضاته ، وإن يحمينا عن اللهج بمعصيته والاعتياد بإغضابه ، فلا ملجأ لنا إلا إلى رحمته فنسأله بحقه وبحق أوليائه أن يؤمننا من عقوبته.

واحفظ يدك أن تكتب بها ما لا يحل لك فإن القلم أحد اللسانين ، وعلى الجملة ما حفظت منه اللسان فاحفظ منه القلم والبنان.

الآفة الرابعة استعمال اليد

في اللهو واللعب نحو اللعب بالنرد ، واستعمال العيدان ، فإن هذه أمور محظورة مستخفة،وصاحبها ساقط المترلة عند الله تعالى وعند خلقه،وأمرها أظهر من أن يخفى.

وفي حديث النبي ﷺ (من لعب بالنرد فكأنما غمس يده في لحم خترير ودمه) [(1)]

الآفة الخامسة

أن تلمس بيدك من عورات الناس ما لا يجوز لك فأن هذه كبيرة عظيمة ، وصاحبها ملوم محسور ، وكذلك إذا استمتعت بيدك استمتاعا مما لا يجوز لك.

وفي الحديث (وإن قوما يحشرون وبطون أيديهم كبطون الحوامل).

وروي (لعن الله ناكح اليد وناكح البهيمة) فإن هذه كبيرة عظيمة ، وصاحبها ملوم محسور.

وفي الحديث (العينان تزنيان واليدان تزنيان ويصدق ذلك ويكذبه الفرج) [(1)]

---

(١) أخرجه ابن حبان في الإحسان ١٣/١٨٣، رقم ٥٨٧٣، ، وأحمد ٥/٣٥٧، ٣٥٢، ٣٦١، وابن شيبة ٨/٧٣٥، والبخاري في الأدب المفرد ١٢٧١، ومسلم ٢٢٦٠، وأبو داود ٤٩٣٩، وابن ماجه ٣٧٥٣، والبيهقي ١٠/٢١٤، والبغوي ٣٤١٥، من طرق عن بريدة .

ولو لمست بيدك يد غلام ، أو يد بعض أقاربك من النساء اللاتي يجوز لك النظر إليهن واقترنت الشهوة عند لمسك بيدك للمكان ، استمرارك على ذلك بمنزلة لمسك بيدك لبعض الأجنبيات في الوزر والإثم ، فافهم وقس على ذلك جميع ما يختص اليدين فإنك تجده وتدركه إن شاء الله تعالى .

البطن

اعلم أن شر ما في ابن آدم بطنه ، وقد جاء الأثر بذلك ، وهو داع إلى أمهات كثيرة من المعاصي نحو الطمع والحرص والبخل والظلم وغير ذلك.

ومن عجائبه أنه إذا امتلأ أفتر وأبطر، وإذا خلي أفتر وأدبر ، وله آفتان يختصان بالمأكول والمشروب.

الآفة الأولى في المأكول

احفظ البطن عن الحرام والشبهة فما علمته حراما فتجنبه ، نحو الغصوبات وأجناسها ، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(إن الله تعالى حرم الجنة على جسد غذي بحرام)[2] ويدخل في ذلك كسب المغني والمغنية وكسب البغي وما أشبهه.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كسب المغنية سحت ، وكسب المغني سحت ، وكسب الزانية سحت ، وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت)[3] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه في كنز العمال بلفظه ١٤/٤، رقم ٩٢٦١، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وأبي يعلى ، عن أبي بكر ، وأخرجه أبو يعلى ٨٥/١، رقم ٨٣، ٨٤، من طريقين ، عن أبي بكر ، وذكره الهيتمي في مجمع الزوائد ٢٩٣/١٠، وقال : رواه أبو يعلى ، والبزار ، والطبراني ، في الأوسط ، ورجال أبي يعلى ثقاة ، وفي بعضهم خلاف .

(٣) هو جزء من حديث عن علي عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(بعثت بكسر المزامير ، وأقسم ربي عز وجل لا يشرب في الدنيا خمرا إلا سقاه الله يوم القيامة حميما ، معذبا هو أو مغفورا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(كسب المغني والمغنية حرام ، وكسب الزانية سحت ، وحق على الله أن لا يدخل الجنة بدنا نبت من السحت) رواه في كنز العمال ٢٢٦/١٥، رقم ٤٠٦٨٩، وعزاه إلى أبي بكر الشافعي ، في الغيلانيات ، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ١١٧.

وكلما علمته حراما تجنبته ، وكذلك ما ظننته حراما أجريته مجرى المعلوم ، مثل ما يحصل من مبايعة جنود الظلمة وأجناسهم ، تعمل فيه على حسب ظنك ، فما كان شبهة أجريته في الترك مجرى المحظورات ، وسَكَتّ عنه في الاعتقاد، فإن الشبهة في الاعتقاد لا يؤمن كونه قبيحا ، وربما يكون أعظم ، وكان بعض الصالحين يترك أخذ ما يعطي إذا غلب في ظنه أن ذلك لاستحسانهم لوعظه ، وشبه ذلك فهذا من المشتبه

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال:(ثلاث أخافهن على أمتي الضلال بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج)[1].

وسئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل النار؟ فقال:(الأجوفان البطن والفرج)[2] وصدق فإن المحرمات من المأكولات ، نحو الرشا ، والمغصوب ، وأجرة البغي والكاهن ،وكسب المغنين فهذه تحرم على كل حال مع تفصيلات تدخل تحتها نحو الزكوات ، والأخماس والأعشار ، وأجناس ذلك يحرم على كل مكلف دون مكلف ، وفي حال دون حال، ومن لم يتفقه لم يدر ما يحل وما يحرم ، وتفصيل المحرمات لا تصلح له هذه الأوراق ، وإنما هي من علم الفقه ، فاجتنب الحرام ، واجتهد أن يكون تناولك من الحلال دون الشبع ، فإن كثرة الشبع تقسي القلب ، وتفتر الأعضاء من الطاعة، وتشرب القلب قوة الحرص ، وتدعو إلى عشق الدنيا ومحبتها والكلف بها، وهو مع ذلك قامع لحدة النظر ، ومبطل لجودة الفكر ، ومفسد للذهن ، ومصم الهمم عن سماع الموعظة.

وفي حديث النبي ﷺ (إياكم وفضول المطعم فإنه يشرب القلب القسوة

---

(١) رواه في كنز العمال ٤٥/١٦، رقم ٤٣٨٦٤، وعزاه إلى الديلمي عن أنس ، وله شواهد بألفاظ تقاربه ، منها ما أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين عن أفلح مولى النبي ﷺ ، انظر تخريجه هناك

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ، وأخرجه ابن حبان في الإحسان ٢٢٤/٢، رقم ٤٧٦، والترمذي رقم ٢٠٠٤، والحاكم ٣٢٤/٤، وصححه ، ووافقه الذهبي وابن ماجه رقم ٤٢٤٦، والبغوي في شرح السنة ٣٤٩٨، وأحمد من حديث عن أبي هريرة .

ويبطئ بالجوارح عن الطاعة ، ويصم الهمم عن سماع الموعظة)[1] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقيم بهن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه)[2] .

فاعمل في الحلال بما قد أدبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واقسم بطنك على هذه الثلاثة الأقسام ، وأنت إذا فعلت ذلك فهو يأتيك من الحلال ما يكفيك بغير طائل عناية، ومتى فتحت بطنك جرك إلى ما يهلكك ، وأبطأت بك الجوارح عن طاعة ربك.

وقد روي أن عليا عليه السلام كان يفطر في شهر رمضان الذي استشهد فيه عند ثلاثة ، ليلة عند الحسن بن على عليه السلام ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، وليلة عند ابن عباس لا يزيد على ثلاث لقمات ، فقيل له في ذلك ؟ فقال:(أحب أن ألقى اللّه خميصا)[3] . وعن بعض الصالحين:(واللّه إني لآكل الأكلة وأود أنها في بطني آجُرّة).

وكل ذلك اعتمادا منهم على القناعة، وخوفا من آفات الشبع ،ومخالفة هوى النفس.

الآفة الثانية في المشروبات

ينبغي أن يكون تجنبك في المشروبات على حسب تجنبك في المأكولات ، فإن اللّه قد حرم مشروبات كثيرة نحو الدم والخمر.

---

(١) الحديث أخرجه السيلقي في الأربعين السيلقية ، وهو في شمس الأخبار ٩١/٢، من حديث طويل .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٦٥، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢٠٩/٢، والترمذي ٥٩٠/٤، وقال : حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك ٣٦٧/٤، رقم ٧٩٤٥، وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد في المسند ١٣٢/٤، وهو في كتر العمال رقم ٤٠٨٧٠، وأخرج ابن حبان (الإحسان) ٢ رقم ٦٧٤، وانظر تخريجه هناك وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٢٢٥/٩، إلى من سبق ، وإلى الدر المنثور ٨٠/٣، وابن كثير ٤٠٣/٣، والقطبي ١٩٢/٧، والشفاء ٦٩٩/١، وسنن الدارمي رقم ٢٦٣، وانظر النوافح العطرة رقم ١٨١٩ .

(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ، تحت الطبع . وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده إلى أبي نعيم ، انظر ترجمة الإمام على من تاريخ ابن عساكر ٣٥٧/٣، رقم ١٤١٣، وهو في كتر العمال ١٧٠/١٥، نقلا عن العسكري .

وفي الحديث (كل مسكر حرام وكل مسكر خمر)[1] وفيه عن النبي (بعثت بكسر المعازف والمزامير وأقسم ربي لا يشرب عبد في الدنيا خمرا إلا سقاه الله يوم القيامة حميما)[2]

واحذر أيضا أن تشرب بالآنية التي ورد النهي فيها نحو آنية الذهب والفضة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ (إن الذي يشرب في إناء فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم)[3]. وشرح ما يحرم من المأكولات والمشروبات في الفقه فتفقه ثم اعمل.

الفرج

احفظ الفرج عما نهى الله عنه في قوله:(**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**)[4] الآية ، ولاتصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين أولا عن النظر، وحفظ القلب عن الفكرة والتصور، وحفظ البطن عن الحرام والشبهة والشبع ، فإن هذه الأمور هي محركات لجميع الشهوات ومهيجاتها.

وفي حديث النبي ﷺ (إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فيورث الفقر ، وينقص من العمر ويذهب

---

(١) أخرجه ابن حبان في (الإحسان) ١٢/١٩١، رقم ٥٣٦٩، وأحمد ٢/٣١، ١٦، ١٠٥، والنسائي ٨/٢٩٧، وابن ماجه برقم ٣٣٩٠، وابن الجارود رقم ٨٥٩، والطحاوي ٤/٢١٥، ٢١٦، من طرق عن ابن عمر ، وفي الباب أحاديث وشواهد كثيرة بألفاظ مقاربة .

(٢) هو في كنز العمال رقم ٣٨٦٤، سبق إيراد نصه قبل ستة أحاديث من هذا ، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ٣١٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام ، كما في مسند شمس الأخبار ٢/٩٢، وابن حبان في (الإحسان) ١٢/١٦٠، برقم ٥٣٤١، ٥٣٤٢، وأحمد ٦/٣٠٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ومسلم ٢٠٦٥، والطيالسي ١٦٠١، والدارمي ٥/١٢١، وابن الجعد ٣١٣٧، وابن ماجه ٣٤١٣، والطبراني ٢٣، رقم ٦٣٣ ـــ ٦٣٥، وعبد الرزاق ١٩٩٢٦، ومالك في الموطأ ٢/٩٢٤، وعلى بن الجعد ٣١٤٤، والبخاري ٥٦٣٤، والبغوي ٣٠٣٠، من طرق عن أم سلمة .

(٤) المؤمنون : ٥ . المعارج : ٢٩ .

بالبهاء، وأما التي في الآخرة فغضب الرحمن وسوء الحساب والخلود في النار)[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من قَبَّلَ غلاما لشهوة عذبه اللّه ألف عام في النار، ومن جامعه لم يجد ريح الجنة ، وريحها يوجد من مسير خمسمائة عام[2] إلا أن يتوبا) .

وزوجتك وإن اشتهر لك تحليلها ، وفي موضع مخصوص وهو الفرج ، وعلى حال مخصوص وهي الطهارة من الحيض والنفاس ، وبعد التكفير عن الظهار ، بالعتق أو الصيام أو الإطعام بخلاف ذلك ، فينبغي أن تتفقه ثم تعمل بحسب علمك لئلا تهلك.

الرجلان

احفظ الرجلين عن المشي بهما إلى معصية اللّه تعالى ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(ما من أحد يخرج من بيته إلا وعلى بابه رايتان راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإذا خرج في طاعة اللّه تبعه الملك برايته حتى يرجع إلى بيته ، وإذا خرج فيما يكره اللّه تعالى تبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع).

فأحذرك أن تكون ممن تضله راية الشيطان ، فتكون من أعداء الرحمن فاحترز من المشي إلى شيء من المعاصي المتقدمة وأجناسها ، نحو المشي لشهادة الزور ، والتهييب على أرباب الحقوق بمجرد المشي حتى يظنوا حصول الشهادة.

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(من مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو شاهد زور)[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ٣٢٠، وأخرجه الحافظ السمان في أماليه عن جابر خ ، كما في شمس الأخبار ٩٢/٢، قال السيد الجلال : وأخرجه الخطيب عن أنس ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخرائطي في مساوي الأخلاق ، وأبو فتح الراشدي في جزئه ، والرافعي ، كلهم عن حذيفه ، وله شاهد مقارب ، أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ٤٠٣. بلفظ (في الزنى ست خصال) .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ، كما في شمس الأخبار ١٩٨/٢، وقال السيد الجلال : أخرجه الخطيب عن داود بن عفان النيسابوري ، عن أنس . قال أبو الفرج : قال أبو حيان : داود بن عفان شيخ كان يدور بخراسان ، ويزعم أنه سمع عن أنس ، ويضع عليه .

وكذلك المشي مع الظلمة ، إما على جهة التمشي للاستراحة ، أو على وجه الدخول في عسكرهم ، فإن كل ذلك تكثير لسوادهم ، وكذلك السعي إلى أبواب السلاطين لقضاء الحوائج منهم كل ذلك حرام عند الله عز وجل ، ودخول في جملتهم ، ما لم يكن ذلك لباب عظيم من أبواب الدين أو ضرورة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:(من مشى مع ظالم فقد أجرم)[٢].

وقد كثرت معاملة السلطان لغير ضرورة ، ولا صلاح دين في الأعصار الماضية والحاضرة من المتفقهة وعلماء السوء ، حتى لا يستنكر في الأغلب المشي إلى أبواب السلاطين ، والأخذ عنهم ، بل ولا يستنكر في الأغلب الخروج معهم في جملة عساكرهم للقتل والقتال ، ونجد ذلك كثيرا من المتفقهة وعلماء السوء ، يخرجون مع عساكرهم ، ويركبون معهم على دوابهم ، ولا يستقبح ذلك أحد منهم ولا يسترذله ، وربما كان الواحد يستنكر مثل ذلك الصنع ، ثم يبتليه الله تعالى بالفقر والفاقة فلا يجد صبرا ، فيزين له الهوى ، ويوسوس له الشيطان أن يأتي إلى باب السلطان ، ويقول الشيطان : امض لحاجتك فإن الله تعالى ما يغضب على البقاع ، ولتطلب منه أحسن الوجوه ما يرد فاقتك ثم ترفضه ، فيكون ذلك سببا لانهماكه من حيث لا يشعر ، إما بتكثير سواده ، أو موالاته ، أو موالاة أهل موالاته ، أو بطرح كثير من الأمور الواجبة لأجله في بعض مقاماته.

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال:(إن أناسا من أمتي يقرأون القرآن ، ويتفقهون في الدين ، يأتيهم الشيطان فيقول لهم : لو أتيتم الملوك فأصبتم من دنياهم ، واعتزلتموهم بدينكم ألا ولا يكون ذلك أبداً)[١].

---

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس كما في كتر العمال ١٨/٧، رقم ١٧٧٦٣، وبزيادة (ومن أعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى يترع ، وقتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق) عزاه إلى البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه الديلمي عن معاذ كما في كتر العمال ٨٥/٦، رقم ١٤٩٥٣. وبزيادة (يقول الله :{إنا من المجرمين منتقمون}) .

وفي حديث النبي ﷺ (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له)[2].

وصدق فإن هؤلاء لو صبروا على ما أنالهم اللّه من البلاء ، وقصدوا باب العلي الأعلى جل وتعالى ، وتعززوا بعزه ، ولم يستبطئوا رزقه ، لتحققوا أنه تعالى لهم بمنزلة الوالد الشفيق ، بل أبر وأرحم ، وأنه تعالى لايمنع رزقه منهم إلا لما هو أصلح لهم.

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال في آخر كلام:(ولايحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل اللّه تعالى بمعصيته ، فإنه لاينال ما عنده إلا بطاعته) .

والعجب كل العجب ممن يطلب لنفسه نفقة الشهر ، بترك ملك لاينفد ، ولا له قياس وصف ، فهؤلاء لو قصدوا باب الملك الحق ، ووثقوا بوعده ، وصبروا على اختياره لمصالحهم ، ولم يعلموه بما هو أعلم منهم لوجدوا في عطائه أكثر عطاء ، ولتحققوا أن خدمه أشرف ملاء .

فمتى عرفت ذلك فأحذرك أن تمشي في معصية اللّه ، وعليك أن تتعرف أعيان المعاصي ، وتتفقه في الدين لتعمل في أمرك على اليقين ، واجتهد أن لاتستعمل رجليك في شيء من المحظورات كاليد ، مما عدا المشي ، من الضرب واللطم ، وإن وقع باليد فمثله يقع بالرجل ، وكذلك اللمس للعورات ، وماليس بعورة من الغلمان للشهوة ، فإن كان يقع باليدين فمثله يقع بالرجلين ، فكن حزما في أمرك ، متيقظا في فكرك.

---

(1) أورده السمان في المجالس ، كما في شمس الأخبار ٢/٢٧٨، قال السيد الجلال : وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بلفظ (سيكون قوم بعدي يقرءون القرآن..) الخ كما أخرج ابن ماجه ، عن ابن عباس مرفوعا ، بلفظ (إن أناسا من أمتي سيتفقهون في الدين ، فيقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ، ونعتزلهم بديننا ، ولا يكون ذلك ، كما لا يجتنى من القتا إلا الشوك ، لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا) وصححه السيوطي .

(2) أخرجه المتقي الهندي في كتر العمال ٣/٢٧١، رقم ٦٥٠١، وعزاه إلى الديلمي ، في مسند الفردوس ، عن أنس وابن حبان في صحيحه ، عن علي عليه السلام ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن علي موقوفا .

وعلى الجملة فأفعالك إنما تقع بجوارحك ، وجوارحك رعاياك ، و(كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته)[1] بهذا أنبأنا الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله ، فاعمل لله بجهدك ، وأوف له بعهدك لتكون عنده من الفائزين يوم الدين .

واعلم أن هذه الجوارح الظاهرة أنها إنما تعمل وتتصرف بحسب مشورة القلب لها ، وأمره لها ، وهورئيسها ، وإليه يرجع أمرها ،وماوقع بغير علمه ولا أذنه فليس عليك فيه وزر ، ولا لك في فعله أجر ولا بر ، فلنشرع في شرح آفات القلب ، فإنه اللب ومن الله أستمد التوفيق لما يحبه ، والعصمة عما يغضبه ، وهو حسبي ونعم الوكيل

القلب

اعلم أن القلب عضو شريف القدر ، عظيم المحل ، وليس في الأعضاء أعظم منه جلالة، ولاأرفع منه حالة ، بل هو سيدها وأميرها ، وهي المتصرفة عنه صغيرها وكبيرها ، فلا تتصرف في طاعة إلا وهو فيها وزيرها ومشيرها ، ولا تنهمك في معصية إلا وهو فيها معينها وظهيرها ، وهو أصلح شيء إذا صلح للجسد ، وأفسد شيء له إذا فسد.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(إن في الجسد مضغة إذا سلمت سلم الجسد كله ، وإذا سقمت سقم الجسد كله ، ألا وهي القلب)[2] .

---

(١) هو جزء من حديث طويل بألفاظ متقاربة ، منها (فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٣٠٢، بلفظ مقارب ، وابن حبان في (الإحسان) ١٠/٣٤٢، رقم ٤٤٨٩، ٤٤٩١، والبخاري بأرقام عديدة ، وفي مواضع مختلفة من صحيحه ، ومسلم رقم ١٨٩٢، والترمذي رقم ٢٧٠٥، وأبو داود برقم ٢٩٢٨، وأحمد ٢/٥/٥٤، ٥٥، ١١١، والبيهقي ٧/٢٩١. ٦/٢٨٧، والبغوي رقم ٢٤٦٩، وقال في الموطأ : جميعهم عن عبد الله بن عمر .

(٢) أخرجه بلفظ (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله) ابن حبان في (الإحسان) ١/٥٣٢، رقم ٢٩٧، والطيالسي ٧٨٨، والبخاري رقم ٥٢، ومسلم ١٥٩٩، وابن ماجه ٣٩٨٤ وغيرهم .

نعم ـــ وداؤه كثير وشفاؤه عسير ، وهو مع التوفيق يسير، والتفصيل لجميع آفـات القلب في هذا المقام يتعسر ، ولايكاد يتيسر ، على ما نحـــن بصـــدده مـــن قصـــد الإختصار ، وسبيل العلاج فيها قد اندرس بالكلية ، وعلمه وعمله لغفلة الخلق عــن صلاح انفسهم وإقبالهم على زخرف دنياهم وجرأهم.

وأحسن مانذكره من ذلك ونشرحه مما عرّفَنَاه أنصح الخلق وأعرفهم ، وأحكمـهم وأشرفهم ، فلا ينبغي أن نخبر بغير خبره ، ولا أن نتبع غير أثره ، فإنه معلم الحكـم ، وقد قال ﷺ :(إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث ، إما من شـــبهة في الدين ارتكبوها، أوشهوة للذة آثروها ، أوعصبية لحمية أعملوها)[١] .

فأنبأنا الصادق المصدوق أن الناس لايؤتون يوم القيامة إلا من إحدى هذه الثلاث ، فعلمنا أنها أمهات آفات القلب التي يتولد منها جميع القبائح في القلـــب وفي ســـائر الجوارح . وفي هذا الخبر دلالة على ماذكرناه من أن أفعال الجوارح تصـــدر علـــى حسب إرشاد القلب إليها فافهم.

[أمهات آفات القلـــب]

ونحن نتبع الرسول فنقول: أمهات آفات القلب ثلاث وهي: الشـــبهة والشـــهوة والعصبية.

الآفة الأولى الشـــبهة

وإنما قدمها النبي ﷺ لأن فتنتها أعم ، وأمرها أهم، فكم من عالم طرحتـــه في بحار الضلال ، ومتعلم أوردته أودية الوبال ، وجاهل دحتـــه في ميـــدان النكـــال، ونتيجتها الغلو في الدين، وقلة القبول للبراهين هذه نتيجة في القلب.

---

(١) أورده في مسند شمس الأخبار ٤٧٩/١، عن الأربعين السيلقية ، وبقية الحديث في المسند (فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد ، وإذا عنت لكم عصبية فادرؤوها بـالعفو ، إنه ينادي مناد يوم القيامة : من له أجر على الله فليقم ، فيقوم العافون عن الناس ، ألم تروا إلى قولـــه تعـــالى :{فمن عفا وأصلح فأجره على الله} .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[1] .

ونتيجة ثانية في القلب وهي العجب بما هو عليه وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أشد من ذلك العجب العجب)[2] .

وهذه النتيجة وهي العجب تكون أيضا مقارنة للتعاظم والكبر ، ومتولدة فيما يولده في كل فن من الأفعال ، فنعوذ باللّه منهما ، وكل من استكثر أعماله الصالحة فينبغي أن ينظر هل يجد لنفسه عيبا ، فإن وجده صغر نفسه عند ذلك وحقرها ، واستهزأ بها لتحسينها الظن به وإساءتها الظن بغيره ، وإن لم يجد لنفسه عيبا فذلك من أعظم الحماقة وأقبحها ، ولو أراد اللّه به خيرا لبصره عيوبه ، فليرجع على نفسه ، ويعرفها أن من أعظم ذنبها تحسين الظن بجملة أفعالها، وهذه الآفة وهي الشبهة في الدين نتائجها كثيرة في القلب ، فأما في سائر الجوارح فإنها إذا تمكنت من القلب حركت جميع الجوارح السبعة ، نحو تحريك اللسان بالجدال والذم واللعن وغير ذلك ، وتحريك اليد باللطم والسطوات العظيمة ، يعني : كما فعلته بالجوارح ، وتحريكها للبصر عند هذه الأمور ، وتحريكها للبطن والفرج بالإستحلال لما لم يكن يحل من الأحوال والنساء وغير ذلك ، وللأذن بالتجسس على الخلق.

وعلى الجملة فإن آفات القلب أبدا تُظْهِرُ أفعالها الجوارح ، ولهذه الآفة معين ومعاضد من أفعال القلب ، وهو التقليد فيما يقع الضلال.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(من أخذ دينه عن التفكر في آلاء اللّه ، وعن التدبر لكتابه ، والتفهم لسنتي زالت الرواسي و لم يزل ، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال وقلدهم فيه ، ذهبت به من يمين إلى شمال وكان من دين اللّه على أعظم

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ٣٠٩ ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٧٥/٢، وقال السيد الجلال : أخرجه البزار عن أنس .

زوال)[1] ، وكثير من أهل البدع إنما يعتمد على التقليد ، وليس هو بتقليد الثقات أيضا ، بل تقليد من لايوثق بدينه، وقبول الرواية منه لما يرويه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[2] وقد تقدم الشرح في وجوب تجنب الشبهات والوقوف عندها ، وهي في الاعتقادات أعظم ، فالمكلف إما أن يعلم قطعا بالأدلة الأربعة ، التي هي العقل ، والكتاب ، والسنة المتواترة ، والإجماع المعلوم ، أو بأحدها ـ صحت اعتقاداته فهذا من الناجين على حسب ما أخذها من حيث يجب أخذها.

وإما أن يعلم بطلانها وجب عليه الرجوع إلى اعتقاد الحق.

وإما أن لايعلم ، واشتبه عليه وجب عليه التوقف والتفهم ، والأخذ بالطرق الأربع ، والإستعانة بأنظار الصالحين والمراجعة لهم ، حتى يقف على الحق ، فهذه طرق السلامة فافهم.

الآفة الثانية الشهوة

اعلم أن الشهوات مزرعة الهفوات ، ومنتجة للعثرات ، وداعية إلى الهلكات ، والشهوة حكيك في النفس ، وشرها يحمل على سلوك أرذل المناهي ، فمن أطاعها أذلته وأضلته ، ومن عصاها فعلى الخير دلته ، فالهلاك بموافقتها ، والنجاة بمخالفتها ، وهي مولدة لحب الدنيا ، والشغف بها ،فلهذا حذر منها من هو أعلم بها؛ لأن حب الدنيا رأس المعاصي وأساسها ، وأميرها ونبراسها، وهو الذي به المد والقبض ،

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ١١٤، كما في مسند شمس الأخبار ٦٣/١.

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ١٠٩، وأورده في كنز العمال ٢٤٠/١٠، رقم ٢٩٢٧٣، وعزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة ، وقال : غريب ، والديلمي ، والحاكم عن أبي هريرة ، كما أورده في الكنز رقم ٢٩٤٧٤، وعزاه إلى ابن عدي ، والحاكم في تاريخه عن أنس ، ورقم ٢٩٣١٦، وعزاه إلى الحكم عن أنس والسجزي عن أبي هريرة .

والأخذ والرفض ، لولا حب الدنيا القاطع للرقاب لسلم الناس[1] من العقاب.

وفي حديث النبي ﷺ (حب الدنيا رأس كل خطيئة)[2].

وأقول: صدق رسول الله ﷺ ، فإن جميع المعاصي الباطنة والظاهرة إنما تقع وتحدث بسبب الشغف بالدنيا والحب لها ، نحو الطمع والحرص ، والأمل والحسد ، والرياء والعجب ، والكبر وحب الشرف والذكر ، وغير ذلك من بنات الهوى ، ونتاج حب الدنيا؛ فإنه لولا توهج الشهوة والحب ماثبتت هذه الخبائث في القلب ، فالشهوة بمترلة بان ابتني دارا عظيمة وسيعة ، مزوقة الظاهر ، شويهة الباطن ـــ وهي حب الدنيا ، وجعل فيهابيوتا كثيرة ، بحسب الخبائث التي في القلب، وجعل في كل بيت منها سيئة ، وعلى كل بيت منها باب

مغلق ، على كل باب منها مفتاح وهو الطمع ، وهو أحد تلك الخبائث لم يجعل منها شيئا ظاهرا سواه ، فإنه مفتاح لجميع أنواع حب الدنيا المنغلقة على هذه الخبائث والرذائل ، ولهذا المفتاح وهو الطمع . في كل باب منها سلسلة منخرطة إلى داخل البيت ، مربوطة بكاس فيه ماء الحرص ، فلا ينفتح باب بهذا المفتاح إلا وانفتحت جميع الأبواب بسبب دواليب مصنوعة فيها ، وإن اطلع في ذلك البيت أحد بعد الإنفتاح أخذه ، وهيج حب الدنيا والضما إليها، وصار ملجأ إلى الشرب من ذلك الماء الذي هو الحرص ، وهو يأتيه أعني كأس الماء في حال اطلاعه بسبب جذب المفتاح ـــ الذي هو الطمع ـــ له عند الفتح ، فإن الطمع جاذب للحرص لا محالة ، وعلى حسب شربه تكون نجاته وعطبه ، فإن أكثر من شرب الحرص حتى تظهر علامة حب الدنيا في قلبه ، وينتقش خاتمها على لبه ، دل ذلك على استحكام الداء الذي لايحصل له دواء وهو الرين . الرين الذي قال الله تعالى :(**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى**

---

(١) في نسخة (لسلمت الأجساد من العقاب) .

(٢) أورده في كتر العمال ١٩٢/٣، رقم ٦١١٤، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان ، عن الحسن البصري مرسلا ، وهو في كشف الخفاء رقم ١٠٩٩ .

قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[1] وإن قَلَّ من شرب الحرص ، وعاجل مداواته بدوائه أمن من شر بلائه ، فهذا مثال حب الدنيا مع سائر الخطايا فافهم ، فإنه مأخوذ عن الحكمة النبوية قال النبي ﷺ في آخر حديث : (إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص ، ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا).

وهو مفتاح كل سيئة ، وسبب إحباط كل حسنة ، فأنبأنا الصادق المصدوق عليه وعلى آله السلام أن الطمع مفتاح كل سيئة ، فعرفت أن السيئات كالمغلق عليها باب ، والباب لايكون إلا على دار جامعة لها، وليس ذلك إلا حب الدنيا لقوله ﷺ :(حب الدنيا رأس كل خطيئة) فعرفت صحة هذا المثال بالدار التي ذكرت لك ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الطمع يشرب القلب شدة الحرص ، فعرفت أنه يسقيه الحرص ، والحرص هو أحد السيئات التي هي خلف كل باب ، فإنه لاينال شيي فيها إلا لحرص عليه ، ثم إذا أكثر

منه ختم على القلب بطابع حب الدنيا ، فعرفت صحة ماذكرنا.

فلنشرع الآن في ذكر عظائم مايفتح الطمع أبوابها ، ويكشف نقابها ، وإن كنا لانحصيها هنا جميعها ، ولكنا نكتفي بذكر اليسير فهو يدل على الكثير.

انفتاح باب العشق والتمني بمالا يجوز.

اعلم أن هذا الباب من أضر الذنوب لصاحبها ، فإنه يقل الحياء ، ويرفع الوفاء ، ويكسب الذل والعبودية ، ومن كلام بعض الحكماء : "عبد الشهوة أذل من عبدالرق". ثم هو يورث الندامة والحسرة ، كما قال ﷺ في آخر حديث :(ألا رب شهوة ساعة أورثت حزنى طويلا).

وعن بعض الحكماء :(من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامة) .

---

(١) المطففين : ١٤

وصاحبه لايقع منه على محصول ، ولاينتهي فيه إلى غاية ، إلا وهي عليه أشد وأصعب دينا ودنيا، وهو من أرذل الذنوب وأسخفها ، وهو معدود عند الحكماء من باب الجنون ، ولا يغرنك قول من يقول: الشهوة من اللّه تعالى . فهو كذلك ، ولكن التمني والتذكر والتصور والتفكر لما يزعج النفس ويحرك الأعضاء ، وهو عين الذنب والمعصية ، بل هو زنى القلب وفاحشته.

قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه:(ماتعدون الزنى فيكم ؟ قالوا: أن يزني الرجل بالمرأة فيخالطها. فقال النبي ﷺ : (إن الرجل ليزني بالمرأة ولايخالطها ، فقالت الصحابة: إنا للّه وإنا إليه راجعون فكيف ذلك ؟ فقال: العينان تزنيان ، والأذنان تزنيان ، واللسان والقلب يزنيان، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان. فأقلقهم ذلك جدا فقال ﷺ : فإن زنى العين النظر ، وإن زنى الأذنين الإستماع ، وزنى اللسان النطق ، وزنى القلب التمني ، وزنى اليدين البطش ، وزنى الرجلين المشي ، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج) وصدق ﷺ فافهم هذا المعنى ، واعمل به ، واحترز من أعضائك ، فهي الشاهدة عليك يوم القيامة ، واللّه المحمود.

انفتاح باب الرياء

اعلم أن الرياء لاينفتح بابه ، ولاتضل أصحابه إلا بسبب الطمع في العز والشرف ، ولولا ذلك ماوقعت المرآة في الأعمال الصالحة ، ولكنه قد ظهر أن الدخول في خدمة الملوك مما يشرف به المملوك ، حتى إن الواحد يشترى في كونه خادما لبعض أمراء الملوك بالأموال العظيمة ؛ لطلب التعزر والتشرف بذلك ، ولاشك أن اللّه مالك الملوك ، وعظيم الشأن ـــ فخدامه المتصرفون عن أمره أعلى الأنام ، وقد جعل اللّه تعالى لخدامه وعماله بفضله وكرمه هيبة في القلوب ومحبة عظيمة ، حتى إن كثيرا من الملوك يتمنى أن يرى خدام اللّه تعالى الصالحين فيتمسح بآثارهم في الأرض ، ولو ذهبنا إلى ذكر ماقد وقع من ذلك لطال الشرح .

فالطمع في هذه المترلة هو الذي يجر إلى الدنيا ، وهذا جهل من فاعله فإن مطلبه الذي طمع فيه هو الذي يجر إلى الرياء ، وهذا جهل من فاعله ؛ فإن مطلبه الذي طمع فيه لا يحصل له إلا مع الإخلاص ؛ لأنه متى لم يخلص خرج عن جملة المتصرفين عن أمر الملك القيوم ، وحينئذ تترع من قلوب الخلق مودته وهيبته ، ويزرع فيها كراهته وبغضه ، ولو أنه كتم ماكتم فاللّه تعالى به أعلم .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لو أن رجلا عمل عملا في صخرة لاباب لها ولاكوة ؛ لخرج عمله إلى الناس كائنا ماكان) وهذا الخبر جامع لكل خير ، مانع من كل شر .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل)[1] .

وعنه عليه السلام أنه قال:(إن الرجل ليقوم في الليلة القرة ، فيطهر فيحسن الطهور ثم يدخل بيته ، فيرسل ستره ، فيصلي فتصعد الملائكة بعمله ، فيرد عليهم فيقولون: ربنا إنك تعلم أنا لم نرفع إليك إلا حقا فيقول: صدقتم ولكنه يصلي ويحب أن يعلم به)[2] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(لا يدخل الجنة مرائي)[3] .

وقال عليه السلام :(مازاد من الخشوع على ما في القلب فهو رياء)[4] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(من صلى يرائي فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك)[1] .

---

(١) أورده في كتر العمال ٤٧٥/٣رقم ٧٥٠٢، وعزاه إلى الحاكم عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه الحافظ محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر ، وهو في مسند شمس الأخبار ٣٨٠/١ ، عن عبادة بن الصامت .

(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٣٧، عن عطاء ، عن أبي سعيد ، ورقم ١٤٨، عن أبي سعيد ، وانظر تخريجه هناك .

(٤) أخرجه الإمام محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر ، وهو في مسند شمس الأخبار ٣٨٠/١، عن جعفر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فانظر في هذا الباب العظيم الذي فتحه الطمع ، حتى ولج فيه صاحبه فوقع، فاجتهد في حفظ نفسك من حب الدنيا ، المنطوي على هذه الخبيثة الخسيسة ، فإن عرض لك حبها فابعد عن حرها وصِلّهَا وقربها بإخماد نار الطمع لعلك أن تنجو منها.

والله المعين والموفق وبه الحول والقوة.

انفتاح باب حب الذكر والثناء

هذا الباب لاينفتح إلا بالطمع في العز والشرف فإن مالا يشرف به الإنسان لايحبه هذا الحب وإن اشتهاه لوجه آخر، وزيادة الأمر أنه إنما ينفتح بالطمع وهو كذلك.

وهذا الباب أيضا من جملة اسباب انفتاح الباب الأول وهو الرياء ، وإن كان يدخل تحته عظائم كثيرة يحمل عليها .

وفي حديث النبي ﷺ (حب الثناء من الناس يعمي ويصم)[٢] وصدق رسول الله ، فإن المشغوف بالثناء يهلك ماله بالعطاء والإطعام ويعده كرما ، وهو طالب للشكر من الخلق والإجلال من جهتهم ، وربما أهلك نفسه وروحه حتى تفوته الدنيا بالقتل طلبا للثناء بالشجاعة والإتصاف بها، وربما أهلك عرضه بالتذلل والتواضع في الكلام في المجالس وغير ذلك طلبا للثناء من الخلق ، والوصف له منهم بحسن الخلق ، وهذه ضحكة عظيمة بنفسه وسخرية بها ، فإنه لابدل لروحه وماله وعرضه ، فإذا هلك في الدنيا والآخرة فماذا يبقى له بعد ذلك ، وصاحب هذه الخصلة لايزال في بلاء وتعب وعناء لكثرة مواظبته على الرضى للخلق كلهم ، ولن يرضى الخلق بأجمعهم عن واحد أبدا ، بل ولابد[أن] فيهم من يبغضه فإنا لو قدرنا السلامة من كل وجه لكثرة العطاء والإطعام فلا يسلم أن ينفتح عليه باب الحسد من بعضهم أوأكثرهم ، فإن من علا صيته ، وكثرت فضائله عند الناس كثر حساده على مايأتي بيانه إن شاء الله.

---

(١) أورده في كتر العمال ٤٨٢/٣، رقم ٧٥٢٨، وعزاه إلى الطبراني ، وأحمد ، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان عن شداد بن أوس .

(٢) رواه في كتر العمال رقم ٧٤٢٩، ورقم ٧٤٣١، وعزاه إلى الديلمي عن ابن عباس .

وهذا باب لاينبغي للعاقل أن يفتحه على نفسه ، فإنه لايحصل منه مطلبه ، وهو يفتح عليه عظيم الآفات فتوقعه في الهلكات في الدنيا والآخرة.

وفي حديث النبي ﷺ (ثلاثة يدخلون النار ، رجل قاتَلَ للدنيا ، وعالم أراد أن يذكر في الناس لايحتسب علمه ، ورجل وسع عليه رزقه فجاد به في الثناء وطلب ذكر الدنيا)[1].

وعنه ﷺ (بحسب ابن آدم من الشر أن يشار إليه بالأصابع في أمر دينه أودنياه)[2].

وهذا الباب متى فتحهالإنسان على نفسه ربما عجلت له عقوبة بإهانة الخلق له ، واستخفافهم به ، وتحقيرهم له عند أن يفرغ ماله لهم ، ويبذل جاهه من أجلهم ، ويشح ببذل روحه في بعض مقاماتهم ، فإن كل ماقدمه إلى من قدمه يعود عليه لا له عند ضعف أحواله ، وهذا أمر معلوم بالتجربة ، وهذا مع وبال العاقبة ، وكثرة المقت من الله تعالى ، وهل رأيت عاقلا يختار لنفسه أن يكون خادما لعبد من عبيد الملك ، بل لأرذل عبيده ، وهو من يستخدمه الملك في الكنس للبيوت ، ونحت الحيوانات لما يخرج منها ، وطلب بذلك العزوالشرف عند هؤلاء العبيد مع أنه لوشاء أن يدخل مع أعلى خدم الملك لدخل ، ولصار شريفا عنده وعند كافة أهل مملكته ، واليا لأمورهم ، هذا لايختاره عاقل لنفسه ، ولايرى أنه يصرف وجهه إلى الأراذل ، ويطلب منهم الثناء دون الأفاضل ، ولهذا الوجه وماتقدم اختار كثير من العلماء العاملين بعلمهم الخمول ، وافناء الذكر ، والخشونة في الهيئة والصورة ، وفي الثياب

---

(١)رواه في كتر العمال ٥٨/١٦، رقم ٤٣٩٣١، وعزاه إلى الديلمي عن ابن عمر .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٤٦، بلفظه عن أنس ، وهو في كتر العمال رقم ٥٩٣٦، ٥٩٤٨، بلفظ مقارب ، وعزاه إلى البيهقي ، في شعب الإيمان ، عن أنس ، وعن أبي هريرة ، وإلى الطبراني ، والبيهقي عن أبي هريرة ، والحكيم مرسلا عن الحسن ، وله شاهد بلفظ مقارب ، في موسوعة الأطراف ٤٥/٤، وعزاه إلى ابن كثير .

والمشية ، من غير إخلال بما يجب مما يعتاد أنه يطلب به الذكر ، لكنهم يجعلونه خالصا لله تعالى .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كم من عاقل عقل عن اللّه أمره وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غدا ، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غدا يوم القيامة)[١] .

وعنه عليه السلام أنه قال:(الرياء شرك ، إن اللّه يحب الأتقياء الأخفياء الأبرار ، والذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة)[٢] .

وهذه خصلة شريفة عظيمة من وفق لها فقد نال حظا عظيما ، وقلَّ أن يتصدر الإنسان للقيام بالأمور الجسام ، من الأمارة والوزارة والولاية والقضاء ، والإنتصاب للتدريس والمناظرات وغيرذلك ، وإن كانت للّه تعالى مع إمام عدل فسلم من وسوسة الشيطان ، وتأييد هوى النفس حتى تبطل أعماله بحب الثناء والذكر.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه بعث المقداد على جريدة خيل فلما رجع قال: كيف رأيتهم؟ قال: رأيتهم يرفعوني ويضعوني حتى ظننت أني لست ذاك . فقال :(هو ذاك المنهي عنه. فقال المقداد: واللّه لاعملت على أحد أبدا)[٣] فكانوا يقدمونه ليصلي بهم فيأبي.

وقَلَّ أيضا أن يتورط إنسان في الأمور العظيمة دينا ودنيا ، بحيث يشتهر أمره ثم يحصل له الخمول وافناء الذكر ، حتى يتحقق أن أعماله كلها خالصة من كل ريب

---

(١) رواه في كتر العمال ٥٤/٣، رقم ٥٩٤٠، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عمر ، وبزيادة (ومن طريف اللسان ، جميل المنظر ، عظيم الشأن هالك غدا يوم القيامة) .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٣٣، بسنده إلى معاذ بن جبل ، وهو في مسند شمس الأخبار عن الاعتبار ١٣١/٢، وقال السيد الجلال : أخرجه ابن ماجه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الزهد عن معاذ .

(٣) الحديث أخرجه السمان في أماليه كما في مسند شمس الأخبار ١٣٠/٢، عن أنس .

إلا من أخذ التوفيق بيده ، وشال بضبعه ، وعظمت جلالة اللّه في عينيه ، وكثرت خشية قلبه ، وصبر على ذم المعارف ، وقلة رضا المؤالف ، واتخذ العزلة شعاره ، والثقة بربه دثاره وقليل ماهم .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (خص البلاء بمن عرف الناس) [1]

فهذا باب واسع يشتمل على آفات كثيرة نحو التعظيم والتكبر والعجب وغير ذلك فافهم واحترز.

انفتاح باب الكبر

هذا الباب أصله حب الدنيا وزينتها ، ومفتاحه الطمع؛ فإنه لما فتح عليه باب الثناء والذكر من الناس انفتح له باب الكبر ، وهو النظر إلى نفسه بعين العزة والإستعظام ، وإلى غيره بعين الإحتقار ، ونتيجته في جميع الأعضاء .

في اللسان التزكية لنفسه ، يقول : أنا وأنا كما قال إبليس اللعين : **(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ)** [2] وهو أول متكبر .

وفي الأذن : إذا وعظ أنف ، وإن وعظ أعنف .

وفي المجالس : الطلب لأعلاها .

وفي الرجلين : طلب التقدم على غيره .

وفي اليدين : ربما أفضى به إلى القتل والقتال .

وفي المشية : التبختر .

وعلى الجملة أن من رأى غيره بعين الاستخفاف فقد تكبر ، وهذه الخصلة من أرذل الخصال وأخسها.

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ١٣٢/٢، عن الباقر مرسلا ، بزيادة (وعاش فيهم من لم يعرفهم) وهو في كتر العمال ١٥٤/٣، رقم ٥٩٣٧.

(٢) الأعراف : ١٢ . ص : ٧٦ .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(لا يدخل الجنة رجل في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار ، يساقون إلى سجن من النار ، يقال له بوْلِس تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار)[2].

فقد عرفت ما أعد الله للمتكبرين فاحذره.

نعم وكثيرا ما ترسخ هذه الخصلة في قلوب كثير من المتفقهة ، ممن يطلب العلم للمباهاة والمنافسة والمماراة ، فإنه أبدا يترفع على غيره ، ويشق عليه أمر من يرد عليه كلامه في الفتاوى ومواضع المناظرة ، ويكبر ذلك في عينيه ، وكذلك يعظم عليه ألا يتصدر في المجالس ، وأن لايقدم في الكلام أوفي الطريق ، وألا يدعى باسم الفقه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:(إن من فتنة العلماء من يكون عنده الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفي الكلام تنمق وزيادة، ولايؤمن على صاحبه فيه الخطأ ، وفي الصمت سلامة وعلم.

ومن العلماء من يخزن علمه ، ولايحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار.

ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان ، فإذا رد عليه شيء من قوله، أوتهون بشيء من حقه غضب ، فذلك في الدرك الثاني من النار.

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين ، والإمام المرشد بالله في أماليه ٢/٢١٧، كما في مسند شمس الأخبار ١/٤٧١، وابن حبان في (الإحسان) ١/٤٦٠، رقم ٢٢٤، وفيه زيادة ، ومسلم رقم ٩١/١٤٨، وابن ماجه رقم ٤١٧٣، وابن منده في الإيمان ٥٤٢، وابن أبي شيبة ٩/٨٩٠، وأحمد ١/٤١٢، ٤١٦، وأبو داود ٤٠٩١، والترمذي ١٩٩٨، والطبراني رقم ١٠٠٠٠، ١٠٠٠١، ١٠٠٦٦، ١٠٥٣٣، وأبو عوانة في مسنده ١/١٧، وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٨٤، والبغوي في شرح السنة ٣٥٨٧، والحاكم ١/٢٦، من طرق عن ابن مسعود .

(٢) أخرجه السمان في مجالسه كما في مسند شمس الأخبار ٢/٤٧٢.

ومن العلماء من يجعل حديثه وغريب علمه لأهل الشرف والبنيان ولايرى أهل الحاجة له أهلا ، فذلك في الدرك الثالث من النار.

ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب ، فإن وعظ أنف وإن أوعظ أعنف فذلك في الدرك الرابع من النار.

ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ، فيفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الخامس من النار.

ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى ، ليعزز به علمه فذلك في الدرك السادس من النار.

ومن العلماء من يتخذ علمه مروة وسلما وذكرا في الناس ، فذلك في الدرك السابع من النار . عليك بالصمت ، فبه تغلب الشيطان ، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير إرب)[1] وهذا الحديث حسن قد أتى على جميع ماقد ذكرناه ، وهو أوفي وأبلغ، وكله واقع في العلماء ، فنعوذ بالله من فتنة العلم ، ونسأله الثبات فيه وفي العمل جميعا ، وربما أفضى التكبر بأحدهم إلى الفتوى بغير ما علم ؛ حياء منه وتجبرا وتكبرا أن يقول : الله أعلم.

وفي حديث النبي ﷺ (إن الله لاينزع العلم من الناس انتزاعا ينتزعه منهم ، ولكن يقبض العلماء ، فإذا قبض العلماء اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فاستحيوا أن يقولوا : لانعلم ، فضلوا وأضلوا)[2] .

---

(١) أخرجه الحافظ محمد بن منصور المرادي في كتاب الذكر خ ، كما في مسند شمس الأخبار ، وقال محققه السيد الجلال : وأخرجه الخطيب عن معاذ مرفوعا ، وابن مردويه موقوفا ، وفي مسند الخطيب ، وأخرجه المرهبي في فضل العلم ، والديلمي في الفردوس ، وابن المبارك عن زيد بن أبي حبيب .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ١١٠، وابن حبان ١١٤/١٥، رقم ٦٧١٩، ورقم ٤٥٧١، الإحسان ، قال محققه : أخرجه مسلم رقم ٢٦٧٣، وأحمد ١٦٢/٢، ١٩٠، والبخاري ١٠٠، والترمذي ٢٦٥٢، وابن ماجه رقم ٥٢، والدارمي ٧٧/١، والبغوي ١٤٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٨٤/١، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال الإمام المنصور بالله[1] عليه السلام أحسبه قال كثيرا: (نَعَم التكبر أعظم الآفات وأرمى الذنوب لصاحبه إلى مهاوي الهلكات ، فإنه يجر الإنسان إلى كراهة التواضع وقلة الرضاء باليسير من الدنيا ، وقلة الصبر على استحقار الناس له ، فيكون ذلك سببا لطلب العز والفخر بالقتل والقتال ، أو إلى التحاقه بأعمال السلطان.

وكثير من علماء السوء لايصبر على هذه الأحوال ، ولايرضى باستحقار الناس له فيلحق بالسلطان فدخل في زمرة الشيطان ، ومال إلى معاونة امراء الجور .

ومنهم من يستعظم في مثل ذلك فيباين السلطان ، ثم إذا ابتلي بالفقر وخاف ذلته ، ورأى استطالة بيد السلطان على الخلق وخشي شوكته ، وعرف ميل الناس إليه ، وخاف إذلالهم له ، واستخفافهم به دعاه ذلك إلى مخالطة أمراء السوء ، والدخول معهم ، أوالمداهنة لهم ، تكبرا عن مذلة الفقر ، وتعززا عن ملامة الخلق ، واستدراكا لبعض مايرجوه من الجلالة فيكون ذلك سبب هلاكه ، وأعظم بها مصيبة في الدنيا والآخرة أن يهرب الإنسان من عز التقوى ، وشرف الطاعة للملك الأعلى إلى ذلة الذنوب ، واكتساب الحوب.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإسناد إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(هل منكم من يريد أن يعطيه الله علما بغير تعلم ؟ هل منكم من يريد أن يعطيه الله تعالى هدى بغير هداية ؟ هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ؟ ألا إنه من زهد في الدنيا، وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية، ألا وإنه من رغب في الدنيا، وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ألا وإنه سيكون أقوام لايستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ،

---

(١) الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الحسني اليماني [٥٦٢ ــ ٦١٤] أحد عظماء الإسلام ، وأئمة الآل الكرام ، إمام مجتهد مجاهد مجدد، قام بالإمامة بتكليف من علماء عصره سنة ٥٨٣هـ فأقام في كفاح وجهاد مرير ، وخاض المعارك مع سلاطين بني حاتم ، والمطرفية ، وأخباره كثيرة ، ومصنفاته شهيرة ، وفي سيرته كتب ، انظر مؤلفاته ، ومصادر ترجمته في كتاب أعلام المؤلفين الزيدية ، وفهرست مؤلفاتهم ص ٥٧٨ ــ ٥٨٦ .

ولايستقيم لهم الغنى إلا بالبخل والفجور ، ولا تستقيم لهم المحبة في الناس إلا باتباع الهوى ، ألا فمن أدرك ذلك منكم ، فصبر على الذل وهو يقدر على العز ، وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة في الناس وهو يقدر على المحبة ، لايريد بذلك إلا وجه اللّه ، والدار الآخرة آتاه اللّه ثواب خمسين صديقا)[1] .

قال الإمام المنصور باللّه :(المراد بقوله:(صبر على الذل وهو يقدر على العز) أن يباين الظالمين فيذله سلطانهم في اللّه سبحانه وتعالى ، ولو تابعهم لأعزوه ، وصبر على الفقر بأن حاربهم فاحتاج فمنعوه عن الرزق في منافعه ، ولو انضاف إلى جانبهم لأغنوه ، واستغنى باستقامة مامعه، وصبر على البغضة لمثل ذلك وهو كان يقدر على المحبة بالمداهنة). قال: فهذا معي الحديث واللّه أعلم) .

فكلامه رحمه اللّه في هذا من أجل الكَلام وأشفاه للكُلام ، فانظر واعلم واعمل واحترز ، ولاتغتر فتهلك وتخسر ، وأصل ذلك كله توهج حب الدنيا فاقرعه ، واعتراض مفتاح الطمع فاقمعه ، وغليان ماء الحرص فانزعه.

انفتاح باب الأمل

اعلم أن الأمل هو الداء الدوي ، والشيطان المغوي ، وهو القاطع للرقاب ، والفاتح لجميع الأبواب ، والمسبب لأسوأ الأسباب ، وهو حب الدنيا ، والشغف بها ، وهذا الباب إنما ينفتح بانفتاح الطمع ، فمن كثر طمعه طال أمله ، وقل عمله في الصالحات ، ولولا انفتاح باب الأمل على العقلاء ما ضل منهم ضال في حال من الأحوال ، وهذا الباب هو الذي لأجله يكد الناس في الأعمال ، ويقبلون على أنواع الأشغال الشاغلة عن أحوال الآخرة ، من الزراعات والتجارات والحرف ، ولأجله يظلمون ويأثمون ، ويغشون ويتفاخرون ويتنافسون ، وبه أيضا ينون ويعمرون ويخربون

---

(١) الحديث بطوله أخرجه الإمام الناطق بالحق أبو طالب عليه السلام في أماليه تيسير المطالب ص ٢٨٩، عن علي عليه السلام .

ويجددون ، ولولاه ما انبسطت الأيدي إلى الشهوات واللـــذات ، ولا الأرجـــل إلى المشي في الحاجات ، ولا الأعين في استحسان المنظـــورات ، ولا الآذان لاستماع الملاهي من الأصوات ، وهو شئ قد اشتركت فيه جميع القلوب ، وأخذ كل واحـــد منها بنصيب ، والعاقل من أخذ منه بسهم غير وافر ، وكان في مضماره غير ســـائر إلا قليلا ، وإلا فلا يسلم منه أحد ، ولا يوجد منه ملتحد.

وفي حديث النبي ﷺ (يهرم ابن آدم ويشب[1] منه اثنتـــان الحـــرص وطـــول الأمل)[2].

وعنه ﷺ (أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل)[3].

وعنه ﷺ (مثل الإنسان والأجل والأمل ، فمثل الأجل خلفه والأمل أمامـــه ، فبينا هو يأمل أمامه إذ أتاه أجله فاختلجه)[4] وصدق ﷺ كم من ساع اختطفـــه الأجل قبل بلوغ الأمل ، وابتلعه الموت قبل إتمام العمل.

---

(١) في نسخة (يهرم ابن آدم ويبقى منه ..) الخ .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٢٨٦، وأبو يعلى ٢٤٢/٥، بأرقام كثيرة وأحمد ١٩٢/٣، ٢٥٦، ومسلم في الزكاة رقم ١٠٤٧، والترمذي في الزهد رقم ٢٣٤٠، وابن ماجـه برقم ٤٢٣٤، وابن حبان في (الاحسان) رقم ٣٢٢٧، والطيالسي ٢١٩٧، والبخاري ٦٤٢١، وأبو نعيم ٢٦١/٧، وابن المبارك في الزهد ص ٨٧رقم ٢٥٦، من طرق عن قادة ، عن أنس .

(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٢٨٣، عن جابر ، وهو في كتر العمـال برقم ٤٣٧٦، بزيادة (فأما الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة ، وهذه الآخرة مقبلة صادقة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فإن استطعتم أن تكونوا من بني الآخرة ، ولا تكونـوا من بني الدنيا فافعلوا ، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب ، وأنتم غدا في دار حساب ولا عمل) وعـزاه إلى الحاكم في تاريخه ، والديلمي عن جابر ، كما أورده بلفظ مقارب برقم ٤٣٧٦٦، وعزاه إلى ابن النجار ، عـن علي عليه السلام ، وعن جابر ، وابن عساكر عن علي موقوفا ، وهو في إتحاف السادة المتقين ٢٣٧/١، ٢٣٨، والطبراني ٢٩٧/١٧، والنوافح العطرة ص ٢٤، رقم ٦٤، بدون الزيادة .

(٤) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٢٨٤، عن قتادة ، عن أنس ، وهـو في الدر المنثور ٩٤/٤، وإتحاف السادة المتقين ٢٣٨/١، وشواهده كثيرة ، وقد أورده في كتر العمال رقم ٧٥٧٤، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا ، والديلمي عن أنس .

واعلم أنه ما جعل أحد الدنيا نصب عينيه إلا كثر فيها همه وغمه ، وما كثر فيها همه إلا وزاد فيها أمله ، ولا طال له أمل فبلغ أبدا إلى نهاية ما أمل ، فإنه لا يطول الأمل إلا قارنه الحرص والطمع ، ولا يبلغ إلى أمر من الدنيا إلا طمع فيما هو أكثر ، وإلا فلا تنقضي فيها شهوته ولا تحصل له منها أمنيته.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من أمسى وأصبح والآخرة أكبر همه ، جعل الله الغنى في قلبه ، وجمع له أمره ، ولم يخرج من الدنيا حتى يكمل رزقه ، ومن أمسى وأصبح والدنيا أكبرهمه ، جعل الله الفقر بين عينيه ، وشتت عليه أمره ، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له)[1].

واعلم أن من نظر إلى الدنيا بعين التحقيق ، هدته إلى واضح الطريق ، فإنها كما قال أمير المؤمنين وقد سأله رجل عنها فقال : صف لي الدنيا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : (ما أصف دارا أولها عناء ، وآخرها فناء ، وحلالها حساب ، وحرامها عذاب ، من صح فيها مرض ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن)[2] فهذه صفتها من الخائف الناصح الأمين.

ولما كتب سلمان الفارسي[3] رضي الله عنه من المدائن (إني قد خفت أن أركن إلى الدنيا فعظني . فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام : (يا عبد الله إنما مثل الدنيا كمثل

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب الهاروني عليه السلام في أماليه ص ٢٩٧، عن علي عليه السلام ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢/٨١، وقال محققه : أخرجه ابن ماجه والطبراني بلفظ مقارب .

(٢) كلام أمير المؤمنين عليه السلام أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين ، والإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٢٩٤، وهو في نهج البلاغة ، الخطبة ٨٢.

(٣) سلمان الفارسي المتوفى سنة ٣٦هـ من خيار الصحابة ، من أصبهان ، نشأ في قرية جيام ، ورحل إلى الشام ، ثم الموصل ، فنصيبين ، فعمورية ، فبلاد العرب ، حيث بيع لرجل من بني قريضة ، فجاء به إلى المدينة ، وأسلم وتحرر ، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب ، وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم :(سلمان منا أهل البيت) مناقبه كثيرة ، وهو من أجل أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، جعله أميرا على المدائن ، فأقام فيها إلى أن توفى ، وفي مناقبه وزهده كتب ، انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ، ورأب الصدع ١٦٧١/٣.

الحية ، لَيِّنٌ مَسُّها ، قاتل سمها ، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، فإن صاحبها كلما اطمأن إليها ، وأنس لها ، يسخطه منها مكروه)[1].

وهذا الذي ذكره عليه السلام من النصح هو الذي ينبغي للعاقل أن يقصر به أمله ، ويطيل عمله ، فكم من مصروع وعظنا بصرعته ، ومحطوم ذكرنا بحطمته ، ومسرور هدمت لذته بالأحزان ، ومتلذذ نغصت لذته بالأشجان ، إعذارا وإنذارا لأربابها ، أوضح لهم من خطابها.

هذا الوليد بن يزيد[2] كان جبارا مترفا قال يوما لجلسائه : يزعم الناس أن ملكا ما تم له سرور يوما. قالوا : كذلك روي فقال : والله لأستكملن لذة يومي هذا ، ثم اتخذ جارية له يقال لها : حبابة[3]. وكانت اشتريت بمال جسيم ، ولم ير مثلها ، ودخل بستانا في جانب دار الخلافة ، فيه أنواع الأشجار والأزهار والأنهار ، وأخذ غلاما لطيفا يصلح للخدمة ، من أظرف الغلمان ، وقال لحاجبه : اطو عني جميع الأخبار ، ولو أخذ نصف المملكة ، وأخذ ما يحتاج إليه في يومه ذلك من الطيبات والطيب ، ودخل إلى مجلسه في بستانه ، فلما استقر به المجلس وهي تضاحكه وتغنيه وتملح في عينيه ، إذ دعا الوليد برمان مقشر في جام من جوهر ، فجاء به الغلام ، فأخذت في فمها حبة فضحكت فشرغت فماتت ، فقلبها وكان الحق فصاح وأعول فما لبثوا أن خرج عليهم مكشوف الرأس ، منتوف الشعر، مخموش الوجه ، باكي

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين ، وهو في نهج البلاغة ، الكتاب ٦٨، وأورده المحمودي في نهج السعادة ج٤ ـ ٥ ص ٨، وعزاه إلى الحكمة الخالدة ص ١١١، ط ١ ، ودستور معالم الحكم ص ٣٧، والإرشاد طبعة النجف ص ١٢٤ ، وتنبيه الخواطر ١٣٣/١، وأصول الكافي ١٣٦/٢، ونزهة الناظر ص ١٧، ط النجف ،

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك [٨٨ ــ ١٢٦]هـ وفي الاعتبار وسلوة العارفين أورد الحكاية عن المبرد ، وبطلها يزيد بن عبد الملك [٧١ ــ ١٠٥] هـ وكلاهما من أشد حكام بني أمية جورا وفجورا ، وفسقا ، واستهتارا بالدين .

(٣) حبابة : اسم جارية ، انظر ترجمتها والخبر في الأعلام ١٦٣/٢، وأعلام النساء ١٩٥/١.

العين ، حزين القلب ، ولم يقبرها إلا بعد ثلاثة أيام ، حتى اجتمعت بنو أمية إلى مسلمة بن عبد الملك[1] وقالوا : هذه سبة لا تنسى فدخل عليه وقال : ما أنت وحبس هذه الجيفة ، أما علمت أن في حبسها عار الأبد . فقبرها وحزن عليها حزنا شديدا.

فمن نظر إلى الدنيا بعين الاستبصار والاستحقار ، ولم يأخذ منها إلا بيد الاضطرار سلم من سنة الاغترار ، وأخلد إلى طاعة العزيز القهار ، ولم يجر للأمل في مضمار ، وحينئذ يكفيه منها اليسير ، ويسهل منها كل عسير ، ولهذا فإن الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ، كما ذكره المصطفى ﷺ وبينه ، ولهذا اختار هذه الطريقة الأنبياء والمرسلون ، والأئمة السابقون ، والأولياء المتقون ؛ تقصيرا للآمال ، ومحافظة على أصلح الأعمال ؛ ولهذا اطلع النبي ﷺ ذات عشية فقال :(أيها الناس ما تستحيون ؟ قالوا : يا رسول الله مم ؟ قال : تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، أفلا تستحيون من ذلك)[2]

ولما أتاه أوس الأنصاري[3] بقعب فيه لبن مخيض بعسل ، فلما وضعه على فيه نحاه عنه ثم قال : (شرابان يجزي أحدهما من دون الآخر ، لا أشربه ولا أحرمه ، ولكني أتواضع عز وجل ، فإنه من تواضع لله عز وجل رفعه الله ، ومن تكبر قصمه الله ، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله عز وجل)[4]

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي المتوف سنة ١٢٠هـ ولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ، ثم أرمينية ، انظر ترجمته في الأعلام ٧/٢٢٤.

(٢) أورده في مجمع الزوائد ١٠/٢٨٤، عن أم الوليد بنت عمر وقال : رواه الطبراني ، وفيه الوازع بن نافع ، وهو متروك .

(٣) هو أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري ، توفي شهيدا في معركة أحد سنة ٢هـ رضي الله عنه .

(٤) له شاهد في مجمع الزوائد ١٠/٣٢٥، عن عائشة بلفظ (أتي رسول الله ﷺ بقدح فيه لبن وعسل ، فقال : شربتان في شربة ، وإدامان في قدح ، لا حاجة لي به ، أما إني لا أزعم أنه حرام ، ولكني أكره أن يسألني الله عن فضول الدنيا يوم القيامة ..) الخ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه نعيم العنبري ، وقد وثقه ابن حبان ، وضعفه غير واحد ، وبقية رجاله ثقاة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سربه معه قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ، يا بن جعشم يكفيك منها ما سد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان بيتا يواريك فذاك ، وإن كان دابة تركبها فثم ، وما فوق الإزار حساب عليك)[1] .

وفي موعظة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود[2] قال فيها : (يا بن مسعود من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ترقب للموت سارع إلى الخيرات ، يا بن مسعود إن موسى المصطفى بالكلام والنجوى ، رئي خضرة البقل من شقاق بطنه من هزاله وما سأل ربه عز وجل حين تولى إلى الظل إلا طعاما ياكله من جوعه . يا بن مسعود إن شئت أنبأتك بأمر نوح ، عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما لم ين ، كلما أصبح قال : لا أمسي ، وكلما أمسى قال : لا أصبح ، وكان لباسه الشعر ، وطعامه الشعير . وإن داود خليفة الله عز وجل في الأرض كان طعامه على ثلاثة أجزاء : جزء شعير وجزء ماء ، وجزء نخالة ، وكان لباسه الشعر .

وإن سليمان عليه السلام فيما كان فيه من الملك يأكل الخشكار ، ويطعم الناس الحواري[3] من الطعام ، وكان لباسه الشعر ، وإذا جن عليه الليل شد يده إلى عنقه

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٣٠، عن عبيد الله بن محصن ، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٦١/٢، عن علي عليه السلام ، وهو بلفظه في كتر العمال ٧١٣٨، وعزاه إلى الطبراني ، والقسم الأول منه ، أخرجه ابن حبان في (الإحسان) رقم ٦٧١، وأبو نعيم في الحلية ٢٤٩/٥، وابن ماجه ١٣٨٧/٢، رقم ٤١٤٢، والترمذي ٧٤/٤، رقم ٢٣٤٦، وهو في كتر العمال رقم ٧٠٨٣، وعزاه إلى البخاري في الأدب المفرد ، وهو في تهذيب الكمال ٢٩٥/١١، وتاريخ بغداد ٤٦٣/٣.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن المتوفى سنة ٣٢٠هـ من كبار الصحابة ، ومن أوائل المحدثين والمفسرين في الإسلام ، أو من جهر بالقرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، أرسله عمر ليشرف على بيت المال ، ويعلم الناس في الكوفة ، ثم قدم في عهد عثمان إلى المدينة ، فتوفي بها عن نحو ستين عاما ، انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين .

(٣) الحواري في اللغة : المخلص النقي ، والحواري من الدقيق : هو المنقي من لباب البر ، والحواري ـ بالضم

فلا يزال حتى يصبح باكيا .

وإن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وآله كان لباسه الصوف ، وطعامه الشعير .

وإن يحي بن زكريا عليهما السلام كان لباسه ليف ، ويأكل ورق الشجر .

وإن عيسي بن مريم عليهما السلام ففي أمره عجب كان يقول : إدامي الجوع وشعاري الخوف ، ودابتي رجلاي ، ولباسي الصوف ، وسراجي القمر ، ودفاي في الشتاء مشارق الأرض ، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام ، وليس لي شئ ، وليس أحد على الأرض أغنى مني)[1] الحديث.

فهؤلاء أيها الطالب ما قصروا آمالهم في الدنيا إلا لطولها في الآخرة ، وأعجب العجب أن أفضل الأنبياء محمدا صلى الله عليه وآله وسلم غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وملك جزيرة العرب من عمان إلى جده ، ومن عدن إلى جزر الشام دومة الجندل ، وجبي إليه خراجها ، وكان خميص البطن منخرق القميص ، يمسي ساهر العين يبكي ويتململ ، ويصلي حتى تورمت قدماه ، ومات فما خلف دينارا ولا درهما ، ولا ذهبا ولا فضة ، وخلف درعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير ، وكان يعرض نفسه للناس في جنايات إن كانت منه.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :(من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ بجيفة وهو لا يشعر).[2]

وعن صلى الله عليه وآله وسلم (من بنى فوق ما يكفيه ، كلف أن يحمله يوم القيامة على عنقه)[1].

ـــ أيضا الدقيق : الأبيض ، وهو لباب الدقيق ، وأجوده وأخلصه ، والحواري ـــ بالضم وتشديد الواو والراء مفتوحة ـــ : ما حور من الطعام ، أي بيض . والخشكار : هو مقابل الحواري .

(١) الفقرة الأولى من الحديث إلى قوله :(هانت عليه المصيبات) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين برقم ٩ ، عن علي عليه السلام (باب في صفة الزهد) ورقم ٤٠١ باب في صفة الجنة ،وهو في كنز العمال رقم ٤٣٤٤١ ، وعزاه إلى شعب الإيمان للبيهقي عن علي ، وفي موسوعة أطراف الحديث ٨٦/٨، عزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٣٣٤/٩، ٦٢٨، والمغني للعراقي ٢٦٩/٤، وابن عساكر ٢٧٩/٤ ، ١٥٨، ١٣٣/٧، وحلية الأولياء ١٠/٥، وانظر الموسوعة . أما بقية الفقرة فلم أجدها فيما عندي من المصادر .

(٢) هو في إتحاف السادة المتقين ١٤٦/٨، كما في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٨/٨.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (الرغبة في الدنيا ذل المؤمن ، والزهد في الدنيا عز المؤمن)[2].

ودخل علي عليه السلام على أبي نيزر ، وهو في جهة العين التي تركها في يده ، فقال : يا أبا نيزر هل عندك طعام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ليس إلا قرع من قرع الضيعة ، وما به آنية إلا آنية لا أرضاها[3] لأمير المؤمنين ، ثم قام علي عليه السلام وقال : علي به ، فإن أكفنا أنظف الآنية ، فجاء به فأكل منه حتى قضى حاجته ، ثم قام إلى الربيع ــ أي : ربيع النهر ــ فغسل يده ، ومضمض فاه ، ومسح بيده على لحيته وصدره وبطنه ، ثم قال : تعس من أدخله بطنه النار ، ثم أخذ المعول ونزل إلى البئر فحفر ، ثم طلع وعرقه يقطر من جبينه ، ثم نزل مرة أخرى فضرب فاندهقت عليه ماء كأنها عنق جزور ، فطلع عليه السلام حامدا الله تعالى وقال : علي بدواة وقرطاس ، فوقفها على فقراء مكة والمدينة ، وأطلق للحسن والحسين عليهما السلام أيديهما وأولادهما ، وأولاد أولادهم إلى آخرهم) .فانظر إلى هذا الإنحراف العظيم عن الدنيا وحبها ، والتقصير لآمالها ، وإنما ذكرت لك ذلك لتطبع قلبك على التأسي هؤلاء الأخيار ، فتلحق بالأبرار وتجاور الملك الجبار في أعز جوار وأحسن دار.

واعلم أنه لا ينقطع لك حبل الأمل إلا بالزهد في الدنيا ، والإكتفاء باليسير ، فإنه لا يشرب منها شارب يوما إلا زاده ظمأ ، ولا يحصّل دينارا إلا احتاج درهما ، فطالبها لا يشبع ، ولا يزال يطمع ، ولهذا قال بعض الصالحين : إن طلبت من الدنيا ما يكفيك فالأقل منها يكفيك ، وإن طلبت من الدنيا فوق ما يكفيك فكل ما فيها لا يكفيك ، وهذا حديث مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار إلى أن طالب الكثير

---

(١) أورده في كنز العمال ٤٠٦/١٥، رقم ٤١٤٨٦، وعزاه إلى الطبراني ، وأبي نعيم في الحلية عن ابن مسعود وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٣/٨، إلى الطبراني ١٨٧/١٠، ومجمع الزوائد ٧٠/٤، وإتحاف السادة المتقين ٣٦٤/٩.

(٢) له شاهد في إتحاف السادة المتقين ٣٣٤/٩، كما في موسوعة أطراف الحديث ١٦٤/٥.

(٣) في نسخة (لا تصلح لأمير المؤمنين) .

لا ينتهي إلى غاية ؛ لأن الإحتواء على جميعها ممتنع ، والأمل متسع ، ولهذا خرج قوم كانوا من أربابها عن حبها ، ومالوا عن قربها ، لما تحققوا زوالها ، فاتقوا وبالها.

قصة صاحب الخورنق

وكان صاحب الخورنق(١) من الملوك المتسع ملكهم ، فأطل ذات يوم من الخورنق فمد بصره إلى ناحية المغرب حتى انقطع في البساتين والأنهار وأنواع الثمار فقال :لمن هذا الذي أرى ؟ فقالوا : لك أبيت اللعن ، فالتفت إلى ناحية المشرق ومد بصره حتى انقطع في الخيل والإبل والبقر والغنم وسائر أنواع الحيوان فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : لك أبيت اللعن ، فقال : هل تعلمون أحدا أوتي مثل ما أوتيت ؟ فقال له رجل من الرائضة ، وهم أهل بقية الحجة لله تعالى على كل أمة : أيها الملك أبيت اللعن ، هل هذا الملك الذي أنت فيه وصل إليك من غيرك أم أنت فيه لابث لم تزل ؟ قال : بل وصل إلي من آبائي ، ماتوا فورثت بعدهم ملكهم ، قال : فهل تأمن على نفسك أن يصيبك ما أصابهم ؟ قال : بل هو واقع لا محالة. قال : فما أراك في شئ . قال : فما المخرج ؟ قال : أحد أمرين إما أن تعمل في هذا الملك بطاعة الله تعالى ، فتنصف المظلوم ، وتحسن إلى الرعية ، وإما أن تعتزل الدنيا ، وتنقطع إلى الله تعالى ليورثك ملكا لا يبلى ولا يزول . فقال له : أنظرني هذه الليلة لأنظر في أمري ، فإن عزمت على الوقوف في أمري كنت وزيرا لا تعصى ، وإن انقطعت إلى ربي كنت صاحبا لا تقلى . فأمسى ليلته يفكر ، فلما كان آخر الليل أخذ ثياب صوف ، وفزع إلى الله تعالى فلما فتح الباب وجد صاحبه ينتظره ، فقال له: ماأجمعت عليه ؟ قال : على ما ترى . قال : وفقت ، ثم ساحا في الأرض فضرب بهما الأمثال .

فقال عدي بن زيد الشاعر(٢) :

---

(١) هو الملك النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي المتوفى سنة ١٩٨قبل الهجرة ، ملك الحيرة من قبل الفرس في الجاهلية ، أما الخورنق فقصر شهير بناه هذا الملك انظر قصته في مجمع الأمثال للميداني .

(٢) هو : عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي ، المتوفى نحو ٣٥ قبل الهجرة ، شاعر من دهاة

وتــأمل رب الخـــــــورنق إذ أشرف يوما وللــــهدى تفكــير
شاده مرمـــراً وجللـــه كلـــــ ـــسا والطـــير في ذراه وكـــور
سره حاله وكثرة مــــا يملـــك والبحـــر معـــرض والســـدير
فارعوى قلبه وقـــــال فمــــا لذة حـــي إلى الممات يصــــير

فهذا رجل قصر أمله ، وذكر أجله ففاز بالرضاء والرضوان ، ومجاورة الرحمـــن في غرف الجنان ، والنعيم الذي لا يفنى ، والملك الذي لا يبلى ، ولا آفة أعظـــم مـــن نسيان الموت والفناء ، وتطويل الأمل في هذه الدنيا ، فإن ذلك يورث الانخـــراط في سلك الذنوب ، والتلطخ بأقذار العيوب.

وفي حديث النبي ﷺ (أكثروا من ذكر الموت ، وكونوا من الله على حـذر)[1] فمن كان يؤمل أن يعيش غدا يؤمل أن يعيش أبدا ، ومن كان يؤمل أن يعيش أبـــدا يقسو قلبه ، ورغب في الدنيا ، وزهد فيما هدى ربه.

فنسأل الله تعالى التوفيق لاستشعار الموت ، وحسن الاستعداد لحلول الفوت ، ومنه التأييد والإعانة.

انفتاح باب الحسد

من أردأ الخلال وأخبثها وأسخفها ، والاستقباح له شائع ، والقلوب مع ذلك عليه مجبولة ، والحسد أردأ من البخل ، فإن الحاسد يبخل بنعم الله الفائضة على غـــيره ، وصاحبه لا يزال في عناء وتعب ؛ لكثرة ما يراه من النعم المتجـــددة علـــى نظرائـــه وأشكاله ومعارفه.

الجاهلية ، كان قريبا من أهل الحيرة ، فصيحا يحسن العربية والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديـوان كسرى ، وكان الترجمان بينه وبين العرب ، وسكن المدائن ، ذهب رسولا إلى ملك الروم ، فزار بلاد الشـام ، وعاد إلى المدائن بهدية قيصر ، ثم تزوج هند بنت النعمان ، وأوغر صدر النعمان عليه فسجنه ، وقتله بالحـيرة ، جمع ما بقي من شعره في ديوان طبع ببغداد . انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين . الأعـــلام ٢٢/٤، الأغاني ٩٧/٧، وغيرها .

(١) له شواهد كثيرة في كنز العمال ج ١٥، وانظر الموسوعة ١١٨/٢ .

وقال بعضهم : لو كان أمر الحاسد إلي ما عاقبته بأكثر مما هو فيه ، نفس دائم ، وحزن لازم ، والحاسد مهموم مهجور ، والمحسود منعم منصور.

ولهذه الخصلة أسباب كثيرة منها : الطمع ، فإذا طمع في مال ، أو صورة حسنة ، أو غير ذلك كرهها لمن قد أنعم الله عليه بها ، وقد يكون سببه الكبر ، وطلب الترفع ، وكثير ما يقع من هذا القبيل في أهل المدارس والكتاب وأجناسهم ، فإذا علم أحدهم بمن يشاركه في علمه أو في كتابته حسده ذلك ، طلبا للترفع والتكبر ليكون أوحد زمانه ، وإنسان عصره ، وربما يكثر ذلك في أهل الفن الواحد ، فالمتكلم لا يحسد الفقيه على فقهه ، ولا الفقيه يحسده على كلامه ، ولكن باعتبار آخر ، وهو طلب الإنفراد في عز العلم وجلالته ، ولكن لابد من انفتاح هذا الباب بمفتاح الطمع فإنما لا يطمع فيه المرء لا يحبه ولا يحسد عليه غيره ، وهذه الخصلة من أردأ الخصال وأكثرها ضررا لصاحبها في الدنيا والآخرة ، وأقلها ضررا للمحسود ، والحاسد هو المغبون المقهور فإنه قد كفي بنفسه في معاقبتها ، وهو بخيل بما لا يملكه ، ومغتاظ على من لا ذنب له قبله ، وغير ضار لمن حسده ، ولبعضهم شعرا :

ألا قل لمن كان لي حاسدا	أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله	لأنك لم ترض لي ما وهب
فحظي منه الزيادات لي	وحظك منه العنا والتعب
فجازاك عني بأن زادني	وقد سد عنك وجوه الطلب

وفي حديث النبي ﷺ (إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[1].

وعنه ﷺ (قد دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، لا

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٩٠/١، قال السيد الجلال : وأخرجه أبو داود ، والبيهقي عن أبي هريرة ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي إلى أبي داود (الأدب) والترغيب والترهيب ٥٤٨/٣، الدر المنثور ١٧٣/٢، ٤١٩/٦، ٦٢٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٩٣/٩، والتمهيد لابن عبد البر ١٢٤/.

أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين ، والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟قالوا : بلى يا رسول الله قال : أفشوا السلام بينكم)[(١)].

ومن نتائج الحسد كثرة المكر والخديعة ، فإن الحاسد أبدا ماكر خادع ، وإن لم يظهر ذلك فيه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المكر والخديعة في النار)[(٢)].

ومن نتائجه الشماتة بما يصيب المحسود من قبل الله تعالى ، أو من قبل غيره فلا شئ أحب إليه من أن تصيبه العاهات والبلايا في جسمه ، ولا أسر إليه من هلاكه وهلاك

---

(١) أخرجه الحافظ السمان في أماليه عن زيد بن علي عليه السلام ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٨٩/١، قال السيد الجلال : وأخرجه أبو داود والطيالسي ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، والشاسي ، وابن قانع ، والبيهقي في السنن ، وأحمد ، وابن منيع ، وسعيد بن منصور عن الزبير .

قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١/٥ إلى أحمد في مسنده ١٦٥/١، ١٦٧، والبيهقي في السنن ٢٣٢/١٠، ومجمع الزوائد ٣٠/٨، والتمهيد لابن عبد البر ١٢٠/٦، ١٢١، ونصب الراية للزيلعي ٣٥٥/٤، وعبد الرزاق في المصنف رقم ١٩٤٣٨، وجامع بيان العلم ٢٥٠/٢، ومشكاة المصابيح للتبريزي ٥٠٣٩، وإرواء الغليل للألباني ٢٣٨/٣، وشرح السنة للبغوي ٢٥٩/١٢، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٩٤/١، ٣٦٢/٦، ٥١/٨، والترغيب والترهيب للمنذري ٤٢٥/٣، ٥٣٨، والمغني للعراقي ١٨٣/٣، والكامل في الضعفاء لابن عدي ١٥١٥٠/٤، وكشف الخفاء للعجلوني ٥٢/٢ .

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب كما في مسند شمس الأخبار ٤٩٠/١، قال السيد الجلال : وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، عن قيس بن سعد بلفظه ، قلت : وهو بلفظه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦٨٣/٨، وعزاه إلى الحاكم في المستدرك ٦٠٣/٤، ومجمع الزوائد ١٠٢/١، وصححه الألباني رقم ١٠٥٧، والدر المنثور ، وفتح الباري ٢٥٦/٤، وتغليق التعليق لابن حجر بأرقام ٧٥٢، ٧٥٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠٨/٨، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٥٧٤/٢، ومكارم الأخلاق للخرائطي ٢٨.

وأورده أيضا في الموسوعة بلفظ (المكر والخدع في النار) وعزاه إلى الطبراني في الكبير ١٦٩/١٠، وإتحاف السادة المتقين ٤٨٦/٥، والترغيب والترهيب ٧٢/٤، وابن حبان (موارد الضمآن) ١١٠٧، وابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) ١٧٩/٤، وأورده أيضا في الموسوعة بلفظ (المكر والخديعة والخيانة في النار) وعزاه إلى تاريخ أصفهان ٢٠٩/١، ومراسيل أبي داود ٢٠، وابن عدي في الكامل ١٨٩٣/٣، وكنز العمال برقم ٤٣٧٢٥ .

جاهه وماله ، أو نقصان علمه ونسيانه ، هذا شئ مجبول عليه قلب الحاسد ، وإذا وقع فيه فهو فرحته وعيده .

وفي حديث النبي ﷺ (لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك)[١].

ومن نتائجه سوء الظن ؛ فإنه لولا حسد الحاسدين ، وبغض الباغضين ما ساءت ظنوهم ، ولا كثرت تخيلاتهم ، فإن الواحد من الناس ما لم يعترضه الحسد والبغضاء لصاحبه في وجه من الوجوه ، فإنه يحسن ظنه ، ولا يتهمه وإن كان على خلاف ظنه ولكن عين الرضاء تستر العيوب الكبيرة والكثيرة ، وعين الحسد والبغضاء تستعظم ، وتكشف العيوب الصغيرة والحقيرة.

وفي حديث النبي ﷺ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[٢].

وقال عليه السلام (إن حسن الظن من حسن العبادة)[٣] فهذا ذكر بعض من نتائج الحسد ، وإن كانت أكثر وأغزر ، فافهم وتجنب ، فهذا آخر ما ذكرناه من أبواب

---

(١) أخرجه القضاعي في الشهاب كما في مسند شمس الأخبار ٤٩١/١، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٥٥/٧، إلى إتحاف السادة المتقين ٥٣/٨، وتذكرة الموضوعات ٩٥٤، وحلية الأولياء ٢٨٦/٥، وبلفظ (لا تظهر شماتة بأخيك) عزاه إلى جامع مسانيد أبي حنيفة ٢٥/١، ٨٦، وبلفظ (لا تظهرن شماتة) إلى مسند أبي حنيفة ١٦٨، وبلفظ (فيرحمه الله ويبتليك) عزاه إلى الترمذي ٢٥٠٦، وشرح السنة للبغوي ١٤١/١٣، ٢٦٨، والترغيب والترهيب ٣١٠/٣، والمغني للعراقي ١٨٤/٣، والأذكار النووية ٣١١، وتاريخ بغداد ٩٦/٩، وتذكرة الموضوعات ٢١٧، والدرر المنتثرة في ا لأحاديث المشتهرة للسيوطي ١٧٨، واللآلي المصنوعة للسيوطي ٢٢٨/٢ .

(٢) المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٤٥/٢، وأحمد ٢٤٥/٢، والبخاري ٢٤/٧، ٢٥، ٢٣/٨، ١٨٥، ومسلم في البر والصلة ٢٨، والترمذي رقم ١٩٨٨، ومالك في الموطأ ٩٠٨، وأبو داود في الأدب باب ٢٥، وجمع الجوامع للسيوطي ٩٣٥٩، والأذكار النووية ٣٠٦، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٧٠/٧، والترغيب والترهيب ٥٤٥/٣ ، وتفسير القرطبي ٤٣٤/١٦، وتفسير ابن كثير ٢٠٥/٢، ٧٢/٥، ٤٣٤/٧، وانظر موسوعة أطراف الحديث ١٤٣/٤.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٢٩٧/٢، ٣٠٤، ٣٥٩، والحاكم في المستدرك ٢٢١/٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٦٩/٤، وهو في كتر العمال ٥٨٤٨، وتاريخ جرجان ١٥١، وتحفة الأحوذي ٢٩١/٤، والكامل لابن عدي ١٣٩٤/٤. وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣٠٨/١ .

الذنوب التي انطوى عليها حب الدنيا ، وإن كانت أكثر وأوفى وأغزر ، وهي نتائج الآفة الثانية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي الشهوة.

فانظر رحمك الله بعين الاستبصار ، وتوق الوقوع في مداحض الإغترار ، واحرس نفسك عن العثار ، واجر في ميدان الأخيار ، وتلفع بثياب الأبرار ؛ تنج من عذاب الأشرار ؛ وتسلم من البوار وتفارق النار ، وتسلم من البوار ؛ وتفارق الأشرار ، وتوافق الأطهار في دار الجبار العزيز الغفار.

الآفة الثالثة الغضب

اعلم أن الغضب شِرَّةٌ في النفس ، وحمية في القلب ، وجمرة في الجوف ، ضوؤها الكبر ، وحطبها الجهل ، ومادتها لهب العصبية والأنفة ، والشيطان مستقرها ، وما تناهت لهبتها وعظمت زفرتها إلا طار عنها العقل ، وانفرد حاكما عليها الجهل ، فكم حينئذ من قَصْر هُدِمَ ، ورأس صدم ، وأنف صلم ، ومظلوم ظلم ، وهي كثيرة التحريك للأعضاء السبعة بل لجميع البدن ، فإنه ما يسعر الغضب إلا رَقَّ الجسد واضطرب.

وقد روى عن علي عليه السلام قال : (خطبنا رسول الله بعد ما صلى العصر ، فما ترك شيئا هو كائن بين يدي الساعة إلا ذكره في مقامه ذلك ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه فقال في خطبته :(أيها الناس إن الدنيا خَضِرَةٌ حلوة ، وإن الله سبحانه مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الله ، واتقوا النساء ، واتقوا الغضب ، فإنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه ، وحمرة عينيه ، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليذكر الله سبحانه وتعالى))[1].

---

(١) أخرجه الإمام الناطق بالحق أبو طالب عليه السلام في الأمالي، وهو في مسند شمس الأخبار ٤٨٠/١، عن الأمالي ، قال المحقق : وأخرج مسلم ، والنسائي عن أبي سعيد صدره . قلت : وهو في كنز العمال من خطبة طويلة ٩٢٢/١٥، رقم ٤٣٥٨٧، عزاها إلى أحمد بن حنبل ، والترمذي ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي سعيد ، وهي في الترمذي رقم ٢١٩٢، وقال : حسن صحيح ، وصدر الحديث في

وصدق ﷺ فإن الواحد منا إذا ذكر الله وجلالته ، وعصيانه له مجاهرة بحضرة ملائكته ، وعفوه عنه مع ذلك فإنه ربما ارتدع وانزجر من موجب غضبه.

وعن أبي ذر[1] قال : قال خليلي رسول الله ﷺ : إ(ذا غضبت فاقعد ، فإن لم يذهب فاضطجع ، فإن ذلك يذهب عنك الغضب إن شاء الله تعالى)[2].

وفي حديث النبي ﷺ(من كظم غيظا وهو قادر أن ينفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي جوار شاء)[3].

واعلم أن الغضب على ضربين مذموم وممدوح .

فأما المذموم : فهو ما تقدم وهو الغضب للنفس فيما يعنيها من أمر دنياها من منافعها ومضارها وسائر أسبابها.

كتاب مسلم (الذكر) رقم ٢٧٤٢، وفي موسوعة أطراف الحديث عزاه إلى الحاكم في المستدرك ٦٨/٤، ومجمع الزوائد ٢٤٦/١٠، ومنحة المعبود رقم ٢٤٠٦، وانظر شواهده في موسوعة أطراف الحديث ٤١/٥ .

(١) أبو ذر الغفاري : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ، من بني غفار ، المتوفى سنة ٣٢هـ الصحابي الجليل ، أحد النجباء ، قديم الإسلام ، كان خامس من أسلم ، هاجر بعد وفاة رسول الله ﷺ بإذنه إلى الشام ، وأقام إلى وقت عثمان ، وسكن دمشق ، فشكاه معاوية إلى عثمان ، وطلبه الأخير إلى المدينة ، ثم نفاه إلى الربذة ، بسبب استنكاره لعبث بني أمية ، أخباره كثيرة ، وفيه قال رسول الله ﷺ (ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر) في سيرته كتب لأبي منصور ظفر بن حمدون ، ولابن بابويه القمي ، ولعلي ناصر الدين وغيرهم . انظر ترجمته ومصادرها في معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٣٣١، كما في مسند شمس الأخبار ٤٨١/١، قال السيد الجلال : وأخرجه أحمد وأبو داود ، وابن حبان ، عن أبي ذر بلفظ مقارب ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ض/٣٦، إلى جمع الجوامع للسيوطي برقم ٢٢٢٧، ٢٢٢٦، وإتحاف السادة المتقين ٢٤/٨ .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٤٠٨، عن سهل بن معاذ عن أبيه ، وهو في مسند شمس الأخبار ٤٨٢/١، وعزاه إلى القضاعي في مسند الشهاب ، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي عزاه إلى ابن ماجه ٤١٨٦، وأحمد ٤٤٠/٣، والبيهقي في السنن ١٦١/٨، وأبو داود رقم ٤٧٧٧، والمنذري في الترغيب ٤٤٩/٣، وتفسير الدر المنثور ٧٣/٢، ومجمع الزوائد ٢٧٥/٤، وكنز العمال ٥٨٢٤، والبغوي ٤٢/١، وإتحاف السادة المتقين ٥٤٩/٧، وتفسير ابن كثير ١٠٢/٢، وتفسير الطبري ٦١/٤، وأذكار النووي ٢٦٧، والعلل المتناهية ٢٣٩٢، وكشف الخفاء ٣٨٠/٢، وأورد في الموسوعة شواهد للحديث أنظرها ٥٢٨/٨ .

وأما الممدوح : فهو الغضب لله عز وجل فيما يغضبه من الخطيئات ، ويسخطه من السيئات ، فهذا من جملة كبار الحسنات ، وهو موجب لعالي الدرجات.

وفي حديث علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (قال موسى بن عمران عليه السلام : تباركت وتعاليت يا رب من أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟ قال : فأوحى الله عز وجل إليه : الطاهرة قلوبهم ، البرية أيديهم ، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبي الصغير باللبن ، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي الطير إلى أوكارها ، الذين يغضبون لمحارمي إذا استحلت كالنمر إذا طرد)[1].

وهذا الخبر قد أتى على جميع ما ذكرناه فإن (الطاهرة قلوبهم) قد عم طهارتها من كل الآفات ، (والبرية أيديهم) أراد بذلك طهارة الأعضاء الظاهرة ، وإنما خص اليد لأنها معظم ما تقع به الأفعال ، فهي الآلة الكبيرة ، ثم ذكر فعل الطاعات ، ثم ذكر من جملتها الغضب لله ، ووصفه بأشد ما يكون من الغضب ، فإن النمر أشد الحيوانات غضبا ، ويقال : لبس جلد النمر إذا كثر غضبه ، وكذلك المؤمن هو شديد الغضب على أعداء الله ، وفي زماننا هذا قد انطمس الغضب على أعداء الله من القلوب ، حتى صار الغاضب على أعداء الله سبحانه مستخفا به ، مسخورا عليه لكثرة الميل إلى أهل المعاصي ، والركون من علماء السوء إلى أرباب الدنيا ، فإذا كان العالم هو الباخس لهذا النوع من الطاعة فغيره ليس هو له بضاعة ، وهكذا جميع الذنوب يعظم في النفوس استنكارها ، ويكبر على العقل الدخول فيها ، فإذا ترك النهي عنها واعتيدت ، سهلت وخف استقباحها ، فإن تزيا بها من يتعلق بالعلم وينسب إليه صارت طاعة في غالب الأحوال ، فإن العلم يقتضي العمل ، هذه قضية مثبتة في كل قلب ، فمتى شوهد العالم عاملا بشيء عد ذلك من جملة علمه ، وصار حجة لغيره على منكره ، وكثيرا ما شاهدنا في زماننا هذا ، وسمعنا وعلمنا من كثرة

---

(١)أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٣٣١، بسنده إلى الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام

الإنكار على المؤمن ، متى اشتد غضبه على المحرم ، حتى أن الأكثر يعد ذلك جرحا فيه ، وقدحا في عقله ، وخروجا منه إلى طريق الجاهلين ، لما كثر التلبس بمخالطة الظالمين ، ومداهنة الفاسقين ، والمصاحبة لأعداء رب العالمين ، طمعا في الدنيا ، وايثارا للأولى على الآخرى ، ولو انتقد الواحد منا دنياه انتقاد البصير ، ونظر إليها بطرف حسير ، ولمسها بيد الاضطرار ، وعاشرها معاشرة اختبار لا اختيار ، وتفكر في الموت وما بعده ، من تغير البنية وفساد الآلة ، وتنكر الجوارح الحسية عن عاداتها المعتادة ، بحيث يصير المشتهى منفورا ، والمحبوب مكروها ، ثم في المصير إلى ضيق اللحد وظلمة القبر ، ثم السؤال والبعث ، والحشر بعد النشر ، والحساب والعقاب والثواب ، لوقف من ذلك على علم نافع شاف ، لجميع الأدواء رافع كاف .

فنسأل الله أن يطهر قلوبنا بماء التبصر ،وأن ينورها بضياء التفكر ، وأن يجعلنا نقلدا لضرائب القلوب ، أطباء لأدواء الذنوب ،قبل أن يكون الناقد وحده هو الملك الديان ، والطبيب العارف بطبها هو مالك الغضبان ، ونستغفر الله من جميع الأسواء ونعوذ به من ركوب الهوى ، ونصلي ونسلم على محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تكملة لما سبق

قد عرفت أيها الطالب ما يتعلق بكل عضو من الأعضاء الظاهرة والباطنة ، فينبغي أن تحرس نفسك في جميع أحوالك من تروكك وأفعالك ، وأنفاسك وألحاظك ، وحركاتك وسكناتك ، وأصواتك وإنصاتك ، ولا تجعل شيئا من ذلك في معصية الله تعالى ، ولا تخرج به عن طاعته ، وليس دون أن يكون فعلك طاعة الله إلا خروجك عن كونه معصية ، وإلا فأنت إذا قصدت بالمباح القربة صار طاعة ، ولا تستكثر في عينك من الطاعة كثيرا ، ولا تستصغر في عينك من المعاصي صغيرا ، ولا يدعوك قول قائل : إن الله غفور رحيم إلى أن تتجاسر على هتك حرمته بارتكاب معصيته فتكون من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فإن هذه كلمة حق أردت أنت بها الباطل ، وقصد الله تعالى بها

الصدق ؛ فإنه تعالى بلا شك غفور رحيم ، عفو كريم ، ومن كرمه وغفرانه جعل المعاصي التي صغيرها عظيم في حقه قسمين : قسم أسقطه بغير عناية سماه صغيرا ، وقسم أسقطه بالتوبة وسماه كبيرا ، وجعل التوبة شيئا يسيرا ليس إلا الندم والعزم ، وجعل الطاعات التي يصغر كبيرها في حقه عظيمة ، فجعل على كل واحدة منها عشرا ، ولم يجعل على المعصية التي أسقطها بالتوبة إلا جزأ واحدا ، ثم جعل الثواب على قيام خمس ساعات في اليوم والليلة ملكا لا يبلى ولا ينفد ولا يحصى ولا يعد ، من كل جنس من الأجناس ، ولو قام عبد رجل في خدمته الليل والنهار وطلب منه ألف دينار أو أقل لسخر به العقلاء ، ولو قال له مولاه : إذا لم تزن بجاريتي بحضرتي ولم تشتمني في وجهي ـــ وليتك على أهل ولايتي لَعُدَّ ذلك غاية الكرم الذي لا يفعله إلا الله تعالى ، فإنه قال لعبيده : متى لم يفعلوا ذلك ، ولم ينتهكوا معصيته حيث يراهم فإنه يعطيهم نعيما خطيرا ، وملكا كبيرا .

وهذا معنى كرم الله تعالى وعفوه ورحمته ، ومن أكرم منه وأحلم ؟!وأعلى وأعظم !جل وتعالى عن شبيه ونظير ، ومثل ونديد ، فأما أن تجترم الجرائم ، وترتكب العظائم ، وتستخف بحق مولاك وتكفره فيما أولاك ، وتقول بأنه لا يعذبك فتكذبه في وعيده ، وتعد ذلك من جملة جوده ـــ فهذا غاية الحماقة والسخرية ، والكذب على الله تعالى ، وما ذاك من قائله إلا ميل إلى اللذات ، وإخلاد إلى الشهوات ، واعتذار للنفس بالترهات.

وفي حديث النبي ﷺ أنه قال : (ليَخْلَقَنّ القرآن في قلوب أقوام ، فيتهافت كما تتهافت ثيابهم ، قالوا : يا رسول الله وما التهافت ؟ قال : التساقط لا يجدون له لذة ولا حلاوة إن قصروا عما أمروا به قالوا : إن الله غفور رحيم ، وإن انتهكوا ما نهوا عنه قالوا : سيغفر لنا ما لم نشرك ، أمرهم على الطمع ، لا تخالطهم مخافة ، يلبسون

جلود الضان على قلوب الذئاب ، خيرهم فيهم المداهن)[1] .

وهذا الحديث قد شفي فيما ذكرناه وكفي.

فهذه جملة ما أوردناه من تهذيب النفس بترك المعاصي والمناهي على الجملة ، فجدير بنا أن نبتدئ الآن في تهذيب النفس بطاعة الله تعالى في المعاشرة لخلقه.

القسم الثاني

وهو تهذيب النفس بحسن الخلق مع المخلوق

اعلم يا أخي أيدك الله بمواد التوفيق ، وهداك إلى واضح الطريق أن هذا البحر بحر عميق لا يلجه في الغالب إلا غريق ، ولا يسلم منه إلا صديق ، بلى من اعتزل سُفُنَهُ سلم مِحَنَه ، ومن لم يُمِرَّه لم يَضُرَّه ، أعني بهذا معاشرة البرية ، فإنك لا تدرك لرضاهم غاية ، ولا تبلغ في محبوهم إلى نهاية ، حتى إن طاعة الرب الجليل أسهل من طاعة العبد الذليل ، فإن رضاء الناس غاية لا تنال ؛ لأن الطبائع مختلفة ، والدواعي والصوارف غير مؤتلفة ، وإدراك كل المرضيات ليس في الطاعات ؛ ولأجل هذا الإختلاف في الطبائع اختلفت الشرائع ، وما يصلح أن يعاشر به في زمان لا يصلح في كل زمان ، ولا لكل إنسان ، ولا في كل مكان ، بل يختلف ذلك بحسب اختلاف الزمان والمكان ، والطبائع في الأعيان.

فالطالب لمعاشرة العباد على وجه السداد يفتقر إلى رؤية جائلة ، وخبرة طائلة ، وغريزة كاملة ، وإذعان من النفوس لقبول ما تلقيه الخبرة ، وتقضي به التجربة ، ومساعدة الذهن على احتمال هذه الأحوال وإن عسرت ، واستعداد من الأعضاء الجسمانية للخدمة بحسب ذلك وإن شقت، وهذه خلعة لو كملت لبستها في إنسان

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ١٥٥ ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢١٨/١ ، عن الأمالي ، قال السيد الجلال : أخرجه الديلمي عن ابن عباس ، إلى قوله (لا تخالطهم مخافة) .

لخرت له الأذقان ، ولخدمه الثقلان ، ولانطوى على محبته كل جنان ؛ لكن ليست نكمل في العباد ، ولا يذعن لها الذهن باستعداد.

ثم لو قدرنا أن الأذهان اهتدت إلى إدراك كليتها ، وأن الأعضاء قويت على تحمل جملتها فإن الله تعالى أعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين قد شرع من الشرائع ما لا يوافق كل الطبائع ، فإن مجموع الطباع خلقت من استعجال الإنتفاع ، ودفع المضار بإجماع ، وغبي عنها من مكنون الحكم ما أدركه باري النسم ، وإلا فما قصد العدل الحكيم إلا نفعها ، ولا أراد إلا رفعها لا وضعها ، فلو اطلعت كلها على ما كان أعد لها ، مازالت طائعة خاضعة مذعنة خاشعة ، لكن ليس الخبر الصدق عندها كنظر العين ، ولا الدرهم النقد في حكمها كالدينار الدين ، فمن هاهنا تاهت في العاجلة ، واختارت الدنيا على الآخرة.

ومهما صح عندك ما بينت ، وتحقق لديك معنى ما شرحت ، اتضح لك أنه لا يمكن أن ترضى عنك جميع العباد ، ولو اجتهدت كل الإجتهاد ؛ لكن إرضاءهم في المعاشرة يتزايد في الإنسان بحسب العقول والأذهان ، ومن دخل في خدمة الملك الجبار ، واختار من أمره ما اختار ، نظمه في سلك الأطهار ، وجعله في زمرة الأبرار ، وأرضى عنه الأخيار ، وأدنى بمودته الأشرار ، حتى يصير منظورا بعين الإجلال ، معدودا في أهل الكمال ، وإن كان سخيف البزة ، فهو مرتد بالعزة من ذي العزة.

فعليك من الأخلاق السنية بما يرضاه عالم الخفية ؛ فإنه تعالى لا يريد منك ظلم عباده ، ولا الإفساد في بلاده ، كما لا يرضاه منك سلطان بلدك وأمير قطرك ، وكلما حسنت منك عشرتهم ظهرت لك بفضل الله تعالى مودتهم ، وزانت فيك كلمتهم.

والآن أرشدك إلى حسن المعاشرة مع العباد ، على حسب المراد ، من غير إيغال ولا إقلال ، ولا تطويل ولا إملال إن شاء الله تعالى ، ومنه استمد التوفيق والتسديد والإعانة والتأييد والصلاة على محمد وآله.

الإرشاد إلى حسن المعاشرة مع العباد

اعلم أن المعاشرة الحسنة إنما هي الأخلاق المستحسنة ، وهي الارتداء بالأثواب الناظرة في أعين الطبائع الموافقة للعقول والشرائع ، فإن من ارتداها عظمت جلالته ، وحسنت حالته ، وكثرت مهابته ، ووجبت محبته ، ولزم شكره ، وفشا في السماء والأرض ذكره.

وفي حديث النبي ﷺ قال : (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وأنه لضعيف العبادة ، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درك من جهنم).[1] وعنه ﷺ أنه قال : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)[2].

وعن أبي حازم[3] قال : (إن أسعد الناس بحسن الخُلُقِ لَنَفْسُه ، هي منه في راحة ، ثم زوجته، ثم ولده ، ثم أصحابه ، حتى إن فرسه لتصهل إذا سمعت صوته.وإن سيء الخلق أشقي الناس به نفسه ، هي منه في بلاء ، ثم زوجته، ثم ولده ، ثم خدمه ،وإنه ليدخل بيته وهم في سرور فيتفرقون منه فرقا).

---

(١) أخرجه بلفظه الطبراني ، والضياء ، عن أنس ، كما في كنز العمال ٥/٣ رقم ٥١٤٩، وأورد طرفه في الموسوعة ، وعزاه الكنز ، وإلى الطبراني ٢٣٣/١، ومجمع الزوائد ٢٤/٨، والترغيب والترهيب ٤٠٤/٣، وجمع الجوامع ٥٧٢٣، وإتحاف السادة المتقين ٣٢٤/٧، وتفسير ابن كثير ٣٤٦/٦، والدر المنثور ٥٧/٢، ومكارم الأخلاق للخرائطي ١٠، والمغني للعراقي ٥٠/٣، ٥١، وكشف الخفاء ٢٧٩/٢، وانظر الموسوعة ١٠٧/٣ .

(٢) الحديث أورده في كنز العمال ٦/٣ رقم ٥١٥٨، بلفظ (إنكم لا تسعون الناس) الخ ، وعزاه إلى البزار ، وأبي نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي هريرة ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٠٦/٣، إلى المطالب العالية ٢٥٣٩، والترغيب والترهيب ٤١١/٣، وفتح القدير ٤٥٩/١٠، وإتحاف السادة المتقين ٢٢/٦، ٣٢/٧، ٣٣٧، والمغني للعراقي ٤٩٠/٣ .

(٣) أبو حازم : لعله الأعرج التمار ، سلمة بن دينار ، المتوفى سنة ١٤٠هـ وقيل سنة ١٣٥، عالم المدينة وقاضيها ، قالوا : كان زاهدا عابدا ، بعث إليه سليمان ابن عبد الملك ليأتيه ، فقال : إن كان له حاجة فليأت وأما أنا فما لي حاجة إليه . انظر معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ، رأب الصدع ١٩٣٦/٣ .

وأقول : صدق أبو حازم ، فإن حسن الخلق يبلغ بصاحبه منازل الأحرار ، ودرجات الملوك ، ولو أنه مملوك ، فهذه غاية السعادة. وسوء الخلق يبلغ بصاحبه إلى منازل العبيد والأراذل ، ولو كان في الملك الطائل.

واعلم أنك لن تتزيا بحسن الخلق في المعاشرة ، حتى تتلفع من الثياب الفاخرة بعشرة فإن المتردي بحسن الأخلاق في المعاشرات هو حسن المواتاة ، ولهذا سئل النبي ﷺ عن حسن الخلق فقال :(هو موافقة الناس ومواتاتهم ما لم يكن لله معصية) فالبسها قشيبة ، وخذها إليك غريبة.

الأول منها : الحلم ، والصبر ، وقبول العذر.

هذه الخصال من أشرف الخلال ، ومن لبسها فقد ارتدى الكمال ، وتزيا بالجمال ونطق بمدحه اللسان ، وطال على الأقران ، وهي عماد الدين ، وأصل فرائض رب العالمين.

وفي حديث النبي ﷺ : (العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والبر أخوه ، والصبر أمير جنوده)[١].

وعنه ﷺ (وجبت محبة الله على من أغضب فحلم)[٢].

وعنه ﷺ (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله أنه يُشْرَك به ، ويُجْعَلُ له ولد

---

(١) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٦٨/١، عن علي عليه السلام موقوفا ، وأورده في كنز العمال ٩٠٣/١٥، بأرقام ٤٣٥٥٧، ٤٣٥٥٩، بألفاظ متقاربة ، وعزى الأول إلى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلا ، والثاني إلى الحكيم عن ابن عباس ، والثالث : كذلك ، كما أورده أيضا في كنز العمال رقم ٢٨٦٦٣، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان ، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥١٦/٥، إلى الأمالي الخميسية ، وكنز العمال ، وإلى إتحاف السادة المتقين ٤٨/٨، ٤٩، وتاريخ جرجان ٣١٢، والمغني للعراقي ١٨٢/٣ .

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٨٢/١، وقال السيد الجلال : أخرجه ابن عساكر بلفظه ، قلت : وقد عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤١٧/١٠، إلى البخاري ١٢١/٢، والبيهقي في السنن ١٢٣/١٠، ٢٠٩، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٣٦/٣، ٣٧/١٢، ومشكل الآثار للطحاوي ٢٨٨/٤، ٢٨٩، ٢٩٠، والمطالب العالية ٧٤٩، ومجمع الزوائد ١٦٣/٣، وإتحاف السادة المتقين ٧٥/٤، ٣٧/١٠، ٤٦٩، والدر المنثور ١٤٤/١، ١٨٢، ٢٧٥/٣ .

ثم هاهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم)[1].

وفيما ذكره عظة بالغة لمن أغضب ، لأن مترلته مترلة أصغر العبيد ، والاستخفاف من العبد بالعبد لا يبلغ في العظم مترلة الاستخفاف من العبد الذليل بالرب الجليل ، فمهما كان العفو من الأعظم في الجرم الأعظم يحسن ، فمن الأصغر في الذنب الأصغر أولى بالحسن فافهم.

وعنه ﷺ (من اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل عذره جاء يوم القيامة وعليه مثل ما على صاحب المكس)[2].

وعن قتادة[3] : (أفضل الناس أعظم الناس للناس عفوا ، وأسلمهم لهم صدرا).

ادخل رجل على مصعب بن الزبير[4] ، وقد كان أحدث حدثا ، فدعا له بالسياط ، فقال الرجل : أسألك بالذي أنت بين يديه يوم القيامة أذل مني بين يديك الساعة أن تعفو عني . فترل مصعب عن السرير ، وألصق خده بالأرض وقال : قد عفوت.

وقال رجل للأحنف[1] : لئن قلت واحدة لتسمعن مني عشرا فقال الأحنف : لكنك إن قلت عشرا لم تسمع مني واحدة.

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين باب ٩ رقم ٤٩، بلفظ (لا أحد أصبر من الله) الخ ، وأحمد ٣٩٥/٤، ٤٠٥، وهو في الدر المنثور ١١٠/١، وكتر العمال رقم ٦٥٢٤ ، وعزاه إلى أحمد ، عن أبي موسى ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٩/٧، إلى من سبق .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في الأمالي ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٨٥/١، قال السيد الجلال: أخرجه ابن ماجه ، والضياء ، وصححه السيوطي ، وابن حبان في روضة العقلاء ، وقال : حسن غريب ، والبغوي ، والبارودي ، والطبراني في الكبير ، وابن قانع ، والبيهقي في الشعب .

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب السدوسي البصري [٦٠ ــ ١١٨هـ] فقيه محدث مفسر ، مؤرخ نسابة ، له مؤلفات ، انظر ترجمته في معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين .

(٤) مصعب بن الزبير : هو أخو عبد الله بن الزبير ، وقد تولى مع أخيه في مكة أيام الحجاج ، وقد نال أهل البيت من مصعب أشد البلاء أيام ولايته مع أخيه .

وقال رجل لمالك بن دينار[٢] : يا مرائي. فقال مالك : يا هذا وجدت أسمى الذي أضلته أهل البصرة منذ سنين , قيل للشعبي[٣] : فلان يكثر الوقيعة فيك . فقال :

هنيئا مريئا غير داء مخامر — لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقيل لسالم بن المبارك : إنك شيخ سوء. فقال : ما أراك بعدت.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من لم تكن فيه ثلاث لم يجد طعم الإيمان : حلم يرد به جهل الجاهل ، وورع يحجره عن المحارم ، وخلق يداري به الناس)[٤] . شعرا :

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا — حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فتري الأجفان مسفرة — لا عفو ذل ولكن عفو أحلام

وعن الأحنف : "ما نازعني أحد إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصال : إن كان فوقي عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه".

وشتم رجل عمرو بن عبيد ، فقال عمرو : (قم يأجرك الله ما ذكرت من صواب ، وغفر لك ما ذكرت من خطا).

وسئل بعض الأعراب : من سيدكم ؟ فقال : من احتمل شتمنا ، وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا.

تم الأول

---

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية المري السعدي ، المنقري التميمي ، أبو بحر [٣ قبل الهجرة ــ ٧٢ هــ] سيد تميم وحليمها ، ومضرب المثل في الحلم ، قيل : أدرك زمان النبي و لم يره ، وذكره البعض من الصحابة ، شهد صفين مع أمير المومنين ، وفي أخباره كتاب لعبد العزيز الجلودي ، انظر معجم رجال الاعتبار .

(٢) مالك بن دينار البصري ، أبو يحي المتوفى سنة ١٣١هــ وقيل : ١٢٧هــ وقيل : ١٣٠هــ محدث ورع زاهد . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي الحميري ، أبو عمرو [١١ ــ ١٠٣هــ أحد أعلام التابعين ، فقيه محدث ، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث ، وشهد وقعة الجماجم ، ثم نجا ، وعفا عنه ، مولده ونشأته بالكوفة ، واتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ، عده بعض المؤرخين من رجال الشيعة ، انظر معجم رجال الاعتبار .

(٤) أورده الهيتمي في مجمع الزوائد ٢٤/٨، وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

الثاني منها : المداراة والمسامحة

هذه الخصلة هي أخت الأولى وتلوها ، التي لا تتم الأولى إلا بها ، ومن كثرت مداراته حسنت عشرته ، وقلت عداوته ، وكثرت محبته ، وغلب عدوه ، وبلغ أمنيته وقد قال تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[1] أمرهما بالمداراة.

وعن النبي ﷺ (كل مداراة صدقة ، مداراة الناس صدقة)[2].

وعنه ﷺ (إياك ومشارّة الناس)[3].

وعنه ﷺ (إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض)[4].

وقال ﷺ :(رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، ولن يهلك امرؤ بعد مشورة)[5].

وعنه ﷺ (إن لله ملكا نصفه من نار ، ونصفه من ثلج يقول : اللهم كما ألفت بين الثلج والنار فكذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين)[6].

وقال رجل لأبي ذر : أنت الذي نفاك معاوية من الشام ؟ لو كان فيك خير ما

---

(١) طه : ٤٤ .

(٢) في مجمع الزوائد ١٧، عن جابر بن عبد الله بلفظ (مداراة الناس صدقة) قال : رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ١/٤٨٢ .

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣/١٤٠، إلى جمع الجوامع رقم ٤٧١٣ ، والدر المنثور ٢/٩٠ ، وتفسير ابن كثير ٢/١٢٨، والميزان ١٢٠٥، ولسان الميزان ٢/٩٣ ، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/٤٤٧

(٥) عزاه بلفظ في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥/٧٦، إلى الدر المنثور ٣/٢٥٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٨/٢٦١، وقضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ١٧، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٣٠١، وضعفاء العقيلي ٢/٢٤٢، وبلفظ (التحبب إلى الناس) الخ إلى مجمع الزوائد ٨/١٧، ٢٤، ابن عساكر ٤/٣٦٤ ، ونـز العمال ٥١٧٢، وحلية الأولياء ٣/٢٠٣ ، ومسند الشهاب ٢٠٠، وبلفظ (التودد) إلى مصنف ابن أبي شيبة ٨/٣٦١، ونـز العمال في مواضع متفرقة ، وغيرها . انظر الموسوعة

(٦) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣/٤٠٠، إلى المغني للعراقي ٢/١٥٨، وإتحاف السادة المتقين ٦/١٧٨، وبلفظ (نصف جسده الأعلى) إلى جمع الجوامع ٦٩٨٦، وبلفظ (نصفه الأعلى) إلى إتحاف السادة المتقين ٦/٢٧٨، ١٠/٢٨٠، وكنز العمال ١٥١٧٤، وعزاه في كنز العمال إلى الديلمي ، عن ابن عباس .

نفاك. فقال : يا ابن أخ إن ورائي عقبة كئودا إن أنا نجوت منها لم يضرني ما قلت. وإن لم أنج منها فإني شر مما قلت)[1].

وقال عمر[2] لطلحة[3] : (قلبي لا يحبك أبدا. فقال : معاشرة جميلة يا أمير المؤمنين فإن الناس قد يتعاشرون على البغضاء).

وقال معاوية[4] : (لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل : وكيف ؟ قال : إذا خلّوا مددتها ، وإذا مدوا خليتها). وهذه كلها حكمة منه قاتله الله .

وعن النبي ﷺ (لا تعادين أحدا حتى تنظر كيف صنعه فيما بينه وبين ربه ، فإن كان حسن الصنع ، فإن الله لا يسلمه إليك بعداوته إياك ، وإن كان سيئ الصنع فإن خطاياه تكفيه).

الوضين بن عطاء[5] :(ما سلمت على عدوك تسليمة إلا حللت من على صدره عقدة).

وقال هلال الرقي[6]: (تدبرت هذه الأبيات فاسترحت من غم العدوان) وهي هذه

إذا عفوت و لم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من غم العداوات

---

(١) أبو ذر الغفاري ــ تقدمت ترجمته قريبا ، ويروى مثل هذه القصة أيضا للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام .

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص الفاروق توفي سنة ٢٣ هـ ثاني الخلفاء ، أخباره مشهورة . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني ، أبو محمد [٢٨ قبل الهجرة ــ ٣٦هـ] صحابي ، أحد الستة الذين اختارهم عمر للشورى ، قتل يوم الجمل ، وهو بجانب عائشة ، ودفن بالبصرة ، وكان بايع الإمام عليا عليه السلام ، ثم ذهب إلى مكة ونكث ، وهو أحد المحرضين لوقعة الجمل .

(٤) معاوية بن أبي سفيان ، أول حاكم أموي ، وأول من أحدث الفتن في الإسلام ، وشاق الله ورسوله ، مشهور ودهاؤه دهاء مكر وخديعة ، ألف فيه كتب ، من أفضلها ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

(٥) الوضين بن عطاء بن كنانة بن عبد الله بن مصدع الخزامي ، أبو كنانة ، ويقال : أبو عبد الله الدمشقي ، المتوفى سنة ١٤٧هـ وقيل : سنة ١٤٩هـ وقيل سنة ١٥٠هـ محدث ، وثقه البعض ، واتهمه البعض الآخر .

(٦) هلال بن العلاء بن هلال الباهلي ، مولاهم ، أبو عمرو الرقي [١٨٤ ــ ٢٨٠هـ] محدث مشهور .

إني أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات
ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء دواء الناس تركهم وفي الجفاء لهم قطع الأخوات
فخالق الناس واصبر ما بقيت لهم أصم أبكم أعمي ذا تقيات

وبلغ الصاحب أن من المتصلين به من يستر بموته فقال :

ولو علم المسكين ماذا يناله من الذل بعدي مات قبل

الثالث منها العدل والأنصاف

هذه الخصلة وهي حسن السياسة تورث الرياسة ، وتبني السؤدد ، وتنتج القبول والسمع والطاعة ، فإن من كثر عدله ، وظهر إنصافه في حكمه رضي الغير برئاسته عليه ، وسهل عنده أن يجره خصمه إليه.

وفي حديث النبيﷺ أنه قال : (إن المقسطين في الدنيا على منابر من نور يوم القيامة بين يدي الرحمن ، كما أقسطوا في الدنيا)[1].

وعنه ﷺ (خمسة غضب الله عليهم ، إن شاء أمضي عليهم غضبه في الدنيا وإلا فثواهم في الآخرة النار ، أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ، ولا ينصفهم من نفسه ، ولا يدفع الظلم عنهم. وزعيم قرية يطيعونه ، ولا يسوي بين القوي والضعيف ، ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ، ولا يعلمهم أمر دينهم ، ولا يبالي إذا أخذوا دنياهم ما تركوا من دينهم ، ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولا يؤتيه أجره ، ورجل ظلم امرأته مهرها).

وعن كعب[1] "إني أجد في كتاب الله المنزل أن الظلم يخرب البيوت" . قال ابن عباس : أنا أجد ذلك في القرآن {**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**}[2] ..

---

(١) أخرجه مسلم في الأمارة ٥٨، والنسائي ٢٢١/٨، والخطيب ٣٦٧/٥، وابن أبي شيبة ١٢٧/١٣، وهو في جمع الجوامع ٥٩١٤، ومشكاة المصابيح ٦٣٩٠، وكنز العمال ١٤٦٠٣، والترغيب والترهيب ٦٠/٣، كما في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٥٢/٣، وانظره فيها بلفظ (منابر من لؤلؤ) .

وحبس الرشيد رجلا فكتب إليه : "ما من يوم يمضي من نعيمك إلا يمضي فيه من بؤسي ، والأمر قريب ، والحكم الله" . قال : فخلي سبيله. ولبعضهم :

كلما مر من سرورك يوم ... مر في الحبس من بلائي يوم
لا لنعمي ولا لبؤسي دوام ... لم يدم في النعيم والبؤس قوم

الرابع منها النصيحة للكافة

الأحمر والأسود ، والبر والفاجر ، والصغير والكبير ، هذه الخصلة عظيمة شريفة ، وصاحبها محبوب مقبول.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(قال الله تعالى : أحب ما تعبد به عبدي النصح).

وعن جرير بن عبد الله[3] قال:"بايعت رسول الله بيدي فاشترط علي النصح لكل مسلم"

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة. فقيل : يا رسول الله : لمن ؟ فقال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين[ولعامتهم])[4].

قال ميمون بن مهران[5] لبعض إخوانه : "قل لي في وجهي ما أكره ؛ فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه .

---

(١) كعب : لعله كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري ، أبو إسحاق المشهور بكعب الأحبار ، المتوفى سنة ٣٢ هـ كان يهوديا فأسلم ، وأدخل الكثير من الإسرائيليات إلى التفسير والتاريخ الإسلامي . أنظره معجم رجال الاعتبار .

(٢) النمل : ٥٢ .

(٣) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي القسري ، أبو عمر اليماني ، المتوفى سنة ٥٠هـ عد من الصحابة ، وأسلم في سنة وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وانظر كلام جرير في تهذيب التهذيب ٦٣/٢، وفي مجمع الزوائد ٨٧/١، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم رجعت فدعاني ، فقال : لا أقبل منك حتى تبايع على النصح لكل مسلم ، فبايعته ، قال الهيتمي : رواه الطبراني في الصغير ، وإسناده حسن .

(٤) من الأحاديث المشهورة ، انظر مصادره في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٤/٥ .

(٥) ميمون بن مهران الرقي ، أبو أيوب [٣٧ ــ ١١٧]هـ فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة في الكوفة وأعتقته ، ونشأ بالكوفة ، واستوطن الرقة ، فكان عالمها ، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها ، كان ممن غزا إلى قبرص ، كثير العبادة . انظر الأعلام ٣٤٢/٧ . ومعجم رجال الاعتبار .

وعن عبد الوهاب السكري[1] قال : كان يقال : كيف ينصحك من يغش نفسه !

الخامس منها الحياء والرفق والتأني

اعلم أن هذه الخصال سبب كل خير ، ومن كساه الحياء ثوبه ستر عن العيون عيبه ومن رفق في الأمر هان عليه المدخل والمخرج ، ومن تأني كاد يغلب القدر.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار)[2] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من ألقي جلباب الحياء فلا غيبة له)[3] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة)[4] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا ، قاربوا وسددوا)[5] .

---

(١) لعله : عبد الوهاب بن أحمد بن محمد السكري ، قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣١/١١ : حدث عن الحسين بن محمد بن سعيد المطبقي ، وحدث عنه عبد العزيز الأزجي [وهذا كل ما ورد في ترجمته] .

(٢) أخرجه في المجالس برواية السمان خ ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٧١/١، قال السيد الجلال : أخرجه الترمذي ، والبيهقي ، في الشعب عن أبي هريرة ، وابن ماجه ، عن أبي بكرة ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب عن عمران بن الحصين ، وهو في مسلم ، وعنه الترمذي رقم ٢٠٠٠٩، وأبو داود ٢٦١٥، وابن ماجه ٤١٨٤، وابن حبان ، والطبراني في الكبير ١٨٧/١٨، والبغوي في شرح السنة ١٧٢/١٣، والترغيب والترهيب ٣٩٨/٣، وإتحاف السادة المتقين ٢٥٥/٢، وكنز العمال بأرقام ٥٧٥٨، ٥٧٦٨، وانظر موسوعة أطراف الحديث ٥١٧/٤ .

(٣) أخرجه الحافظ السمان في أماليه خ ، كما في شمس الأخبار ٤٧٦/١، ٥٥٧/٧، والمغني للعراقي ٢١٧/١، ١٠٥/٣٢، والخطيب البغدادي ١٧١/٤، ٤٣٨/٨، وتفسير القرطبي ٧٣٩/١٦، وغيرها .

(٤) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٢٨/٢، وهو في مسند شمس الأخبار ٤٧٧/١، عن مسند الشهاب ، قال السيد الجلال : أخرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن عن أبي الدرداء ، قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث إلى مسند الحميدي ٣٩٣، وأحمد ١٥٩/٦، والبيهقي ١٩٣/١٠، وابن أبي شيبة ٣٢٣ ، والبخاري في الأدب المفرد ٤٦٤، والبغوي في شرح السنة ١٤/١٣، وأبي نعيم في الحلية ١٥٩/٩ ، وغيرها ، انظر الموسوعة .

(٥) رواه في مسند شمس الأخبار ، عن مسند الشهاب ٤٣٢/١، قال السيد الجلال : وأخرجه أبو داود الطيالسي ، وأحمد ، والشيخان ، والنسائي ، عن أنس . قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي

ولما سب أصحابه الأعرابي الذي بال في المسجد قال : (أرشدوا صاحبكم ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه)[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (الرفق يمن ، والخرق شؤم ، وإذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق ، وإن الرفق لم يكن في شئ قط إلا زانه ، وإن الخرق لم يكن في شئ قط إلا شانه ، وإن الحياء من الإيمان ، وإن الإيمان في الجنة ، وإن الحياء لو كان رجلا لكان رجلا صالحا ، وإن الفحش من الفجور ، وإن الفجور في النار ، ولو كان الفحش رجلا في الناس لكان رجل سوء ، وإن الله لم يخلقني فحاشا)[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من تأني أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد)[3].

ولبعضهم شعرا :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تَسْتَحْيِ فافعل ما تشاء

فلا وأبيك ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ويحكي أن جارية للصادق عليه السلام جاءت بقصعة مملوءة مرقة لعشائه ، وكان عنده

٣٢٥/١١، إلى أحمد ٢٣٩/١، ٢٨٣، ٣٦٥، ث/١٣١، ٢٠٩، والبخاري في الأدب المفرد ٤٧٣، وتغليق التعليق ١١٨٣، وعبد الرزاق ١٦٥٩، ١٦٦٢، وحلية الأولياء ٨٤/٣، وتفسير ابن كثير ٣١٢/١، وتفسير القرطبي ٣٠٢/٢، والدر المنثور ١٩٢/١، وكنز العمال ٥٤٢٩، ٢٧٢٨، وغيرها . انظر الموسوعة .

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٧٧/١، وقال السيد الجلال : وأخرج البخاري عن أبي هريرة بلفظ (بال أعرابي ..) الخ .

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٩٧/٢، وهو في مسند شمس الأخبار ٤٧٥/١، قال السيد الجلال : وأخرجه البيهقي في شعبه بطوله ، وضعفه السيوطي . قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٦٤/٥، إلى مجمع الزوائد ١٩/٨، والدر المنثور ٥٦/٢، وكنز العمال ٥٤٤٧، ٥٤٤٨، والترغيب والترهيب ٤١٦/٣، وغيرها . انظر الموسوعة .

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٤٧٧/١، وقال السيد الجلال : أخرجه الطبراني في الكبير ، عن عقبة بن عامر ، وصححه السيوطي . قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٧٥/٨، إلى الطبراني ٣١٠/١٧، ومجمع الزوائد ١٩/٨، وكنز العمال ٥٦٧٨، وإتحاف السادة المتقين ٢٢٥/٥، وكشف الخفاء ٣٣٥/٢ .

ضيف فعثرت بها فأهوت بها على رأسه ، فقال : يا جارية أحرقتني . فقالت : يـا معلم الخير ومؤدب الناس ، وابن رسول الله ارجع إلى ما قال الله . قال : وما قال الله ؟ قالت : قال : {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}[١] قال : قد كظمت غيظي . قالت : {وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ } قال : قد عفوت عنك . قالت : {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} قال : أنـت حرة لوجه الله[٢] .

السادس منها التواضع

اعلم أن التواضع أرفع شئ للرفيع ، والتكبر أو ضع شئ للوضيع ، والتواضع رافـع للعداوة ، وجالب للمودة ، وهو عظيم القدر عند الله .

(أوحى الله تعالى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد علـى أحد) بهذا أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن يد الله مبسوطة على خلقه ، فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضع نفسه رفعه الله ، ولا يمشى امرؤ على الأرض شبرا يبغي سلطان الله كـبرا إلا أكبه الله)[٣] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من لبس الصوف ، وانتعل المخصوف ، وركب حماره ، وحلب شاته ، وأكل مع عياله ، فقد نحي الله عنه الكبر ، إني عبد وابن عبد ، أجلس جلسة العبيد ، واكل أكلة العبيد)[٤] ولم يأكل طعاما إلا وهو جاث على ركبتيه.

ومر المهلب بمطرف بن الشخّير وهو يتبختر في جبة خز ، فقال مطرف بن عبد الله: ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله ، فقال المهلب : أما تعرفني ؟ فقال : بلـى أعرفك أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وتحمل فيما بين ذلك عذرة. فترك

---

(١) آل عمران : ١٣٤ .

(٢) وتروى الحكاية في أكثر من مصدر عن الإمام زين العابدين عليه السلام .

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣/٤٧٤، إلى الدر المنثور ٤/١٢٥ .

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨/٥٣٣، إلى الدر المنثور ٤/١١٥، ١١٦، وإتحـاف السـادة المتقين ٨/٤٠٥، وله شواهد أوردها في الموسوعة .

المهلب تلك المشية ومضي.

ومر رسول الله ﷺ بخياط يأكل التمر في دكانه فدعاه ، فجلس على حرف الدكان يأكل معه ، فكأن القوم أعظموا ذلك فقال : (نعم لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدي إلى ذراع لقبلت) .

السابع منها الوفاء وأداء الأمانة وترك الخيانة

هذه الأمور التي هي توجب الثقة ، وتلزم حسن الظن ، وتجلب الرزق أيضا وتدعو إلى الأنس.

وفي حديث النبي ﷺ (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له).[1]

وعنه ﷺ(أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك).[2]

وعن النبي ﷺ (لا تنظروا إلى صلاتهم إذا صلوا ، ولا إلى صيامهم إذا صاموا ، ولكن انظروا إلى صدقهم إذا حدثوا ، وإلى أمانتهم إذا ائتمنوا ، وإلى ورعهم إذا أشفوا)

وعنه ﷺ(ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة ، بر الوالدين مسلمين كانا أو كافرين ، والوفاء بالعهد لمسلم أو كافر ، وأداء الأمانة إلى مسلم أو كافر).[3]

وعنه ﷺ(أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما تفقدون من دينكم

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد) ٤٧، وه في الترغيب والترهيب ٢٤١، وكتر العمال ٥٥٠٠٧، انظر موسوعة أطراف الحديث النبي ٣٤/٧ .

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٣، والترمذي ١٢٦٤، وأحمد ٤١٤/٣، والحاكم في المستدرك ٤٦/٢، والدار قطني ٣٥، والطبراني في الكبير ٢٣٤/١، ١٥٠/١٦، في الصغير ١٧١/١، والبغي في شرح السنة ٢٠٦/٨، ٢٧٦/٧، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٩٣٤، وأبو نعيم في الحلية ١٣٢/٦، وهو في تاريخ أصفهان ٢١٩/١، والكامل لابن عدي ٣٥٤/١، ونصب الراية للزيلعي ١١٩/٤، ومجمع الزوائد ١٤٥/٤، وكتر العمال ٥٤٩٤، وتفسير الطبري ٩٣/٥، تفسير ابن كثير ٢٩٨١/٢، والدر المنثور ١٧٥/٢، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٨٩/١

(٣) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٨٢/٢، وهو في كتر العمال ٤٣٧٩١، وعزاه في الموسوعة ٤٥٢/٤ إليهما .

الصلاة).[1]

الثامن منها الارتداء بمعالي الأمور وأشرافها

والخلع لرذائلها وسفسافها ، وهذا الجنس هو أعلى الأجناس ، وأبهج اللباس ، وهو حبالة الكمال ومغناطيس الجلال.

وفي حديث النبي ﷺ (إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها وقبيحها).[2]

وعنه ﷺ(إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأمور ، ويبغض ويكره سفسافها).[3]

واعلم أن هذا القبيل وإن كان يأتي على جميع ما قيده العقل والشرع ، وقضى بحسنه الإلف والطبع ، فإنما أفردته لبيان أمور مخصوصة في الأفعال والتروك تكسب الهيبة ، وتثمر المحبة ، وتجلب الجلالة والكمال ، عند ذي العزة والجلال ليهتدي بها الطالب ، ويستعين بها في جميع المطالب ، ويقيس عليها ما يعرض من جنسها ، وبالله التوفيق والتسديد.

فمنها : إظهار البشاشة عند اللقاء للجليس ، والإجلال للشريف والرئيس ، والتعطف والترحم والتلطف والتكرم ، وإظهار ذلك كله في الوجه بالطلاقة ، وباللسان باللين في الكلام ، وفي العين بالإقبال إلى كل مجالسيه ، وغير ذلك من هذا

---

(١) عزاه في الموسوعة ٤٥/٤ إلى مجمع الزوائد ٣٢٩/٧، والحاكم في المستدرك ٤٦٩/٤، وكتر العمال ٥٤٩٦، ومصنف ابن أبي شيبة ١٧٥/١٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢٦٥/٥، وتاريخ أصبهان ٢١٣/٢، ومسند الشهاب ٢١٦، وغيرها .

(٢) عزاه في الموسوعة إلى جمع الجوامع ٩١٥٢، والشفاء ٢٩٨/٢، ومسند الشهاب ١٠٧٦، ١٠٧٧ ، والطبراني في الكبير ١٤٢/٣، وكتر العمال ٤٣٠٢١، وإتحاف السادة المتقين ١٧٤/٨، والمغني للعراقي ٣٥٢/٢، وابن عساكر ٢٢٤/٢، وكشف الخفاء ٢٢٤/١، وصححه الألباني ١٦٢٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٨/١، والطبراني في الكبير ٢٢٣/٦ ، وابن حبان في الموارد ٢١٥٠، البغوي في شرح السنة ٨٣/١٣، وهو في جمع الجوامع ٤٩٤٦، وكتر العمال ١٥٩٩١، ١٦٠١٨، وصححه الألباني ١٣٧٨، وانظر الموسوعة ١٧٩/٣.

القبيل فإنه واسع ، ويختلف بحسب العادات في البلدان والأزمان والأعيان ، فهذا شئ يكسب الحمد ، ويدخر المجد ، وينفي الضغائن والأحقاد ، ويغسل حسد الحاسد.

وفي حديث النبي ﷺ (يا أبا ذر لا تدعن شيئا من المعروف إلا فعلته ، فإن لم تقدر على ذلك فكلم الناس وأنت إليهم طليق)

وكانت اليهود تعاطس عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول : يرحمكم الله فيقول بدلا من ذلك : (يهديكم الله ويصلح بالكم) . وعنه ﷺ (الكلمة الطيبة صدقة).[1]

وفي الزائر

قال ﷺ: (إذا أتاكم الزائر فأكرموه).[2]

وفي إنصاف الكرماء

قال عليه السلام : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه).[3]

وجاء رجل إلى الشعبي فطرح له وسادة ، وروى له هذا الخبر.

وروي أن عائشة مر بها سائل فأمرت له بكسرة ، ومر بها رجل ذو هيئة فأقعدته ، وأمرت له بالمائدة ، فسئلت عن ذلك فقالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم)

وعن عمر (ثلاث يصفين لك ولأخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع عليه في مجلسه ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه).

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤/٤، ٦٨، مسلم في الزكاة ٥٦، وأحمد ٣١٩/١٠، ٣٥٠، ٣٦٤، والبيهقي في الشعب ٢٢٩٠/٣ ، وانظر الموسوعة ٥٤١/٦ .

(٢) هو في كتر العمال رقم ٢٥٤٨٥، وهو في الموسوعة ٢١٣/١، وقد رواه في مسند شمس الأخبار ١٨١/٢، عن مسند الشهاب ، قال السيد الجلال : وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ، والديلمي في مسنده عن أنس

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٩/٢، قال السيد الجلال : وأخرجه ابن ماجه عن ، عن ابن عمر ، والبزار ، وابن خزيمة ، والطبراني في الكبير ، وابن عدي في الكامل ، والبيهقي في الشعب عن جرير ، وأخرجه البزار عن أبي هريرة ، وابن عدي عن معاذ ، وابن قتادة ، وغيرهم ، وصححه السيوطي ، وانظر للحديثين وشواهدهما في الموسوعة ٢١٤/١ .

وفي إنصاف الجليس

قال ﷺ: (أحسنوا مجالسة من جالسكم)

وقال علي عليه‌السلام: (كان رسول الله يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب أحد من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه من جلسائه)

وقال ابن عباس : (عليك للجليس ثلاث خصال ، إذا أقبل وسعت له ، وإذا جلس أقبلت عليه ، وإذا حدث استمعت له).

وصدق فإنه ينبغي أن يكون الكلام مناوبة لا مناهبة.

وعن أبي الطفيل قال : (رأيت النبي ﷺ يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ؛ إذ أقبلت امرأة حتى دنت من رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه ، فقلت : من هي ؟ فقالوا : هذه أمه التي أرضعته)

وفي حق المجالس

قال النبي ﷺ : (من سمع من رجل حديثا لا يشتهي أن يذكر فهو أمانة ، وإن لم يستكتمه).[1]

وقال عليه‌السلام:(المجالس بالأمانة).[2]

وقال ﷺ (أحسنوا مجالس العشيرة)[3] فسئل أبان فقال : "إن الرجل إذا كان في مجلسه لا يبالي ما قال ، فإذا كان في غيره تحفظ في كلامه" .

وقال ﷺ: (يجزي عن الجماعة إذا مرت أن يسلم أحدهم ، ويجزي عن القعود أن يرد أحدهم).[1]

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٥٤٤/٦، وأبو نعيم في الحلية ٣٥٩/١٧، وهو في مجمع الزوائد ٩٧/٢، وكنز العمال ٢٥٤٣٠ ، وانظر الموسوعة ٣١٧/٨ .

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ٦٥٩/٨، إلى إتحاف السادة المتقين ٣٢٣/٨ ، وكشف الخفاء ٢٧٧/٢، وكنز العمال ٢٥٤٣١، وانظر شواهده في الموسوعة .

(٣) له شواهد ، و لم أجده بلفظه .

وقال أيضا عليه‌السلام : (لا ينتجين اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه).[2]

وعن بعضهم (البر شئ هين : وجه طليق ، وكلام لين).

وعن سفيان بن عيينه[3] (من تهاون بالإخوان ذهبت مرؤ ته ، ومن تهاون بالسلطان ذهبت دنياه ، ومن تهاون بالصالحين ذهبت أخرته).

ومنها : إظهار النعمة بالزي الحسن ، في اللباس والطيب ، والتجمل فإنها تجلب الهيبة ، وتورث الجلالة ، وتقمع الشماتة ، وتكبت الحاسد ، وفيه رضاء الرب ، وشكر المنعم ، ولكن عماد ذلك كله القصد ، فإن صلح وإلا فسد ، قال تعالى :

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[4] ومن كتم النعمة فقد كفرها ، كما أن من كلن في نعمة بعض الملوك فأخفاها وسترها فإنه لاشك قد كفرها.

وفي حديث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبيده).[5]

عمر (المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة ، وتلا {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}

وفي حديث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (إن الله جميل يحب الجمال).[1]

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ٢٧٠، وهو في مسند شمس الأخبار ٤٩٧/٢، وقال السيد الجلال : أخرجه أبو داود ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي في سننه عن علي عليه‌السلام . وهو في أبي داود رقم ٥٢١٠، والبيهقي ٤٩/٩، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٢٢٠/١١، وإلى إتحاف السادة المتقين ٢٧٥/٦ ، ومشكاة المصابيح ٤٩٤٨

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل ٤٦٥/١ ، ٢٣/٢ ، وأبو داود رقم ٤٨٥١، والطبراني ١٧٣/١٠، بألفاظ متقاربة ، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبي ٣٣٣/٧ ، ٤٧٢ .

(٣) هو سفيان بن عيينة ، بن ميمون الهلالي ، مولاهم أبو محمد [١٠٧ ـ ١٩٨هـ] مولده بالكوفة ، وسكن بمكة ، ومات بها . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٤) الضحى : ١١ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٣٥/٤، وابن أبي شيبة ٢١٧/٨، أحمد ١٨١/٢ ، وابن أبي الدنيا في الشكر رقم ٣١، وهو في تفسير ابن كثير ٤٠٣/٣، والدر المنثور ٨٠/٣، وكنز العمال ١٧١٩٧، ٤٠٧٨٤، وفتح القدير ٢٥٢/١٠ ، والمغني للعراقي ٣٤٦٠/٣، انظر موسوعة الأطراف ٤٦٤/٦ .

وعنه ﷺ (خلق الله الجنة بيضاء ، وأحب الـــزي إلى الله البيـــاض ، فليلبســـه أحياؤكم ، وكفنوا فيه موتاكم).[٢]

وعن عائشة (أن رسول الله ﷺ كان يصبح يوم العيد فيغتسل ، ويلبس أحســـن ثيابه ، ويتطيب ، ويخرج إلى المصلى)

وعنه عليه السلام (حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنكاح ، وقـــرة عيـــني في الصلاة).[٣]

جعفر بن سليمان الهاشمي (الطيب لسان المرؤة)[١]

العتبى (في الطيب أربع خصال : سنة ، ومرؤة ، ولذة ، وقوة)

وعنه ﷺ (اعتموا تزدادوا حلما)[٤].

ولما رأى على رجل ثيابا وسخة قال : (أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثيابه).[٥]

---

(١) أخرجه في مسند شمس الأخبار ٢٥٤/٢، وأخرجه مسلم ، والترمذي عن ابن مسعود ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، والحاكم في المستدرك عن ابن عمر ، وابن عساكر عن جابر ، وابن عمر بلفظه ، وأخرجه ابـــن حبان (الإحسان) ١٢ رقم ٥٤٦ ، عن ابن مسعود . وانظر الموسوعة ١٤٩/٣ .

(٢) له شاهد أورده في مجمع الزوائد ١٢٨/٥ ، بلفظ (إن الله خلق الجنة بيضاء ، وأحب شئ إلى الله البيـــاض) وعزاه إلى البزار .

(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، والحاكم في المســـتدرك ١٦٠/٢، وهـــو في تفسير الكشاف ، وتفسير الدر المنثور ١٠/٢، وتفسير ابن كثير ٥٦/٥ ، وتفسير القرطبي ١٤/٢، ٥٦/١٠ ، وتلخيص الحبير ١١٦/٣، وإتحاف السادة المتقين ٢٢/٣، ١٣١، ١٣٨، ٣١١/٥، ١١٧/٨، ٥٥٢/٩، والشفاء للقاضي عياض ١٩٤/١، ٢١٧، وانظر موسوعة الأطراف ٥٢١/٤ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٥٤/٢، والحـــاكم في المستدرك وصححه ، ١٩٣/٤، والطبراني في الكبير ١٦٢/١، والخطيب البغدادي في تاريخه ٣٩٤/١١، وابـــن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) ١٧٨/٥ ، وهو في مجمع الزوائد ١١٩/٥، وكنز العمـــال ٤١١٣٥، ٤١٣٦، انظر موسوعة الأطراف ٨/٢ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٥٤/٢ ، وأبـــو داود في اللباس ، باب ١٧، وأحمد ٣٥٧/٣، وهو في التمهيد لابن عبد البر ٥٢/٥، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ٢٠٠، كما في موسوعة أطراف الحديث ٣١٩/٢ .

وعنه عليه‌السلام : (البسوا من ثيابكم البيض ، فإنه أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن خير كحالكم الإثمد ، يجلو البصر ، وينبت الشعر).[1]

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (يا علي تختم في اليمين ، فإنها فضيلة من الله للمقربين قال : يا رسول الله وما المقربون ؟ قال : جبريل وميكائيل وعزرائيل ، ومن دونهم من الملائكة قال : بماذا أتختم ؟ قال : بالعقيق الأحمر فإنه أول جبل أقر لله بالوحدانية ، ولي بالرسالة ، ولك بالولاية ، ولشيعتك بالجنة ، ولأعدائك بالنار).

وقال علي عليه‌السلام : (نهى رسول الله عن التختم بالذهب).[2]

ومنها التعفف والقناعة

القناعة ملك خفي ، وفي حديث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، فقر المستعفف شرف ، وفقر المستكفف تلف).[3]

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: (لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يذهب فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف بها وجهه ــ خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أم منعوه)[4]

قال السجستاني: (لا يترأس الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عما يكون منهم).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام ، كما في مسند شمس الأخبار ٢/٢٥٦ ، قال السيد الجلال : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح ، وابن حبان ، وابن سعيد ، والبيهقي في السنن ، عن ابن عباس ، وانظر تخريجه في الإحسان ١٢ ، رقم ٥٤٢٣ ، وموسوعة أطراف الحديث ٢/١٣١.

(٢) أخرجه النسائي ٨/١٩٢ ، والبيهقي في السنن ٢/٤٢٤ ، كما في الموسوعة ١٠/١٦٠ .

(٣) أخرجه ابن حبان في الإحسان ٨/برقم ٣٣٩٨ ، عن أبي سعيد ، ومسلم في الزكاة ١٢٤، والترمذي رقم ٢٠٢٤، والنسائي في الزكاة ٨٣، والبيهقي في السنن ٤/١٥٧، وابن أبي شيبة ٣/٢١١، وابن عساكر ٤/٤١٧، وأحمد ٣/١٢، ٤٧، ٤٠٣، وانظر الإحسان ، وموسوعة الأطراف ٨/٦١٧ .

(٤) هو حديث مشهور ، أخرجه البخاري ٣/٧٥، وابن ماجه ١٨٣٦، وأحمد ١/١٦٧، والنسائي في الزكاة باب (٨٣) وعبد الرزاق في المصنف رقم ٢٠٠١٠، ٢٠٠١٣ ، وهو في الترغيب والترهيب ٢/٥٢٢ ، وتفسير الدر المنثور ١/٣٦١، انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦/٥٣٣ .

وعن الثوري[1] (ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذل له).

أرسل عثمان إلى أبي ذر رحمه الله بصرة على يد عبد له ، وقال : إن قبلها فأنت حر لوجه الله ، فلم يقبلها ، فقال الخادم : اقبلها يرحمك الله ، فإن فيها عتقي ، فقال إن كان فيها عتقك فإن فيها رقي.

ومنها : قلة المزاح

وترك اللعب ، واجتناب الضحك والطرب ، فإن هذه الأمور تقل الحياء ، وتذهب بالمروءة ، وترفع الهيبة ، وتخف المقدار.

قال عمر بن عبد العزيز[2] :(امتنعوا من المزاح تسلم لكم الأعراض).

وعن مجاهد[3] (مازح صديق صديقا بكلمة ، فتهاجرا حتى ماتا).

وعن الأحنف (من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه).

وقيل : المزاح يذهب المهابة.

لبعضهم "لكل شئ بذر ، وبذر المزاح العداوة"

وعن بعضهم (المزاح مسلبة للمهابة ، ومقطعة للصداقة). ولبعضهم :

---

(١) الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، المتوفى سنة ١٦٢ هـ محدث حافظ عالم شهير ، روى الإمام أبو طالب في أماليه ، والأصبهاني في مقاتل الطالبيين أنه كان زيديا ، وكان من المؤيدين للإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية ، وأخيه الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم السلام . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي [٦٣ ـ ١٠٢هـ] الخليفة الأموي العادل ، ولي سنة ٩٨هـ وحسنت سيرته ، ورد المظالم والحقوق المغتصبة ، وأقام العدل ، وأمن أهل البيت عليهم السلام في زمانه ، ومات مسموما ، وفي سيرته كتب .

(٣) مجاهد : هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي [٢١ ـ ١٠٤هـ] تابعي مفسر ، مولده بمكة ، وتنقل في البلدان ، واستقر بالكوفة . انظر معجم رجال الاعتبار .

رب من كانت منيته ... بمزاح هاجه لعب

ولأبي نواس :

صار جدا ما مزحت به ... رب جد جره اللعب

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الضحك يميت القلب).[1]

وقال لجبريل : (مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار).[2]

ومنها : ترك ما لا يعني

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).[3]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه).[4]

ومر حسان بن أبي سنان[5] فرأى غرفة قد بنيت ، فقال : منذ كم بنيت هذه الغرفة؟ ثم أقبل على نفسه وقال : سألت عما لا يعنيك ، وعاقب نفسه بصيام سنة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بئس مطية الرجل زعموا).[6]

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٩٧/٢ .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، باب صفة جهنم ، وعنه في مسند شمس الأخبار ٩٦/١ ، وعزاه في الموسوعة ١٦٠/٩ إلى الترغيب والترهيب ٤٦٣/٤ ، وكنز العمال رقم ١٥١٧٠ ، قال السيد الجلال : وأخرج البيقهي في الشعب عن المطلب ، وذكر حديثا بألفاظ مقاربة .

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب كما في مسند شمس الأخبار ٥١٠/١ ، قال السيد الجلال : وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة ، وقال : غريب ، وحسنه المنذري .

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، وعنه القرشي في مسند شمس الأخبار ٥١٠/١ ، قال السيد الجلال : وأخرجه البخاري عن أبي هريرة ، وأحمد في الزهد ، عن سلمان موقوفا ، وحسنه السيوطي . قلت : وهو في الترغيب والترهيب ٥٤٠/٣ ، وإتحاف السادة المتقين ٤٦٢/٧ ، وغيرها ، انظر موسوعة الأطراف ١١٥/٢ .

(٥) حسان بن أبي سنان البصري المتوفى سنة ١٣٠هـ ، من العباد الورعين ، قالوا : كان في الأبدال ، روى عن الحسن البصري وغيره . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٦) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، وعنه القرشي في مسند شمس الأخبار ٥١١/١ ، قال السيد الجلال : أخرجه أحمد ، وأبو داود عن حذيفة بلفظه ، وضعفه البيوطي .

وعنه ﷺ(إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ، وقلة منطق فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة).[1]

وعنه (كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو ذكر الله)[2].

ومنها : التحبب إلى الناس بالسعي في منافعهم ، والإعانة لملهوفهم ، والصلح فيما بينهم وإفشاء السلام عليهم ، وقلة التعمق في الكلام ، وأجناس ذلك مما يورث المحبة وتكسب المودة.

وفي حديث النبي ﷺ (إن لله عبادا يستريح الناس إليهم في حوائجهم ، وإدخال السرور عليهم ، أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة)[3].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺفقال : أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال : (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور يدخله على مسلم[4]).

وعنه ﷺ(اشفعوا تؤجروا ، فإن الرجل منكم ليسألني فأمنعه لكي تشفعوا له

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين (باب فضل الزهد) رقم ١٠، وهو في مسند شمس الأخبار ٥١١/١، قال السيد الجلال : أخرجه ابن ماجه ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب عن أبي الخلال ، وهو في ابن ماجه ٤١٠١، والحلية ٤٠٥/١٠، وانظر الاعتبار بتحقيقنا ، وموسوعة أطراف الحديث النبوي ٣١٧/١ .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين (باب وزر الغيبة وأذى المسلم) ، وفي باب الاشتغال بعيب النفس ، وهو في مسند شمس الأخبار ٥٠٦/١، قال السيد الجلال : وأخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي الدنيا عن أم حبيب . وانظر تخريجه في الاعتبار .

(٣) أخرجه السمان كما في مسند شمس الأخبار ٢٢/٢، عن جعفر ، عن أبيه، عن جده ،قال السيد الجلال : وأخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، عن الحسن مرسلا ، والطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وحسنه السيوطي

(٤) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه‌السلام في الأمالي الخميسية ١٥٧/٢، والطبراني في الكبير ٢٠٩/٣ ، ٤٥٣/١٢ ، في الصغير ، ٣٥/٢ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٩٤/٣، وهو في كشف الخفاء ٥٤/١ ، ومجمع الزوائد ١٩١/٨، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٣٢/١ .

فتؤجروا[1]).

قال أبو سلمة: (مررت برجل يضرب غلاما له ، وأشار إلى الغلام ، فسألت مولاه فعفا عنه ، فلقيت أبا سعيد الخدري فأخبرته ، فقال : يا ابن أخي سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أغاث مكروبا أعتقه الله من النار يوم الفزع الأكبر[2]) .

وقال لأبي أيوب: (ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله ، تصلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقرب إليهم إذا تباعدوا).

محمد بن المنكدر قال : (تنازع رجلان في المسجد ، فقمت أصلح بينهما ــ فلما اصطلحا ، قال أبو هريرة : سمعت رسول الله يقول : (من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد)[3].

وعن النبي ﷺ (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسه ، ، والإنفاق من الإقتار ، وبذل السلام للعالم)[4] .

وعن ابن عمر قال : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم . فقال : حسنة) ثم أتاه رجل فقال : (السلام عليكم ورحمة الله فقال : حسنتان) ثم أتاه الثالث رجل فقال : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال : ثلاث حسنات)

فقال عمر : والله إني لأخرج من بيتي من غير حاجة ، إلا أن أسلم على الناس).

---

(١) أخرج أوله القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٢/٢٧، وهو بزيادات مختلفة في كثير من كتب الحديث . انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١/٥٤٣ .

(٢) عزاه بلفظه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨/١١٧ ، إلى تفسير القرطبي ١١/٣٤٦ ، وله شواهد أنظرها في الموسوعة .

(٣) عزا أطراف الحديث في الموسوعة ٨/١٩٧ إلى تفسير القرطبي ٥/٣٨٥ .

(٤) أورده في مجمع الزوائد ١/٥٦ ، عن عمار بلفظ (ثلاث من الإيمان) قال الهيثمي : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن شيخ البزار لم أر من ذكره ، وهو الحسن بن عبد الله الكوفي ، وأورده بلفظه عن عمار أيضا ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه القاسم أبو عبد الرحمن ، وهو ضعيف ، وله شواهد كثيرة ، بألفاظ مقاربة .

وروى أنه تكلم رجل عند رسول الله فأكثر ، فقال عليه السلام : (كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاي وأسناني) فقال : (إن الله يكره الانبعاق في الكلام ، فرحم الله امرأ أو جز في كلامه)[1] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (الصمت زين للعالم وستر للجاهل)[2] .

وهذه الخصال وأجناسها هي التي يشرف بها الإنسان ، ويعظم في الأعيان ، فلنرجع إلى تمام ما يصلح معه المعاشرة ، ومن الله تعالى التوفيق والتسديد ، وهو حسبي ونعم الوكيل

التاسع منها: التدثر لأبواب السخاء

والامتطاء لركائب الإفضال والندى .

هذه الخصلة هي من أشرف الخصال ، وأجل الخلال ، وصاحبها معدود في الأشراف ، منظور بعين الإنصاف ، وقد أجمعت الجاهلية والإسلام على تسليم الفضل لأرباب الكرم ، وإيجاب الشكر لأولي النعم.

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل).[3]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر).[4]

---

(١) عزا بعض أطراف الحديث في الموسوعة ٤٦٨/٦ إلى تفسير الدر المنثور ١١٢/٣ ، وإتحاف السادة المتقين ٤١٧/٧ .

(٢) هو في كتر العمال رقم ٦٨٨٢١، وفي موسوعة أطراف الحديث ٣٨٣/٥ ، عزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٤٥٥/٧ ، وكشف الخفاء ٤١/٢ .

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ٢٧١/٥ إلى الترمذي ١٩٦١ ، ومجمع الزوائد ١٢٧/٧ ، والدر المنثور ١٩٧/٦، وكتر العمال ١٥٩٢٨ ، والترغيب والترهيب ٣٨١/٣ . وغيرها .

(٤) هو بلفظ تجاوزوا عن ذنب السخي في إتحاف السادة المتقين ١٧٤/٨ ، وكتر العمال ١٢٩٨٣ ، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢٣٩/٣ ، وتاريخ بغداد ٩٨/١٤ ، وبلفظ (تجاوزوا للسخي عن ذنبه) في حلية الأولياء ٥٩/٥، ومجمع الزوائد ٢٨٢/٦ .

وعنه ﷺ أنه قال : (الخلق كلهم عيال الله ، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله)[1]

وقال ﷺ: (أحبوا المعروف وأهله ، فوالذي نفسي بيده إن البركة واليمن والعافية معهما ، ولا يزال صاحبهما في كفاية في الدنيا وأجر عظيم من الآخرة).[2]

وقال عليه السلام : (لا تكلفوا للضيف فتبغضوه ، فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله فقد أبغضه الله).[3]

وعنه ﷺ (حق الضيافة ثلاث ، فما زاد على الثلاث فهو صدقة).[4]

وعن ابن عباس (لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله ، وتصغيره ، وتستيره ، فإذا عجلته فقد هنأته ، وإذا صغرته فقد عظمته ، وإذا سترته فقد تممته ، ليس فيه من ولا أذى).

وأهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ شاة فقال : (أخي فلان أحوج إليها مني فبعث بها إليه ، فلم يزل يبعث بها واحد بعد واحد ، حتى تداولها سبعة أبيات ، فرجعت إلى الأول ، فترلت الآية {**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**}[5])).

وجاء سائل من الأعراب إلى رسول الله ﷺ فأمر له بأربعين شاة ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وبعث معاوية إلى عائشة بمائة ألف فما قامت من مجلسها حتى فرقته ، فقال

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده كما في مسند شمس الأخبار ٢/٢٧، قال السيد الجلال : وأخرجه أبو يعلى ، والحاكم في الكنى ، والشيرازي في الألقاب ، والعسكري في الأمثال ، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، وانظر موسوعة أطراف الحديث ٤/٦٦٩ .

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١/١٣٦، إلى كتر العمال ١٥٩٧٤ .

(٣) (قوله : لا تكلفوا للضيف) بدون الزيادة عزاه في الموسوعة ٧/٢٠٦إلى إتحاف السادة المتقين ٥/٢٣٨، وابن عساكر ٤/١٩٢ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٥٦٥ ، وبلفظ (حق الضيافة ثلاثة أيام) الخ ، أخرجه أحمد ٢/٥١٠، ٥٣٤، والبيهقي الشعب ٩/١٩٧، والطبري ٢/٥٧، وأبو نعيم في الحلية ٧/٢٠٨، وعبد الرزاق في المصنف رقم ٢٠٥٢٧، كما في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤/٥٤٧ .

(٥) الحشر : ٩ .

ادمها : لو حبست درهما لنا نشتري به لحما ، فقالت : هلا ذكرتني قبل هذا وكانت ترقع قميصها).

وكان حماد بن سليمان يفطر في كل يوم من شهر رمضان خمسين إنسانا ، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا ، وأعطاهم مائة مائة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل بتلك المنافع للعباد نقل الله ذلك عنهم ، وحولها إلى غيرهم)[1] .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شعرا :

ما أحسن الدنيا وإقبالها	إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله	عرض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا مانعا	وواس من دنياك من سالها
فإن ذا العرش جزيل العطا	يعطيك بالحبة أعشارها(٢)

وعن دعبل قال : أردت الانحدار إلى البصرة ، فأتيت مشرعتكم هذه فركبت زورقا ، وأقمت فيه عند قصر حميد الطوسي ، وكتبت إلى أبي نهشل بن حميد رقعة أخبره فيها بانحداري إلى البصرة ،وأسأله معونة على سفري مما انبسطت به يده عليه وكان أديبا عاقلا فوجه إلي بمنديل فيه ثياب ، وصرة فيها أربعون دينارا وكتب إلي

أعجلتنا فأتاك عاجل	قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم	ونكون نحن كأننا لم نفعل

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (المرؤة ستة : ثلاثة في السفر ، وثلاثة في الحضر ،فأما التي في الحضر فتلاوة كتاب الله ، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الأخوان في الله .وأما التي

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٢/٥ ، قال السيد الجلال : أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ، وحسن السيوطي .
قلت : وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣٩٠/٣ إلى إتحاف السادة المتقين ١٧٥/٨، والمغني عن حمل الأسفار ٢٣٩/٣ ، وتاريخ أصفهان ٢٧٦/٢ ، وتذكرة الموضوعات ٦٤ .

(٢) في نسخة (يعطيك بالحبة أمثالها) .

في السفر فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله).[1]

احتجم الحسن، أو أخذ من شعره، فأعطى الحجام دينارا فقيل له: يكفيك دانق فقال: لست من دوانقكم في شئ، إنما المسلم يقاسم أخاه الدرهم، ولا دين إلا بالمرؤة، وأوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تصحب إلا من تكاملت فيه المرؤة والدين فإن صاحب المرؤة والدين لا يكذب). وقال جرير لعبد العزيز بن مروان

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا غرض الدنيا عن الدين

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته).[2]

وعن حميد بن هلال[3] قال: تفاخر هاشمي وأموي كل واحد منهما يقول: قومي أسخى من قومك، ثم قال: ليسأل كل واحد منا عشرة من قومه ليظهر الأمر، فانطلق الأموي فسأل عشرة من قومه فأعطوا مائة ألف، وانطلق الهاشمي إلى ابن عباس فأعطاه مائة ألف، ثم جاء إلى الحسن عليه السلام فقال: هل لقيت أحدا قبلي؟ قال: نعم أتيت ابن عباس فأعطاني مائة ألف، فقال: لو كنت بدأت بي لأعطيتك شيئا لا تسأل غيري، فأعطاه ثلاثين ومائة ألف، ثم أتى إلى الحسين عليه السلام فقال: هل أتيت أحدا قبلي؟ قال: نعم ابن عباس، والحسن بن علي فأعطياني كذا فقال ما كنت لا أزيد على سيدي، فأعطاه ثلاثين ومائة ألف، ثم التقيا فقال الأموي: إني أتيت عشرة من قومي فأعطوني مائة ألف، كل واحد عشرة آلاف. وقال الهاشمي: لقيت ثلاثة من قومي فأعطوني ثلاث مائة ألف وستين ألفا. قال: قومك أسخى من قومي، ثم رجع الأموي إلى قومه، وقص عليهم القصة ورد المال فقبلوه

---

(١) عزاه في الموسوعة إلى تنزيه الشريعة ٣٧٤/٢.

(٢) ورد في الموسوعة بلفظ (إن الله يبغض البخيل) ٢١٢/٣، وعزاه إلى جمع الجوامع ٥١٨٦. وإتحاف السادة المتقين ١٩٦/٨.

(٣) حميد بن هلال بن هبيرة، ويقال: ابن سويد بن هبيرة، المتوفى في ولاية خالد على العراق، قالوا: كان ابن سيرين لا يرضاه، لأنه دخل في أعمال السلطان. انظر معجم رجال الاعتبار.

ورجع الهاشمي إلى قومه ، وقص عليهم القصة ، ورد المال ، فقالوا : ألقها إن شئت في الطريق ، فما كنا لنقبل شيئا أعطيناكه . ولبعضهم :

لعمرك ما المصيبة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة موت حر يموت لموته بشر كثير

وعن النبي ﷺ (يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى) .

وعن بعضهم :

أرى نفسي تتوق إلى المعالي ويقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تطاوعني ببخل ولا مالي يبلغني فعالي

وخرج أسماء بن خارجة الفزاري[1] ، فوجد رجلا على باب داره فسأله عن حاله فقال : خيرا فألحف به فقال : جئت سائلا إلى هذه الدار ، فخرجت جارية اختطفت قلبي قال : وتعرفها ؟ قال : نعم فدعا الجواري وعرضهن عليه ، حتى قال لواحدة : هي هذه. فقال : مكانك ، ودخل الدار وخرج فقال : أما إنها لم تكن لي ، كانت لبعض بناتي ، فابتعتها بثلاثة آلاف درهم ، خذها بيدها بارك الله لك فيها.

وكان أسماء يقول : ما بذل لي رجل وجهه فرأيت شيئا من الدنيا وإن عظم عوضا لبذل وجهه ، وفيه يقول الأخطل :

إذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض
ولا رجع البشير بغنم جيش ولا حملت على الطهر
فيوم منك خير من أناس تروح عليهم نعم

العاشرة منها : استجلاب الأخوة وعقد الصحبة مع ذوي المروءة

واعلم أن كثرة الإخوان تشيد الأركان ، وتقوي البنيان ، وتعين على الزمان ، وهم شحاك العدى ، وبناة العلا ، وسفن المودة والولاء ، ونفاة الضغائن والقلى ،

---

(١) أسماء بن خارجة الفزاري المتوفى سنة ٦٦ هـ تابعي من أهل الكوفة ، كان سيد قومه ، مقدما عند الملوك

والحصون من سطوات الدهور ، والجنن لمعضلات الأمور ، لكن هذا ليس في كل زمان ، ولا هو في كل إنسان ، ولامع كل مدع أنه من الإخوان ، فإن للصحبة شرائط وروابط ، فمن لم يزرع شرائطها لم يجن ثمرة روابطها ، ومن لم يلتقط ثمر روابطها لم ير أسرع من تساقطها ، وسنبين لك كيفية اقتناصها بالشرائط ، ثم كيفية ضبطها بالروابط لتجتني ثمرها ، وتدرك لذتها. هذا إن سلكت سواء الطريق ، وسالمك التعويق ، وإلا فهي سهلة الالتزام ، ولكنها قليلة المقام ، إلا مع شرائطها وروابطها ، وإحكام أصلها وفرعها ، وهذا حين ابتدائنا وبالله التوفيق.

شرائط الصحبة

اعلم أن شرائط الصحبة أربعة :

الشريطة الأولى : العقل

فلا ينبغي أن تستجلب صحبة الجاهل والأحمق ، فإن ذلك بالقطيعة أليق ، وصاحبه بالندامة أخلق ، وأحسن أحواله أن يقصد نفعك فيضرك ، ويريد أن يسرك فيغمك.

والشريطة الثانية : الحياء

والحلم ، فإن الحياء يمنع من بوائق الشهوة ، والحلم يمنع من سطوات الغضبة ، وهما أضر ما تخشاه من صاحبك ، وأعظم ما تخافه من مؤالفك ، وإن الشهوة ربما دعته إلى البخل والحرص والطمع والحسد والغضب ، وربما دعاه إلى الشر وهتك الستر وإظهار السر ، وهذه هي أسباب القطيعة.

الشريطة الثالثة الإيمان

فلا ينبغي أن تصحب فاسقا ؛ فإن العاصي لا تأمن غائلته ، ولا خدعته ، ولا سطوته ، وربما خفف عنك أمر الفسوق والعصيان بسبب ملازمتك له في أكثر الأحيان ، والطبع يسرق من الطبع ، ويؤيد ذلك الشهوة والطمع.

الشريطة الرابعة المروءة

فلا تصحب إلا من كملت مروءته ، وحسنت خليقته ، ولانت كلمته ، فإن هذه

الخصال منبع خير الدنيا والآخرة ، ورباط الخيل الفاخرة.

فهذه شرائط الصحبة على الجملة ، وقد نثرها ابن السماك حين سئل : أي الإخوان أخلق ببقاء المودة ؟ فقال : الوافر دينه ، الوافي عقله ، الذي لا يملك على القرب ، ولا ينساك على البعد ، إن دنوت زارك ، وإن بعدت أرادك ، ولا يقطعه عنك عسر ولا يسر ، يعدك في الأمور كنفسه ، إن استغنت عضدك ، وإن احتجت رفدك ، وإن استغنيت وصلك ، مودة فعله أكثر من مودة قوله ، يستقل الكثير من المعروف من نفسه ، ويستكثر قليل المعروف من صاحبه ، ويبلغ من مودته أن لا يستأنس مع أحد بعد حبيبه ، وأنشد الجاحظ شعرا :

أخوك الذي إن سرك الدهر وإن غبت عنه ظل وهو حزين
يقرب من قربت من ذي ويقصي الذي أقصيته ويهين

وفي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام في شروط الصحبة : (يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب ، فإنه يقرب عليك البعيد ، ويباعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل ، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافه اليسير).

نعم ــ ومهما كملت لك شرائط الصحبة ، فخذ الأهبة في استجلابها ، والعقد مع أربابها ، فإنها نظام الدين ، وطرائق المتقين.

قال ميمون بن مهران : (من كان الناس عنده سواء فليس له الأصدقاء).

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أصحابه ، فجعل كل اثنين أخوين ، فكان أخوه ووليه وصفيه ووصيه على ابن أبي طالب صلوات الله عليهما ، فكانت أخوة الحسب أعظم من أخوة النسب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (المتحابون في الله يوم القيامة على منابر من نور في ظل العرش ، يوم لا ظل إلا ظله).[1]

---

(١) سبق تخريجه .

وروى يحي بن الحسين[1] عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أنا شفيع لكل أخوين تحابا في الله، من مبعثي إلى يوم القيامة).[2]

وروى أيضا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وعظمتي وكبريائي وجودي، لأدخلن داري، ولأرافقن بين أوليائي، ولأزوجن حور عيني المتحابين في، المتآخين في، المتحببين إلى خلقي).

نعم — ومتى انعقدت بينك وبين من أحببت الصحبة، وانتظمت بينكما المودة والمحبة، فعليك حقوق وهي رباط الصحبة بينكما، التي بها تبقى وتكمل، وبفقدها تفنى وتبطل، ويكفي في شرحها ما شرحه النبي المختار صلى الله عليه وآله الأطهار فإنه لا أدب إلا ما أدب به، ولا حسب كحسبه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو له: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، يواليه ولا يعاديه، وينصره ظالما أو مظلوما، فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه، وأما نصرته له مظلوما فيعينه على أخذ حقه، لا يسلمه ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه).[1]

---

(١) هو الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي [٢٤٥ — ٢٩٨هـ] أحد عظماء الإسلام، ونجوم أئمة الآل، ومؤسس المذهب الزيدي في اليمن، مولده ونشأته في المدينة، وكان عالما فقيها متكلما خطيبا شاعرا، مصنفا، ورعا، شجاعا، خرج إلى اليمن بدعوة من اليمنيين ٢٨٣هـ فخلص اليمن من القرامطة، ومن الفتن والفساد، ولم يزل مجاهدا في سبيل الله حتى توفي بصعدة، أخباره كثيرة، ومناقبه وفيرة، ومؤلفاته شهيرة، انظر أعلام المولفين الزيدية الترجمة رقم ١١٨٦، ص ١١٠٣ — ١١١١. وانظر سيرته المطبوعة، والتحف شرح الزلف. وغيرها.

(٢) وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٢١/٢، وعزاه إلى حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٦٨/١، وإلى كنز العمال رقم ٢٤٦٤٤.

نعم ويلحق بهذه الحقوق حقوق آخر من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدبه وهي : أن تصدق في حبه ووده ، ويبتذل له بجهده ، ويحفظ سره ، ويعظم أمره ، ويبسط له ماله ، وينبسط معه في ماله ، ويستسره ويستشيره ، ويهديه ويهدي له ، ويثق به ولا يتهمه ، ولا يظن به ، ولا يجادله ولا يماريه ، ويبره ويتعاهده ويزوره ، ويفرح لفرحه ويظهر ذلك له ، ويغتم لغمه ويظهر ذلك له.

وأنا الآن أورد ما ورد عنه في ذلك من الأخبار.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أخاه في الله رفعه الله درجة ، وما تواد رجلان في الله إلا كان أفضلهما منزلة عند الله أشدهما حبا لأخيه ، حتى يحدث أحدهما ، وشرهما المحدث).(٢)

قال الحسن : (أدركتهم وأن الرجل كان يخلف أخاه بعد موته أربعين سنة).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(وجبت محبتي للذين يتحابون في الله ، وحقت محبتي للذين يتصافون في الله ، وحقت محبتي للذين يتزاورون في الله ، وحقت محبتيّ للذين يتباذلون في الله).(٣)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله ، ولا يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره).(٤)

قال عبد الله بن مسعود : (كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، فكان علي عليه السلام وأبو لبابة زميلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان إذا كانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالا :

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، وهو في مسند شمس الأخبار عنه ٢/٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٤٦ ، كما في موسوعة أطراف الحديث ٨/٢٣ ، وهو في كنز العمال برقم ٢٤٧١٦

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ٢٥٩ ، كما في شمس الأخبار ٢/١٦٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه مالك بإسناد صحيح ، وابن حبان في صحيحه عن أبي إدريس الخولاني ، وله شاهد في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥/٦٣٥ ، بلفظ (وجبت محبتي للمتحابين في) وعزاه إلى أحمد ٥/٢٣٣، وابن حبان (موارد) ٢٥٩٠. وغيرها .

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ٢/٥٥٤ ، إلى الزهد لابن المبارك ٢٤٠ ، وإتحاف السادة المتقين ٦/٢١٧، ٧/٣٥٨، ٨/٣٢٣ ، والمغني عن حمل الأسفار ٢/١٨٦ ، وكنز العمال ٢٥٤٠٨ ، ومسند الشهاب ٣ ، وفتح القدير ١١/٨٢ ، وانظر شواهده في الموسوعة .

يا رسول الله اركب حتى نمشي عنك. قال : (ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما).[1]

وفي البساط[2] قال جابر بن عبد الله : (أخذ رسول الله ﷺ بيدي ذات يوم فقال : أما من غداء ؟ فأخرجت إليه فلقا من خبز. فقال : هل من إدام ؟ فقلت : لا إلا شيئا من خل. فقال : أروني فإن الخل نعم الإدام . قال جابر : فما زلت أحب الخل منذ سمعته من رسول الله ﷺ).[3]

وعن حماد بن أبي سليمان قال:(أتى إبراهيم مترلي فقال لي:أين كيسك.فأتيت بصرة مشدودة ،ففتحها وأخذ درهمين ورد الباقي ، فعرضت عليه الكيس فأبى أن يقبله).

وكان لابن سيرين[4] بغل ،كان من احتاج إليه جاء فأخذه وقضى حاجته ، ثم رده ولا يستأمره.

وجاء فتح الموصلي إلى بيت عيسى التمار فقيل : هو غائب فقال : أخرجوا لي كيس أخي فأتي به ، فأخرج درهما ورد الباقي ، فلما جاء عيسى أخبرته جاريته فقال : إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله تعالى .

وعنه ﷺ(من أفطر تكرمة لأخيه فله أجران).

ورأى النبي ﷺ على عمر ثوبا جديدا فهنأه ، وقال : (لبست جديدا وعشت حميدا).

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ١ ، وأحمد ٤١١/١، ٤١٨، ٤٢٤ ، والحاكم في المستدرك ٣٠/٣، وابن حبان (موارد) ١٦٨٨ ، والبغوي في شرح السنة ٣٦/١١ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٢٤/٦، وهو في البداية والنهاية ٢٦١/٣ ، ومجمع الزوائد ٦٨/٦ ، ومشكاة المصابيح ٣٩١٥ ، وانظر موسوعة أطراف الحديث .

(٢) كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه‌السلام مطبوع .

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٤٠٠/٣، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦٤/٣ . وقد سبق .

(٤) ابن سيرين : هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء ، أبو بكر [٣٣ ـــ ١١٠هـ] مولده ووفاته بالبصرة ، تابعي اشتهر بالورع وتفسير الرؤيا ، وله كتاب مطبوع في ذلك ، استكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مولى لأنس .

وهنأ علي عليه السلام لبعض الصحابة بولد فقال : (شكرت الواهب ، وبورك لـك في الموهوب ، ورزقت بره) . وقال ﷺ: (تهادوا تحابوا).[1]

وقال ﷺ: (الهدية تذهب بالسمع والبصر والقلب).[2]

قالت عائشة لرسول الله ﷺ: (لي جاران إلى أيهما أهدي ؟ قال : إلى أقربهما منك) .

وإنما تكره الهدية إذا كانت إلى الظلمة ، لأنها تورث المحبة كما في الخبر، أو كـانت لغير الله ، أو لأجل الدين ، وما أشبه ذلك كما روى (أن الوالي جاء إلى رسـول الله ﷺ فأخبره أنه أهدي له كذا ، فقال : هلا قعد في حفش أمه فتأتي إليه هديته[3]).

وأهدى زيد بن ثابت إلى عمر طبق تمر، وكان له عليه دين[فرده] فأتاه زيد وقـال: لم رددته ؟ قال : إنك أهديته لمكان الدين ، فقال : أهديت لا لأجل دينك فقبله.

وسأل رجل مسروقا[4] حاجة فقضاها ، فأهدى له هدية فردها ، وحلف لا يقضي له حاجة ، فقيل له : ما كنا نري بالهدية بأسا فقال مسروق : هذا السحت.

وفي المواساة

قال النبي ﷺ : (الأعمال ثلاثة : مواساة الإخوان في المال ، وإنصاف الناس من نفسك ، وذكر الله على كل حال) .

وعنه ﷺ(إن الله حرم من المؤمن دمه وعرضه ونفســه ، وأن تظـن به ظـن السوء[1]).

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في شمس الأخبار ٣٠/٢، قال السيد الجلال : وأخرجـه ابـن عساكر عن عائشة ، بلفظه وزيادة .. الخ ، وعزاه في الموسوعة ٤٢٦/٤ إلى البيهقي في السنن ١٩٦/٦، وموطأ مالك ٩٠٨ ، والتمهيد لابن عبد البر ١١٦/٦، وإتحاف السادة المتقين .

(٢) أورده في مسند شمس الأخبار ٣٠/٢ عن مسند الشهاب ، وأخرجه الطبراني في الكبير ١٨٣/١١، وهو في مجمع الزوائد ١٥١/٤ ، وانظر الموسوعة ٣٥٣/١٠ .

(٣) له شواهد منها : ما أخرجه الدارمي ٢٣٢/٢ ، انظر الموسوعة ٣٣٥/١٠ .

(٤) مسروق : هو مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني الكوفي ، المتوفى سنة ٦٣ هـ مـن كبـار التابعين ، شهد حرب الخوارج مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ، انظر الفلك الدوار .

وفي الشفاعة

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من كان وصله لأخيه إلى ذي سلطان في مبلغ براءة ، وتيسير عسير أعانه الله ، على إجازة الصراط عند دحض الأقدام).[2]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (لا يزال الله في حاجة المرء ما كان المرء في حاجة أخيه[3]).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من سر أخاه المسلم بما يرضيه أسره الله في الدنيا والآخرة).[4]

وتوفي ليونس بن عبيد[5] ولد ، فقيل له : إن ابن عون لم يأتك ، قال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لا يضرنا أن لا يأتينا).

وفي المشورة قال تعالى : {وشاورهم في الأمر}.[6]

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المستشار مؤتمن[7]) .

---

(١) عزاه في الموسوعة ١٥٣/٣ إلى إتحاف السادة المتقين ٢١٣/٦، والمغني للعراقي ١٧٥/٢، ١٤٧/٣، والتمهيد لابن عبد البر ٢٣١/١ ، وله شواهد أنظرها في الموسوعة .

(٢) رواه في مسند شمس الأخبار ٢٢/٢ ، عن المجالس برواية السمان ، وأخرجه البيهقي في السنن ١٦٣/٨ ، وابن عساكر ١٦٧/٨ ، وأمالي المرشد بالله الخميسية ١١٤/٢، وابن حبان (الإحسان) رقم ٥٣٠ ، وانظر تخريجه هناك ، وانظر الموسوعة ٥٠٤/٨ .

(٣) عزاه في الموسوعة ٣٩٢/٧ إلى الكامل لابن عدي ١٨٨٧/٥ ، وموضح أوهام الجمع والتفريق للبغدادي ١٤٥، ١٤٦ ، وله شواهد أنظرها في الموسوعة .

(٤) أورده في الموسوعة بألفاظ متقاربة ٣٠٨/٨، وعزاه إلى الكامل لابن عدي ١٧١١/٥ ، وإتحاف السادة المتقين ٢٣٨/٥، والمغني عن حمل الأسفار ٦٢/٢ ، والأسرار المرفوعة ٣٤٦/١، وحلية الأولياء ٥٥/٣ .

(٥) يونس بن عبيد بن دينار البصري العبدي ، أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبيد ، المتوفى سنة ١٣٩ هـ من أصحاب الحسن البصري ، من أهل البصرة ، كان يبيع الخز ، وصفوه بالعبادة ، انظر الأعلام ٢٦٢/٨ .

(٦) آل عمران : ١٥٩ .

(٧) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ٢٧٠ ، وأبو داود رقم ٥١٢٨، والترمذي ٢٨٢٢، ٢٨٢٣ ، وابن ماجه ٣٧٤٥، ٣٧٤٦، وأحمد ٢٧٤/٥، والبيهقي في السنن ١١٢/١٠، والدارمي ٢١٩/٢، والحاكم في المستدرك ١٣١/٤، وابن حبان (موارد) ١١٩١ ، والطبراني في الكبير ٤٠٩/١٢ ، وغيرها ، وأبو نعيم في الحلية ١٩٠/٦، وهو في تفسير القرطبي ٢٥٠/٤، وتفسير ابن كثير ١٢٣/٢، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦٧١/٨ .

وعنه ﷺ (المستشار بالخيار إن شاء أمسك ، وإن شاء قال فلينصح).[1] ولبعضهم

إذا ناب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

فهذه حقوق الصحبة ورباطها ، التي بها يستديم الإخاء ، وتستوجب الولاء ، وتقوي على الأعداء ، وتكون من أهل النمط الأعلى ، فأما في زماننا هذا فقد قل الوفاء ، وكثر الجفاء ، واستبيحت الأمانات ، وظهرت الخيانات ، وألسنة عذبة حلوة ، وأفئدة من الغل مملؤة ، ولا يتميز الحسود من المودود ، ولا السليم من السقيم ، ولا الولي من العدو ، وإخوان العلانية أعداء السريرة ، فالمؤاخي لهم على خطر عظيم ، والمجانب أدهى وأمر ، والمعادي أشر وأضر ، والمنكر لهم أسلم وأظفر.

وفي حديث النبي ﷺ (يكون في آخر الزمان أقوام ، إخوان العلانية أعداء السريرة ، قالوا : وكيف يكون ذلك ؟ قال : ذلك لرغبة بعضهم في بعض ، ورهبة بعضهم لبعض[2]).

وصدق فإن الأخوة من الأكثر في هذا الزمان إنما هي باللسان ، لا بالقلب والجنان كل ذلك رهبة من ضره ، ورغبة في دفع شره ، فعلى العاقل أحد أمرين :

أولهما : أولاهما وأسلمهما وأعلاهما ، وهو الاستئناس بالوحدة والانفراد ، بدلا من ملائمة الحساد ، ومجالسة متشابهي الوداد ، فهذا هو المتجر الحلال ، والعذب الزلال ؛ لأنك إذا كنت لا تجد إلا مماذقا[3] في وداده ، أو مائلا عن أوداده ، أو فاجرا فاسقا ، أو خائنا منافقا ، فإنك في صحبتهم خاسر ، وفي مؤاخاتهم غير ظافر وأقل أحوالك أن تخف عندك وزن الخيانة والفجور ، فتكون من أهل الكفور.

وفي حديث النبي ﷺ (مثل القرين الصالح مثل الداري[4] إن لم يحذك من عطره

---

(١) أخرجه أبو خطاب البستي في كتاب العزلة ص ٤٦ ، بما لفظه (المستشار مؤتمن ، فإن شاء أشار ، وإن شاء سكت) كما في موسوعة أطراف الحديث ٦٧١/٨ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٣٥/٥ ، وهو في كتر العمال ٢٤٨/٦ .

(٣) أي : لم يخلص الود ..

(٤) أي : العطار ..

علقك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل الكير ، إن لم يصبك شرره أصابك من دخانه).[1]

نعم ـــ هذا إن أسلمك ، فأما إن اكتسبت منه طبعه ، وأخذت عنه عادته ، كنت من الأخسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين.

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (الوحدة خير من الجليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، وإملاء الخير خير من السكوت ، والصمت خير من إملاء الشر)[2] وصدق صلى الله عليه وآله وسلم فإن القرين الصالح يكسبك الخير ، والقرين السوء يكسبك الشر ، والمرء على دين خليله ، وهذه كلمة نبوية ، فإن يكن القرين زاهدا فهو زاهد ، وإن يكن جاحدا فهو جاحد ، ولا تدوم صحبة البر والفاجر ، والوفي والغادر ، بل لابد أن يرجع أحدهما إلى طبع الآخر وعادته ، أو يخرج عن صحبته ومودادته ، فهذا كما أنه لا يجتمع الماء والنار إلا بأن ترجع النار إلى البرودة ، أو الماء إلى الحرارة.

وقال مالك بن دينار : (الناس أشكال كأشكال الطير ، الغراب مع الغراب ، والحمام مع الحمام ، وكل إنسان مع شكله). قال الشاعر :

لا تأنسن بقرب من عاشرته ... فحقيقة الإيحاش في الإيناس
والناس أجناس فلا يهوى امرؤ ... إلا مشاكله من الأجناس

فهذا هو الوجه الأول ، وهو الأسلم والأفضل ، ولهذا سلكه كثير من الصالحين مع معرفتهم لفضل الأخوة ، وكونها من جملة الشريعة ، وليس ذلك إلا لعدم شرائطها وانتقاض روابطها ، فصار من السنة ترك هذه السنة كما ذكرناه في الخبر عن سيد البشر ، وإنما زالت هذه السنة في الأكثر والأغلب في زماننا هذا ؛ لأنه الوقت الذي آذن فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغربة ، وأحل فيه الانفراد والوحدة.

---

(١) أنظرها في الموسوعة ٣٥٩/٩ .

(٢) رواه في مسند شمس الأخبار ١٢٩/٢ ، عن مسند الشهاب للقضاعي ، وقال السيد الجلال : أخرجه الحاكم في مستدركه ، والبيهقي في شعبه ، عن أبي ذر ، وصححه السيوطي .

قال حذيفة : سألت رسول الله ﷺ عن الغربة . فقال : ((خير أمتي أولها المتزوجون ، وآخرها العزاب ، فإني أحللت لهم الغربة في ذلك الزمان والترهب . فقلت : يا رسول الله والجماعة يومئذ وهي فريضة واجبة ؟ فقال : كونوا كالفارين بدينكم من بلد إلى بلد ، فإنه يوشك أن تصلوا في ذلك الزمان في مساجدهم ، فلا يكون فيهم مؤمن[1])).

وعنه ﷺ (سيأتي على أمتي زمان تحل فيه العزلة ، ولا يسلم لذي دين دينه ، إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر ، كالطير يفر بفراخه ، وكالثعلب بأشباله).[2]

وعن حماد بن واقد قال : (أتيت مالك بن دينار ، فرأيت كلبا ربطه ، فقلت له : لو نحيت هذا الكلب ؟ فقال : هذا خير من قرين السوء).

وعن مالك أيضا قال : (كل أخ وجليس لا تستفيد منه خيرا من أمر دينك ففر منه).

وسئل الثوري عن الأخوة في الله. فقال : (يا أخي تلك طريق نبت عليها العوسج) فأشار العبد الصالح إلى أن الصحبة مسنونة ، إلا أنها في زماننا مضمحلة مهجورة ؛ فإن العوسج لا ينبت في الطريق المسلوكة إلا إذا هجرت ، وهي في زماننا هذا أدهى وأمر ، وأشد وأضر .

وعن حامد اللفاق : "لا تنبسط في هذا الزمان إلى أحد ، فإن قدر الشيء [وهو الشر] قد رسخ في القلوب ، ولا تسترسل قلبك إلى الإخوان ، فإنهم سريعو الانقلاب ، وإن قربك أقرب الإخوان فكن منه على مثل حد السنان).

وليس هذا إلا انهم خبروا من تغير الزمان ما أبان لهم محك الإخوان ، وإن اختبرت إخوانك عند تقلب الأحوال ، من الرضاء والغضب ، والقناعة والطمع ، والعسر

---

(١) أورده في مسند شمس الأخبار ١٢٦/٢ ، عن فوائد قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد ، وانظر موسوعة أطراف الحديث ٦٥١/٤ .

(٢) أورده في الموسوعة ٢٤٩/٥، لكن بلفظ (الغربة) لا العزلة ، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٢٩١/٥ ، وحلية الأولياء ١٠٩/٤ ، وكشف الخفاء ٤١٤/١ ، والمطالب العالية ٤٤٢٧ .

واليسر وأشباه ذلك ، أطللت على فن كبير ، وعلم غزير مما ذكرت لك.

وعن سفيان الثوري قال : دخلت على جعفر بن محمد الصادق فقلت : يـــا ابـــن رسول الله مالي أراك قد اعتزلت الناس ؟ فقال : يا سفيان فسد الزمـــان ، وتغـــير الإخوان فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد ، وانشأ يقول :

ذهب الوفاء ذهـــاب أمـــس　　　والناس بين مخاتل ومـــوارب

يفشـــون بينـــهم المـــودة　　　وقـــلوبهم محشوة بعقـــارب

إدريس بن محمد القاضي قاضي الصغانيات قال : كان ببغداد رجل ينادم الحـــائط فقيل له في ذلك ، فقال : لأنه يكتم سري ، ولا يعربد علي ، وأبزق في وجهه مـــتى شئت ، وأنشد :

سأشرب وحدي من مخـــافتي　　　كراهة ضرب أو سباب لئيـــم

ثم قال : (الوحدة خير من جليس صالح. فقيل له : إنما قيل : الوحدة خـــير مـــن الجليس السوء) فقال : إن الوحدة لا تتغير ، والجليس الصالح يتغير. وأنشأ يقول :

ليت السباع لنا كانت مؤاخيـة　　　وأننا لا نرى ممن نرى أحـــدا

إن السباع لتهدا في مرابضـــها　　　والناس ليس بهاد شرهم أبـــدا

فاهرب بنفســـك واســـتأنس　　　تدع السعيد إذا مـــا كنـــت

وقال فضيل لداود الطائي: (اعتزلت الناس ،وجلست في بيتك بعد مجالسة النـــاس؟ فقال : إن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس أشد فرارا مـــن الأســـد ، ولقـــد جالستهم ـــ اللهم غفرا ـــ أما صغيرهم فلا يوقرك ، وأما كبيرهم فيحصي عليـــك عيوبك). ولابن لنكك :

عفا الله عن هذا الزمان فإنـــه　　　زمان عقوق لازمان حقـــوق

فكل رفيق فيه غير موافـــق　　　وكل صديق فيه غير صـــدوق

فهذا هو الوجه الأول

وأما الوجه الثاني : أن تتوسط ولا تنبسط ؛ لأن الانبساط يجلب إخوان السوء ، والانقباض يورث كثرة العداوة ، فلهذا إذا تعذر الوجه الأول ينبغي أن يكون المرء متوسطا في أمره ، بصيرا بدهره ، عاملا بعلمه ، مترديا بثوب حلمه ، لامضاغنا ولا ملاينا ، ولا مصاحبا ولا محاربا ، ولا مباعدا ولا مقاربا ، يظهر للمعارف الصفاء ، ويعامل الخلق بالوفاء ، ولا يستحقر ، ولا يستكبر ، ولا يستصغر ، ولا يسرف في حال ، ولا يقتر ، ولا يدنو ، ولا يدبر ، ولا يتبذل تبذل العبد الذليل ، ولا يترفع ترفع المستطيل ، ولا يجهل ولا يعجل ، ولا يجالس أهل اللهو والطرب ، ولا يتكلم ساعة الغضب ،

ولا يتبختر في مشيه ، ولا يتزين في جلسته ، ولا ينظر في عطفه ، ولا يدخل إصبعه عبثا في انفه ، ولا يبالغ في الضحك والمرح من أخلائه ، وليحترس من جميع جلسائه ، فإنهم يضحكون معه في وجهه ، ويظهرون السرور والتعجب من أفعاله في مجلسه وهم نقاد الأفعال ، وحراس الأعمال ، يحصون عليه الـزلات ، ويغتنمون عليه الهفوات ، فليكن مجلسه منظوما بالسكينة والوقار من غير استكبار ، محروسا عن النميمة والسخرية والغيبة ، مقصورا عن الكذب واللعب والريبة ، محفوفا بإظهار المناقب ، بعيدا عن ذكر المثالب ، لا يتعمق ، ولا يتنمق ، ولا يتملق ، ولا يجادل في غير حق ، فإن جادل فهو أسهل الخلق ، إن فلج سمح و لم يعنف ، وإن فلج قبل و لم يأنف ، يسلك المحجة ، ولا يتكبر عن قبول الحجة ، ولا يزكي نفسه ، ولا يعجب منها ولا من ولده ، ولا من أهله ، ولا يلوح في ذلك ولا يصرح وإن كان صادقا ، فإنه منقصة عند صديقه ، ومثلبة عند عدوه ، وممقتة عند ربه ، ولا يقابل الحسد بالحسد ، ولا الشر بالشر ؛ فإن الشيء لا يداوى بجنسه ، وإنما يداوى بضده ، ولا يغضب إن ذكر في غيبته بما لا يشافه به في حضرته ، فإنه متى أنصف وجد ذلك من نفسه ، حتى في والده ووالدته ، وابنه وابنته ، فإنه ربما ذكرهم في غيبتهم بما لا يتجاسر به في حضرتهم ، وإن لم يرد بذلك مذمتهم ، ولا يكفر النعمة ولا يغمصها ، وإذا أنعم فلا يذكرها ، ولا يشكو نفسه ولا ربه ولا أهله ولا عبده ولا غيره ،

وليكن صبورا وقورا ، يعتذر لمن قصر فيه قبل أن يعتذر إليه ، ولـــو رأى منكـــرا لم يطلع أحدا عليه ، أصم سميعا ، أعمى بصيرا ، سكوتا نطوقا ، عارفا بالحقائق مطلعـا على الدقائق ، لا يلهو ولا يزهو ، ولا يلعب ولا يلغو ، ولا يطرب ولا يعجب ، ولا يكذب ولا يعبث ولا يرفث ، ولا يؤذي من آذاه ، ولا يجفو من جفاه ، فهذه طريقة المعاشرة لمن طلب المسايرة ، ومال عن المنافرة.

وتم بذلك ما ينبغي أن يستعمل في المعاشرات على العموم ، والآن أنبيك بما ينبغـي أن يستعمل في المعاشرات على الخصوص ، بحسب اختـــلاف المنـــازل والأحـــوال بالإنسان ..

الإرشاد إلى كيفية المعاشرة مع العباد بحسب اختلافهم

اعلم أن الأحوال تختلف بالإنسان. قد يكون عالما، وقد يكون متعلما ، ووالـــدا أو ولدا ، أو غير ذلك،وقد يعاشر المسلم والفاجر ، فينبغي أن نذكر طرفا مما ينبغـــي في ذلك مع المواظبة على الاقتصار ، وترك الإطناب ، والحـــرص علـــى الاختصـــار ، وحذف الإسهاب ، ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والتسديد ، إنه حميد مجيد.

اعلم يا أخي أيدك الله أن الصبر ملاك العمل ، والملل قائد الخلل ، فمن كثر صـــبره قل ملله ، ومن قل ملله قل خلله ، ومن قل خلله حسن عمله ، وبالنقيض من ذلـــك يكثر ملله وخلله ، ويقل ويقبح عمله. فازرع الصبر تجني النصر ، وتحصف الأجـــر ، وتكثر الفخر ، وتذخر الشكر مدى الدهر .

[آداب العالم]

فإن تكن عالما فآداب العالم كثرة الصبر ، وسعة الصدر ، وتدرع الحلم مع العلـــم ، وترك الحسد والوغر ، والاحتراس من الضيق والضجر ، وإيثار التواضع ، ومجانبـــة الحرص والمطامع ، والتدرب بما يسر السامع ، من غير إيغال في الكلام ، ولا تقصـــير عن المرام ، حسن البيان كثير الإحسان ، منتدب لتعليم كل إنسان ، مع رفق ولـــين بالمتعلم المستفيد ، وتأن كثير بالمتعجرف العنيف ، وإصلاح البليد ، وحسن إرشـــاد

القريب والبعيد ، وحذف الأنفة من قول لا أدري فيما لا تعلم ، فإنه أشرف من ظهور الجهل وأسلم ، والتسهيل لطرق التدريس ، والإقبال على الجليس ، واجتناب المهازلة والمداعبة ، وعند المناظرة يكون الكلام مناوبة لامناهبة ، وحسن الإصغاء إلى السائل ، والتأني في جواب المسائل ، والميل عن القضاء ، والإحالة على غيره في الفتوى ، إلا حيث يتعين عليه ، أو يتوهم فيه ما ليس فيه، والمساواة بين المتعلمين في الظاهر ، وإن فاضل بينهم في الباطن بحسب اختلاف منازلهم ، فإن منهم الفطن والقابل للدقائق ،والبليد المنحط عن درك الحقائق ، فيجب أن يعطي كل منهم على قدر احتماله ، من غير إظهار لما يوقع الظغن والأحقاد ، ولا استعداد ، لما يهيج حسد الحساد ؛ فإن هذا القبيل يكثر في أهل المدارس ، ولا يسلم منه إلا الندب الممارس، وينبغي أن يكون متترها عن الأسواء، مؤاخذا لنفسه بالتقوى ؛ فإن المتعلم يأخذ عنه عمله كما يأخذ عنه علمه ، وربما كشف حاله ، وزرى عليه أفعاله ، فيكون ذلك بسبب الإسقاط لمترلته ، والتهاون بحالته ، ولا يغضب أن يدرس على غيره ، فيستدل بذلك على قلة خيره ، ولايصاحب الفسقة ، ولا يداهن الظلمة فإنه يقتدى به في أفعاله ، ويجعل ذلك من جملة مذاهبه وأقواله.

وعلى الجملة فالعلماء ورثة الأنبياء ، فما عرف أنه يجب أن يتجنبه الأنبياء فليحترس بذلك في العلماء.

والآن أنشر لك من الأخبار مع الاختصار ما يؤيد هذا المقال ، ويكشف عن هذه الحال ، من غير تطويل ولا إخلال ، بعون ذي الجلال.

روى عن النبي ﷺ(أنه قال : ينبغي للعالم أن يكون قليل الضحك ، كثير البكاء ، لا يمازح ، ولا يماري ، ولا يجادل ، إن نطق نطق بحق وإن صمت صمت عن باطل ، وإن دخل دخل بعلم وإن خرج خرج برفق).[1]

وروى (أنه كان بيد رسول الله ﷺجريدة يستاك بها ، ويروع بها المنافقين ،

---

(١) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١١/٤٢٥ إلى كتر العمال ٢٩٢٨٩ .

فأتاه جبريل فقال : ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك ، وملأت قلوبهم رعبا)

وروى أنه عليه السلام خدش أعرابيا خدشة بغير تعمد ، فأتاه جبريل فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأعرابي فقال : اقتص مني . فقال الأعرابي : قد أحللتك بأبي أنت وأمي ، وما كنت لأفعل ذلك أبدا ، ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مثل العلماء كمثل النجوم ، يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة).

شبههم بالنجوم ؛ لأن في النجوم ثلاثة أشياء ، وهي في العلماء ، فالنجوم زينة السماء قال [تعالى] : **{ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح}**[1] والعلماء زينة الأرض ، وزينة البلاد والعباد ، والمحافل والقوافل ، والمجالس والمدارس. والنجوم يهتدى بها قال تعالى : **{وبالنجم هم يهتدون}**[2] وكذلك العلماء يهتدي بهم الضالون ، ويستنير بنورهم المؤمنون. والنجوم رجوم الشياطين ، وكذلك العلماء العاملون فإنهم عن الدين يذبون ، وبسهام علمهم لأهل العناد يرمون ، وبمراجيم الكتاب والسنة يرجمون

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين).[3]

---

(١) الملك : ٥ ، ولفظ الأصل (إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح) ولا توجد آية بهذا اللفظ ، بل الموجود آية الملك هذه ، وآية أخرى في سورة فصلت : ١٢ {وزينا السماء الدنيا بمصابيح} .

(٢) النحل : ١٦ .

(٣) رواه في مسند شمس الأخبار عن أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام ، وقال السيد الجلال : أخرجه البيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عدي ، وغيرهم عن إبراهيم ، وعبد الرحمن بلفظه .

وعزاه في الموسوعة ٢٩٦/١١ إلى شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ٥٢/١٤، ٥٥، ٥٦، ومشكاة المصابيح للتبريزي ٢٤٨٥، وكتر العمال ٢٨٩١٨ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٠٥/٥، والكامل في الضعفاء لابن عدي ١٥٢/٢، ١٥٣، ٩٠٤/٣، وتفسير القرطبي ٣٦/١، ٣٦١/٧ ، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٠، وضعفاء العقيلي ٩/١، والموضوعات لابن الجوزي ٣١/١، ولسان الميزان ٢٠٠/٦ .

وروى أن يحي وعيسي عليهما السلام كانا إذا نزلا قرية نزل يحي عليه السلام على الأبرار ، ونزل عيسي عليه السلام على الفجار ، فقيل له : يا روح الله ما بالكما تترلان كذا ؟ فقال : أنا طبيب أعالج المرضى.[1]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل حفظ علما فسئل عنه فكتمه إلا جيء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار).[2]

وعن علي عليه السلام (يا حملة العلم اعملوا به ، فإنما العالم من علم وعمل ووافق عمله علمه ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم[3] ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف علمهم عملهم ، يقعدون حلقا فيباهي بعضهم بعضا ، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه) .

وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أي الناس أشر ؟ قال : العلماء إذا تفاسدوا).[4]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المفتي يدخل فيما بين الله وبين عباده).[5]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتيا).[6]

---

(١) الحكاية رواها الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، باب الحث على إظهار العلم .

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١١٤، باب الحث على إظهار العلم ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٥/١ ، وهو بألفاظ أشهر في مصادر كثيرة ، منها : ما أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٦/١ ، ٥٤، ٥٧، عن عبد الله بن عمر ، وأبي هريرة ، والإمام أبو طالب الهاروني عليه السلام في أماليه ص ١٠٩ ، عن أبي سعيد ، وابن حبان (الإحسان) ٢٩٧/١ ، رقم ٩٦ ، انظر تخريجه هناك .

(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين رقم ٢/٤٧ ، بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في كنز العمال رقم ٩٤١٩ ، أوله (يا حملة القرآن) وعزاه إلى سنن الدار قطني ، في حديث ابن مردك ، والخطيب في الجامع ، وأبو الغنائم في كتاب أنس ، وابن عساكر عن علي عليه السلام .

(٤) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، باب في علماء السوء رقم ١٠٤ .

(٥) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، باب في كراهية الفتوى ، بسنده عن محمد بن المنكدر رقم ٢٤ .

(٦) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٢٣ ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢٣٣/٢ ، وفي كنز العمال ١٨٤/١٠، رقم ١٨٩٦١ ، وفيه تقدم وتأخير ، وعزاه إلى الدارمي عن عبيد الله

ابن أبي ليلى قال : (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ فما كان منهم محدث ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه).

ابن مسعود (من أفتى الناس في كل ما تستفتون فيه فهو مجنون).

وعن أبي ذر قال : (قال رسول الله ﷺ لا تول أمانة ولا تقض بين اثنين).[1]

وعن عبد العزيز بن سعيد قال : (أوصاني أبي فقال : يا بني أوصيك بما رأيت عليه النبي ﷺ وأصحابه ، رأيتهم حسنة أخلاقهم ، محزونين كأنهم قوم لا يحسنون شيئا وإذا سئلوا عن شئ أحال بعضهم على بعض ، يا بني إياك أن تقول بغير علم فتخرج عن الدين).

عامر الشعبي سأله رجل غريب عن شئ وعنده أصحابه . فقال : لا علم لي به. فقال الرجل : إني غريب جئت من كذا ، ما أتيت رجلا إلا أرسل بي إليك . قال : فإني لا علم لي به فرجع الرجل ، وقال له أصحابه : ألا أفتيته فإنا استحيينا منك ، ولو لم تكن عندنا لأفتيناه. قال : إني والله ما استحييت منه أن رددته ، إن الملائكة لم يستحيوا من ربهم أن قالوا : {لا علم لنا إلا ما علمتنا}.[2]

كثرت المسائل من الناس على القاسم بن محمد فقال : (يا هؤلاء كفوا بعض مسائلكم ، فإنا لا نعلم كل شئ ، وإن علمنا ما كتمنا).

وسئل مالك عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها : لا أدري ،

وفي مخالطة العلماء الأمراء

قال النبي ﷺ : (العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ،

بن جعفر مرسلا ، وهو في الموسوعة ١٦١/١ ، وعزاه إلى الكنز ، وإلى الدارمي ٥٧/١، وكشف الخفاء ٥١/١، وانظر النوافح العطرة ص ١٩ رقم ٣٦ .

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٨٠، باب كراهية القضاء وفضله ، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده رقم ٢١٠٦٣ ، ط بيروت عن أبي ذر ، من حديث طويل وآخره (ولا تقبض أمانة ، ولا تقضين بين اثنين) كما أخرجه أحمد برقم ٢١٠٦٤ ، بلفظ مقارب .

(٢) البقرة : ٣٢ .

ويدخلوا في الدنيا ، فإذا دخلوا في الدنيا ، وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم).[1]

وعن فضيل قال (كنا نتعلم اجتناب باب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن).

سعيد بن المسيب (إذا رأيتم العالم يغشي الأمراء فهو لص).

ونظر أبو هاشم العابد إلى شريك يخرج من دار يحي بن خالد ، فقال وبكى : (نعوذ بالله من علم لا ينفع).

وعن بعضهم : مالنا لا ننتفع بالمواعظ! فقال : لعل القائل أو المستمع سقيم ، وصارت الأطباء خونة ، يعطون مكان الترياق سما.

وأقول : صدق ، إن العلم إذا لم ينتفع به صاحبه فأجدر أن لا ينتفع به غيره ؛ لأن الإقتداء في الأعمال أكثر من إتباع الأقوال ؛ لأن القول إنما يراد للعمل ، وما قست القلوب وتجاسرت الناس على كثرة الذنوب في زماننا إلا بسبب علماء السوء.

وعن بعضهم (إن لم تكن ملجأ يصلح فلا تكن ذبابا تفسد).

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بئس القوم قوم يستحلون الشهوات بالشبهات) .

فهذا طرف في آداب العالم ، ولو ذكرنا ما فيه لما اتسع له إلا مجلدات ، فاعرفه وافهم واعمل.

وأما آداب المتعلم

فهو أن يقصد بالعلم وجه الله والدار الآخرة ، ويكون كثير الورع ، قليل الطمع مواظبا على العلم ، مترديا بالحلم ، لابسا للوقار ، مطرحا للاستكبار ، يأخذ العلم من كل أحد لا ممن لا يثق بروايته ، أو من يخاف من فتنته ، وفي زماننا هذا لا ينبغي

---

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٦٨/١ ، والإمام أبو طالب ص ١٢١ بلفظ مقارب ، وأخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢٣٢/١ ، وعزاه المحقق البارودي عن علي مسندا ، والحسن بن شيبان ، والعقيلي ، والحاكم في تاريخه عن أنس ، والديلمي ، والعسكري ، وغيرها . انظر موسوعة أطراف الحديث ٥١٨/٥ .

أن يكثر من التقليد في العمل ، وإن قلد في العمل فإن العلوم محروسة ، والأعمال مبخوسة ، ولا يماري ولا يكابر ولا يكاثر ، ويحرس نفسه من دناسات المدارس ، وقذارات المجالس ، ويلزم الاعتزال إلا من أستاذه.

ثم عليه للعالم أن يبدأه بالسلام ، ويقل بين يديه الكلام ، وإن يخضع له ويعظمه ، ولا يمقته ، ولا يعيبه ـــ ولا يسأله حتى يستأذنه ، ولا يعارضه بقول غيره ، ولا يبلغه أيضا قبيحا عن غيره ، ولا ينقض عليه كلامه إلا أن يكون على وجه السؤال ؛ لأنه في موضع السؤال ، والعالم هو المسئول ، ولا يغشه ، ولا يخدعه ، ولا يحسده ، فإن حقه عليه أعظم من حق والديه ، وليكن هادئا بين يديه ، مقبلا عند الكلام عليه ، وينبغي أن تكون نصيحته له ، وإشارته عليه ، ومناظرته له ، وأجناس ذلك على وجه السؤال كأنه يقول : إن كان كذا ، وهل تكون كذا ؟ وهل يصلح كذا ؟ وما أشبه ذلك ، ويجب أن يجله ولا يمله ، ولا يقعد عند قيامه ، ولا يقوم عند قعوده إلا وهو مبين لعذره ، معظم لأمره ، ناصح له في سره وجهره ، منقاد له في حكمه ، وكل ذلك بقدر عمله وعلمه. فهذا وأجناسه من آداب المتعلم.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صحبة العلماء زين ، ومجالستهم كرم ، والنظر إليهم عبادة ، والمشي معهم فخر ، ومخالطتهم كرم ، والأكل معهم شفاء ، تنزل عليهم ثلاثون رحمة ، وعلى غيرهم رحمة واحدة ، هم أولياء الله ، طوبى لمن خالطهم ، خلقهم الله شفاء للناس ، فمن حفظهم لم يندم ، ومن خذلهم ندم) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (العلم خزائن مفاتيحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ، فإنه يؤجر عليه أربعة : السائل ، والمتكلم ، والمستمع ، والمجيب).[1]

وعنه عليه السلام (من تعلم العلم لثلاث فهو في النار ، ليماري به السفهاء ، أو يباهي

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص ١١٦ ، وأبو نعيم في الحلية ١٩٢/٣ ، وهو كما في موسوعة أطراف الحديث ٥١٧/٥، وفي كنز العمال ٢٨٦٦٢ ، والمغني عن حمل الأسفار ، وكشف الخفاء ٢٥/٢، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٣٢/٢ ، وإتحاف السادة المتقين ٩٩/١ ، وكشف الخفاء ٨٠/٢ ، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٥ .

به العلماء ، أو يصرف به وجوه الخلق إلى نفسه).[1]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(من جاء أجله وهو يطلب العلم لقيني و لم يكن بينه وبين النبيئين إلا درجة النبؤة).[2] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(قيدوا العلم بالكتاب).[3]

وقال عليه السلام (من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ، لا ينبغي له أن يخذله ، ولا يستأثر عليه).[4]

وقال صلوات الله عليه وآله: (إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم)[5].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اكتبوا هذا العلم عن كل صغير وكبير ، وغني وفقير ، ومن ترك العلم من أجل أن صاحبه فقير ، أو أصغر منه سنا ، فليتبوأ مقعده من النار)[1].

---

(١) أخرجه الإمام الموفق بالله في كتابه الاعتبار وسلوة العارفين رقم ١٠٢ ، باب علماء السوء ، عن أبي هريرة ، وهو بألفاظ مقاربة عند ابن ماجه ، عن أبي هريرة رقم ٢٦٠ ، وعن حذيفة رقم ٢٥٤، عن جابر ، ورقم ٢٥٣ ، عن ابن عمر ، وهو في كنز العمال بأرقام ٢٩٠٣٢ ، ٢٩٣٣، ٢٩٠٣٦، معزوا إلى ابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم في المستدرك ، والترمذي ، وهو في سنن الترمذي رقم ٢٦٥٤ ، وانظر مسند شمس الأخبار ١٧١/٢، والموسوعة ١٩٧/٨ .

(٢) أورده في شمس الأخبار ١٦٤/١ عن المجالس برواية السمان ، وعزاه المحقق إلى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس بلفظه ، وضعفه المنذري ، كما عزاه صاحب الموسوعة ٢١٥/٨، إلى كنز العمال ٢٨٨٣١، ٢٨٨٣٢ ، والخطيب في تاريخ بغداد ٧٨/٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٠٦/١، والخطيب في تاريخ بغداد ٤٦/١٠ ، وهو في كنز العمال رقم ٢٩٣٣٢ ، وجامع بيان العلم ٧٢/١، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٧٩٣/٢، والعلل المتناهية ٧٨/١ ، وبلفظ (قيد العلم بالكتابة) تفسير القرطبي ٢٠٦/١٠ ، والعلل المتناهية ٧٧/١ ، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٢٢ ، كما في موسوعة أطراف الحديث ٧٣٩/٥ .

(٤) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ٨٤/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق (تهذيبه ٥٦/٢ ، والطبراني في الكبير ، وهو في مجمع الزوائد ١٢٨/١، وفتح القدير ٢٤٨/٨، وكنز العمال ٢٣٨٤، وتاريخ جرجان ٥٠٥ ، وغيرها ، انظر موسوعة أطراف الحديث ٤٠١/٥ .

(٥) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ١٠٨ ، والهاشمي في الأربعين السيلقية ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٢٣/١ ، قال محققه : وأخرجه أبو نصر السجزي ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٤٥٧/٣ إلى كنز العمال رقم ٢٩٣١٦ . وغيره .

وفي إكرام المتعلم

قال : (من أراد رضائي فليكرم صديقي . قيل : ومن صديقك ؟ قال : طالب العلم وهو أحب إلي من ملائكة السموات والأرض. من أكرمهم فقد أكرمني ومن أكرمني فله الجنة ، وليس شئ أحب إلى الله من العلم ولمذاكرة العلماء ساعة أحب إلى الله تعالى من عبادة عشرين ألف سنة) ,

سالم ابن أبي الجعد[٢] (اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم فأعتقني ، فقلت : أي حرفة أحترف ؟ فاخترت العلم ، فما تمت السنة حتى أتاني أمير المؤمنين زائرا فلم آذن له).

وفي حديث النبي ﷺ (ليس منا من لم يكن عالما أو متعلما) .

وعنه ﷺ(ألا أدلكم على أشراف أهل الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : هم علماء أمتي ، الكواكب زينة السماء ، والعلماء زينة أمتي) [٣]ولبعضهم :

من كان مفتخرا بالمال فإنما فخرنا بالعلم

لا خير في رجل حر بلا أدب نعم وإن كان معروفا من

وعن النبي ﷺ (على يمين عرش الرحمن رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغشاهم بياض ، وجوههم نضرة للناظرين ، يغبطهم النبيئون والشهداء . فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم جماع من نوازع القبائل ، يجتمعون على ذكر الله ، ينتقون أطائب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه) .

وعنه ﷺ(كن عالما ، أو متعلما ، أو مستمعا ، أو محبا ، ولاتكن الخامس فتهلك).[٤]

وعن النبي ﷺ (إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة ، لا يسدها شئ إلى يوم

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ١١٦ عن ابن عمر .

(٢) هو سالم بن أبي الجعد ، واسم أبي الجعد : رافع الأشجعي ، مولاهم الكوفي المتوفى سنة ١٠١ هـ من أصحاب الإمام زيد بن علي عليهما السلام ، روى أنه دخل عليه ليناظره مع حجاج بن أرطان في أمر الخلافة ووعده أن يبايعه ، وتوفي قبل خروج الإمام . انظر معجم رجال الاعتبار .

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ٧٤/٤ ، إلى تاريخ جرجان ١٧٢ .

(٤) عزاه في الموسوعة ٤٧٣/٦ إلى أحاديث القصاص ٥٢ ، وكشف الخفاء ١٩١/٢ .

القيامة).[1]

وعن عمر (موت ألف عابد ، قائم بالليل ، صائم بالنهار أهون من موت عالم).

ولما مات علي عليه السلام قال ابن عباس : (مات رباني هذه الأمة).

ولما توفي في أيام قلائل جماعة من العلماء قام حكيم من أهل الهند فقال :

(يا معشر الناس إنه قد خلت الأفلاك من كواكبها، وعطلت الأرض من مناهلها، وأفرغت العقول من أنوارها).ولبعضهم :

وا أسفا من فراق قوم هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي والخير واليمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي حتى توفتهم المنون
فكل قلب لنا نار وكل عين لنا عيون

وهذا عارض فلنرجع

قال قتادة : (لو اكتفى أحد من العلم لاكتفى نبي الله موسى حيث قال : **{هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا}**.[2]

وكيع بن الجراح قال : (كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل ، وكنا نستعين على طلبه بالصوم).

وقال الرشيد للمأمون :(أيحسن لمثلي طلب العلم ؟ فقال المأمون : والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل).

هذا طرف من الكلام في المتعلم .

---

(١) عزاه في الموسوعة ٤٠٥/١ ، إلى تذكرة الموضوعات ٢١ ، والفوائد المجموعة ٢٨٧ ، وكشف الخفاء ١٥/١ ، ٤٠٠/٢ ، وله شاهد عن عائشة رفعته بلفظ (موت العالم ثلمة في الإسلام لا تسدها ما اختلف الليل والنهار) رواه البزار كما في مجمع الزوائد ٢٠١/١ .

(٢) الكهف : ٦٦ .

[معاشرة الوالدين]

وأما معاشرة الوالدين فكفى بقول الله تعالى : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**[1]﴾ وقوله : ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسنا**[2]﴾ وغير ذلك.

وعلى الجملة يجب أن تمتثل لأمرهما ونهيهما ، وتعظم شأنهما ، وتلبي دعوتهما ، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما ، وتجتهد في طلب مرضاتهما ، وتذلل لهما وتخفض بين أيديهما ، ولا تتقدمهما ، ولا تمن عليهما ، وانظر بالرحمة إليهما ، ولا تنهرهما ، ولاتنظر شزرا إليهما ، ولا تقطب في وجوههما ، ولا تسافر إلا بإذنهما ، ولتكن كل أمورك مرتبة على رضائهما ما لم يكن في غضب الله .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (رضاء الرب في رضاء الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين).[3]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(لنومك على السرير برا لوالديك تضحكهما وتضحك أفضل من جلادك بالسيف في سبيل الله) .

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (يا علي سر سنتين بر والديك ، سر سنة صل رحمك ، سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا في الله ، سر خمسة أميال أغث الملهوف ، سر ستة أميال انصر المظلوم) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(ما من ولد بار ينظر إلى والديه رحمة إلا كانت له بكل نظرة حجة مبرورة مقبولة. فقيل : يا رسول الله وإن نظر إليهما في كل يوم مائة مرة ؟ قال :

---

(١) الإسراء : ٢٣ .

(٢) العنكبوت : ٨ .

(٣) عزاه في الموسوعة بلفظه إلى الدر المنثور ١٧/٤، وكنز العمال ٤٥٥٥١ . وكشف الخفاء ٥٢/١ ، وبلفظ (في رضاء الوالد) إلى الترمذي رقم ١٨٩٩ ، والحاكم في المستدرك ١٥٢/٤ ، وغيرها . انظر الموسوعة ١٤٢/٥ .

وإن نظر إليهما في كل يوم مائة ألف مرة).[1]

وقال رجل للحسين [عليه السلام] : (إني قد حججت وقد أذنت لي أمي ، فقال : لقعدة تقعدها معها على مائدتها أحب إلى الله من حجك).

وعن وهب قال : إن الله تعالى قال لعزير :(بر والديك فمن بر بوالديه رضيت عنه فإذا رضيت باركت ، فإذا باركت بلغ الرابع من النسل ، ولا تعق والديك ، فمن عق والديه غضبت ، وإذا غضبت لعنت وإذا لعنت بلغ الرابع من النسل).

وقيل في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ[2]﴾يعني عند لفظك عنهما القذر كما كانا فعلاه معك وأنت في المهد.

وكان أعرابي حمل أمه في الطواف وهو يقول :

إني لها مطية لا أذعر إذا الركاب نفرت لا أنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم قال لابن عباس : هل جازيتها ؟ قال : لا ، ولا بطلقة من طلقاتها.

وكان كهمش بارا بأمه فخدمها ، فبعث إليه سليمان بن علي بصُرَّة يشتري بها خادما يخدمها فردها وقال : إن أمي لم ترض غيرها لخدمتي ، فلا أرضى غيري لخدمتها ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته)[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي هريرة ، وقد أراد أن يخرج للجهاد وأمه عمياء ،وقد أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :(إنك لخارج وتارك عجوزا كبيرة ، لا تستطيع أن تخرج إلى مرفقها ، وترى أنك لست في جهادك إذا كنت عندها، بل إنك في أفضل الجهاد ، ولو أنك خرجت إلى مشارق الأرض ومغاربها ـ وأشار بيده إليهما وهو

---

(١) عزاه في الموسوعة ٣٠٤/٩ إلى الدر المنثور ١٥٣/٤ ، ومشكاة المصابيح ٤٩٤٤ ، وكنز العمال ٤٥٥٣٥

(٢) الإسراء : ٢٣ .

(٣) عزاه في الموسوعة ١٧/٥، إلى كنز العمال ٣٣١٣، وابن عساكر ٣٠٠/٢، وتاريخ أصفهان ١٨٥/١ . وغيرها

يقول : ـــ لو أنك خرجت هاهنا وهاهنا ورجعت وهي عليك ساخطة لكنت مـــن أهل النار) فجلس أبو هريرة . والكلام في هذا يطول وفيما هاهنا كفاية.

المعاشرة بين الزوجين

[حقوق الزوجة]

أما حق الزوجة : فهو أن ينفقها ، ويكسوها ، ويوفيها مهرها ، ويحســـن خلقـــه معها ، ولا يضارها ، ولا يصارمها ، ولا يسبها ، ولا يسب أهلها ، ولا يـــهجرها ، ولا يعجل عليها ، ويجب أن يعلمها معالم دينها ، وإن يؤدها ، وإن يـــهذبها ، وإن لا يستكبر عليها ، ولا يذم خَلْقَهَا ولا خُلُقَهَا، ولا يفش سرها ، ولا يعلم أحدا بقبـــح فعلها ، ولا بشواهة خلقها ، ويجب أن يتجاوز عنها ، ويعلمها من الصناعات مـــا يليق بها ، ولا يفجعها بفرقة ولدها إلا على حسب ما أمر الله به فيها.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد سئل ماحق الزوجة على الزوج ؟ قال : (تطعمـــها إذا طعمت ، وتكسوها إذا كسيت ، ولا تضرب وجهـــها ، ولا تقبـــح أمرهـــا ، ولا تهجرها ، ثم قال : اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئا وإنما اتخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله).[1]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:(إن أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج).[2]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(النساء عي وعورات،فاستروا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت)[3].

---

(١) أورده في مسند شمس الأخبار ٢١٦/٢ ، عن أمالي الإمام أحمد بن عيســـى عليه‌السلام ، قـــال الجـــلال : وأخرجه أبو داود ، وابن حبان ، عن معاوية بن حميده .

(٢) رواه في شمس الأخبار ٢١٣/٢ عن أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان عليه‌السلام ، قال السيد الجـــلال : وأخرجه أحمد والشيخان ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن عقبة بن عـــامر ، وانظـــر مصادر الحديث بتوسع في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٥/٣ .

(٣) أورده في مسند شمس الأخبار ٢١١/٢ عن رياض المظفر الحملوني ، عن علي عليه‌السلام ، وعزاه المحقق إلى ابن لال عـــن أن مرفوعا بلفظ مقارب ، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٤/٨ ، وانظر الموسوعة ١٠١/١٠ .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من أكرم زوجته فإنما يكرم الله) .

ومن حقوق الزوجة مهرها.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم)[2].

وقال عليه السلام :(من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل)[3].

وعن أم حبيبة قالت : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت وتدخل هي وزوجاها الجنة لأيهما تكون ؟ قال : تكون لأحسنهما خلقا كان معها في الدنيا فيكون معها في الجنة، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة)[4].

[حقوق الزوج]

وأما حق الزوج فهو أكثر من أن يشرح ، ونحن نذكر فيه بعضا مما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

روى سعيد بن المسيب قال : (جآءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : إني امرأة كثيرة الخطاب ، وقد رغب في الرجال ، فجئت أسألك عن حق الزوج على الزوجة . فقال : يا هذه إن دعاك أجبتيه في أول دعوة ، فإن عنيتيه إلى الثانية حبط عنك

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ، كما في مسند شمس الأخبار ٢/٤١٤ ، وقال السيد الجلال : أخرجه أحمد والترمذي ، وقال : حسن غريب ، والدارمي ، والدار قطني ، والحاكم في المستدرك ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن ، والضياء في المختارة عن أبي أيوب .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ، كما في مسند شمس الأخبار ٢/٢١٥ ، وانظر تخريج السيد الجلال هناك .

(٣) أورده في مسند شمس الأخبار ٢/٢١٢ عن أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان ، وقال السيد الجلال : أخرجه أبو داود الطيالسي ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة .

(٤) رواه في مجمع الزوائد ٨/٢٤، وقال : رواه الطبراني والبزار باختصار ، وفيه عبد بن إسحاق متروك .

أجر سبعين صلاة مكتوبة ، قال : فمدت يدها إلى جيب قميصها قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تعمل عملا فيقسم عليها زوجها ، فلم تبر قسمه إلا لم يوزن لها عند الله يوم القيامة مثقال ذرة. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تخرج بغير أذن زوجها إلا كتب عليها بكل ذرة وورقة وشجرة وكل خطوة تخطوها سيئة ، ومحيت عنها حسنة. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تسيء النظر إلى زوجها إلا بعثت يوم القيامة ممسوخة الرأس والجسد. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل لسانها ستين ذراعا يعقد خلف عنقها ، ثم يشق باثنتين ، يتوقد من شفتيها نار تحرق وجهها. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة لها مال فاحتاج زوجها إلى مالها فمنعته إلا هتك الله سترا بينه وبينها. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تصدقت من بيت زوجها بصدقة إلا كتب أجر ذلك لزوجها، وكتب عليها بكل ذلك وزر. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم لا تصوم إلا بإذن زوجها إلا شهر رمضان، فإن صامت كان الأجر لزوجها ، ولم تقبل منها الصلاة. قالت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ما من امرأة تصلي فلا تبدأ برها ثم تصلي على نبيها،ثم تدعو لزوجها ثم لنفسها إلا ضرب بها وجهها. قالت : يا رسول الله وإن كان الزوج ظالما لها ؟ قال : نعم. قالت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق نبيا لا يملك علي امرؤ أبدا)[1] .

وعنه ﷺ(ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة ، رجل وصول لرحمه فيعطف عليهم ورجل صنع طعاما فأطابه ودعا عليه الفقراء ،وامرأة كان لها زوج فمات عنها وترك أيتاما فخطبها رجل فأبت أن تتزوج،وأقرت على الأيتام حتى كفاهم الله وأغناهم)[2].

---

(١) أورد مقاطع منه في كتر العمال رقم ٤٥٨٦٧. وعزاه إلى عبد الرزاق .

(٢) أورده في كتر العمال رقم ٤٣٢٤٣ ، بلفظ (ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله ، واصل الرحم يزيد الله في رزقه ، ويمد في أجله ، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاما صغارا ، فقالت : لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا ، أو يغنيهم الله ، وعبد صنع طعاما ، فأضاف ضيفة ، وأحن نفقته ، فدعا عليه اليتيم والمسكين ، فأطعمهم لوجه الله تعالى) وعزاه إلى أبي الشيخ في التواب ، والأصبهاني ، والديلمي في الفردوس عن أنس

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (صرير غزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله)[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله يحب المرأة الملقة البرعة[2] مع زوجها ، الحصان عن غيره)[3].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (خير نسائكم الودود الولود ، التي إذا غضبت أو أغضبت قالت : لا أكحل عيني بغمض حتى ترضى)[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أيما امرأة وهبت صداقها لزوجها كان لها بكل مثقال ذرة عتق رقبة ، وأيما امرأة كتمت سر زوجها وإن كان فاجرا دخلت الفردوس مع الحور العين).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن خير النساء قال : (التي تطيع إذا أمر ، وتسره إذا نظر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ومالها).[5]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (خير نسائكم الطيبة الريح ، الطيبة الطعم ، التي إذا أنفقت أنفقت بمعروف وإذا أمسكت أمسكت بمعروف ، فتلك عاملة من عمال الله ، وعامل الله لا يخيب ولا يندم)[6].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها)[7].

وعنه عليه السلام (أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة)[1].

---

(١) له شاهد رواه في كنز العمال رقم ٤٥١٦٤ ، بلفظ (نعم لهو المرأة مغزلها) وعزاه إلى الديلمي عن أنس .

(٢) الملقة : بكسر اللام ذات الود ، وذات الصفات الملساء . البرعة : هي النافعة .

(٣) أخرجه الحافظ محمد بن منصور المرادي في أمالي الإمام أحمد بن عيسى ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢٠٩/٢ ، قال السيد الجلال : أخرجه الديلمي عن علي عليه السلام بلفظه .

(٤) أخرجه المرادي في أمالي الإمام أحمد بن عيسى ، وهو في مسند شمس الأخبار ٢٠٦/٢، عن علي عليه السلام ، قال السيد الجلال : وأخرجه الطبراني عن أنس مرفوعا ، من حديث طويل .

(٥) أخرجه الحافظ المراد في أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام ، عن أبي هريرة ، كما في مسند شمس الأخبار ٢٠٨/٢ . وهو شهير بألفاظ متقاربة ، انظر موسوعة أطراف الحديث .

(٦) أخرجه المرادي في أمالي أحمد بن عيسى ، عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام .

(٧)أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام كما في مسند شمس الأخبار ٢١٢/٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه ابن أبي شيبة ، وابن ماجه عن عائشة ، والبيهقي في سننه عن أبي هريرة ، وهو عند ابن ماجه برقم ١٨٥٢ ، وفي المستدرك ١٧٢/٤، وانظر موسوعة الأطراف ٦٣٦/٦ .

وعنه ﷺ(المرأة لآخر أزواجها في الجنة).[٢]

المعاشرة مع العيال

أما الولد فالتهذيب ، والتأديب ، والتعليم ، والانكاح ، وانتخاب الخال الصالح مع الاسم الحسن ، والتمرين له على أحسن الأخلاق ، والأولاد ثمرة الفؤاد.

وفي حديث النبي ﷺ (إن لكل شئ ثمرة ، وإن ثمرة القلب الولد ، وإن الله لا يرحم من لا يرحم ولده)[٣].

وعن النبي ﷺ (أحق من أكرم الرجل ابنته وأخته)[٤].

وروى عنه ﷺأنه قال : (من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن صحبتهن كن له طريقا إلى الجنة).[٥]

وفي حديث النبي ﷺ (ريح الولد من ريح الجنة)[٦].

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب كما في مسند شمس الأخبار ٢١٤/٢ ، وأحمد ١٤٥/٦، والحاكم في المستدرك ١٨٧/٢ ، والبيهقي في الشعب عن عائشة ، وانظر موسوعة أطراف الحديث ٢٤/٢ .

(٢) أخرجه السمان في المجالس ، كما في مسند شمس الأخبار ٢١٨/٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه الطبراني في الكبير ، والخطيب عن عائشة ، بلفظه ، وضعفه السيوطي . قلت : هو في تاريخ بغداد ٢٢٨/٩ ، وكنز العمال ٤٥٥٨٠، ٤٥٥٥٧ ، والمطالب العالية ١٦٧٣ ، وصححه الألباني ١٢٨١ ، وانظر موسوعة الأطراف ٦٦٧/٨ .

(٣) هو في كنز العمال بدون زيادة (وإن الله لا يرحم) وبلفظ (لكل شجرة) وعزاه إلى البزار عن ابن عمر ٤٥٤١٥، وعزاه في الموسوعة ٣٨٤/٣ ، إليه ، وإلى القرطبي ٣٨٤/٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٩٥٥ ، بلفظ (أحق ما يكرم الرجل ابنته) وأحمد بلفظ (أحق ما أكرم به) ١٢٢/٦ ، وانظره مع شواهده في موسوعة أطراف الحديث ١٥٨/١ .

(٥) أخرجه الشهاب في مسنده بلفظ مقارب ، كما في شمس الأخبار ٢٢٢/٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه أحمد والشيخان ، والترمذي ، وابن حبان ، والبيهقي في الشعب عن عائشة ، وهو بألفاظ متقاربة في كثير من المصادر ، انظر الموسوعة ٩/٨ .

(٦) عزاه في الموسوعة ١٥٣/٥ ، إلى مجمع الزوائد ١٥٦/٨ ، وإتحاف السادة المتقين ٣٢/٦ ، وكنز العمال ٤٤٤٢٦ . وعزاه إلى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس .

أما إذا فجر الولد وفسق ، فمعاشرته بالعلاج حتى يرجع إلى الصلاح ، ولو بذل في ذلك أقصى الغايات.

قال الله تعالى : ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ وقيل لعيسي بن مريم : هل لـك في الولد حاجة ؟ فقال : ما حاجتي إلى من إن عاش كدني ، وإن مات هدني.

وقيل لأعرابي : لم أخرت التزويج إلى الكبر ؟ قال : لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق. ولبعضهم :

يقولون ذكر المرء يبقي بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن له

فقلت له نسلي بدائع حكمتي ... فمن نسله نسلي فإني به نسل

وقيل لعمر بن عبد العزيز وكان يفرق ماله : هلا تركت لأولادك ؟ فقال : إن كانوا أتقياء فإن الله يرزقهم ، وإن كانوا فجارا فلا أعينهم.

وهذا يجوز في حال الصحة ، وأما في حال المرض فلا يحل له إلا الثلث ؛ لما روي أن رسول الله دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده في مرض نزل به ، فقال : يا رسول الله أوصي بجميع مالي ؟ قال : لا . قال : فبثلثيه ؟ قال : لا . قال : فنصفه ؟ قال : لا. قال : فثلثه ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) . هذا في الولد.

وأما المماليك

فالمعاشرة معهم بما أوجب الله تعالى من النفقة والكسوة ، والرفق في الخدمة ، وترك العجلة عند الغضب ، حتى لا يتعدى إلى الضرب.

وفي حديث النبي ﷺ (للعبد الصالح المملوك أجران)[1].

وقال عليه السلام : (لا يدخل الجنة بخيل ، ولا خائن ، ولا سيء الملكة ، وأول من

---

(١) أخرجه بألفاظ متقاربة البخاري ٣/١٧٦ ، وعزاه في الموسوعة ٦/٦٦٠، إليه ، وإلى إتحاف السادة المتقين ٦/٣٢٠، ٤٠٢ ، والبيهقي في السنن ٩/١٢ ، والترغيب والترهيب ٣/٢٥٠ ، وتفسير القرطبي ٥/١٩٦ .

يقرع باب الجنة المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه)[1].

وعن المعرور بن سويد[2] قال : خرجنا حجاجا ، فلقينا أبا ذر بالربذة ، فإذا عليه برد ، وعلى غلامه برد مثله فقلنا : يا أبا ذر لو أخذت هذا البرد إلى بردك لكانت حلة ، وكسوته بردا غيره ؟ فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه ، فقال رجل : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟فصمت ثم قال: اعف عنه في كل يوم سبعين مرة)[3].

فأما سائر من يمون فما أو جب الله من النفقة والكسوة ، وغير ذلك من الملاينة والملاطفة ، وحسن المؤازرة.

وعلى الجملة تجب مراعاة أمر الله تعالى ، وآدابه التي أدب بها في الصغير والكبير ، والعزيز والحقير ، حتى في البهائم فإنه يجب أن لا يعنتها ، ولا يعذها ، ولا يلعنها ، ولا يضربها ضربا غير ما أبيح له فيها ، ويجب أن يرحمها ، ويرعاها ، ويعلفها ، أو يرسلها.

وفي حديث النبي ﷺ (من رحم ولو ذبيحته رحم يوم القيامة ، والرحمة من الإيمان ، والإيمان في الجنة)[4].

---

(١) أخرج مقاطع منه بألفاظ مقاربة ، في عدد من المصادر ، فقوله :(لا يدخل الجنة بخيل) أخرجه أحمد ٤١٥/١ ، وغيره كما في الموسوعة ٣٧٢/٧ ، وبلفظ (بخيل ولا خائن) في كتر العمال ٤٣٩٥٥، وقوله : (لا يدخل الجنة سيئ الملكة) سبق تخريجه ، وهو في الترمذي ١٩٤٦، وابن ماجه ٣٦٩١ ، أما قوله : (أول من يقرع باب الجنة) فأخرجه بلفظ مقارب أحمد ١/ ، وغيره ، انظر الموسوعة .

(٢) المعرور بن سويد : ....

(٣) أخرجه البخاري ١٤/١، ومسلم (الإيمان) ٤ ــ ١٦١/٥ وأحمد ١٥٨/٥، وهو في تلخيص الحبير ١٣/٤. وإتحاف السادة المتقين ٣٢٣/٦ ، وفتح الباري ١٨٤/١ ، وكتر العمال ٢٥٠٠٩، وأبو داود ٥١٥١٨، وابن ماجه ٣٦٩٠ ، ومشكاة المصابيح ٣٣٢٤٥، وشرح معاني الآثار ٢٥٦/٤، كما في الموسوعة ١٨٥/١ .

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٧٨/٨، إلى الدر المنثور ٣٧/٦، ومجمع الزوائد ٣٣/٤، والطبراني في الكبير ٢٧٩/٨، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢٤٣٢/٧ .

وروى سراقة بن مالك قال : (سألت رسول الله ﷺ فيما يغشى حياضي هل لي أجر إن أسقيتها ؟ قال : نعم في كل ذات كبد حرا أجر) .

وعن ابن مسعود (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فترلنا مترلا فيه قرية نمل فأحرقناها ، فقال لنا رسول الله ﷺ: (لا تعذبوا بالنار فإنه لا يعذب بالنار إلا ربها)[1].

(ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما ، فجاءت الحمرة إلى النبي ﷺ وهي تعرض ، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ فقلنا : نحن . فقال : ردوهما فرددناهما إلى موضعهما).[2]

وعنه عليه السلام قال : (غفر الله لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث ، يكاد يقتله العطش ، فترعت خفها ، وأوثقته بخمارها فترعت له من الماء فأحيته ، فغفر لها)[3]. وإذا كان هذا في سائر الحيوانات ففي الناس أولى ، ثم في المسلمين أحق وأولى ، ثم في الأقارب والعيال أولى وأحرى.

ولهذا قال النبي ﷺ (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وألطفهم بأهله)[4].

وقال ﷺ: (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي عليكم راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهله وبيته ، وهو مسؤول عن

---

(١)عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١٥٨/٧، إلى مصنف ابن أبي شيبة ٣٩٠/١٢، والبخاري ٧٥/٤، وأبو داود ٤٣٥١، والترمذي ٢٥٨، ١٤٥٨، وغيرها . انظر الموسوعة

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣٩/٤، وهو في البداية والنهاية ١٥٣/٦، وأبو داود رقم ٢٦٧٥ ، وانظر الموسوعة .

(٣) أخرجه البخاري ١٥٨/٤، وأحمد ٥١٠/٢، والبغوي في شرح السنة ١٦٦/٦، وهو في مشكاة المصابيح ١٩٠٢ ، وكتر العمال بأرقام ١٦٣٥٤، ٤٣٠٦٨، ٤٣١١٦، وانظر الموسوعة ٥٣٣/٥ .

(٤) أخرجه أبو داود رقم ٤٦٨٢، وأحمد ٢٥٠/٢، ٤٧٥، ٥٢٧ ، والدارمي ٣٢٣/٦ ، والحاكم في المستدرك ٣/١، والطبراني في الصغير ٢١٨/١، وابن حبان (موارد) ١٣١١، ١٩٢٦، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٢٨/٢، وقد سبق تخريجه في أول الكتاب .

رعيته ، والمرأة راعية على ولدها وزوجها وعلى ماله ، وهي مسؤولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، فكلكم راع،وكلكم مسؤول عن رعيته)[1].

المعاشرة مع الرحم

اعلم أن المعاشرة مع الأرحام بما أوجبه الله ذو الجلال والإكرام ، من البر والإحسان ، بالمال والكلام والسلام ، والزيارة والإكرام وقضاء الحوائج مع الإمكان ، والمواصلة والمؤازرة والمجاملة ، وترك المكافأة بالمقاطعة والمعاونة والمظاهرة ، وترك المدابرة والمكابرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[2] وقال :﴿**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾[3].

ووصف قوما بالفعل فقال : ﴿**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل**﴾[4].

وعن النبي ﷺ (صلوا الأرحام ولا تقطعوها. قيل : يا رسول الله ما صلة الرحم ؟ وما قطيعتها ؟ قال : صلة الرحم أن تسلم على من أعرض عنك ، وتعطي من منعك ، وتحتمل عنهم وإن آذوك ، وتدعوهم إلى عمل الآخرة ، وتعلمهم ما ينفعهم لآخرتهم ، وتأمرهم بما أمرهم الله تعالى ، وتنهاهم عما نهاهم الله تعالى عنه) .

وعنه ﷺ(صلة الرحم وحسن الخلق تعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار)[5].

وقال ﷺ: (بروا أرحامكم ولو بالسلام).[6]

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الرعد : ٢٥ . وفي سورة البقرة آية رقم ٢٧ بدون واو في قوله تعالى :﴿والذين﴾ .

(٤) الرعد : ٢١ .

(٥) له شواهد في كنز العمال رقم ٦٩١٠، ورقم ٤٣٣٥٥ .

(٦) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥/٣٣٦، بلفظ (صلوا أرحامكم ولو بالسلام) وعزاه إلى ابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) ٥/٣٦٠، وإلى مجمع الزوائد ١٥٢/٨، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بلفظ (صلوا أرحامكم ولو بالسلام ولو في السنة مرة) .

وعنه ﷺ(أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ، حتى إن القوم تنمو أموالهم ، ويكثر عددهم بصلة الرحم وإنهم لفجرة ، وإن أعجل المعصية عقوبة لقطيعة الرحم، والبغي واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع)[1].

وروى (أنه إذا مد الصراط نادى مناد : من أدى الأمانة ووصل الرحم فليمض آمنا) ..

وعنه ﷺ(ما من ذي رحم يأتي رحمه ، فيسأله فضل ما أعطاه الله فيمنعه ، إلا خرج له شجاع من النار يتأبط على بطنه حتى يطوقه ، ثم تلا ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾[2].

وعن النبي ﷺ (الواصل لا يموت هدما ولا غرقا) .

وقيل لسعيد بن المسيب : إن محمد بن طلحة قد سقط عليه وعلى أهل بيته جدار فقال : إن محمدا لم يمت ، ففتشوا فإذا هو حي ، قالوا : كيف علمت فقال : الخبر. فافهم واعمل.

المعاشرة مع الجار

اعلم أن حق الجار كثير ، وحرمته عظيمة ، وهو على ضربين : جار سوء ، وجار خير.

وفي حديث النبي ﷺ (تعوذوا بالله من ثلاث : تعوذوا بالله من جار السوء إن رأى خيرا ستره ، وإن رأى شرا أذاعه ، وتعوذوا بالله من زوجة سوء ، إن دخلت عليها لسنتك ، وإن غبت عنها خانتك ، وتعوذوا بالله من إمام سوء إن أحسنت إليه

---

(١) أخرجه بألفاظ متقاربة الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٢٧/٢، بلفظ (أمحل الطاعات) والزمخشري في الكشاف بلفظ (الخير) بدلا من (الطاعة) وهو في مسند شمس الأخبار ٢٧٣/٢، بلفظ مقارب عن المجالس برواية السمان ، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٩/٢، إلى المغنى عن حمل الأسفار ٢١٥/٢ .

(٢) الآية في سورة آل عمران : ١٨٠ . والحديث : أخرجه الطبراني في الكبير ٣٦٦/٢، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٢٤٨/٩، إلى مجمع الزوائد ١٥٤/٨ ، والدر المنثور ٠٠٥/٢ ، والمطالب العالية ٣٥٦٨، والترغيب والترهيب ٣٩/٢، وتفسير الطبري ١٢٧/٤، وتفسير ابن كثير ١٥٢/٢ .

لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر)[1].

وأما جار الخير ففي الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم :(خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)[2].

وأما حق الجار ، فقد روى الحسن قال : قيل : يا رسول الله ماحق الجار ؟ قال : (إن استقرضك أقرضته ، وإن احتاج عدت عليه ، وإن دعاك أجبته ، وإن مرض عدته ، وإن استعان بك أعنته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن مات شهدته ، وإن غاب حفظته ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تهدي له منه) وقال عليه السلام : (حق الجار على الجار كحرمة أمه) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :(ليس بمسلم الذي يشبع ، وجاره طاو إلى جنبه)[3].

وعنه عليه السلام (مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه)[4].

(وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن لي جارا ينصب قدره ولا يطعمني . فقال : ما آمن بي جارك قط)[5].

وعنه عليه السلام (إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة ، فيقول : يا رب أو سعت على

---

(١) له شواهد متفرقة أنظرها في موسوعة أطراف الحديث ٣٩٤/٤ .

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية بلفظ (خير الجيران) الخ ١٣٩/٢، ١٧٦، والخطيب البغدادي ٢٨/١٢، وابن خزيمة ٢٥٣٩، وعزا أوله (خير الأصحاب) في موسوعة أطراف الحديث ٦١٢/٤ إلى الترمذي ١٩٤٤، وأحمد ١٦٨/٢، والدارمي ٢١٥/٢، وابن حبان (موارد) ٢٠٥١ .

(٣) أخرجه بألفاظ متقاربة الترمذي ١٩٧٧، والبيهقي في السنن ١٩٣/١٠، ٢٤٣، والحاكم في المستدرك ١٢/١، وأبو نعيم في الحلية ٢٣٥/٤، والبغوي في شرح السنة ١٣٤/١٣، وابن حبان (موارد) ٤٨، والبخاري في الأدب المفرد ٣١٢، ٣٣٥، والخطيب البغدادي ٣٠٦/٥، وهو في مجمع الزوائد ٩٧/١، ٧٢/، وانظر موسوعة أطراف الحديث ١٣٤/٦ .

(٤) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٢٦٧، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بلفظ (لم يزل) كما في مسند شمس الأخبار ٧٥/٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه الشيخان عن ابن عمر ، وأبو داود ، وابن ماجه ، عن عائشة ، وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة . وانظر مصادره الكثيرة في الموسوعة ١٤٢/٩

(٥) عزاه في الموسوعة ٥/٩ إلى كنز العمال رقم ٢٥٦١١ ، وله شواهد كثيرة .

أخي هذا وقترت علي ، أمسي طاو يا بطني ، ويمشى هذا شبعان ، سله لم أغلق بابه عني ، وحرمني ما قد أو سعته عليه)[1].

المعاشرة مع كافة المسلمين

وهم على ثلاثة أصناف : شيوخ ، وشباب ، وصبيان.

الشيوخ

وفي آخر حديث قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وإن من تعظيم جلال الله إكرام ذي الشيبة في الإسلام).[2]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق : ــ ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط)[3].

وقال عليه السلام : (الخير مع أكابركم).[4]

وقال عليه السلام : (ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له عند سنه من يكرمه)[5].

(وجاء رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيخ وشاب ، فتكلم الشاب قبل الشيخ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الكبر الكبر)

---

(١) عزاه في الموسوعة إلى الميزان ٢٣٦، ولسان الميزان ٢/١٢٩٠ ، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/٤٥٥ .

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢/٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، وأورده في الموسوعة بلفظ (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم) وعزاه إلى أبي داود ٤٨٤٣، والبيهقي في السنن ٨/١٦٣، والبغوي في شرح السنة ١٨/٤٢، وغيرها .

(٣) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢/٢٤٠، والطبراني ٨/٢٣٨، والخطيب البغدادي ٨/٢٧، ٦٢، وهو في نز العمال بأرقام ٤٣٨١٠، ٤٣٨١١، ومجمع الزوائد ١/١٢٧، وغيرها انظر الموسوعة ٤/٤٦٩ .

(٤) أورده في كنز العمال رقم ٦٠١٦ ، وهو في مجمع الزوائد ٨/١٥ ، وكشف الخفاء ١/٣٣٦ ، ٤٧٧ . وعزاه في مجمع الزوائد إلى البزار ، والطبراني في الأوسط .

(٥) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ٢/٢٤٤، والترمذي ٢٠٢٢، وانظر بقية مصادره في الموسوعة ٩/٤٨ .

الشباب

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أوصيكم بالشباب خيرا ثلاثا ، فإنهم أرق أفئدة ، ألا وإن الله أرسلني شاهدا ومبشرا ونذيرا ، فخالطني الشباب ، وخالفني الشيوخ)

وعنه عليه السلام (ما من شئ أحب إلى الله من شاب تائب)[1].

قال محمد بن كعب : إن أردت النجاة غدا فليكن كبير المسلمين عندك أبا ، وأوسطهم أخا ، وأصغرهم ولدا ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك) .

الصبيان

(قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي عليه السلام والأقرع بن حابس ينظر ، فقال الأقرع : إن لي لعشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من لا يرحم لا يرحم)[2].

وشكا رجل قسوة قلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :(أتحب أن يلين قلبك ؟ قال : نعم قال : ادن اليتيم منك ، وامسح على رأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ويقدرك على حاجتك)[3].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من شرب وعنده صبي يريد أن يشرب فلم يبدأ به قطع الله عنقه) .

وعن أنس (ما رأيت أرحم ، ولا ألطف بالصبيان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

فهذه حقوق مخصوصة.

---

(١) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ٢٠٠/١، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٥٧/٩، إليه ، وإلى ابن عدي في الكامل ١٤٣٩/٤ ، وهو في كتر العمال رقم ٤٣١٠٨ .

(٢) أخرجه البخاري ٩/٨ ، ومسلم في الفضائل ٦٥ ، وأبو داود في الأدب ١٥٧، وأحمد ٢٤١/٢ ، ٥١٤، وانظر مصادره الكثيرة في الموسوعة ٦٠٦/٩ .

(٣) له شواهد بألفاظ مقاربة أخرجها الخرائطي في مكارم الأخلاق ٧٤، ٧٥ ، وهي في كتر العمال بأرقام ٦٠٢٢، ٦٠٠٧، وانظر الموسوعة ٢٠٣/١ .

[حقوق المسلم على أخيه المسلم]

ثم للمسلمين على الجملة حقوق كثيرة ، نذكر منها طرفا مما ينبه على كيفية معاشرتهم.

أما ستة حقوق منها فقد جمعها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (حق المسلم على المسلم ستة : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه)[1].

وتلحق بهذه الستة حقوق من سنته صلى الله عليه وآله وسلم وهي :

أن يعظم أخاه المسلم ، ولا يستحقره ، ولا يهينه ، وإن يحترم نفسه وماله وعرضه ، ويتحنن عليه ويرحمه ، ويهتم بأمره ، ويواسيه بماله ، ولا يمقته ، ولا يسخر به ولا يؤذيه ، ولا يكابره ، ولا يجادله ، ولا يماريه.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نظر إلى الكعبة : (ما أعظم حقك وأعظم حرمتك ! وللمرء المسلم أعظم حقا منك ، إن الله حرم ماله ودمه وعرضه وأذاه ، وأن يظن به ظن السوء)[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من استذل مؤمنا ، أو حقره لفقره وقلة ذات يده ، شهره الله يوم القيامة ثم يفضحه)[3].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(سباب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وحرمة ماله كحرمة دمه)[4].

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في أماليه ص ٢٥١ ، وأحمد ٣٧٢/٢ ، ٤١٢، والبيهقي في السنن ٣٤٧/٥، ٢٠٨/١٠، وانظر مصادره الكثيرة في الموسوعة ٥٤٨/٤ .

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٣/٩ إلى إتحاف السادة المتقين ١٧٩/٩ ، والدر المنثور ٤٢/٦، وتفسير ابن كثير ٣٥٧/٧ ، والمغني عن حمل الأسفار ١٤٦/٤ ، وكشف الخفاء ٤٠٤/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في الأمالي ص ٣٢٣ ، عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٧٤/٨ إلى القرطبي ٢٩/٣ ، وتتريه الشريعة ٣٦٦/٢ .

(٤) حديث شهير ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم . انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٩٦/٥ .

وعنه ﷺ (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)[1].

وعنه ﷺ (من مشى في حاجة أخيه المسلم فبالغ فيها قضيت أم لم تقض كتب الله له عبادة سنة)[2].

وعنه ﷺ (من اهتم لجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع غفر له)[3].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كنت مع عمر بن الخطاب وهو يحرس المسلمين فانتهينا إلى امرأة توقد تحت قدر لها فيها ماء، وأولادها يبكون، فقال لها عمر: ما شأن هؤلاء الصبيان يبكون؟ قال: هم أيتام وليس عندي ما أطعمهم، فأنا أعللهم بهذا يظنون أنه طبيخ حتى يناموا، فقال عمر: ثكلتك أمك يا أسلم مر بنا إلى دار الدقيق، فانتهينا إلى دار الدقيق، فقال أشل علي. قال: قلت أو أحمل عنك؟ قال: فمن يحمل عني ذنوبي يوم القيامة، فحمله عمر، ثم قال: شأنك بالشحم، فوالله لقد رأيت أمير المؤمنين ينفخ تحت القدر، وإن لحيته لفي الرماد حتى طبخ لهم، ثم قال للمرأة: شأنك الصبية، قال: فخرجنا إلى خارج الخباء فقلت: ننصرف يا أمير المؤمنين؟ قال: والله لا أبرح حتى أسمع ضحكهم مثل ما قد سمعت بكاءهم، قال: فشبع الصبية فلهوا فضحكوا.

وعن النبي ﷺ (يا معشر المسلمين اتقوا أذى المسلمين، انه من آذى مسلما فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله).

وعنه ﷺ قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٧/٤، بلفظ مقارب، وهو في مجمع الزوائد ٢٤٨/١٠، ومصادره كثيرة بألفاظ مقاربة منها: ما أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في الأمالي ص ٢٥٢، وانظر الموسوعة ٥٥٣/٨.

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في الأمالي ص ٢٥١، والإمام المرشد بالله عليه‌السلام في الأمالي الخميسية ١٧٦/٢، بلفظ مقارب، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث ٥٧١/٨ إلى الدر المنثور ٢٠٢/١، وكنز العمال ١٤٠٩، وغيرها.

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١٥٦/٨، إلى مجمع الزوائد ١٣٠/٣، والمطالب العالية ٢٣٣٢، وكنز العمال ٦٣٧٦.

السماء)[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (والذي نفس محمد بيده لا يضع الله رحمة إلا على رحيم ،قالوا: يا رسول الله كلنا يرحم . قال : ليس بالذي يرحم نفسه خاصة ، ولكن الذي يرحم المسلمين خاصتهم وجماعتهم) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن الله سبحانه يجمع فقراء هذه الأمة ومياسيرها في رحبة باب الجنة ، ثم يبعث مناديا ينادي من بطنان العرش : أيما رجل منكم وصله أخوه المؤمن في الله ولو بلقمة من خبز ، فليأخذ بيده على مهل حتى يدخله الجنة ، قال : وهم أعرف بهم يومئذ منهم بآبائهم وأمهاتهم ، قال: فيجيء الرجل منهم حتى يضع يده على ذراع أخيه المكرم له ، الواصل له ، فيقول : يا أخي أما تعرفني ؟ ألست الصانع بي كذا وكذا؟ فيعرفه كل شئ صنعه به من البر والتحفه، فقم معي فيقول : إلى أين ؟ فيقول : لأدخلك الجنة، فإن الله عز وجل قد أذن لي في ذلك ، فينطلق به آخذا بيده لا يفارقه حتى يدخله الجنة ، بفضل رحمة الله عز وجل لهما ، ومنة عليهما) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين)[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(ما من مسلم أتاه أخوه المسلم ، فسأله حاجة هو يقدر عليها فرده عنها ، إلا قال الله له يوم القيامة : أتاك عبدي المؤمن في دار الدنيا يسألك حاجة ، قد ملكتك قضاءها فرددته عنها ، لا قضيت لك اليوم حاجة ، مغفورا كان أو معذبا)[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ،

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٤١ ، والترمذي ١٩٢٤، وأحمد ١٦٠/٢، والبيهقي في السنن ٤١/٩ ، والحاكم في المستدرك ١٥٩/٤، وانظر الموسوعة ١٥٧/٥ .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ٢٥١ ، وعزاه في الموسوعة ٩٦/٨ ، إلى إتحاف السادة المتقين ٨٤/٨، وكشف الخفاء ٣١٥/٢ ، ٣٨٦ ، وشواهده كثيرة .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ٢٥٣ ، بلفظ (ما من مؤمن) .

فجاء أعرابي من قاصية الناس وقال : يا رسول الله أناس من الناس ليسوا بأنبيـاء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء لقربهم من الله! انعتهم لنا ، صفهم لنا ، اسـلكهم لنا. فسر وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال الأعرابي فقال : هم أناس من أفناء الدنيا ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يـوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، تجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفـزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، هم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)[1].

ولو ذكرنا ما ورد في هذا لما اتسع له إلا كتاب ، وجملة الأمر أنه يجب عليـه أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، فمن كملت فيه هـذه الخصال ، فقد أدى حق المسلمين ، فهذا طرف من المعاشرة مع المسلمين.

المعاشرة مع الملوك الجبابرة

أما في زماننا هذا فجرت عادة الأكثر بالمعاشرة معهم بالملاطفة والموالاة ، والملاينـة والمداهنة ، وترك المقاطعة والمخاشنة ، والاعتماد على المداخلـة لهـم ، والمـؤازرة والمهاداة ، والمؤاكلة ، والمشاربة ، والمداناة ، والمقاربة ، والمصاحبة ، والمدافعة عنـهم والاحتجاج لهم ، وترك المباينة لهم ، والإخلال بالمناصحة لهم بالوعظ والتذكـير ، والصبر على ذلك إلى وقت الأياس من رجوعهم إلى رضاء العلي الكبير ، وكل ذلك ظهر واشتهر واستمر ، ممن يعزى إلى الفقه والعلم ، ويتوهم فيه العقل والزهد والحلم ، وعلى التحقيق هم علماء السوء ، والزهاد الجهال ، وهذان الصنفان اللذان حـذر منهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (اتقوا العابد الجاهل ، والعالم الفاسق)[2] وكان في ابتـداء

---

(١) له شواهد عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٨٦/١٠ ، إلى أحمد ٧٤٣/٥ ، وابـن المبـارك في الزهد ٢٤٨، والترغيب والترهيب ٢١/٤ ، وأخرجه في مجمع الزوائد بألفاظ متقاربة من حديث طويل ، وعزاه إلى أحمد والطبراني ، وأبي يعلى .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في الأمالي ص ١٢٠ ، عن أنس ، وله شواهد تقدمت في الحديث الأول من هذا الكتاب .

الأمر يفعل على وجه التستر والخفاء ، ومتى ظهر في مقابلته النهي من أهـل الديـن والتقى ، فكان الإنكار فيه يكثر ،والاشتهار بفعله يعسر ، ثم إنه ظهر فعله واشـتهر؛ بسبب كثرة علماء السوء ، وبقي فيهم الاعتذار في فعله بعلالات لايعتد بها ، وتـارة يظهر منهم الإنكار على غيرهم في مثله ، كما روى عن النبي ﷺ أنـه قـال : (يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهـدون ، ويرغبـون في الآخرة ولا يرغبون ، وينهوهم عن غشيان السلطان ولا ينتهون ، يقربون الأغنياء ، ويبعدون الفقراء ، وينبسطون عند الكبراء ، وينقبضون عند الفقراء ، أولئك أعـداء الرحمن).

وهذا كله قد ظهر واشتهر في زماننا هذا ، فإنك تجد كثيرا من النـاس يزهـد في الدنيا ، ويرغب في الآخرة ، وينهى عن إتيان السلطان ، وهو مواظب على مخالطـة السلطان ، بل على مخالطة كثير من الفساق والعصاة ، ولما رأى العامة ذلك لم يقبلوا أمره ولا نهيه.

وقد قال واصل بن عطاء :(قصم ظهري رجلان : عالم فاسق ، وجاهل عـابد ، فهذا يدعو الناس إلى جهله بزهده ، وذلك ينفر الناس عن علمه بفسقه). ولبعضهم :

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد لعلمك مخلوقا من الناس يقبلـه
فإن صانك العلم الذي قد حملته أتاك بمـن هو يجتنيه ويحملـه

وبلى لما كثر الإقبال من علماء السوء على مخالطة الملوك والجبابرة ، ونالوا معـهم من الدنيا ما نالوا ـ رأى ذلك رذالة من الناس ليس لهم همة في الدين ، ولا خـلاق عند رب العالمين ، فأقبلوا على اقتناص العلم واصطياده ؛ طلبا للجاه عند ولاة الجـور ، لأن ينالوا من دنياهم ما قد كان أعجزهم نيله من دونه ، وتصـدروا حينئـذ في المجالس ، وتلبسوا أرذل الملابس ، ونزعوا إلى المباهاة والمفاخرة والمجادلة ، والمدابـرة والمباراة والمماراة ، والمحاسدة والمضاغنة ، وغفلوا عن قول النبي ﷺ : (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتخبروا به المجالس ، فمن فعل

ذلك فالنار النار ، ولكن تعلموه لله والدار الآخرة).[1]

فهؤلاء متى رأيتهم رأيت أحرص قوم على اكتساب العلم والأدب ، وسمعت من ألسنتهم أحلى من الضرب ، ومتى خبرت[2] وجدت أخبث عمل ، وأطول أمل ، وقلوبا سقيمة ، وأخلاقا ذميمة ، وإيثارا للعاجلة ، وغفلة عظيمة عن الآجلة ، حتى لقد طلع نحسهم ، وألقى الله بينهم بأسهم ، وأتيحت لهم الفتنة ، وعظمت بهم البلية والمحنة ، كما ورد عن سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين أنه قال : (أوحى الله إلى بعض أنبيائه : قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون للناس مسوك[3] الكباش ، وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر : إياي يخادعون!؟ أو بي يستهزئون ؟ لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيها حيران)[4] .

نعم ولما كثر هذا النوع ، وعظمت شوكتهم ، واستعلت كلمتهم ، وارتفعت أصواتهم ، بسبب مخالطة الظلمة ، ومؤازرة الخونة الأئمة ، وعلموا أنه قد انتقص بهم لأمرهم بما لا يفعلون ، ونهيهم عما ليس عنه ينتهون.

كما روي (أنه دخل أعرابي المدينة ، فرأى الخطيب يخطب فأحسن في كلامه ، ويزهد الناس ، فلما دخل داره فإذا فيها من أنواع الثياب والأثاث ، وهو جالس كجبار يأمر وينهى ، فأنشأ يقول :

وقد رابني من أهل يثرب أنهم	يهمهم تقويمنا وهم عضل
إذا ركبوا الأعواد قالوا فأحسنوا	وما خير قول لا يصدقه الفعل

---

(١) سبق تخريج شواهده بألفاظ مقاربة ، انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٦١/٧ .

(٢) معنى خبرت أي : اختبرت وامتحنت . والضرب : هو العسل الأبيض الغليظ .

(٣) المسوك : جمع مسك ، وهو الجلد .

(٤) أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١٨٩/١ ، و العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٦١/١ ، وانظر الاعتبار وسلوة العارفين فتخريجه هناك .

ـــ رجع الكلام ـــ نزلوا منزلة أشد من الأولى ، وأضر وأدهى وأمر ، وهي الإنكار على أولى البصائر في إنكارهم لهذه الجرائر ، واستعظامهم لهذه العظائم ، وجعلوا موالاة الظالمين مما قد أذن فيه رب العالمين ، وأبطلوا الأمر بالمعروف الأكبر ، والنهي عن الفحشاء والمنكر ، لاستشعارهم لخساسة أنفسهم في أفعالهم ، وخوفا أن يفوت عليهم شئ من آمالهم ، عند سلاطينهم وجبابرتهم ، وهذا غاية الإفك ، والعدوان على الملك الديان ، كما روى عن علي عليه السلام أنه قال :(يكون في آخر الزمان قوم نبع فيهم قوم مرآون ، فيقرؤون وينسكون ، لا يوجبون أمرا بمعروف ، ولا نهيا عن منكر ، إلا إذا أمنوا الضرر ، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ، ويتبعون زلات العلماء ، وما لا يضرهم في نفس ولا مال ، فلو أضرت الصلاة والصيام وسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها ،وقد رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها ـــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ،إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ، ومنهاج الصالحين ، فريضة بها تقام الفرائض ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينصف من الأعداء ، فأنكروا المنكر بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم).[1]

وقد كان الأولى لهذه الطبقة الردية ، الهالكة الغوية ، إذا لم يفعلوا المعروف أن يأمروا به ولا ينكروه ، وإذا انتهكوا المنكر أن ينهوا عنه غيرهم ويزجروه ؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليفان غير ما تضمنه الأمر والنهي ، فمن تركهما مع ذلك فهو بلا شك هالك. وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي هريرة : (مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله).[2]

ولأجل ظهور هذه المعاشرة من علماء السوء انطمست معالم الدين ، واستعلت أيدي الظالمين ، وضعفت طائفة المؤمنين ، فافهم ذلك واحذر.

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ص ٢٢٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام ، كما في مسند شمس الأخبار ١٥٥/٢ ، قال السيد الجلال : وأخرجه الطبراني في الصغير عن أنس ، وحسنه السيوطي .

وأما المعاشرة التي شرعها رب العالمين ، وجاءت عن سيد المرسلين ، وجرت بها عادة الصحابة والتابعين ، وأهلك من أجلها الشهداء من أهل البيت الطاهرين ، وشيعتهم الأخيار المقربين صلوات الله ورحمته ورضوانه على تلك الأرواح الطاهرة الزكية ، العالية عند الله تعالى المرضية ، فهي خمسة أنواع ، أربعة منها تجب إذا لم ينفع النوع الأول.

أحدها : المواظبة أولا على النصيحة لهم بالوعظ والتذكير ، والتحذير من غضب الله العلي الكبير .

وثانيها : إذا لم تنجع المباينة باللسان ، وإظهار البغضاء والشنآن ، والتهديد بما هدد الله تعالى به ، والوعيد على وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وثالثها : التأديب والتعزير لمن أمكن منهم بالسوط والعيدان ، وأجناس ذلك مع الإمكان .

ورابعها : المعاداة والمبارزة والمحاربة ، والمواثبة بالسيف والسنان ، واللسان والجنان ، كل ذلك مع الأئمة الهادين ، والأولياء المحقين ، متى قيض ذلك رب العالمين .

وخامسها : المباينة بالأجسام والقلوب وبالكلام.

فالحق على الأجسام : الخروج من تلك الديار ، بحيث لا تنفذ عليه أيديهم ، ولا يشاهد معاصيهم ، ولا يعد من مواليهم.

والحق على القلوب : الكراهة والبغضاء والشنآن لهم ، وترك الرضاء وإرادة دمارهم ، والاعتقاد لضلالهم ، وإساءة الظن بهم.

والحق على اللسان : الاستخفاف والذم ، والبراءة واللعن ، وترك الإيهام للمودة.

فهذه خمسة أنواع على الجملة ، وهي على الترتيب إلا ما يتعلق بالقلب واللسان ، فإنه يدور مع هذه الأركان ، ما لم ينتف الظلم والعدوان .

وتفصيل هذه الجملة : أنه يجب أن تكون معاشرتهم بالتذكير ، والتحذير أولا باللطف واللين ، كما قال تعالى :**﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**

وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1] ولو نفدت على ذلك الشهور والأعوام ، ومر عليه ما مر من عمر نوح عليه السلام ، مادام يرجو نفع ذلك ، فإذا زال الرجاء كانت معاشرته بعد ذلك بما أمر به العلي الأعلى ، من المضاغنة والمباينة ، وترك المداهنة والملاينة ، وإظهار الحق وإن شق ، وإغماض الباطل وإن مر وعق ، ولا يؤاكل ، ولا يشارب ، ولا يداني ولا يقارب ، ولا يشارد ، ولا يساير ، ولا يعاون ، ولا يظاهر لا بالحسام ، ولا بالكلام ، ولا بالسلام ، ولا بمعاطاة الأقلام ، ولا بالدخول تحت الألوية والأعلام ، ولا يحضرهم في الملأ ، ولا يأخذ منهم العطاء ، إلا أن يحضر للإنكار ، والاستخفاف بهم والاستصغار.

وعلى الجملة فينبغي أن يعاشرهم معاشرة تفضي بهم إلى مخالفتهم من الدهور والأعوام والشهور ، وليس إلا بكثرة الملاحاة ، وترك المداجاة مع قوة في الدين ، وثقة برب العالمين ، وتصديقه فيما حكم به في الرزق والأجل ، والإقبال إلى ما وكل إلى العبد من العمل واجتناب المحادثة لأولي المداهنة ، مع المصاحبة لأهل المباينة والمخاشنة ، والرضاء بالقضاء وترك الاستخانة لله تعالى فيما منع وأعطى .

فهذه هي المعاشرة مع الظالمين ، التي شرعها رب العالمين ، وجاءت عن الأنبياء والمرسلين ، والأولياء المقربين ، والآن أشرح لك من البيان ما يكشف عن هذه الشأن ، مستعينا بالله تعالى ، متوكلا عليه ، وطالبا لما لديه ، ورادا أمري كله إليه ، فنعم المولى ونعم النصير .

اعلم أيها الطالب أن ملكا من الملوك متى أنعم على بعض عبيده بالخلع والأموال العظيمة ، بحيث صار متمكنا من ملك بعض الديار ، فإن هذا العبد متى خالف أمر الملك ، وتعصي عليه ، وقصده بالعداوة والبغضاء ، فإن القضايا الملكية السلطانية تحكم على جميع الوزراء ، والخواص والأمراء ، وسائر الخدم بلزوم المعاداة لهذا العبد العاصي الكافر لنعمة الملك ، بحيث أنهم يقبحون صحبته ومجالسته ، وطلب الرفد منه ،

---

(١) النحل : ١٢٥ .

والإيناس له وأجناس ذلك ؛ حرصا على عداوة من عاداه الملك ، ومن داهنه ، ومن والاه وسود معه ، أو مدحه في النثر أو الشعر ، أو طلب الرفد منه ـ يعدونه مجرما عاصيا للملك ، خارجا عن خدمته ، تجب عقوبته على قدر فعله ، فربما أوجب الملك إهلاكه ، كما أوجب إهلاك الأول ، وربما أوجب تعذيبه ، وربما صغر به وباعه بأخس الأثمان على حسب فعله ، فالملك العظيم الشأن هو الله تعالى ، والسلاطين الظلمة هم عبيده المتعصون عليه ، بعد أن أنعم الله عليهم بأعظم النعم ، وما تملكوا إلا بفضل نعمته ، والمداهن لهم أو الداخل عليهم ، أو الممتدح لهم هو العبد المداهن والملاين لعدو الملك ، والقضايا السلطانية الحاكمة بوجوب

معاداته وعقوبته هي العقل ، وما أنزل الله من الكتاب والسنة أيضا.

وعلى هذا قال الله تعالى :﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[1] وإنما أفلحوا لأنهم خاصة الملك الجليل ، الذين يعادون عدوه ويوالون وليه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر [من ذريتي][2] فهو خليفة الله في الأرض وخليفة كتابه ورسوله) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر)[3] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من أنكر المنكر بقلبه فقد أنكر بخصلة من الإيمان ، ومن أنكر بقلبه ولسانه فقد أنكر بخصلتين من الإيمان ، ومن أنكر بقلبه ولسانه ويده فقد أنكر بالحق كله ألا أنبئكم بميت الأحياء ؟ من لم ينكر المنكر بقلبه ولا بلسانه ولا بيده)[4] .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) توجد في بعض النسخ ، ولا توجد في البعض الآخر .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه بلفظ (أحب الأعمال) كما هو في مسند شمس الأخبار ١٥٨/٢، وقال السيد الجلال : أخرجه أحمد ، والطبراني ، عن أبي أمامة ، وحسنة السيوطي .

(٤) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٢٣٠ ، وعنه القرشي في مسند شمس الأخبار ١٥٩/٢، إلا أن اللفظ (بخصلة من الحق) وليس (من الإيمان) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ولا يغيرونه إلا عمهم الله بعقابه)[1] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (سيكون أمراء يملكون رقابكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملون فيسيئون ، فلا يرضون عنكم حتى تحسنوا قبيحهم ، وتصدقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به ، فإذا تجاوزوه إليكم فقاتلوهم ، فمن قتل على ذلك فهو شهيد) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (يحشر أناس من أمتي من قبورهم على صور القردة والخنازير بما داهنوا به أهل المعاصي ، وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون)[2] .

ولما رأى الثوري عيسى بن موسى وضع وجهه على باب حتى مر ، فقيل : وما يمنعك من النظر إليه ؟ فقال : وما يمنعني أن لا أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

وأوحى الله تعالى إلى يوشع عليه السلام : أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال : لم يغضبوا لغضبي ، وواكلوهم وشاربوهم[3] .

وعن مالك بن دينار :(أوحى الله إلى بعض ملائكته أن أهلكوا قرية كذا . فقالوا : يا رب إن فيهم فلانا العابد ؟ قال : أسمعوني ضجيجه فيهم ، فإن وجهه لم يتغير غضبا لمحارمي) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لمقام أحدكم في الدنيا يتكلم بكلمة يرد بها باطلا ، ويحق بها حقا أفضل من هجرة معي) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :(لو أن عبدا قام ليله ، وصام نهاره ، وأنفق ماله في سبيل الله علقا علقا

---

(١) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٢٣٠ ، وابن ماجه رقم ٤٠٠٩ ، وأحمد ٣٦٤/٤ ، ٣٦٦، وأبو داود في الملاحم باب ١٧ ، وغيرهم كثير ، انظر مصادره في موسوعة أطراف الحديث ٢٧٩/٩ .

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ٢٣٠/٢، بلفظ (والذي نفسي بيده ليخرجن من أمتي ناس...) الخ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ، كما في كتر العمال ٥٦٠٥ ، عن عبد الرحمن بن عوف .

(٣)أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ٢٢٧ ، عن علي عليه السلام موقوفا .

وعبد الله بين الركن والمقام ، ثم قتل مظلوما ، ثم يكون آخر ذلك أن يذبح بين الركن والمقام مظلوما ـــ لما صعد إلى الله من عمله وزن ذرة ؛ حتى يظهر المحبة لأولياء الله ، والعداوة لأعدائه) .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ابنه ؛ حين بلغه أنه اشتري فصا بألف وثلاث مائة درهم ، ونقش عليه عبد العزيز ، فكتب : بلغني عنك كذا كذا ، فعزمت عليك إذا أتاك كتابي هذا إلا بعته ، بألف وثلاث مائة درهم ، فوضعته في بطن ألف وثلاث مائة جائع ، واتخذت خاتما من ورق ، ونقشت عليه رحم الله امرأ عرف قدره .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من أعان ظالما فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة ، وهم كلاب النار) .

أبو عثمان (مجاورة الفساق وأهل المعاصي من غير ضرورة فسق كامن ، ومعصية مستترة في القلب ؛ لأن الله تعالى ذم قوما بها فقال : ﴿**وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم**﴾[1] ولم يعذر من أقام فيها فقال :﴿**ألم تكن أرض الله واسعة**﴾[2] وإلى هذا ذهب الثوري .

فأما الهادي ، والقاسم عليهما السلام ، فمذهبهما ظاهر في تفسيق المجاور للفساق ، وكلامهما في ذلك واسع.

وفي معاونة الظلمة نزل قوله تعالى :﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾[3] الآية.

قيل : ينادي مناد يوم القيامة : أين الذين كانوا يظلمون الناس في دنياهم ؟ فيقومون ، فينادي أين أزواجهم ؟ يعني : أتباعهم الذين كانوا يعاونونهم ، فلا يبقى أحد ممن كان يتابعه إلا قام معه ، حتى من كان صب في دواتهم ماء ، أو قرأ لهم كتابا ، أو أخذ لهم ركابا ، أو سلم عليهم ، أو هوي هواهم ، فيحشرون جميعا إلى النار .

---

(١) إبراهيم : ٤٥ .

(٢) النساء : ٩٧ .

(٣) الصافات : ٢٢ .

وفي مدح الظلمة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(إذا مدح الفاسق اهتز العرش) .

وروي مرفوعا(أنه كان في بني إسرائيل عابد لم يعص الله قط ، وكان في زمانه ملك ظالم ، فجاء ليسلم عليه ، فضحك العابد في وجهه ، وأخذ بيده ، فمسخه الله تعالى)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (القوا أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)[1] .

وعن عبيد بن عبد الواحد قال : (أخذت حظا من العلم وتزهدت ، فلحقني جهد في المعيشة ، فقدم علينا فلان أميرا ، وكان عرفني فكنت أكتب إليه ، فمررت بصومعتي يوما فسمعت صوتا ولا أرى شخصا) شعرا :

نادتك دنياك فلبيتها	تلبية بعت بها الآخرة
آثرت دنياك على جنة	تلك لعمري صفقة خاسرة
فافزع إلى التوبة مستأثرا	فإنها مرتبة فاخرة

وروي أن هشام بن عبد الملك لما قدم مكة حاجا قال : إيتوني برجل من الصحابة فقيل له : قد تفانوا. قال : فمن التابعين . فأتي بطاووس ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، و لم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ، وجلس بإزائه بغير إذنه وقال: كيف أنت يا هشام ؟ فغضب من ذلك غضبا شديدا ، حتى هم بقتله ، فقيل : يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله لا يمكن ذلك ، قال : يا طاووس ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ فاشتد غضبه وقال : خلعت نعليك بحاشية بسلطي ، و لم تقبل يدي ، و لم تسلم علي بإمرة المؤمنين ، و لم تكنني ، وجلست بإزائي ، وقلت : كيف أنت يا هشام ؟ فقال : أما خلع النعلين فإني أخلعهما بين يدي ذي العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي ، وأما ما قلت : لم تقبل يدي . فإني سمعت عليا عليه السلام يقول : لا يحل لأحد أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة ، أو ولد من رحمة. وأما ما قلت : لم تسلم علي بإمرة المؤمنين ، فليس كل الناس راضين

---

(١) أورده السمان في المجالس ، كما في مسند شمس الأخبار ١٦٤/٥ ، وأخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية بلفظ (القوا أهل المعاصي بالوجوه المكفهرة) عن علي عليه السلام

بإمرتك ، فخفت أن أكون كاذبا. وأما التكني فإن الله تعالى سمي أولياءه ، فقال : يا داود ، يا عيسي ، يا يحي ، وكنى أعداءه فقال : ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ وأما قولك : جلست بإزائي . فإني سمعت عليا عليه‌السلام يقول : (إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام). فقال : عظني . فقال : سمعت أمير المؤمنين عليا عليه‌السلام يقول : (إن في جهنم حيات كالقلال ، وعقارب كالبغال ، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته) ثم قام وهرب .

ودخل عطاء بن أبي رباح على الوليد بن عبد الملك ، فقال :(السلام عليك يا وليد) فغضب الوليد فقال : اجلس . فجلس ، وحدثه فكان من حديثه (بلغنا أن في جهنم واديا يقال له : هبهب ـــ أعده الله لكل إمام جائر في حكمه) فصعق الوليد ، وقام عطاء وانصرف [١]

ومر الحجاج بالحسن البصري ، فقال له : هلا تأتينا يا حسن ؟ قال الحسن : وما أصنع بك ؟ إن أتيتك فأدنيتي فتنتني ، وإن أقصيتني غممتني ، وما عندي من الدنيا شيء أخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما أطلبه ، فعلى أي حال أجيئك ؟ .

وكتب محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة ليأتيه يسأله عن مسألة حدثت ، فكتب إليه حماد (إنا كنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا ، فإن وقعت مسألة فأتنا ، واسأل عما بدا لك ، فإن أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك ، فلا أنصح لك ، ولا أنصح لنفسي ، فجاءه محمد بن سليمان ، وقعد بين يديه وقال : مالي إذا نظرت إليك امتلأت منك رعبا ؟ قال حماد : سمعت ثابت البناني يقول : "سمعت رسول الله يقول :(إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإذا أراد أن يكتر الكنوز هاب من كل شيء) ثم سأله ـــ والقصة طويلة قال فيها : ـــ فغير هذا ؟ قال حماد : ما لم يكن رزية في دين . قال : أربعين ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه. قال : أرددها على من ظلمته

---

(١) في الترغيب والترهيب ، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن ، وأبو يعلى ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ١٧٣/٣ .

قال : لا أعطيك إلا ما ورثته. قال : لا حاجة لي فيها) القصة .

وقال المنصور لِسفيان الثوري حين وجده : ناولني الدواة. فقال سفيان : كيف أناولك ولا أدري ما تكتب ؟ .

ولما حج سليمان بن عبد الملك ومر بالمدينة زاره من بها من العلماء ، غير أبي حازم الأعرج ، فأمر له فأتي به ، فلما دخل عليه قال : ما هذه الجفوة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : زارني الناس غيرك . قال : لم يكن بيني وبينك معرفة فآتيك قضاء لحقك ، و لم يكن لي إليك حاجة فآتيك لها ، ولا خفت منك شيئا فآتيك لدفعه. فقال : أصاب الشيخ وأخطأت ، ثم سأله عن مسائل كثيرة وأجابه بالغلظة ثم قال له : يا أبا حازم ارفع إلي حوائجك . فقال : تنجيني من النار ، وتدخلني الجنة. قال : ليس ذلك لي. قال : فلا حاجة لي في غيره . ولما خرج بعث إليه بمائة ألف دينار فردها ، وكتب إليه كتابا من جملته : فإن كانت الدنانير عوضا لما حدثتك به ، فالميتة ولحم الخترير أحب إلى من هذه الدنانير ، وإن كان هذا حقا لي في بيت المال فلي فيه نظر ، فإن سويت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها" .

فهذه هي المعاشرة مع الظالمين التي أوجبها رب العالمين ، ولو ذكرنا ما ورد في ذلك عن النبي ﷺ ، وما جرت به عادة الصالحين ـــ لما اتسع له هذا الموضع ، وهو بحمد الله تعالى مشهور لا خفاء به.

وقد تم بذلك القسم الثاني ، وهو تهذيب النفس بحسن الخلق مع المخلوق .

القسم الثالث

وهو تهذيب النفس بالخضوع إلى الله تعالى في جميع أوامره وفي جميع الطاعات

اعلم أيها الطالب للنجاة ـــ وفقك الله تعالى وهداك ـــ أن التكليف نعمة من الله تعالى نشرها على عباده ، وذلك أن العادة جارية أن الإنسان يفتخر ويتبجح أن يدعوه الملك ، أو يكتب إليه كتابا على يدي بعض خدمه بأن يصل إليه ، ويقرب منه

، ليدخله في أعلى خدمته ، وهي الولاية على بعض الأقطار لينال منها رغبته ، ويدرك منها أمنيته ، فالملك على الحقيقة هو الله تعالى ، والرسول إلينا هو جبريل عليه السلام الذي لا يقاس بالناس ، والكتاب الذي أرسله به هو القرآن الذي لا يقاس بقراطيس بني آدم وكلامهم ، وقد أنزله على محمد ، وجعله رسولا أيضا إلينا ؛ لأنه آنس لنا من غيره ، وهو أعلى وأشرف من ملوك الدنيا ، فضلا عن خدامهم ورسلهم ، وهذا غاية التشريف لنا ، أن كتب إلينا ربنا عز وجل كما قال تعالى : **﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾**[1] يعني : لشرف عظيم والولاية التي دعا إليها هي ولاية الجنة ، ونعيم الأبد ، الذي لا تنغيص فيه ، ولا شائب يكدره ، ودون هذا يعد نعمة فكيف بهذا.

ووجه آخر : وهو أنه تعالى لو خلقنا وأحيانا وتركنا مهملين بغير تكليف ، كما قال تعالى : **﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾**[2] لكانت أحوالنا خسيسة ، وعاقبة أمرنا أخس وأحقر؛ لأن الانتفاع بهذه الدنيا حقير ، ولو حصلت بأجمعها لواحد منا ، مع أنها مشتركة بينه وبين أصدقائه وأعدائه ، فهي على الدوام مشوبة بالتنغيص والتكدير ، وحسبك أن لذتها تقارب لمح البصر ، فالآكل لا يلتذ بما مضى قبل ساعته ، ولا بما يأتيه ولا يتقدر وقت اللذة بلقمته إلا مادامت في فمه ، وربما سبق زوال لذتها هبوطها وانحدارها ، وكذلك المجامع يصب ماءه فتزول لذته ، وربما سبق ، وربما نغص عليهما في أثناء ذلك أيضا ، ثم يصير الطعام الذي يلتذ به إلى ما قد علمت ، وما يلتذ به المجامع هو في نفسه قد جمع من القذارات مالا يخفي . والملتذ بالملبس يزول رونق ثوبه أسرع شيء ، ثم يبلى ويهتم ، ويلحقه من التنغيص أيضا ما لا يخفى في أثناء لذته ، وكذلك جميع لذات الدنيا.

ثم الإنسان في نفسه يبدو حقيرا ضعيفا ، ثم يترونق شيئا يسيرا ، ثم يبلى قليلا قليلا ، فيتغير شعره من السواد إلى البياض ، ويتغير خلقه من النظارة إلى القحولة ، ثم ينكفت جلده ويسترخي ، وتسود بشرته ويتكدر ، ثم يعود إن طال عمره إلى أشر من

---

(١) الزخرف : ٤٤ .

(٢) العنكبوت : ٢ .

حالة الصغر ، فاشترى منا ربنا هذه العيشة الهنية الرذلة بالتكليف ، وهو الطريق الموصلة إلى حياة الأبد ، والنعيم الذي لا يفنى ولا يزول كما قال تعالى :**﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾**[1] الآية ، أو كأنه تعالى استأجرنا على مرور هذه الطريق التي

عرفنا إياها ، وهي التكليف وجعل الأجرة ما نصل إليه ، وهو الجنة عند مرورها ، فمنه الإنعام علينا في هدايتنا إلى هذه الطريق الجليلة القدر ، وله المنة في استئجارنا لمنفعتنا لا لمنفعته جل وعز ، وله المنة في نفس الأجرة التي لا يقدر عليها غيره.

أو كأنه اشترى منا هذه الحياة الهينة الرذلة بهذا الملك العظيم ، وهل تجد ملكا يستأجر عبيده على أنهم يسيرون ساعة من النهار ليبلغوا إلى ملكه، فيصيرهم فيه على مثل حالة لا يوجد ذلك أبدا ، فالله تعالى في المعنى يقول لنا : يا عبادي سيروا في هذه الطريق ، حتى تصيروا إلى ملك إذا أردتم شيئا قلتم له : كن . فيكون مثلي[2] وهو الجنة .

وكما لا نجد منعما يفعل ذلك غير الله تعالى ، لا نجد ملكا يشتري منك ما يساوي فلسا وهو حياتك وعيشتك بملك لا يبلى إلا الملك العلي الأعلى ، فله الحمد تبارك وتعالى .

[أصول التكليف]

فإذا عرفت مترلة التكليف في كونه نعمة ومنة.

فاعلم أن أصول التكليف خمسة :

أحدها : التقرب إلى الله تعالى ؛ بمعرفة توحيده وعدله ، وما يتصل بذلك .

وثانيها : التقرب إليه بالصلاة .

وثالثها : التقرب إليه بالزكاة .

---

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) مثلي : هنا صفة لملك ، محلها الجر . والمعنى : إلى ملك، مماثل لي .

ورابعها : التقرب إليه بالصيام .

وخامسها : التقرب إليه بالحج .

وعلى هذا قال النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) .

فكأنه تعالى قال : يا عبادي أحب أن يكون بيني وبينكم معرفة ، فتعرفوني كما أنا أعلمكم ، وتعرفون صفاتي وعظمتي وسلطاني وغنائي عنكم وحاجتكم إلي ، وتعرفون عدلي في قضائي وحكمي ، وتعرفون خاصتي ، وعظماء أهل خدمتي ، وهم الملائكة عليهم السلام ، والأنبياء المرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ، وأحب أن تعرفوا كلامي بحيث لا تكونون ممن هو بعيد عني لأدخلكم في جملة خدمي وخواصي ، وأملككم مالا تملكون وأصيركم إلى ما تشتهون ، وأجعلكم في الدنيا أشرافا تهابكم الملوك الجبابرة ، وفي الآخرة ملوكا بحيث تقولون للشيء : كن. فيكون بإذني وإرادتي ، ويعظمكم خواص خدمي ، وعظماء أهل مملكتي ، ويخدمونكم ويصرفون عنكم الأسواء ، وينتقمون لكم من الأعداء فهذا في غاية الإنعام ، فلو أن خدام بعض الملوك دعا واحدا من الناس إلى أن يتعرف به ، ويدنيه إلى الملك لعد ذلك نعمة عظيمة ، فكيف إذا كان الداعي إلى ذلك هو الملك ، وكيف إذا كان الملك هو الله تعالى ودعا إلى ما ذكرنا .

والآن يقع الإرشاد إلى هذه الأحوال الخمسة ، ونقدم الأصل الأول ، وهو معرفة الله وما يتعلق بذلك ؛ لأنه لا يصح التقرب إليه تعالى بالأصول الأربعة إلا بعد معرفته ، كما لا يمكن الإنسان أن يطيع من لا يعرفه ويخدم من لا يعلمه.

الإرشاد إلى النجاة بالمعرفة لله تعالى ومعرفة صفاته

وما يتصل بذلك . اعلم أن هذا الأصل هو عقيدة الإيمان ، وهو الذي ضل فيه أكثر الخلق وما فيه عن الحق ؛ فإن الناس على ضربين : منهم من يقال : هو خارج عن

الملة كالدهرية ، والفلاسفة والطبائعية ، وأصحاب النجوم ، وكأهل التجاهل من السوفسطائية واللاأدرية ، والسمنية ، وأصحاب العنود ، وكالثنوية ، والمجوس، والصابئة ، واليهود ، والنصارى ، والبراهمة ، وأصحاب التناسخ، وغيرهم .

ومنهم من يقال : بأنه داخل في الملة ، وهم فرقتان : عدلية وغير عدلية.

وغير العدلية فرق كثيرة منهم : الباطنية ، والمطرفية ، والإمامية ، والمشبهة ، والمجبرة والمرجئة ، والحشوية ، وغيرهم .

وتحت كل فرقة من هذه الفرق طوائف كثيرة ، مختلفة أقوالهم ، متضادة مذاهبهم ، وكلهم ضلال ذاهبون عن الملة في الحقيقة ، فإن الملة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل هؤلاء مائلون عن ذلك ، إلا من يذهب من الإمامية مذهب العدلية ، ويقتصر على الخلاف في الإمامة ، فإن ذلك وإن كان بدعة فلا يلحق بالفرق المتقدمة .

وأعظم هذه الفرق الضالة كلها ضررا على الإسلام وأكثرها نكاية فيهم هم الباطنية؛ فإن مضمون مذهبهم ، ومعظم همهم ومقصدهم هو إبطال الإسلام ، وهدم أركان الملة المحمدية حماها الله تعالى ، وقد دخلوا في الإمامية والصوفية ، حتى أخرجوا من دخلوا فيه عن الإسلام جملة.

كان أصل تأصيل مذهبهم من قوم من أولاد المجوس ، وبقايا الخرمية ، ممن في قلوبهم عداوة وضغن للإسلام ، فلما عرفوا أن الإسلام لا يثقل شوكته بالمحاربة ، عدلوا إلى المقاربة بالخديعة لمن ينخدع من ضعفاء أهل القبلة ، وأكثرهم انخداعا من ذكرنا من الفريقين ، وتجدهم يأتون كل من يستدعونه بما يوافقه في الظاهر ، حتى يسلخونه عن مذهبه ، ولولا نصرة الله تعالى دينه بظهور العدلية في كل زمان بالحجج الباهرة ؛ لكانت أركان الدين مطموسة ، ومعاقله غير مأنوسة .

ومن هاهنا يتضح لك فضيلة العلم ، وأن الاشتغال به أهم .

أما العدلية : فهم الزيدية ، والمعتزلة ، وهم حماة الإسلام ، وسادات الأنام ، منهم هرب الفلسفي والدهري ، وبهم قهر الباطني والجبري ، وعلى أيديهم وقع قتل اليهودي والنصراني ، فهم حماة الدين ، وأنصار رب العالمين.

ونفضل الزيدية على المعتزلة ؛ لاتباعهم في هذه الأصول الخمسة لمذاهب العترة عليهم السلام ، ففازوا باتباع الخليفتين ، ولم يفرقوا بين حجتين مجتمعتين ، التزاما بما ظهر واشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله :(إني تركت فيكم خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا من بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

وقد قيل في قوله تعالى :﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾[1] : إن جنود السموات هم الملائكة ، وجنود الأرض هم الزيدية.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن في السماء حرسا وهم الملائكة ، وإن في الأرض حرسا وهم شيعتك يا علي لن يغيروا ولن يبدلوا) .

وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام :(كل راية في غير الزيدية فهي راية ضلالة) .

وعن إبراهيم بن عبد الله عليهم السلام :(لو نزلت راية من السماء لم تنزل إلا في الزيدية).

والأخبار في فضائل هذه الفرقة كثيرة ، فلنرجع إلى الإرشاد إلى النجاة بعقيدة أهل الحق .

اعلم أن العقيدة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنحصر في عدة أركان ، يدخل تحتها ثلاثون معرفة ، وسبعة فروع ، وفصل في التفضيل ، وعشرون حالة من أحوال القيامة

أما الأركان

فأولها : العلم بوجوب معرفة الله تعالى بصفاته ، وما يتصل بذلك .

وثانيها : العلم بإثبات الصانع تعالى .

وثالثها : العلم بصفاته تعالى نفيا وإثباتا ، على الحد الذي استحقها .

---

(١) الفتح : ٤ ــ ٧ .

ورابعها : إثبات عدله وحكمته .

وخامسها : إثبات نبوة أنبيائه عليهم السلام .

وسابعها : إثبات أصول الشرائع .

وثامنها : إثبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتاسعها : إثبات الإمامة.

وعاشرها : إثبات الوعد والوعيد .

أما الركن الأول

وهو وجوب معرفة الله تعالى بتوحيده ، وما يتصل بذلك ففيه ثلاث معارف .

أحدها : وجوب العلم بتوحيد الله ، وما يتصل بذلك .

وثانيها : وجوب النظر .

وثالثها : بطلان التقليد .

أما المعرفة الأولى

فبيانها أن العارف بالله تعالى بتوحيده يكون أقرب إلى أداء الواجبات ، واجتناب المقبحات ، وما قرب من ذلك فهو واجب .

قال تعالى :﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾[1] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له الرجل : علمني من غرائب العلم . قال :(وماذا صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غرائبه ؟ قال الرجل : وما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله حق معرفته . قال الرجل : وما معرفة الله حق معرفته ؟ قال : أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه ، وتعرفه إلها واحدا ، عالما ، قادرا ، أولا ، آخرا ، ظاهرا ، باطنا ، لا كفؤ له ولا مثل)[2] .

---

(١) محمد : ١٩ .

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب عليه‌السلام في أماليه ص ١١١ ، والسمان كما في مسند شمس الأخبار ٦١/١ ، عن ابن عباس .

المعرفة الثانية وجوب النظر .

وبيانه أن العاقل يشاهد آثار الصنعة في نفسه وغيره فيجوز أن يكون له صانع تلزمه طاعته ، ومنعم يلزمه شكره ، فيصير خائفا من ترك النظر ، فوجب عليه فعله دفعا للضرر المخوف؛ ولهذا قال تعالى أولم **يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾**[١] وقال تعالى :**﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾**[٢] الآية.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من أخذ دينه عن التفكر في آلاء الله تبارك وتعالى ، وعن التدبر لكتابه ، والتفهم لسنتي زالت الرواسي و لم يزل ، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال ، وقلدهم فيه ذهب به الرجال من يمين إلى شمال ، وكان من دين الله على أعظم زوال)[٣] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :(تفكر ساعة خير من عبادة سنة) .

وعنه عليه السلام (تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (لا تفكروا في عظمة ربكم ، ولكن تفكروا فيما خلق ، فإن فيما خلق متفكرا ، فإن خلقا من الملائكة يقال له : إسرافيل ، زاوية من زوايا العرش على كاهله ، وقدماه في الأرض السفلى ، وقد برق رأسه من السماء السابعة ، ومن سبع سموات) .

المعرفة الثالثة بطلان التقليد

وبيانه أنه لا يؤمن الخطأ على مقلده والغلط عليه ، فيكون على ضلالة ، ويكون هالكا مثله ، ولهذا حث الله تعالى على النظر والاحتجاج ، واحتج على الكفار في جميع القرآن ، وذمهم على قولهم :**﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**[٤] .

---

(١) الروم : ٨ .

(٢) الغاشية ١٧ .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص ١٦٤ .

(٤) الزخرف : ٢٣ .

وعلى هذا قال عدي بن حاتم :(أتيت رسول الله وهو يقري في سورة براءة ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**﴾[1] حتى فرغ منها ، فقلت : إنا ليس نعبدهم فقال :(أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمون ؟ ويحلون ما حرم الله فتستحلون ؟) قلت : بلي. قال :(تلك عبادتهم) .

وعلى هذا قال الحرث بن حوط لعلي عليه‌السلام :(يا أمير المؤمنين أترى أن أهل العراق مع قلتهم على الحق ؟ وأن أهل الشام مع كثرتهم على الباطل ؟ قال :(يا حار إنه لملبوس عليك ، إن الحق لا يعرف بالرجال ، وإنما الرجال يعرفون بالحق ، فاعرف الحق تعرف أهله قلوا أم كثروا ، واعرف الباطل تعرف أهله قلوا أم كثروا) .

فعرفت أيها الطالب صحة الركن الأول من العقيدة ، وما فيه من المعارف ، وبذلك تفارق العدلية أهل الأهواء من السوفسطائية ، والعنودية ، والسمنية ، والشكوكية ، وأجناسهم .

وأما الركن الثاني وهو إثبات الصانع

ففيه معرفتان . إحداهما : أن العالم كله محدث .

والثانية : أن له محدثا وهو الله تعالى .

أما المعرفة الأولى :

فبيانها : أن العالم يتغير من حال إلى حال ، شتاء وصيف ، وحر وبرد ، وضر ونفع ، وغير ذلك من هبوب الرياح وسكونها ، وطلوع النجوم وأفولها ، وتجدد الأمطار والأشجار والثمار على اختلافها ، وتجدد الإنسان في الأرحام ، وخروجه مع كبره وصغر ما يخرج منه إلى الأرض ، ثم كونه رضيعا ، ثم طفلا ، ثم غلاما ، ثم بالغا شابا ، ثم كهلا ، ثم شيخا ، وتغير شعره وبشره وأعضائه وعروقه كحركاتها وسكناتها ، والقديم لا يتغير ولا يتجدد.

---

(١) التوبة : ٣١ .

ووجه آخر : وهو أن العالم بما فيه لا يكون إلا متحركا أو ساكنا ، أو مجتمعا أو مفترقا ، ولا يعقل إلا كذلك ، وهذه الأحوال محدثة ؛ لزوالها ؛ وعدمها عند تجدد أضدادها ، والقديم لا يجوز عليه الزوال والعدم ، وإذا كانت محدثة والعالم لا يخلو منها فهو لا محالة محدث مثلها.

وعلى هذا قال الله تعالى :﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات﴾(١) .

المعرفة الثانية : أن العالم له محدث وهو الله تعالى .

وبيانها : أن العالم لا يخلو إما أن يحدث بنفسه أو بغيره ، ومحال أن يحدث نفسه ؛ لأنه لم يكن بالحدوث في حال أولى من حال؛ ولأنه يؤدي إلى أن يكون الشيء متقدما على نفسه ، أو محتاجا في ثبوته إلى نفسه ، وهو غير معقول ، وإذا حدث بغيره فلا يخلو ذلك الغير إما أن يكون فاعلا مختارا ، أو موجبا عن علة ، أو طبع ، أو نجم ، أو مادة ، أو عقل ، أو فلك ، أو روح ، أو نفس ، أو غير ذلك مما يذكرونه ، وأي هذه الأمور الموجبة كان فهو باطل؛ لأنها إن أوجبت العالم وهي قديمة أو معدومة كان العالم قديما ، وقد صح أن فيه شواهد الحدوث ، وإن أوجبت العالم وهي حادثة كالعالم دار الكلام إلى مالا يعقل ولا ينحصر؛ لأنك تقول : هل حدثت بنفسها أو بغيرها ، كما ذكرنا في حدوث العالم فلا يكون للجواب أو السؤال انقضاء أبدا.

فصح أن العالم حصل بفاعل مختار ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وهو الله عز وجل ، كما قال تعالى :﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾(٢) إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم .

فعرفت أيها الطالب صحة هذا الركن بما فيه من المعارف ، وبذلك باينت الفلاسفة ، والملاحدة ، والطبائعية ، والدهرية ، والباطنية ، والغلاة ، والمفوضة ، وسائر إخوانهم من الكفار الجاحدين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) آل عمران : ١٩٠ .

(٢) آل عمران : ٦ .

والركن الثالث وفيه عشر معارف

المعرفة الأولى : أنه تعالى قديم .

وبيانه : أنه لو كان محدثا لم يخلو إما أن يحدث نفسه ، أو يحدث غيره ، وغيره إما أن يكون فاعلا أو علة ، والعلة معدومة أو موجودة ، والموجودة محدثة أو قديمة ، والفاعل إما محدث وإما قديم ، وقد بينا أن ذلك مؤد إلى مالا يعقل ، ولا ينفصل السؤال ولا الجواب ، وسنبين أن لا قديم إلا واحد ، فيبطل أن يكون هناك علة قديمة ، أو فاعل قديم مع القديم وإن كان القديم لا يصح أن يفعله فاعل .

المعرفة الثانية

أنه تعالى لا يشبه الأشياء ، ولا تشبهه الأشياء ، وليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا يتصف بشيء من خصائص الأجسام ، والجواهر والأعراض ، من التنقل والزوال ، والكون في الأماكن ، والتغير من حال إلى حال ، والعدم والبطلان ، فلا وجه له تعالى إلا ذاته ، ولا جنب له تعالى إلا طاعته ، ولا يد له تعالى ولا يمين إلا قدرته ونعمته ، ولا عين له إلا حفظه لنا وحراسته ، ولا يستوي على مكان إلا بالقهر والسلطان ، فهو تعالى لا يشبه الأشياء ، ولا تشبهه الأشياء ، بل هو تعالى كما قال : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[1] .

وبيان هذه المعرفة : أنه تعالى لو كان جسما أو جوهرا ؛ لما خلا عن الكون في المكان ، ولو كان عرضا لجاز عليه العدم والبطلان ، ولو كان كذلك لكان محدثا؛ لأن القديم لا يجوز عليه التغير والبطلان ، ولو كان كذلك لكان محدثا؛ لأن القديم لا يجوز عليه التغير والبطلان ، وعلى هذا قال تعالى :**﴿ليس كمثله شيء ﴾** .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يوشك الشرك أن ينتقل من ربع إلى ربع ، ومن قبيلة إلى قبيلة ، قيل : يا رسول الله وما ذاك الشرك ؟ قال : قوم يأتون بعدكم يحدون الله بالصفة).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إن قوما من الأمم الخالية أتوا نبيا من الأنبياء ليعنتوه فسألوه

---

(١) الشورى : ١١ .

عن ربه ما هو ؟ أي شيء هو ؟ أنور هو أم جوهر ؟ أم ذهب ؟ أم فضة ؟ فسكت . فأرسل الله صاعقة من السماء فأهلكتهم) .

وذلك قوله تعالى :﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال**﴾[1] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :(ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء عند الدعاء لينتهن أو ليخطفن أبصارهم) .

وقال رجل لعلي عليه السلام : (أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض ؟ فقال :(أين سؤال عن المكان ، كان الله ولا مكان) .

وسمع علي عليه السلام رجلا يقول :(والذي احتجب بسبع سموات) فعلاه بالدرة وقال : (ويحك إن الله لا يحتجب بشيء) فقال الرجل :(أكفر عن يميني ؟) قال :(لا؛ لأنك حلفت بغير الله) .

المعرفة الثالثة : أنه تعالى لا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة.

وبيانه : أنه تعالى لو رئي لم يخل إما أن يرى في مكان ، أو في ما يجري مجرى المكان أو لا في مكان ، ولا فيما يجري مجرى المكان ، والأول محال ؛ لأنه يقتضي حدوثه ، والثاني محال؛ لأنه لا يعقل ، بل فيه نفي الرؤية على الحقيقة.

وعلى هذا قال الله تعالى :﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾[2] وقال لموسى :﴿**لن تراني**﴾[3] حين سأله الرؤية لقومه لا لنفسه ، فهو عالم أنه تعالى لا يرى ، ولهذا حكى عنهم أن الصاعقة أخذتهم حين سألوه الرؤية ﴿**فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة**﴾[4] وقال موسى لما لم يقع منه خطيئة سوى السؤال لقومه بغير إذن من ربه

---

(١) الرعد : ١٣ .

(٢) الأنعام : ١٠٣ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٤) النساء : ١٥٣ .

﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾[1] .

وعن النبي ﷺ (إن الله لا يراه أحد في الدنيا ولا في الآخرة) .

وعن مسروق عن عائشة أنها قالت :(ثلاث من قال واحدة منهن فقد أعظم الفرية على الله تعالى : من زعم أن محمدا رأى ربه . فقال مسروق :(يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني أرأيت قول الله تعالى :﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[2] قالت :(ذلك جبريل ، لم يره رسول الله في صورته التي خلق فيها إلا مرتين ، مرة منهبطا من السماء إلى الأرض ، ومن زعم أن محمدا كتم شيئا من القرآن ، والله تعالى يقول :﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[3] ومن زعم أن محمدا يعلم الغيب ، والله تعالى يقول :﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾[4]

وهذا القول مروي عن الصحابة. وروي عنهم الإنكار على قائله ، والتكذيب له

المعرفة الرابعة : أن الله تعالى قادر

وبيانه : أن العالم بما فيه قد صح منه تعالى ووجد ، والفعل لا يصح إلا من قادر ، قال تعالى :﴿وهو على كل شيء قدير﴾[5] وقال :﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[6] .

المعرفة الخامسة : أنه تعالى عالم

وبيانه : أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ، ووجدت مرتبة محكمة ابتداء ، فإن فيها من الترتيب والإحكام ما يعجز عن وصفه أولوا العقول والأفهام ، وذلك لا يصح إلا من عالم . قال تعالى :﴿وهو بكل شيء عليم﴾[7] .

---

(١) الأعراف : ١٥٥ .

(٢) النجم : ١٣ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) النمل : ٦٥ .

(٥) الروم : ٥٠ . الشورى : ٩ . الحديد : ٢ . التغابن : ١ ، والملك : ١ .

(٦) الأنعام : ١٨ ، الأنعام : ٦١ .

(٧) البقرة : ٢٩ . الأنعام : ١٠١ ، الحديد : ٣ .

المعرفة السادسة : أنه تعالى حي

وبيانه : أن القادر العالم لا يكون إلا حيا ، فإنه لابد من تفرقة بين من صح أن يقدر ويعلم وبين من لا يصح ذلك فيه ، وليس إلا بكونه حيا ، وكذلك في كونه قادرا وعالما لابد أيضا من تفرقة فافهم ذلك .

المعرفة السابعة : أنه تعالى سميع بصير ، مدرك للمدركات بلا حاسة ولا آلات .

لأنه حي لا آفة به ، فإن الآفات لا تجوز إلا على الأجسام ، وعالم بجميع المعلومات ، لا يخرج عن علمه شيء من المسموعات والمبصرات ، ولا غيرها من الجليات والخفيات ، لا من الموجودات ولا من المعدومات ، قال تعالى :﴿وهو السميع البصير﴾[1] وقال :﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾[2] أي : أعلم جميع ذلك ، تعالى الله أن يحتاج إلى شيء من الآلات ، ولا إلى غيرها من الأوقات ، وغير الأوقات .

المعرفة الثامنة : أنه تعالى غني

وبيانه : أنه حي لا يحتاج إلى شيء ، ولو احتاج إلى شيء لم يخل إما أن يحتاج إليه في وجوده ، وقد بينا أنه تعالى ليس بمحدث ، أو فيما يحتاج إليه العباد من المنافع ودفع المضار ، وذلك منزه عنه العزيز الجبار؛ لأنه لو كان كذلك لكان يلتذ ويتألم ، ويستر ويغتم ، ولو كان كذلك لكان يشتهي وينفر ، ولو كان كذلك للزم أن تجعل الأشياء كلها مشتهيات لئلا يتضرر بالمنفرات في حالة من الحالات ، وقد علم خلافه ، ولكان يجب أن تجوز عليه الزيادة والنقصان في جميع الأزمان وغير الأزمان ، وذلك لا يجوز إلا على الأجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، قال تعالى :﴿[والله]هو الغني الحميد﴾[3] .

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) طه : ٤٦ .

(٣) فاطر : ١٥ . في الأصل (وهو الغني الحميد) ولا يوجد هذا اللفظ مع الواو ، والموجود بدون واو . أو باللام (لهو) كما في سورة الحج : ٦٤ .

المعرفة التاسعة : أنه تعالى واحد لا ثاني له في القدم ، ولا في الإلهية

وبيانه : أنه لا يشاركه مشارك في القدم والإلهية إلا وقد اختص بمثل صفاته الذاتية ، ولو اختص بها معه آخر لكان على ما قدر عليه تعالى قادرا ، فيمكن كل واحد منهما المعارضة والممانعة ، ويجوز عليهما الاختلاف والمنازعة ، وهذا التجويز يؤدي إلى تجويز اجتماع الأضداد ، وضعف القديم عن المراد ، وكل ذلك في غاية الفساد ، قال تعالى : **﴿وإلهكم إله واحد﴾**[1] وقال : **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**[2] وقال : **﴿[قل] لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾**[3].

وسئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال :(أن تجعل لله ندا وهو خلقك) .

وعنه ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) .

المعرفة العاشرة : أنه تعالى لا يخرج في حالة من الحالات عن صفة من

هذه الصفات .بل وجب اختصاصه دائما بالنفي منها والإثبات ، ولم يمتنع عليه شيء من المقدورات ، ولا عزب عن علمه شيء من المعلومات.

وبيانه : أنه تعالى لا فاعل له يجعله على هذه الصفات ، ولا علة تؤثر فيها في حالة من الحالات ، فإنه قد استغنى بقدمه عن فاعل وعلة ، فكانت هذه الصفات واجبة لله تعالى ، وإذا كانت هذه الصفات ثابتة له من غير مخصص لم تكن بالثبوت في حال أولى من حال ، فلزم ثبوتها في جميع الأحوال ، ولم يكن بأن يقدر على بعض المقدورات أولى من البعض الآخر ، وكذلك علمه بالمعلومات.

وعلى هذا قال تعالى : **﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾**[4] وقال تعالى : **﴿[فإنه] يعلم السر وأخفى﴾**[1] وقال : **﴿وهو**

---

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) الأنبياء : ٢٢ .

(٣) الإسراء : ٤٢ .

(٤) سبأ : ٣ .

على كل شيء قدير﴾ وقال :﴿ وهو بكل شيء عليم﴾[2] .

وقد تم هذا الركن ، وبه زايلت الباطنية ، والمشبهة ، والكرامية ، والهشامية ، والأشعرية ، والضرارية ، وسائر الصفاتية ، وبعدت عن مناهج المجوس ، والثنوية والنصارى ، من النسطورية ، واليعقوبية ، والملكية .

وأما الركن الرابع

وهو إثبات عدله وحكمته ففيه ثلاث معارف ، وسبعة فروع. أما المعارف

فالمعرفة الأولى : أنه تعالى لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما يجب في الحكمة وأفعاله كلها حسنة.

وبيان ذلك : أنه تعالى عالم بقبح القبيح ، ووجوب الواجب ، وغني عن فعل القبيح وعن الإخلال بالواجب ، وعالم باستغنائه عن ذلك ، وكل من كان كذلك فإنه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بالواجب ؛ لأن علمه بقبحه يصرفه عن فعله ، وعلمه بقبح الإخلال بالواجب يصرفه عنه أيضا ، وعلمه باستغنائه عن ذلك كله ـــ يقتضي أن لا داعي له يدعوه إلى فعل القبيح ، والإخلال بالواجب ، بل علمه بوجوب الواجب يدعوه إلى فعله ، والعالم بما يفعله لا يفعله إلا مع الداعي دون الصارف ، وهذا ظاهر في الشاهد ؛ فإن الواحد منا لا يفعل القبيح إلا لحاجته أو جهله ، وقد ثبت أنه تعالى ليس بمحتاج ولا جاهل ، فثبت أنه لا يفعل القبيح ، ولهذا قال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[3] وقال : ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾[4] وغير ذلك

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يقول الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) .

---

(١) طه : ٧ .

(٢) البقرة : ٢٩ ، الأنعام : ١٠١ ، الحديد : ٣ .

(٣) النحل : ٩٠ .

٤) يونس : ٤٤ .

وعن علي عليه‌السلام (التوحيد أن لا تتوهمه ، والعدل ألا تتهمه) .

المعرفة الثانية : أن أفعال العباد منهم لا من الله تعالى

وبيان ذلك : أنها تحصل منهم على حسب إرادقم ، وتنتفي بحسب كراهتهم ، وتكثر بكثرة قُدَرِهم ، وتقل بقلتها ، ويستحسن العقلاء أمرهم ببعضها ، ونهيهم عن بعضها ، ويفرق العاقل بين ما يحصل مرادا له من فعله ، وبين ما يحصل مرادا له من فعل غيره ، فلولا أنها أفعالهم لما صح ذلك فيها.

وعلى الجملة أنها لو كانت من فعل الله لبطل الأمر والنهي ، والمدح والذم ، والوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار.

وعلى هذا قال الله تعالى : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[1] وقال :﴿يفعلون﴾ و ﴿يعملون﴾ وأخبر تعالى أنهم يمكرون ، ويكسبون ، ويكذبون ، ويصنعون ، ويكفرون ، ويفسقون ، كل ذلك في القرآن.

وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (السعيد من سعد بعمله ، والشقي من شقي بعمله) .

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (ما هلكت أمة حتى يكون الجبر قولهم) .

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (إذا كان يوم القيامة يجمع الله الخلائق في صعيد واحد ، فينادي مناد من بطنان العرش: ألا كل من بَرّأ الله من ذنبه ، وألزمه نفسه فليدخل الجنة آمنا غير خائف) .

المعرفة الثالثة

أن الأمراض والآلام وسائر البلايا نحو الفقر والقحط والغلاء والموت من الله تعالى

وبيانه : أن كل هذه الأمور حادثة بعد أن لم تكن ، ولا تحدث من أحد من العباد لأنهم يكرهون حدوثها ، ويودون أن لا تحدث ، فبقي أنها من الله تعالى ، فإن حصولها بمادة أو طبع أو نجم محال ، بما تقدم من المعرفة الثانية من الركن الأول .

---

١) العنكبوت : ١٧ .

وعلى هذا قال تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1] وقال : ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى (وعزتي لأقبضن كريمتي عبدي أو حبيبتي عبدي فيصبر ويرضى بقضائي فأرضى له بثواب دون الجنة) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الفقر خزانة من خزائن الله ، وهو أزين على المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا أحب الله عبدا أجوعه قيل : يا رسول الله وكيف يجوعه ؟ قال : يحبس عنه الدنيا طعامها ولباسها وشرابها حتى لا يجد ماء ولا طعاما) .

فهذا هو تمام المعارف.

وأما الفروع

فالفرع الأول

أن الله تعالى لا يقضي أفعال العباد إلا بمعنى الكتابة والعلم .

وإن كانا لا يوجبان شيئا من الفعل ، أو بمعنى الأمر بالواجبات والمندوبات ، دون المكروهات والمقبحات ، ولهذا قال تعالى : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾[3] أي : أمر ، وقال : ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب**﴾[4] أي : أعلمناهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أن رجلا من فارس جاء إليه وقال : رأيتهم ينكحون أمهاتهم وإخواتهم وبناتهم ، فسألتهم عن ذلك لم تفعلون؟قالوا : قضاء الله وقدره. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أما إنه سيكون في أمتي قوم يقولون مثل ذلك ، أولئك مجوس أمتي) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم ، والأرض التي تقلكم

---

(١) الأنبياء : ٣٥ .

(٢) التوبة : ١٢٦ .

(٣) الإسراء : ٢٣ .

(٤) الإسراء : ٤ .

فكما لا تستطيعون الخروج عن السماء والأرض ، كذلك لا تستطيعون الخـــروج عن علم الله ، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب ، فكذلك لا يحملكـم علم الله عليها) .

وعن النبي ﷺ (القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن مـاتوا فلا تشهدوهم ، ولاتصلوا عليهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم فـإنهم شـيعة الدجال ، وحق على الله أن يلحقهم به) .

وعن النبي ﷺ (لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا. قيل : يا رسول الله ومـن القدرية ؟ قال : الذين يعملون بالمعاصي ويزعمون أنها من الله) . والآثار فيهم كثيرة.

الفرع الثاني

: أن الله تعالى لا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم ، ولا يجازي أولاد الأنبياء بشيء من ثواب آبائهم.

وبيانه : أن تعذيب الواحد بذنب غيره ظلم ، والظلم قبيح فلا يقع من الله تعـالى ، وإثابة الغير بعمل غيره تعظيم لمن لا يستحقه ، وهو قبيح أيضا لا يقع منـه تعـالى ولهذا قال تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [(١)] ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [(٢)]

وعن النبي ﷺ (أتدرون من الأهون من أمتي ؟قالوا : الله ورسوله أعلم. قـال : نعم أولاد المشركين ، لم يذنبوا فيعذبوا ، ولم يعملوا حسنة فيثابوا ، فهم خدم أهـل الجنة) .

الفرع الثالث

أن قدرة العبد لا توجب فعله ، وإنما هو باختياره

وبيانه : أن القول بذلك يبطل الأمر والنهي ، والثواب و العقاب ، كما تقدم.

---

(١) الأنعام : ١٦٤ ، الإسراء : ١٥ ، فاطر : ١٨ ، الزمر : ٧ .

(٢) النجم : ٣٩ .

وأيضا فيؤدي إلى أن الملائكة والأنبياء أسوا حالا من الأباليس ؛ لأن الأنبياء على هذا القول لو قدروا على الكفر والزنا ، وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي — لم يمنعهم خوف الله تعالى ولا تعظيمه ، والشياطين لو قدروا على الإيمان والورع والزهد — لكانوا أعظم حالا ، وأرفع قدرا من الملائكة والنبيئين ، فتكون مترلتهم على هذا أشرف من مترلة الملائكة والنبيئين فلا ينجي من ذلك إلا الهرب إلى قول العدلية ، ولذلك قال تعالى حاكيا عن المنافقين : ﴿**لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**﴾[1] فدل تكذيبهم على أنهم قادرون وإن لم يفعلوا ؛ فثبت أنها لا توجب المقدور ، ولهذا قال النبي ﷺ في آخر حديث :(ومن ترك ثوب جمال وهو قادر عليه ألبسه الله ثوب الإيمان يوم القيامة) وعنه ﷺ (سأل موسى ربه أي عبادك أعز ؟ قال : الذي إذا قدر غفر) .

الفرع الرابع : أنه تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون.

وبيانه : أن ذلك قبيح وهو لا يفعل القبيح.

وعلى هذا قال الله تعالى : ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾[2] وقال : ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[3]

وعن النبي ﷺ في آخر حديث عن الله ، وصف فيه كثرة إنعامه على عبيده وعدله فيهم ثم قال : (لم أدع تحذيرك و لم آخذك عند غرتك ، و لم أكلفك فوق طاقتك ، و لم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت به على نفسك ، ورضيت منك لنفسي بما رضيت به لنفسك مني).

وعن علي عليه السلام في خطبته الغراء بعد ذكر الخلق ، وبيان التوحيد قال عليه السلام :(ثم أمر بتربيته إلى كمال تقويته ، وأسبغ عليه النعم ، ووضع عنه القلم ، إلى عند

---

(١) التوبة : ٤٢ .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

٣) الحج : ٧٨ .

حال البلوغ فلم يكلفه ما لا يطيق ، أنظره بالأمر ، ومد له في العمر ، ثم كلفه دون الجهد ، ووضع عنه مادون العمد ، وقد أطلقه للفكر ، وحثه على النظر ، بعد وصفه له الأدلة ، وإزاحته له كل علة).

الفرع الخامس

أن الله تعالى لا يشاء القبيح ولا يريده ، ولا يرضاه ولا يحبه.

وبيانه : أن ذلك نقص عظيم في أولي الحاجة والجهل ، فكيف بالملك العدل قال الله تعالى : ﴿**وما الله يريد ظلما للعباد**﴾ [1] وقال : ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾ [2] وقال : ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾ [3] ولو كان الله قد أراد كل معصية وحدث ، وهو أهل أن يوجد مراده لكان أهلا أن يعصى ، ويكفر به ، تعالى عن ذلك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد سأله الرجل : أي الإسلام أفضل ؟ قال : (أن تهجر ما كره الله) .

الفرع السادس :

أن الله تعالى يلطف لمن له لطف ، ويوفق المؤمنين ، ويمكن جميع المكلفين

وبيانه : أنه لو كلف ولم يمكن لكان قبيحا ؛ لأنه تكليف لما لا يطاق ، ولو لم يلطف ويوفق لكان قد استفسد العبد ، وذلك قبيح.

وعلى هذا قال تعالى : ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر**﴾ [4] الآية ، وقال : ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى [5]﴾ وقال : ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ [6] الآية.

---

(١) غافر : ٣١ .

(٢) البقرة : ٢٠٥ .

(٣) الزمر : ٧ .

(٤) الحجرات : ٧ .

(٥) محمد : ١٧ .

(٦) الكهف : ٨٠ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما زويت الدنيا عن أحد إلا كان خيرا له) ,

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : يقول الله عز وجل : يحزن عبدي المؤمن إذا أقترت عليه الدنيا ، وذلك أقرب له مني ، ويفرح إذا بسطت عليه الدنيا ، وذلك أبعد له مني ، ثم تلا هذه الآية **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾**[1] أي : ذلك فتنة لهم. ــ تم الخبر ــ.

وعنه عليه السلام في آخر حديث قال فيه : (وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو أصححته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي لعلمي بقلوبهم إني عليم خبير) .

الفرع السابع : أن من ابتلاه الله من المكلفين فإنه لابد له من مصلحة ، وعوض عند رب العالمين. وبيانه : أنه لو أمرضه ، أو أفقره من دون منفعة توفي على ذلك ــ لكان ظالما له بذلك ، ولو لم تكن فيه مصلحة وتذكرة لكان عبثا ؛ لأنه تعالى كان يمكنه أن ينفعه من دون أن يمرضه ؛ فإنه قادر على ما يشاء ، فلما أمرضه عرفنا أن هناك مصلحة زائدة على العوض. وعلى هذا قال تعالى : **﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾**[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يقال للفقراء ادخلوا الجنة يوم القيامة ، فيختلط بهم رجل من الأغنياء ، فإذا بلغ باب الجنة قيل له : ارجع فلست منهم . فيتمنى أنه كان فقيرا مذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة) .

---

(١) المؤمنون : ٥٥ ــ ٥٦ .

(٢) التوبة : ١٢٦ .

وعن النبي ﷺ (حمى يوم كفارة سنة) .

وعن النبي ﷺ (إن الله إذا أحب عبدا صب عليه البلاء صبا ، وثجه عليه ثجا. قال : ويوضع الميزان يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب لهم الأجر صبا بغير حساب ، حتى يتمنى أهل العافية أنهم كانوا في الدنيا تقرض أجسامهم بالمقاريض لما يذهب به أهل الصبر من الفضل)

وهذا تمام الركن الرابع

وبهذه العقيدة فارقت فئة المجبرة القدرية ، من الأشعرية ، والنجارية ، والضرارية والجهمية ، والكرامية ، وانتزحت عن ساحات المطرفية ، والمجوس ، والثنوية ، والطبائعية وغيرهم.

الركن الخامس : إثبات النبوة

ففيه معرفتان . إحداهما : أن المعجز ظهر على يدي محمد عقيب دعوى النبوة.

والثانية : أن كل من ظهر المعجز عليه كذلك فهو نبي صادق.

أما المعرفة الأولى

فبيانها : أنه لما ادعى النبوة تحدى العرب بالقرآن ، وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله ، فلما عجزوا أنذرهم من عقابه ، وأيأسهم عن الإتيان بشيء من ذلك ، ومن المعلوم ضرورة أنهم كانوا يستمعون آيات القرآن ، ويتعجبون منها ، فليس لقائل أن يقول : لم يسمعوا آيات التحدي ، وكان فيهم من يقول : ما هذا كلام بشر ، ويقول آخر : ما سمعت مثل هذا أبدا فليس لقائل أن يقول : لم يهتموا بمعارضته ؛ لكونه غير فصيح عندهم.

ومن المعلوم ضرورة أيضا أهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، ولهذا أوقدوا نارا للحرب ، وعدلوا عن المعارضة إلى الطعن والضرب ، وإهلاك النفوس والأموال ، فلا يقال : تركوا المعارضة لقلة العداوة.

ومن المعلوم ضرورة أهم كانوا يفتخرون بالفصاحة ، ويتبجحون بها ، ولهم فيها الحكام في المحافل والأسواق فلا يقال : إن دواعيهم لم توفر إلى المعارضة ، ومعلوم ضرورة أنه ما صرفهم عن المعارضة رهبة ولا رغبة فيه ، كما لم يصرفهم ذلك عن قتاله.

ومعلوم ضرورة أنه ما أعجلهم عن المعارضة ، فيظن أنه لم يمهلهم لأنه أقام فيهم ثلاث عشرة سنة لم يؤذن له في القتال ، وكانت أيديهم العالية فيها.

ومعلوم ضرورة أهم يعلمون أن عليهم نقصا عظيما في ترك المعارضة مع التحدي لأن بعضهم كان يعارض بعضا في النظم والنثر بغير تحد ، فكيف مع التحدي البليغ.

ومعلوم ضرورة أنه رام نقلهم من المألوف من أديانهم ورئاستهم ، والافتخار بأنساهم إلى نقائضها ، وإلى أن يكون الرئاسة له عليهم.

ومن المعلوم ضرورة أهم كانوا يأنفون من ذلك أشد الأنفة ، ويلحقهم في ذلك أشد الحمية والتعصب،وكل ذلك يدعوهم إلى معارضته ضرورة لو قدروا على ذلك.

ومعلوم ضرورة أهم لو عارضوا القرآن أو شيئا منه لأظهروا ذلك ونشروه ، حتى يشتهر على حد اشتهار القرآن إن لم يزد على ذلك ؛ فإن اليد كانت لهم سنين كثيرة.

ومن المعلوم ضرورة أيضا أهم لو وجدوا فيه تناقضا واختلافا ، أو لحنا أو اختلالا لطعنوا فيه ولأظهروه ، خصوصا مع سماعهم لقوله : ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾[(1)] فإن ذلك أسهل عليهم من المحاربة ، مع علمهم أن أمره يبطل بذلك ، من دون التوفر على إهلاك النفوس والأموال ، وكل ذلك يقتضي أهم عجزوا عن المعارضة ، فصح أنه معجز.

---

(١) النساء : ٨٢ .

ووجه آخر

وهو أن في القرآن من الأخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة ما لا يمكن لبشر العلم به إلا بإعلام الله تعالى به ، من يختار نبوته ، نحو إخباره بقصة آدم وأولاده ، ونوح وقومه ، وكذلك هود ، وعاد ، وصالح ، وثمود ، وإبراهيم وقومه ، ولوط وقومه ، وقصة سليمان ، وداود ، وأيوب ، وزكرياء ، ويحي ، وموسى ، وعيسى ، وهارون ، واليسع ، وقصة يوسف ، وقصة ذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، وغير ذلك مما لا يمكن تفصيله إلا في الكتاب الكريم ، أو يؤخذ منه.

ونحو أخبار أهل الكتابين ، وشرح فضائحهم وأفعالهم ، وغير ذلك كثير.

وأما المستقبل فنحو إخباره بهزيمة بدر في قوله : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [1] ونحو إخباره بأمر الروم وفارس ، فكان كما أخبر ، ونحو إخباره تعالى بحصول اليد لأمة محمد فكان كما أخبر ، أذهبوا ملك الروم وفارس ، وغير ذلك مما يصعب شرحه مع قصد الاختصار.

ووجه ثالث

وهو ظهور معجزات كثيرة على يديه ، غير القرآن وما يتعلق به ، نحو مجيء الشجرة إليه ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى في يديه ، وتسليم الحجارة عليه ، وكلام الذئب ، وكلام الظبي ، والضب ، والحمار ، والحمل ، فقد عدت معجزاته ألف معجزة ، وهي معروفة محصورة مشهورة في كتب العلماء . فهذه المعرفة الأولى

المعرفة الثانية

وهي أن كل من ظهر المعجز على يديه فهو نبي صادق.

وبيانها : أن النبي ﷺ متى قال : أنا رسول الله إليكم ، ودليل صدقي أن الله يحي هذا الميت ، أو يتكلم هذا الذئب ، أو آتيكم بكلام لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ، أو أني أخبركم بأمر كان مغيبا عني من الماضي والمستقبل ، ووقع ذلك على حسب

---

(١) القمر : ٤٥ .

دعواه ، فإن ذلك أبلغ من أن يقول الله تعالى : هو صادق ، أرسلته على وجه تسمعوا هذا التصديق ، فكيف إذا اجتمعت جميع هذه المعجزات وغيرها إلى ألف معجزة ، فإن ذلك يوقع اليقين بنبوته.

ومتى ثبتت نبوته صحت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن الكتاب قد أخبر بذلك ، وكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادق.

فقد خرجت بمعرفة هذا الركن عن ساحات البراهمة ، ومنكري الملل ، وغيرهم من اليهود والنصارى ، وأجناسهم.

الركن السادس

إثبات كلامه تعالى وهو القرآن وفيه معرفتان :

إحداهما : أنه كلام الله تعالى .

والثانية : أنه محدث مخلوق غير قديم ولا مكذوب.

أما المعرفة الأولى وهو أنه كلام الله تعالى فبيانه :

أن المعلوم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدين بذلك ، ويخبر به ، وهو لا يدين إلا بالحق ، ولا يخبر إلا بالصدق ، وقد قال تعالى : ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**إنا سمعنا قرآنا عجبا**﴾[2] وهذا المتلو هو المسموع ، فهو القرآن.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يؤتي بحملة القرآن يوم القيامة فيقال : أنتم وعاة كلام الله ، آخذكم بما آخذ به الأنبياء إلا الوحي) فدل على أن المتلو كلام الله ؛ لأنه الذي يحمل ، والذي يعيه الإنسان دون صفات الله تعالى .

---

(١) التوبة : ٦ .

(٢) الجن : ١ .

وعنه ﷺ (من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة) .

المعرفة الثانية أنه محدث مخلوق

وبيانه : أن هذا القرآن هو هذا المتلو في المحاريب ، المعروف بين المسلمين ؛ فإن ذلك معروف من ضرورة الدين ، ولهذا أشار إليه رب العالمين في آي كثيرة ، نحو قوله تعالى : ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه**﴾ [1] وقوله : ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل [لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله]**﴾ [2] وقوله: ﴿**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ [3]

ولا إشكال في حدوث هذا المشار إليه ، وكونه مخلوقا ، بمعنى أنه مصور مرتب على مقدار معلوم يوافق المصلحة ، فإن كل حرف منه يتقدم على غيره بوقت واحد ، فهو مرتب منظوم ، وكل ما كان كذلك فهو محدث ؛ لأن القديم لا يتقدمه شيء ولا له بعض ولا كل ، ولا أول ولا آخر ، ولو كان مكذوبا لكان الله كاذبا ، وقد ثبت أنه عدل حكيم. وقد قال تعالى : ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون**﴾ [4] والذكر : القرآن لقوله تعالى : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ [5] فوصفه في الآية أنه مسموع ، وأنه ذكر ، وأنه يأتي من الله تعالى ، وكل ذلك من صفات المحدث لا القديم.

وعن أبي بن كعب قال : قرأت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فقال : (والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في القرآن مثلها ، وهي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بين الله وبين

---

(١) يونس : ٣٧ .

(٢) الحشر : ٢١ .

(٣) النمل : ٧٦ .

(٤) الأنبياء : ٢ .

(٥) الزخرف : ٤٤ .

عبده ، ولعبده ما سأله . ولا يجوز أن يقال : ما أنزل الله مثل ما ليس بمنزل.

وعنه ﷺ (لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على أحد قبلي إلا على سليمان عليه السلام). والقديم لا يوصف بالنزول ؛ فإذا القرآن محدث.

وبمعرفة هذا الركن فارقت الأشعرية ، والحنبلية ، والكرامية ، والمطرفية ، والجاهلية ، بحمد الله ومنه.

الركن السابع : إثبات أصول الشرائع

اعلم أن أصول الشرائع هي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع والقياس.

أما الكتاب : فيدل على صحته أنه كلام من لا يجوز عليه الكذب ، ولا التلبيس ، ولا التعمية ، ولا الأمر بالقبيح ، ولا النهي عن الحسن ؛ لما ثبت من عدله وحكمته ، وقد قال تعالى فيه : ﴿**تبيانا لكل شيء**﴾ [1] ووصفه بأنه هذا.

وأما السنة : فيدل على صحتها أنها مأخوذة عن نبي صادق ، لا يجوز عليه القبيح في أداء الشرائع ؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون تعالى قد صدق الكاذب ، وقد قال تعالى : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ [2] وقال : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [3].

وهي ضربان : متواتر يجب العمل به والتصديق له قطعا.

وآحاد يجب العمل به في الاجتهادات دون القطعيات ، لإجماع الصحابة على العمل به وإجماعهم حجة.

وأما الإجماع : فدليل صحته قوله تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا**

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) الحشر : ٧ .

شهداء على الناس﴾ [1] ولا يستشهد إلا العدول.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (عليكم بالسواد الأعظم) يعني الإجماع .

وأما إجماع العترة وحدهم

فيدل على صحته قوله تعالى : ﴿**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ [2] ولا يستشهد إلا العدول.

وقوله : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ [3] فدل على عصمتهم بزوال الرجس وتطهيرهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). [4]

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) الأحزاب :٣٣ . حول آية التطير ، وفي من نزلت ؟ ومن هم أهل البيت المقصودون ؟ بسط كثير من العلماء في تخريج الأحاديث الموضحة بب نزول الآية ، وانظر مقدمة الإعتصام للإمام القاسم بن محمد عليه السلام ، وشواهد التتريل للحاكم الحسكاني ، وتفسير فرات الكوفي ، و فسير الحسين بن الحكم الحبري ، وترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير ابن كثير ، وفتح القدير للشوكاني ، وتحرير الأفكار للعلامة السيد بدر الدين الحوثي ، والشافي للإمام عبد الله بن حمزة ، ولوامع الأنوار للمولى العلامة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، وهنالك رسائل ، وكتب كثيرة في أسباب نزول هذه الآية ، منها ١٤ رسالة وبحث لكتاب معاصرين ، انظر مجلة تراثنا العددين ٣٨، ٣٩ ، السنة العاشرة ، ١٤١٥هـ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، كما لخص السيد المرعشي النجفي ١٤٠ ، كتابا ورسالة في الموضوع في مقدمة تحقيقه لكتاب إحقاق الحق ، وانظر رسالة السحاب المطير ، في تفسير آية التطهير ، وهوامش المحقق في العدد المذكور من مجلة تراثنا .

(٤) حديث (إني تارك فيكم) من أخرجه وفيه لفظ العترة ، قال في الفلك الدوار (الحاشية) ص ٩٠ ، الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع ٤٠٤ ، .... يكمل من الفلك ص ٩٠ .

وأما القياس :فيدل على صحته قوله تعالى : ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿فـاعتبروا يـاأولي الأبصـار﴾ [2] ولإجماع الصحابة والعترة على ذلك.

ولقوله ﷺ لمعاذ حين وجهه إلى اليمن : (بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي قـال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه) .

وبمعرفة هذا الركن ملت عن مذاهب نفاة الملة ، وتنحيت عن قـول الإماميـة والنظامية ، وأجناسهم ، ومن هو داخل في الأمة.



أما بلفظ (وسنتي) فقد حصر الروايات وتابعها السيد علي الميلاني في سلسلة مقالاته تحت عنوان (من الأحاديث الموضوعة) حديث الوصية بالثقلين ، الكتاب والسنة ، مجلة تراثنا ، العدد الرابع (٢٩) السنة السـابعة شـوال ١٤١٢هـ ص ١٧١ ، ١٧٨ ، وهي رواية مالك بن أنس في الموطأ ، ورواية ابن هشام في السيرة ، وروايـة الحاكم في المستدرك ، ورواية البيهقي ، ورواية ابن عبد البر ، ورواية القاضي عياض ، وروايـة السـيوطي في الجامع الصغير ، ورواية المتقي الهندي في كنز العمال ، وناقش أسانيد الروايات ورجالها ، وأبطلها ، وذهب إلى أن الغرض من وضع هذا الخبر بهذه الألفاظ هو المقابلة والمعارضة به لحديث الثقلين المتفق عليه بين المسـلمين المقطوع به عن رسول رب العالمين ، الذي قاله في أكثر من موقف (انظر ما نقلنا من تخريج الحديث في مختلف المواقف في مقدمة كتاب المصابيح الساطعة الأنوار بتحقيقنا) قال السيد علي الحسيني : فإنه ليس هناك منافـاة بين الوصية بالكتاب والسنة ، والوصية بالكتاب والعترة ، إذ لا خلاف بين المسلمين في وجوب الإلتزام والعمل بالكتاب والسنة النبوية الشريفة ، غير أن حديث (الكتاب والعترة) مفاده وجوب أخذ السنة من العترة النبويـة لا من غيرهم .

(١) النساء : ٨٣ .

(٢) الحشر : ٢ .

الركن الثامن : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1] الآية.

وقوله : ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾[2]

وقول النبي ﷺ : (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم).[3]

وقد تقدم في معاشرة الظلمة ما فيه الكفاية

الركن التاسع : الإمامة

وفيها ثلاث معارف : إمامة علي عليه السلام ، وإمامة الحسن والحسين عليهما السلام ، وإمامة أولادهما في كل عصر.

المعرفة الأولى : إمامة علي عليه السلام

يدل على ذلك الكتاب والسنة.

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[4] فإن سائلا سأل في مسجد رسول الله ﷺ في حال صلاة علي عليه السلام فأومأ إليه بخاتمه في حال الركوع ، فأعطاه السائل ،

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) المائدة : ٧٩ .

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ٢٢٦ ، من طريق الإمام زيد بن علي عليهما السلام ، والإمام المرشد بالله عليه اللام ١/٣٥ ، عن عائشة ، والحافظ محمد بن منصور المرادي في أمالي الإمام أحمد بن عيسى عليهما السلام ٤/٣٥٣ ، وهو مشهور بألفاظ مقاربة .

(٤) المائدة : ٥٥ .

فنزل جبريل بهذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمه بالقصة[1] ، فجعله الله تعالى في الآية وليا على الكافة ، فكان مالكا للتصرف ، فإنا إما أن نحمل الآية على جميع المعاني دخل فيها المالك للتصرف ، وإما أن لا نحملها على شئ من معانيها كان كلامه تعالى بمنزلة الهذر والعبث وذلك لا يجوز ، وإما أن نحملها على بعض دون بعض من غير تخصيص وذلك لا يجوز.

وأما السنة :فكثير نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)[2].

فلما استثنى النبوة علمنا أنه لو لم يستثنها لدخلت في غرضه بالخطاب ، فدل على أنه دخل في غرضه ماعداها ، ومن جملته الإمامة ؛ ولأن ذلك من منازل هارون من موسى عليهما السلام.

ونحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (ألست أولى بكم من أنفسكم؟قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله)[3] .

---

(١) للتوسع في معرفة من روى سبب نزول هذه الآية ، انظر تفسير الحبري ٢٥٨ ، والدر المنثور ١٠٤/٣ ، ١٠٦ ، وجامع البيان للطبري ٢٨٧/٤ ، وتفسير فرات الكوفي ١٢٣، ١٢٩ ، وانظر تخريجنا للحديث في مقدمة كتاب المصابيح الساطعة الأنوار ، مقدمة الجزء الأول .

(٢) هذا هو حديث المنزلة المشهور المتواتر ، فممن صرح بتواتره الكتاني في نظم المتنافر ص ١٩٥ ، رقم ٢٣٣ ، من طرق عدة ذكر أسماءهم ، وقد تتبع ابن عساكر مبلغ عدد الصحابة فيه نيفا وعشرين ، وقد رواه أصحاب السنن ، والمسانيد كالبخاري في صحيحه ٢٠٨/٤ ، ومسلم ٣٦/٢ ، وأحمد في مسنده ١١٣/١ ، وانظر لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٣١ ، وانظر ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٣٠٦ ، ٣٩٤ ، الأحاديث ٣٣٦ ــ ٤٥٤ ، وانظر تخريج الحديث موسعا في الأمالي الصغرى للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني الحديث العشرون ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، وتحرير الأفكار للعلامة بدر الدين الحوثي حفظه الله .

(٣) أجمعت الأمة على تواتره ، قال الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٩٤ ، رقم ٢٣٢ ، حديث من كنت مولاه أود من حديث ثمانية عشر نفرا وسماهم ، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابيا ، وصرح بتواتره المناوي في التيسير نقلا عن السيوطي ، وشارح المواهب اللدنية ، وهو كثير الطرق ،

فبين عليه‌السلام أنه الأولى بالإمامة بعده وذلك يقتضي ثبوت الإمامة كما تقدم في الآية .

ولأنه السابق إلى جميع الخيرات فكان ، هو المقرب إلى الإمامة وغيرها ؛ كما قال تعالى : ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون**﴾ [1] وأن له في الجهاد ما ليس لغيره ، وقد قال تعالى : ﴿**فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**﴾ [2] وغير الإمام لا يكون أفضل منه.

وإذا بلغت إلى هاهنا خلصت إلى رياض الزيدية ، وخرجت عن ساحات المعتزلة ودهاليز الحشوية ، ودياجير ظلم الأمامية . .

المعرفة الثانية

إمامة الحسن والحسين عليهما‌السلام ، وبيانها : الكتاب والسنة والإجماع

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة**﴾ [3] الآية ، وهما كذلك بلا إشكال ، بخلاف معاوية اللعين ، وولده الشيطان الرجيم.

وأما السنة فقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما) [4] ، وهذا نص صريح ، وفيه دلالة على إمامة أبيهما.

---

(١) الواقعة : ١٠ ـــ ١١ .

أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التتريل رقم ٩٢٨ ، عن السدي أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وبرقم ٩٣٠ عن ابن عباس بذلك ، كما أخرج الطبراني في الكبير ٩٣/١١ ، رقم ١١٥٢ ، والحاكم الحسكاني في شواهد التتريل ٩٢٤ ، وابن المغازلي رقم ٣٦٥ ، وهو في الدر المنثور ٧٠٦/٨ ، قال : أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وهو في مجمع الزوائد ١٠٢/٩ ، عن ابن عباس ، وانظر كتاب تثبيت الوصية للإمام زيد بن علي عليهما اللام بمجموع الرسائل ص ٢٧٥ ، وترجمة أمير المؤمنين في تاريخ ابن عساكر وغيرها .

(٢) النساء : ٩٥ .

(٣) الحج : ٤١ .

(٤) هذا الحديث أورده العلامة محمد بن الحسن بن القاسم في كتابه (سبيل الرشاد إلى معرفة العبلد) ص ٨١ ، وقال : هذا الخبر متلقى بالقبول عند المخالف والموالف ، وهذا صريح في إمامتهما ، وإمامة أبيهما قبلهما ، قال محققه الأخ محمد يحي سالم عزان : و لم أقف له على أصل . قلنا : بل رواه الإمام أبو طالب الهاروني في كتابه الدعامة ، والذي نشر باسم نصرة الزيدية منسوبا إلى الصاحب بن عباد ، ورواه الأمير الحسن بن بدر الدين في

وأما الإجماع : فلا خلاف في ذلك بين المسلمين ، وإنما يخالف في ذلك الأموية الملاعين ، حاشا الصالحين.

وأيضا فهو إجماع أهل البيت عليهم السلام ، وهو حجة كما تقدم.

ومتى عرفت ذلك نجوت من نيران اليزيدية [1] إلى جنات الزيدية.

المعرفة الثالثة : إمامة أولاد السبطين

بيانها : أن الأمة مجمعة على كونهم أهلا لذلك ، ومختلفة في غيرهم من الناس فمن الناس من زاد ، ومنهم من نقص ، والنمط الأوسط هو الأصوب ؛ لأن العقل يقضي

ينابيع النصيحة ، وهو هنا كما ترى ، وفي كثير من كتب الكلام من أصحابنا متلقى بالقبول ، مسلم بصحته ، وعند الإمامية ورد في رسالة النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد المنشورة في مجلة تراثنا ، العدد ٣٠ ، ٣١ ، السنة الثامنة محرم ـ جمادى الآخرة ١٤١٣ ، بتحقيق السيد محمد رضا الجلالي ، الذي : رواه الصدوق في علل الشرائع ، ٢١١/١ ، من حديث الحسن عليه السلام ، والخزار في كفاية الأثر ص ١١٧، من حديث أبي أيوب الأنصاري ، والمفيد في الإرشاد ص ٢٢ ، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٣٩٤/٣ ، وقال : أجمع عليه أهل القبلة ، ورواه الأمير الناصر في ينابيع النصيحة ص ٢٣٧ ، وقال : ولا شبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الأمة بالقبول ، وبلغ حد التواتر ، وأرسله في حاشية شرح الأزهار ٥٢٢/٤ ، عن الرياض ، ورواه المولى العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي في التحف شرح الزلف ص ٢٢ ، وقال بعض مؤلفي الزيدية بعد أن نقل الخبر ، واحتج به : فإن قال قائل : لم قلتم إن هذا الخبر قد وقع العلم بصحته ، فيصح الاحتجاج به ؟ قيل له : لما بينا فيما تقدم وهو : أن كل خبر ظهر بين أهل العلم على اختلاف مذاهبهم ، واختلاف أقوالهم ، وكان جماعتهم بين مستدل بظاهره ، وبين متأول له ، و لم يحك عن أحد منهم دفعه ـ كان ذلك إطباقا منهم على تلقيه بالقبول (كتاب الزيدية المنسوب إلى الصاحب بن عباد) ص ١٥٥ .

وفي مجلة تراثنا العدد ٤١ ـ ٤ السنة ١١ ، محرم ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦ في رسالة الشهاب الثاقب (منظومة السيد محمد باقر الطباطبائي ، تحقيق إحسان الجواهري ص ٢٧٩ ، ٤٠٣ ، وفي شرح قوله : (من نص فيه المصطفى كما ورد بأنه الإمام قام أو قعد) قال المحقق : إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) انظر البحار ٢/٤٤ ، والمناقب لابن شهر آشوب ٣٦٧/٣ .

(١) اليزيدية : فرقة توجد الآن في سوريا والعراق ، وهم ينسبون إلى يزيد بن معاوية ، وقيل : إلى يزيد غيره ، وهم يعظمون الشيطان إتقاء لشره كما يزعمون ، ويمنعون البصق والتعوذ من الشيطان الرجيم ، ويمكن أن تحبس الشخص منهم بأن تضع عليه دائرة ، فيتحاشى الخروج منها حتى تأتي وتزيل تلك الدائرة ، هذا ما سمعناه عنهم خلال رحلتنا إلى سوريا والعراق .

بقبح الإمامة إلا فيما ورد به الشرع ، ولم يرد به الإجماع في الأهلية إلا في أولاد السبطين ، فيبقى من عداهم على القبح. والدليل على ذلك الكتاب والسنة.

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وقوله تعالى : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2].

وأما السنة : فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا) الخبر ، وغيره مما نذكره في فضلهم ، وفضل أبيهم صلوات الله عليهم.

فصل في فضل أهل البيت عليهم السلام

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : (أنت أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وخير الوصيين ، وأولى الناس بالنبيئين ، وقائد الغر المحجلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن أخي ووصيي ووارثي ، وخليفتي في أهلي ، ومنجز وعدي ، وقاضي ديني ــ علي بن أبي طالب)[3].

ووضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال : (أنا المنذر ولكل قوم هاد) وأومأ بيده إلى علي وقال : (أنت الهادي ، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أيها الناس إني فرط لكم وإني أوصيكم بعترتي خيرا ، وإن موعدكم الحوض ، والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة ، وليؤتن الزكاة ، أو لأبعثن

---

(١) الأحزاب : ٣٣ . قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قالوا : يارسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم ؟ قال : علي وفاطمة وولدهما ، والحديث له طرق وشواهد كثيرة ، انظر منها : أمالي المرشد بالله الخميسية ١٤٨/١، شواهد التنزيل ١٣٧ ، فرائد السمطين ١٣/٢ ، معجم الطبراني الكبير ، مسند ابن عبا ، مناقب ابن المغازلي ١٩١ ، تفسير ابن جرير الطبري ، والسيوطي الدر المنثور ، وتفسير ابن كثير ، والفتح القدير للشوكاني ٣٠٧/٢ ، وترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ١٤٨/١ ، والصواعق المحرقة ٦٩ . ولا يكاد كتاب من كتب الزيدية يخلو منها .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين ٤٤٥/١ ، رقم ٣٤٥ ، عن أنس .

عليهم رجلا مني ، أو كنفسي ، فليضربن أعناق مقاتليهم ، وليسبين ذراريهم) قال : فرأى الناس أنه يعني أبا بكر وعمر ، قال : فأخذ بيد علي وقال : هذا)[1].

وعنه ﷺ(علي خير البشر فمن أبي فقد كفر)[2].

وعنه ﷺ(علي سيد البشر . قالت عائشة : أنت يا رسول الله سيد البشر ؟ قال : أنا سيد الرسل وعلي سيد البشر)[3] وعنه ﷺ(النظر إلى وجه علي عبادة)[4].

---

(١) وفي نسخة (أيها الناس إني فرط لكم ، وإني أوصيكم بعترتي خيرا ، وإن موعدكم الحوض ، والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ، ولتؤتن الزكاة ، أو لأبعثن عليكم رجلا مني ، أو كنفسي ، فليضربن أعناق مقاتليكم ، وليسبين ذراريكم) الخ .

أخرجه بألفاظ متقاربة أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ رقم ٣٤٣ ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والديلمي ، وابن عساكر ، وابن النجار ، والضياء في المختارة ، كما في الدر المنثور ٤/٦٠٨ ، عن ابن عباس، وأخرج ابن مردويه عن أبي رزة الألمي ، الدر المنثور ٤/٦٠٨ ، وأخرجه أحمد ١/١٢٦ ، والحاكم ٣/١٢٩، وابن عساكر ، والطبراني في الأوط ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، كما في الدر المنثور عن علي عليه السلام .

(٢) أخرجه المولى العلامة مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار من عدة طرق ، وقال : أفاد صاحب المحيط بالإمامة أن شيخه يرويه بإحدى وسبعين طريقا ، وقال السيد المولى العلامة الحسن الحوثي في تخريج الشافي : أخرجه أبو يعلى ، وابن عساكر ، ورواه في المحيط بالإمامة ، كما رواه برهان الدين في المطالب ، وأخرجه الخطيب عن علي .

قلت : وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي بأرقام ١٠٢٤، ١٠٢٥، عن جابر موقوفا ، ورقم ١٠٢٦، عن حذيفة عن النبي ﷺ، قال محققه : ورواه ابن عساكر بأسانيد تحت الرقم ٩٦٢ ، ٩٦٤ ، من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ٢/٤٤٥ ، وهو في فرائد السمطين الباب ٣١، وتاريخ بغداد ٧/٢١ ، وغيرها .

(٣) له شاهد أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب برقم ١٠١٨،بلفظ (أنا سيد ولد آدم،وعلي سيد العرب) برقم ١٠١٢ ، من خبر طويل ، قالت عائشة : ألست سيد العرب ؟ قال : أنا يد ولد آدم ، وعلي سيد العرب .

(٤) أخرجه ابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين من تاريخه ٢/٣٩٦ ، قال محققه : رواه صاحب غاية المرام ص ٦٢٥ ، عن اثنين وعشرين طريقا ، وكذلك في إحقاق الحق ٧/٨٩ ــ ١١١ ، وابن الجوزي في الحديث (٣١) من كتاب المسلسلات ، والسيوطي في اللآلي المصنوعة ١/١٧٧ ، ط ١ . وابن المغازلي ص ٢١٠ ، رقم ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، والخوارزمي ص ٢٥٢ ، وهو في ذخائر العقبى ص ٥٩ ، عن ابن السمان في الموافقة ، وعن الرياض النضرة ٢/٢١٩، عن أبي بكر ، وأخرجه ابن عساكر أيضا رقم ٨٩٦، والسيوطي في اللآلي ١/١٧٧ ط ١ ، عن عثمان .

كما أخرجه ابن عاسكر بأرقام ٨٩٧ ــ ٩٠١، وقال محققه : رواه الحاكم في الحديث ١١٣ من المستدرك ٣/١٤١، وقال : صحيح الإسناد ، وعنه الخوارزمي في مناقبه فصل ٢٣ ، وابن المغازلي ص ٢٠٩ ، وهو في

وعنه ﷺ (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[1].

وحدث زيد بن علي وهو آخذ بشعره قال : (حدثني على بن الحسين ، وهو آخذ بشعره ، قال : حدثني الحسين وهو آخذ بشعره ، قال : حدثني علي وهو آخذ بشعره ، قال : حدثني رسول الله وهو أخذ بشعره ، قال : (من آذى شعرة منك فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله) .

والأخبار فيه لا تأتي على حصر فيما نحن فيه.

فاطمة عليها السلام

النبي ﷺ (فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها) .

وعنه ﷺ أنه قال لفاطمة عليها السلام:(إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك).[1]

مجمع الزوائد ١١٩/٩، وكفاية الطالب ١٥٦ ، وحلية الأولياء ٥٨/٥، ١٨٢/٢ ، والرياض النضرة ٢١٩/٢، والصواعق ص ١٤ ، وكنوز الحقائق ص ٧٣ ، وفيض القدير ٥٦/٣ ، وكنز العمال ١٥٢/٦ ، وتاريخ بغداد ٥١/٢ ، عن ابن مسعود .

وأخرجه ابن عساكر رقم ٩٠٢ ــ ٩٠٣ ، وقال محققه : رواه في تاريخ بغداد ٥١/٢ ، وكفاية الطلب ١٦٠ ، وابن المغازلي في المناقب ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، رقم (٢٤٤) ٢٤٨) من مناقبه عن معاذ بن جبل .

كما أخرجه ابن عاكر من رقم ٩٠٤ ــ ٩٠٧ ، عن عمران بن الحصين ، وانظر تخريج هذه الطرق وأسانيدها هناك مع الروايات الأخرى أيضا ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رقم ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، وثوبان ٩١٠، وعائشة ٩١١ ، وآخرين . انظر ترجمة الإمام علي عليه اللام من تاريخ ابن عساكر الجزء الثاني تحقيق محمد باقر المحمودي .

وانظر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للحافظ محمد بن سليمان الكوفي الأحاديث (١٦٠ ــ ١٦٥) مع تخريجها ، وانظر الاعتبار وسلوة العارفين .

(١) حديث شهير أخرجه من عدة طرق ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ١٩٠/٣ ، وما بعدها ، قال السيد المحمودي : وللحافظ الجعابي محمد بن عمر رضي الله عنه (٢٨٤ ــ ٣٥٥) كتاب في طرق هذا الحديث ، والحديث متواتر ، رواه جل العلماء بأسانيدهم الخاصة ، وأورد ممن رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٣١٥/١، ٧٢٦، وأحمد في الفضائل ، والمسند ، وابن سعد في الطبقات ، ومسلم في صحيحه ، والترمذي ، وابن ماجه في سننهما ، والحاكم في المستدرك ، ومعرفة علوم الحديث ، والخطيب في تاريخ بغداد ، وأبو نعيم في الحلية ، وأورد عشرات المصادر والأسانيد والطرق للحديث .

وعنه ﷺ (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار).[2]

وعنه ﷺ (كأني انظر إلى ابنتي فاطمة ، وقد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور ، عن يمينها سبعة آلاف ملك ، وعن يسارها سبعة آلاف ملك ، وبين يديها كذلك وخلفها كذلك ، تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة) .

وفضائلها كثيرة موجودة في الكتب المبسوطة.

الحسن والحسين عليهما السلام

عن النبي ﷺ أنه قال : (كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما) .

وعنه ﷺ (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما).[3]

وعنه ﷺ (الحسن والحسين ابناي ، من أحبهما أحبني ، ومن أحبني أحبه الله ، ومن أحبه الله أدخله الله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضني ، ومن أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار على وجهه).[4] والآثار فيهما كثيرة جدا.

الخمسة

وعن النبي ﷺ قال : (لما أمر الله أدم بالخروج من الجنة رفع طرفه إلى السماء

---

(١)في مسند شمس الأخبار ١٠٩/١ ، وقال : أخرجه الديلمي عن علي عليه السلام .

(٢) أخرجه في كنز العمال ١٢ ، رقم ٣٤٢٢٠ .

(٣) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب بأرقم ٦٧٩ ، ٧١٢ ، ٧١٦ ، ٧٢٣ ، وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق ، وانظر هذه الأحاديث وتخريجها الموسع من عدة طرق هناك ، وانظر أيضا الاعتبار وسلوة العارفين .

(٤)أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم ٦٨٦ ، قال السيد المحمودي ما ملخصه : وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٦/٣ ، والطبراني الحديث ١٢٥ ، من ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من المعجم الكبير ٤٣/٣ ، وابن عساكر الحديث ١٣١ من ترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق ٥٩٧/١٣ ، والحموي في فرائد السمطين ٩٦/٢، والإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ٨٢، وهو في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ ابن عساكر بتحقيق السيد المحمودي ، انظر تخريجه المطول هناك .

فرأى خمسة أشباح عن يمين العرش ، فقال : إلهي خلقت خلقا قبلي ؟ فأوحى الله إليه أما تنظر إلى هذه الأشباح ؟ قال : بلى قال : فهؤلاء الصفوة من نوري ، اشتققت أسماءهم من أسمي ، فأنا الله المحمود وهذا محمد ، وأنا العالي وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا المحسن وهذا الحسن ، ولي الأسماء الحسنى وهذا الحسين فقال آدم : فبحقهم اغفر لي ، فأوحى الله إليه قد غفرت لك ، وهي الكلمات التي قالها الله تعالى :﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾[1] والآثار فيهم كثيرة.

أهل البيت عليهم السلام

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن مثل أهلي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك ، ومثل باب حطة في بني إسرائيل)[2].

---

(١) البقرة : ٣٧ . أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥٤٧/١رقم ٤٨٧، بلفظ مقارب ، قال السيد المحمودي : وللحديث أو ما يقرب منه مصادر وأسانيد ، وقد رواه ابن المغازلي عن ابن عباس في مناقبه رقم ٨٩ ، ص ٦٣ ط بيروت ، ومحمد بن علي بن الحسين الفقيه في المجلس ١٨ من أماليه ، ص ٧٠ ، وفي كتاب معاني الأخبار ص ١٢٥ ، وفي الحديث ٨ من باب الخمسة ، من كتاب الخصال ٢٧/١، وابن النجار عن ابن عباس أيضا ، كما في منتخب كنز العمال بهامش منسد أحمد ٤١٩/١، والكنجي الشافعي عن علي ، وابن عباس ، في كفاية الطالب ١٢١ ، والسيوطي في الحديث ٩٥٢ ، من مسند علي ، من كتاب جمع الجوامع ١١١/٢ ، وعنه المتقي في كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ٤١٩/١، قلت : وقريبا منه أخرجه فرات الكوفي ص ٥٧ ، رقم ١٦ ـــ ٣٨ من تفسيره .

(٢) هنا خبري السفينة ، وباب حطة ، أما خبر السفينة فأخرجه الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام مرسلا ٥٥٥/٢ ، والإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي ص ١٠٩ ، وأخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ١٥١/١ ، ١٥٦ ، وابن المغازلي الشافعي في المناقب ٣٣ ، والحموي في فرائد السمطين ٢٤٦/٢ ، رقم ٥١٩ ، والطبراني في الكبي ٤٥/١٥ ، والحاكم في المستدرك ١٥١/٣ ، ٣٤٣/٢ ، وصححه عن أبي ذر ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٠٦/٤ ، والطبراني في الكبير ٣٤/١٢، وابن المغازلي ١٣٢ ، والطبري في ذخائر العقبى ٢٠ ، وقال : أخرجه الملا عن ابن عباس . و أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية ٣٠٦/١ ، والطبراني في الصغير ٨٥/٢ ، عن أبي سعيد ، وأخرجه الإمام علي بن موسى الرضا في صحيفته المطبوعة ضمن مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام ٤٦٤ ،وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٩١/١٢ ، عن أنس .

وعنه ﷺ (النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون ، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون).[1]

وروي (فإذا انقرضوا صب الله عليهم العذاب صبا).

وعنه ﷺ (من اصطنع إلى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته كنت أنا

وأما حديث (أهل بيتي كباب حطة) فممن أخرجه الطبراني في الصغير ٨٤/٢ ، عن أبي سعيد ، ورواه الهيتمي في مجمع الزوائد ١٦٨/٩وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط (انتهى بتصرف من الفلك الدوار ص ١٠)
ونقول : الحديث بشقيه وردا مجتمعين عن النبي ﷺ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي ذر . قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق ص ٢٣٤ : جاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا :مثل (أهل بيتي) (إن مثل أهل بيتي) (ألا إن مثل أهل بيتي) ..(من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (من ركبها سلم ، ومن تركها غرق) .
ونقول أيضا : الحديث قد رواه عدة من الصحابة منهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، وقد أورد حديثه عدة منهم ، فذكره الطبراني في معاجمه الثلاثة تحت الرقم ٣٦٣٧ من المعجم الكبير ج ٣ ، ص ٣٧ ، وفي الأوسط ، والبزار في سننه ، كما رواه عنه ، وعن الطبراني الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ١٦٨/٩ . و أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية في عنوان (الحديث السابع في فضل أهل البيت عليهم السلام) ١٥٦/١ ، وابن المغازلي رقم ١٧٥ من مناقبه ص ١٣٣ ، والحاكم في المستدرك ١٥٠/٣ ، والطبراني بسنده عن سعيد بن المسيب في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام تحت الرقم ٢٦٣٦، من المعجم الكبير ٣٧/٣ ، وأبو نعيم في ترجمة سعيد بن جبير في الحلية ٣٠٦/٤ ، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي رقم ٦٢٤ ، ١٤٦/٢ .
وروي الحديث بسنده عن أبي سعيد الخدري في أمالي المرشد بالله ١٥٢/١ ، ١٥٥ ، وابن المغازلي بسنده عن ابن عباس ١٧٣ ، ١٧٦ ، من كتابه المناقب ، ص ١٣٢، ١٣٤، والطبراني تحت الرقم ٢٦٣٨، من المعجم الكبير ٣٨/٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٨/٩ ، والحديث رواه الأكوع الصحابي كما رواه عنه ابن المغازلي في الحديث ١٧٤ ، ص ١٣٢ ، والخطيب في ترجمة علي بن محمد بن شداد تحت الرقم ٦٥٠٧ ، من تاريخ بغداد ٩١/١٢ .

(١) أورده الكثير من أهل البيت عليهم السلام في كتبهم منهم الإمام عبد الله بن حمزة في كتابه الشافي ، والإمام المرشد بالله في أماليه ص ١٥٥ ، ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الزيدية التي فيها الفضائل ، أو الإستدلال على حجية أهل البيت عليهم السلام ، ورواه يعقوب بن سفيان في ترجمة عبد الله بن العباس من كتاب المعرفة والتاريخ ٥٣٨/١ ، والحموئي في الباب ٤٧ ، من السمط الثاني من كتاب فرائد السمطين ٢٤١/٢ ، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في الحديث ٦١٨، ٦٤٩ ، في الجزء الخامس الورق ١٤٢ ، و١٤٧ ، وانظر تخريجه أيضا هناك . وكذلك تفسير آية المودة للخفاجي ٨٩ .

المكافئ له يوم القيامة).[1]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدا) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (لو أن عبدا عبد الله تعالى بين الركن والمقام ألف عام ، ثم ألف عام ، ولم يقل بحبنا أهل البيت لكبه الله على منخره في النار) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله وعدني في أهل بيتي خاصة أن من لقيني منهم بالتوحيد فله الجنة) والآثار فيهم كثيرة.

شيعتهم

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يا علي نحن من شجرة أنا أصلها ، وفاطمة فرعها ، وأنت لقاحها ، والحسن والحسين ثمرها ، والشيعة ورقها ، لو أن رجلا صام حتى يكون كالوتر ، وصلى حتى يكون كالحني ، وكان في قلبه وزن ذرة من بغضك أكبه الله على وجهه في النار ، يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي ،ولا يبغضك إلا منافق شقي) ولبعضهم :

يا حبذا شجر في الخلد نابتة ... ما مثلها نابت في الأرض من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاها لها ثمر ... والشيعة الورق الملتف بالشجر
هذا مقال رسول الله جاء به ... أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهم أرجو النجاة غدا ... والفوز في زمرة من أفضل الزمر

(١) روي بألفاظ كثيرة متقاربة ، عن أمير المؤمنين ، وعثمان بن عفان ، فقد رواه الحموئي في الباب ٥٦ ، من السمط الثاني من كتاب فرائد السمطين ٢/٢٧٨ ، ط ١ . والطبراني في كتابه المعجم الأوسط ، كما رواه عنه الهيثمي في باب فضائل أهل البيت عليهم السلام من كتاب مجمع الزوائد ٩/١٧٣ ،

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن في السماء حرسا وهم الملائكة ، وإن في الأرض حرسا وهم شيعتك يا علي ، لن يغيروا ولن يبدلوا) .

جعفر : (ما أعلم أحدا من شيعتنا إلا في أصحاب عمي زيد ، مضى من مضى منهم على منهاجه ، وبقي من بقي ينتظر فرجنا أهل البيت) .

وروى عن الحرث عن علي عليه السلام (أنه اطلع فإذا قوم سمان متكئون حول القصر ، فقال لغلامه قنبر : من هؤلاء الذين حول القصر ؟ قال : شيعتك يا أمير المؤمنين. قال : هؤلاء لا أرى عليهم سيماء الشيعة. قال : وما سيماء الشيعة ؟ قال : خمص البطون من الطوى ، يبس الشفاه من الظمأ ، عمش العيون من البكاء ، من كان يريد رضاء ربه يسخط نفسه ، ومن لا يسخط نفسه لم يرض ربه ، المؤمن من نفسه في عناء والناس منه في رخاء ، والأحمق من نفسه في رخاء ، والناس منه في آذى وبلاء) .

وسئل الحسين بن علي عليه السلام : (من شيعتكم ؟ قال : الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿وعباد الرحمان﴾ [1] الآيات .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أبشر يا علي أنت وشيعتك في الجنة ، وممن يزعم أنه يحبك أقوام يصغرون الإسلام ، ثم يلفظونه ثلاث مرات ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، لهم نبز يقال لهم : الرافضة ، إن أنت أدركتهم فجاهدهم فإنهم شيعة الدجال. فقال : يا رسول الله وما العلامة فيهم ؟ قال : لا يحضرون جمعة ولا جماعة ، ويطعنون على السلف).

ودخل قوم على زيد بن علي عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر ، فقال : لا أقول فيهما إلا خيرا ، فقالوا : لست بصاحبنا إنما صاحبنا جعفر ، فذهبوا إلى المدينة ودخلوا على جعفر وقصوا عليه القصة ، فقال : وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا ، اذهبوا إلى عمي ففوا له بما بايعتموه ، فرجعوا إلى زيد فقال : لا حاجة لي فيكم).

---

(١) الفرقان : ٦٣ .

وعن الصادق عليه السلام : (من زعم أني أبرأ من أبي بكر ، وعمر فأنا منه بريء) .

والآثار في هذا الباب كثيرة .

وبتمام هذا الركن باينت الرافضة الغلاة ، وغيرهم من المخالفين .

الركن العاشر

الوعد والوعيد وفيه ثلاث معارف :

المعرفة الأولى

أنه لابد لكل نفس من الموت.

وبيانه : أن هذا شئ مشاهد فيما حضرنا ، ومعلوم فيما غاب عنا فيما مضى بالأخبار المتواترة وبالأدلة ، ومنتظر في المستقبل قال تعالى : {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**} [(١)] وقال تعالى : {**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**} [(٢)] وقال : {**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**} [(٣)] وغير ذلك كثير في القرآن.

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لما نزلت الآية {**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**} [(٤)] قلت : يا رب أتموت الخلائق كلهم حتى الأنبياء فنزلت {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**}.

فأما سرعة وصول الموت فقال الله تعالى : {**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**} [(٥)] وقال : {**وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**} [(٦)]

وعن ابن مسعود (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطا فوضع في وسطه شيئا وقال :

---

(١) آل عمران : ١٨٥ . الأنبياء : ٣٥ . العنكبوت : ٥٧ .

(٢) الأنعام : ٦١ .

(٣) ق : ١٩ .

(٤) الزمر : ٣٠ .

(٥) الأعراف : ٣٤ . النحل : ٦١ .

(٦) النساء : ٧٨ .

هكذا الإنسان ، وهكذا أجله ، ثم انتزع إليه من الخط شيئا ، فقال : هذه الأعراض إن أخطأته هذه أصابته هذه ، ثم وضع شيئا أمامه وقال : هذا أمله ، حال الأجل دون الأمل) .

وروي (أن ملك الموت أتى داود عليه‌السلام وهو يرتقي محرابه فقال : يا داود جئت لقبض روحك . قال : دعني ارتقي أو أنزل . قال : ليس إلى ذلك سبيل ، نفدت الشهور والأعوام ، ونفدت الليالي والأيام ، والأرزاق والآثار ، فما أنت بمؤخر بعده فسجد داود على مرقاة وقبض روحه) .

وجاء ملك الموت إلى مريم لقبض روحها ، وقد خرج عيسى عليه‌السلام لبعض الحاجات ، فقال : يا مريم أمرت بقبض روحك. قالت : دعني يأتيني قرة عيني عيسي ، قال : ما لذلك من سبيل ، فنامت وقبض روحها ، فلما رجع عيسي عليه السلام قعد عند رأسها فظنها نائما إلى أن غربت الشمس فناداها ، فأتاه جبريل وقال : تنادي الميت ، إنها ميتة قال عيسي عليه‌السلام : واوحدتاه ، واغربتاه ، واصغر سناه).
قال تعالى :{ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**}[1] .
وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة ، قال موسى لملك الموت: ما بالك تأخذ الواحدة من أمها وأبيها ؟ قال : ما أنا بأعلم بذلك منك إنما أمرت بذلك).

وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (يا بني هاشم أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد) .
وعن على عليه‌السلام في قوله تعالى : {**إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا**}[2] قال : هي الأنفاس ، كم من نفس له في دار الدنيا).

وعنه عليه‌السلام (إن ملك الموت يعد أنفاسك ، ويتبع آثارك فلو [كان]قد فني أجلك وانقطعت من الدنيا مدتك نزل بك ملك الموت ، فلا يقبل بديلا ، ولا يأخذ

(١) لقمان : ٣٤ .
(٢) مريم : ٨٤ .

كفيلا). ودخل أبو العتاهية على هارون الرشيد فقال له : عظني . فقال أبو العتاهية شعرا :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مُدَّرِع منا ومُتَّرِسِ
ترجو النجاة ولم تسلك ... إن السفينة لا تجري على اليبس

ولآخر :

نعلل بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموت الدواء
ونختار الطبيب وهل طبيب ... يؤخر ما يقدمه القضاء
وما أنفاسنا إلا حساب ... وما حركاتنا إلا فناء

ولداود الطائي :

بين عيني كل حي ... علم الموت يلوح
نح على نفسك يامسكين إن كنت تنوح
لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح

وأما شدة الموت

فقال تعالى : {ويأتيه الموت من كل مكان}[1] قال النخعي : "حتى من أطراف شعره"

وعن النبي ﷺ (لو لم يعمل أحدكم إلا لساعة الموت لكان حقيقا بالعمل) .

وعن الحسن (الموت أشد من ضرب ألف سيف يقطعن جميعا ، وأشد من طبخ في القدر ، وقطع بالمناشير).

وعن الحسن إن الأنبياء قالوا لإبراهيم بعد الموت : كيف وجدت الموت ؟ قال : شديدا كأنما أدخل في كل عرق مني وعظم ومفصل السلا، ثم استل استلالا قالوا : أما إنه قد يسر عليك). ولأبي العتاهية :

---

(١) إبراهيم : ١٧ .

والموت لو صح اليقين به ... لم ينتفع بالعيش آكله
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا ... فإن الموت آخره

وعن جعفر بن محمد في حديث طويل (إن الله تعالى أمر جبريل أن يحمل محمدا إلى ملك الموت ليسأله عن الموت ، قال : فإذا بكرسي ملأ السموات ، وعليه ملك الموت ملأ الكرسي ، أحد قدميه بالمشرق والأخرى بالمغرب ، والدنيا كلها بين ركبتيه ، والخلائق بين عينيه ، وبيده حربة ، وبين عينيه لوح من زمردة ، وهو قاعد لا يلتفت ، وحوله أعوان لو أن أحد العون فتح فاه لا لتقم السموات والأرض ، وهو لا يكلمهم إلا همسا ، فهالني ذلك قلت : من هذا ؟ قال جبريل : هذا ملك الموت. قلت : جئت بي ليقبض روحي ؟ قال : لا بل تستوفي أجلك ، ولكن جئت بك لتسأله عن صفة الموت فاسأله ، فسلمت على ملك الموت فرد ، وقلت : يا ملك الموت أنت تقبض الأرواح كلها بإذن الله ؟ قال : نعم. قلت :فما الذي بيدك؟ قال : هذه حربة الموت. قلت : وما تصنع بها ؟ قال : أقطع بها الأرواح وأطعن بها في القلوب فبكيت ، وقلت : كيف صبر أمتي على بأسك وشدتك ؟ قال : معهم ترس يقيهم شر هذه الحربة. قلت : وما ذاك ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ففرحت ، قال : قلت : فما هذا اللوح بين عينيك ؟ قال : فيه آجال بني آدم مكتوبة. قلت : وكيف تعلم انقطاع الآجال ؟ وهل لديك من علامة ؟ قال : نعم إن لكل ذي روح في السماء بابين ، باب رزق وباب عمل ، فإذا رأيت أن الرزق لا ينزل ، والعمل لا يصعد ـ بعثت أعواني يعالجون روحه. قلت : فما الذي بين عينيك ؟ قال : الدنيا والخلائق بين عيني ، أبصر ما في الأرحام ، فأقبض روح الجنين في بطن أمه ، فذلك قوله تعالى : {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ}[1] الآية قلت : فصف لي كيف تقبض روح المؤمن والكافر ؟ قال : إذا انقضى أجل مؤمن بعثت أعواني إليه ، وهم يكبرون الله ، ويحمدونه ويسبحونه ، فإذا أتوه رأوا أهله مكتنفين حوله يمرضونه ، وقد ذبلت شفتاه ، وأزبد شدقه ، وثقل لسانه ، وأظلمت

(١) النساء : ٧٨ .

عيناه ، وارتعشت يداه وركبتاه ، وذابت كبده ، فيبقى متوحشا ، فيلقنونه لا إله إلا الله أول ما يأتونه ، وذلك أني أمرهم ، فأكون في تلك الحال ألطف به من الوالدة الشفيقة ، فترفق الملائكة بسل روحه ، فيسلونه رويداً رويداً ، ثم يدعونه يستريح . وأما روح الكافر فتنزعن ، وتغرقن في بحور الحميم ، فذلك قوله تعالى : {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}[١] .

وقيل : قال ملك الموت :(أعرف انقضاء الأجل بأن أرى اسمه مضروبا عليه بسواد فأشير إليه بإصبعي فيفارق الروح الجسد).

وروي (أن بين يديه شجرة عليها أوراق خضر ، مكتوب عليها أسماء الناس ، فمن حان أجله اصفر ذلك الورق وسقط ، فيقبض روحه) .

وهذه المعرفة الأولى ، فنسأل الله حسن الاستعداد للموت ، وأن يسهل علينا سكراته بحق محمد وآله صلوات الله عليهم.

المعرفة الثانية : عذاب القبر وثوابه

اعلم أنه لابد منه ، فإن القرآن يدل عليه ، والأخبار فيه كثيرة ، ترويها الجماعة الكثيرة ، من الصحابة رضي الله عنهم ، وعليه أكثر أهل هذه الملة.

وأما وقته : فلا يعلم ، ويجوز أن يعجل لبعضهم دون بعض.

وبيان ذلك : قوله تعالى : { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}[٢] ولا تقع الإماتة مرتين إلا بعد حياة قبل البعث.

وقال تعالى : {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}[٣] قيل : المرة الأولى بالسيف في الدنيا . والثانية : في القبر . والثالثة : في النار.

---

(١) النازعات : ١ .

(٢) غافر : ١١ .

(٣) التوبة : ١٠١ .

وقال تعالى : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}[1] وهذا صريح لأنــــه ليــس في الآخرة.

قيل : وقال تعالى : {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}[2] الآية .

وقال في الثواب : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا}[3] الآية .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ (أنه خرج في جنازة فانتهى إلى القبر ولما يلحد فحدث القوم وقال : إن المؤمن إذا دخل القبر أتاه ملكان منكر ونكير ، فقالا لــه : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيئك ؟ فيقول : الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمـــد نبيئي . فيقولان له : صدقت هكذا كنت في الدنيا تقول ، ثم يفتحان له بابا من النار ويقولان له : لو كذبت بها لأُدخلت هذه النار ، ثم يفتحان له بابا من الجنة فيقــولان له : إن مصيرك إلى هذا فيقول : دعوني أبشر أهلي فيقولان : أنت كما أنـــت ، ثم يضرب على أذنيه ، فتكون كرقدة العروس ، ويفسح له في قبره .

وأما الكافر فإن الملكين يدخلان عليه بغلظة ، فيسألانه فيقول : لا أدري . فيقولان له : لا دريت . ثم يضربانه بمزربة من حديد ، ويفتحان له بابا من الجنة ، ويقــولان له : لو صدقت بها لكان مصيرك إليها ، ويفتحان له بابا من النار فيرى مقعده فيها ، ثم يضيق عليه قبره ، فذلك قوله تعالى :**{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فــي الحيــاة الدنيا وفي الآخرة}**[4] يعني بلا إله إلا الله {وفي الآخرة} أي : في القبر إذا سئل عنها.

وروى البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال :(يكسى الكافر في قبره لوحين من نار ، فذلك قوله تعالى : **{لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش}**.[5]

---

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) البقرة : ٢٨ .

(٣) آل عمران : ١٦٩ .

(٤) إبراهيم : ٢٧ .

(٥) الأعراف : ٤١ .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ (ليس من يوم إلا يعرض على أهل القبور مقاعدهم من الجنة والنار غدوة وعشية).

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ (كان يتعوذ من عذاب القبر) ورواه عمر بن الخطاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (المعيشة الضنكى عذاب القبر)'.

وعن عائشة قالت : قال النبي ﷺ : (عذاب القبر حق) الخبر.

وعن النبي ﷺ (القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار).

وعن النبي ﷺ (ما من ليلة أو يوم إلا ينادى مناد يا أهل القبور، من تغبطون اليوم؟

قالوا : نغبط أهل المساجد ؛ لأنهم يصومون ولا نصوم ، ويصلون ولا نصلي ، ويذكرون الله ولا نذكره) .

ومر علي عليه‌السلام بقبر عند انصرافه من صفين فقال : (يا أهل القبور ألا أخبركم بما حدث بعدكم ؛ أما الأموال فقد قسمت ، وأما الأوزاج فقد نكحت ، وأما الدور فقد سكنت ، فهذا خبركم عندنا ، فما خبرنا عندكم ؟ ثم قال : لو أذن لهم في الجواب لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى). ولبعضهم :

يناديك أجداث وهن صموت ... وسكانها تحت التراب خفوت
أيا طالب الدنيا لغير بلاغها ... لمن تجمع الدنيا وأنت

ولآخر :

إن عيشا إلى القبر مصيره ... لحقيق أن لا يدوم سروره
وسرور يكون آخره الموت ... سواء طويله وقصيره

المعرفة الثالثة : القيامة

اعلم أيها الطالب أن القيامة فاجعة ، وأحوالها كثيرة رائعة ، ولا ينجي من كرباتها وفجائعها إلا الاستعداد لها بصالح العمل ، ولا يتم ذلك إلا مع تقصير الأمل ، والتصور في كل ساعة لحلول الأجل ، ونحن نذكر من أحوالها عشرين حالة ،

تكفيك فيما يجب معرفته ، ويلزم في كل وقت تصوره ، من غير ترتيب لحالاتها ، ولا استقصاء في شرح جميع آفاتها.

الحالة الأولى : النفخ في الصور هذا شئ معلوم على الجملة ، ولابد منه.

وبيانه : قوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}[1] وقوله تعالى : {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}[2] ، وقوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}[3] وقوله : {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}[4] وقوله : {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}[5] يعني النفخة الأولى {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[6] يعني النفخة الثانية. وقوله : {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}[7] يعني نفخة البعث {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}[8] الساهرة وجه الأرض ، يسمعونها من قبورهم ، فيخرجون من الأجداث إلى وجه الأرض ، والآيات في ذلك كثيرة.

وعن ابن عباس وقد سئل عن القيامة فقال : (يأمر الله تعالى نافخ الصور فينفخ فيه. فقيل لابن عباس : وما الصور ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هو قصبة لها أربع شعب ، تدوار فم القصبة كتدوار الدنيا كلها ، شعبة في أقصى مشارق الأرض ، وشعبة في أقصى مغارب الأرض ، وشعبة في أقصى تخوم الأرض السابعة السفلى ، وشعبة أخرى فوق السماء السابعة. قال : وسأل الله إسرافيل أن يعطيه قوة سبع سموات فأعطاه ، وسأله أن يعطيه قوة الثقلين فأعطاه ، وسأله أن يعطيه الدواب

---

(١) الزمر : ٦٨ .

(٢) المؤمنون : ١٠١ . ولفظ الأصل {ونفخ في الصور فلا أنساب بينهم ..} والصواب ما أثبتناه .

(٣) يس : ٥١ .

(٤) طه : ١٠٢ .

(٥) النازعات : ٦ .

(٦) النازعات : ٧

(٧) النازعات : ١٣ .

(٨) النازعات : ١٤ .

فأعطاه ، وسأله أن يعطيه قوة البحار وسكانها فأعطاه ، وله أجنحة الله أعلم بعددها وبعدد كل ريشه وزغبه ، فإذا بلغ الوقت الذي يريده أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الأولى ، فتهبط النفخة إلى السموات فيصعق سكان السموات بحذافيرها وسكان البحار ، وتهبط النفخة إلى الأرض فيصعق سكان الأرض بحذافيرها ، وجميع عالم الله وبريته الجن والأنس والبهائم والأنعام والهوام ، فإذا صعقوا جميعا قال الله : يا إسرافيل من بقي ؟ وهو أعلم بذلك فيقول : بقي إسرافيل عبدك الضعيف ، فيقول : مت . فيموت فيقول : {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}[1] .

ثم يحيي الله إسرافيل وحملة العرش بعد ذلك في أسرع من طرفة العين ، فيأمر الله إسرافيل بعد النفخة الأولى بأربعين ــ كذلك هي في التوراة بين النفختين أربعون لا يدرى ما هي ــ فإذا انقضت الأربعون[2] نظر الله إلى أهل السماء صرعى على خدودهم ، وإلى أهل الأرض منكسين على وجوههم ، فقال : وعزتي لأعيدنكم كما بدأتكم ، ولأحيينكم كما أمتُّكم ، فيأمر الله إسرافيل فينفخ النفخة الثانية فيجمع بين الأرواح والأجساد ، فإذا هم قيام ينظرون) .

وعن ابن عباس (أن إسرافيل ينادي يا أيتها الأعضاء المتهشمة ، ويا أيتها العظام البالية ، ويا أيتها الأجساد المتفتتة ، ويا أيتها الشعور المتفرقة ، قوموا إلى موقف الحساب والعرض الأكبر).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كيف أنعم ! وصاحب الصور قد التقم القرن ، وأصغى سمعه ، وحنى جبينه ، ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ ، فقالوا : يا رسول الله فما نقول ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) .

والآثار في هذا الباب كثيرة ، والغرض المعرفة والتخويف وفي هذا كفاية.

---

(١) غافر ١٦ .

(٢) في الأصل (فإذا انقضت الأربعين) والصواب الأربعون ، كما أثبتناه ، ويحتمل صحة لفظ الأصل ، وذلك على الحكاية ، للأربعين المجرورة المتقدمة في قوله (بعد النفخة الأولى بأربعين) .

الحالة الثانية : البعث وبعثرة القبور

وذلك معلوم من دين النبي ﷺ ضرورة وقد قال تعالى : {ثم إنكم يوم القيامة تبعثون}[1] وقال : {وبرزوا لله الواحد القهار}[2] وقال : {يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر}[3] وقال : {فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون}[4] وقال : {وإذا القبور بعثرت}[5] وقال : {يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه}[6] وغير ذلك من الآيات ، والآثار فيه كثيرة.

الحالة الثالثة : تغير العالم كله أما السموات :

فقال : {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب}[7] وقال : {إذا السماء انشقت}[8] وقال : {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان}[9] قيل : تنشق ثم تذوب كالدهن ، وهي تقطر شيئا أحمر. وقال تعالى : {وفتحت السماء فكانت أبوابا}[10] وغير ذلك.

وأما الأرض :

فقال تعالى : {إذا زلزلت الأرض زلزالها} وقال : {إذا دكت الأرض دكا دكا}[11] وقال : { يوم تبدل الأرض غير الأرض}[12] وغير ذلك.

---

(١) المؤمنون : ١٦ .

(٢) إبراهيم : ٤٨ .

(٣) القمر : ٧ .

(٤) يس : ٥١ .

(٥) الانفطار : ٤ .

(٦) المجادلة : ٦ .

(٧) الأنبياء : ١٠٤ .

(٨) الانشقاق : ١ .

(٩) الرحمن : ٣٧ .

(١٠) النبأ : ١٩ .

(١١) الفجر : ٢١ .

(١٢) إبراهيم : ٤٨ .

وأما الجبال :

فقال تعالى : {**وإذا الجبال سيرت**}[1] وقال : {**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**}[2] وقال : {**وإذا الجبال نسفت**}[3] وقال : {**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**}[4] يعني بالعهن : الصوف ، والمنفوش : المندوف . وقال : {**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا**}[5] وغير ذلك من الآيات .

وأما الشمس والقمر :

فقال تعالى : {**وجمع الشمس والقمر**}[6] ، وقال تعالى : {**إذا الشمس كورت**}[7] وقال : {**وخسف القمر**}[8] .

وأما النجوم :

فقال تعالى : {**وإذا النجوم انكدرت**}[9] وقال : {**وإذا الكواكب انتثرت**}[10] .

وأما البحار :

فقال تعالى : {**وإذا البحار فجرت**}[11] وقال : {**وإذا البحار سجرت**}[12] .

---

(١) التكوير : ٣ .

(٢) النمل : ٨٨ .

(٣) المرسلات : ١٠ .

(٤) القارعة : ٥ .

(٥) طه : ١٠٥ .

(٦) القيامة : ٩ .

(٧) التكوير : ١ .

(٨) القيامة : ٨ .

(٩) التكوير : ٢ .

(١٠) الانفطار : ٢ .

(١١) الانفطار : ٣ .

(١٢) التكوير : ٦ .

وأما الحيوان :

أما الملائكة : فقال تعالى : {وَانشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}[١] يعني : على أقطارها وأطرافها.

وقال : {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[٢] وقال : {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا}[٣] قيل : الروح خلق عظيم ، أعظم من الملائكة يكونون صفوفا ، والملائكة يومئذ صفا.

فأما الناس : فقال تعالى : {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}[٤] وقال : {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}[٥].

وأما الوحوش : فقال تعالى : {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}[٦] .

وأما الإبل : فقال تعالى : {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}[٧] .

فأما الآثار في تغير العالم فكثيرة ، أعرضنا عنها مخافة التطويل والإملال لأكثر القلوب

الحالة الرابعة : الدعاء للخلائق

وبيانه : قوله تعالى : {يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ}[٨] وقوله تعالى : {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتْ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا}[٩].

وقوله تعالى : {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[١٠] قيل : يقول ـــ يا أهل القرآن ، يا

---

(١) الحاقة : ١٦ ، ١٧ .

(٢) الفجر : ٢٢ .

(٣) النبأ : ٣٨ .

(٤) القارعة : ٤ .

(٥) النازعات : ٨ ـــ ٩ .

(٦) التكوير : ٥ .

(٧) التكوير : ٤ .

(٨) القمر : ٦ .

(٩) طه : ١٠٨ .

(١٠) الإسراء : ٧١ .

أهل التوراة ، يا أهل الإنجيل . وقيل : بأعمالهم . وقيل : بنبيئهم.

وقال تعالى : {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ}[1] قيل : يقولـــون ـــ سبحانك وبحمدك . عن سعيد بن جبير . والآثار فيه أيضا كثيرة.

الحالة الخامسة : الحشر لجميع الخلائق عن يد

اعلم أن أحوال المكلفين تختلف ، فمنهم من يحشر على حالة جليلة شريفة ، ومنهم من يحشر على حالة ذليلة حقيرة على حسب الأعمال ، قال تعالى : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}[2] وليس الوافد الراوي كالمسوق الضامي

وقال تعالى : {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}[3] وقال : {لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ}[4]. منهم من يحشر على وجهه .

كما قال تعالى : {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ}[5] وقال : {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا}[6] قال رجل : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) .

ومنهم من يحشر على رجليه وركبانا .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إنكم محشورون يوم القيامة رجالا وركبانا ، وعلى وجوهكم تأتون ، وعلى أفواهكم الفدام ، فيكون أول ما تعرب عن أحدكم فخذه الشمال) .

ومنهم من يمشي في النور ، ومنهم من يمشي في الظلمة.

---

(١) الإسراء : ٥٢ .

(٢) مريم : ٨٥ ـــ ٨٦ .

(٣) الزلزلة : ٦ .

(٤) غافر : ١٥ ـــ ١٦ .

(٥) الإسراء : ٩٧ .

(٦) الفرقان : ٣٤ .

قال تعالى : {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ}[1] إلى قوله : {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ}[2] قيل : يمشي الكافر في الظلمة ، ويمشي المؤمن في نوره ، ومعه المنافق ، ثم يحال بينهما ، فيتحير المنافق فيقول للمؤمن : انتظرني أمش معك في نورك . فيقال له : لو كنت تعمل عمله).

وروى أن عائشة قالت : يا رسول الله كيف يحشر الناس ؟ قال : (حفاة عراة فغطت وجهها بدرعها وقالت : واسوأتاه من يوم القيامة. قال : إنه لا ينظر والد إلى ولده ، ولا ولد إلى والده {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[3] .

الحالة السادسة : العرض في الموقف

اعلم أنه لابد يوم القيامة من عرض الخلائق في موقف واحد ، تنزل الملائكة من السموات ، ويجتمع الأنس والجن والوحوش والسباع وجميع الحيوانات ، إلا من قدم عوضه من غير المكلفين فيجوز حضوره ، ويجوز أن لا يحضر والله أعلم بذلك.

وتقرب النار من الخلائق ، وتدنو الشمس أيضا لحضور الموقف ، فأما المؤمن فيسلم من تلك الهوكات ، وأما العاصي فيعطب.

وبيان ذلك : قوله تعالى : {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}[4] وقوله تعالى : {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}[5] وقوله : {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[6] قيل : يعرضون عراة حفاة جياعا عطاشا غرلا ، إلا المؤمن فإنه يكسى وقيل : لا يكسى أحد إلا الأنبياء والعلماء ، وقيل : غير ذلك والله أعلم

---

(١) الحديد : ١٢ .

(٢) الحديد : ١٣ .

(٣) عبس : ٣٧ .

(٤) الصافات : ٢٤ .

(٥) الواقعة : ٤٩ ـــ ٥٠ .

(٦) الكهف : ٤٨ .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : (يحشر جميع الخلائق على أرجلـــهم في صعيد واحد ، الإنس جماعة واحدة ، والجن قد أحاطوا بهم ، صفا واحدا مستديرين ، كما تقوم الصفوف بمكة حول الكعبة ، وحشر الخلائق حتى أحاطوا بهم صفوفا ، كل أمة منها في صف ، تقوم الخيل في صف ، والبغال في صف ، والحمير في صف ، وكذلك سائر الحيوانات ، حتى تجتمع جميع الخلائق من المشرق إلى المغرب ، والـــبر والبحر ، والخلق صفوفا قياما ينظرون ، لا يدرون ماذا يراد بهم ، والدنيا على حالها ، فتجيء صيحة ودمدمة من عند الله فتساقط النجوم[1] والخلائق قيـــام ينظـــرون ، وتكور الشمس وتطمس القمر ، وهم ينظرون ، وتسير الجبال كالسحاب ، كمـــا قال سبحانه : {**تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**}[2] ثم تجيء دمدمـــة أخـــرى فتصير كثيبا مهيلا ، ثم تجيء صيحة فتصير سرابا ، ثم تقطع أصول الأرضين من تحتها وتبدلت ، فصارت كالهباء ، وبنو آدم ينظرون لا يدرون ما يراد بهم {**ويوم تشـــقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا**}[3] فلما انقطعت السماء من أصلها وانفطـــرت نـــزل سكانها ، وأحاطوا بالخلائق صفا واحدا كالصف بمكة مستديرا ، وغمروهـــم لعظم أجسامهم ، وتدافعت الأمم ، وانحطم بعضهم على بعض فرقا مما سمعوا مـــن تشقق سماء الدنيا ، وما نـــزل من كثرة الملائكة ، أصواتهم كالرعد بل أعظم منـــه ، فقاموا خلف الصفوف منكسين رؤوسهم يبكون من فرق الله .

ثم إن السماء الثانية تفطرت بأكنافها ، وتقطعت من أطرافها ، ونـــزل ســـكانها ، وأحاطوا بالخلائق من وراء ملائكة سماء الدنيا صفا واحـــدا ، فغمروهـــم لعظـــم أجسامهم ، ولهم أصوات ، حتى إن أصوات ملائكة سماء الدنيا عندهم كنغمة الصبي الرضيع في جنب ذوي الإرعاد ، فلما نظرت ملائكة سماء الدنيا إليهم انحطم بعضـــهم على بعض فرقا منهم ،ومخافة أن يكونوا أمروا بأخذهم ، فألصقوا خدودهم بـــالأرض

---

(١) في نسخة (فتساقط التخوم) .

(٢) النمل : ٨٨ .

(٣) الفرقان : ٢٥ .

يبكون ؛ فرقا من الله ترتعد فرائصهم ، وصفوا[1] الأمم ، وأخرجوهم إلى أضيق من مكانهم ، ودفع كل ما يليه ، حتى يصير الضيق إلى بني آدم ، فصار من هو على رجلين على رجل واحدة من ضيق المكان ، ثم كذلك صفة سبع سموات وسكانها ، فلما برز حملة العرش للملائكة الذين دونهم بقوا ــ من خوفهم ورعبهم ، ودوي أصواتهم ، وعظم أجسادهم ــ أشد مما كانوا فيه ، وتدافعوا وحطم بعضهم بعضا ، حتى صار بنو آدم في أضيق ضيق وأشده ، ومع ذلك أحاطت بهم النيران تتوقد ، ثم ينادى مناد : **{يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا}**[2] وهم قيام يبكون من شدة ما هم فيه يصيرون ، على طول الجهد ، وقد أخذهم العرق ، حتى إن منهم من ألجمه العرق ، ثم يبدأ الله بالخلائق ما خلا الثقلين فيحاسبهم ، حتى إن الجماء يقتص لها من القرناء ، فإذا فرغ من حساب الأمم قال لها : كوني ترابا . فعند ذلك يقول الكافر : **{ياليتني كنت ترابا}**[3] **{وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلا همسا}**[4] يعني : تحريك الشفاه وقد اختلعت الأفئدة ، وبلغت القلوب الحناجر ، وشخصت الأبصار ، فتراهم مبهوتين حيارى ، سكارى من غير شراب ، مهطعين إلى الداع ، لا تلتفت الوالدة إلى ولدها ، وتضع كل ذات حمل حملها ، ويشيب الصغير ، وذلك قوله تعالى : **{يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا}**[5] ذلك يوم عسير **{يوم ترجف الراجفة}**[6] يعني : اضطراب الجسور على جهنم ، ويجاء بجهنم وهي تنادى يا رب آتني ما وعدتني ، وعزتك لأنتقمن ممن عصاك ، وقد قربت ، وبرزت الجحيم ، قال ابن عباس : فيبعث إليها سبعين صفا من الملائكة ، كل صف مثل الثقلين سبعين ألف

---

(١) في نسخة (وصموا الأمم)

(٢) الرحمن : ٣٣ .

(٣) النبأ : ٤٠ .

(٤) طه : ١٠٨ .

(٥) المزمل : ١٧ ــ ١٨ .

(٦) النازعات : ٦ .

مرة ، بيد كل ملك مقمعة ، حتى يجاء بجهنم ، ولها زفير وشهيق وسطع ولهب ودخان ، يغشى الخلائق ظلمة دخانها ، فلا يبصر بعضهم بعضا من شدة الظلمة إلا من جعل الله له نورا من محاسن عمله ، ثم ثارت ثورة شديدة كادت تميز من الغيظ ، فرمت بشرر كعدد النجوم ، كل شررة كالسحابة العظيمة ، فتقع على رؤوس الخلائق ، فعندها تطايرت الأفئدة ، وارتعدت الفرائص واشتد البكاء ، ثم تزفر الثانية فلو كان لكل آدمي عمل اثنين وسبعين نبيا لظن أنه مواقعها ، وجثت الملائكة على الركب ، فبيناهم صفوف إذ أتي بالصحف والميزان ، فنصب الميزان ووضعت الصحف ، والميزان معلق ببعض قوائم العرش ، في إحدى كفتيه نور ، وفي الأخرى ظلمة ، ونشرت الدواوين فيها أعمال العباد ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، قد جهدهم طول المقام ، وشدة الجوع والعطش ، والكرب والبكاء ، وختمت الألسن ، وطمست الصور ، وشوهت الوجوه ، وشهدت الجوارح ، فما أغنى عنك يا ابن آدم إرخاء الستور ، وإغلاق الأبواب ، وقد شهدت عليك جوارحك ، وشهدت عيناك ما نظرتا ، وأذناك ما سمعتا ، ويداك ما بطشتا ، ورجلاك إلى ما مشتا ، وبطنك إلى ما أطعمت ، وجلدك إلى ما ألبسته ، فذلك قوله تعالى : { **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**}[1] .

وعن النبي ﷺ (يعرض الناس ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فتطاير الصحف في الأكف ، فآخذ بيمينه ، وأخذ بشماله) .

وفي عرض النار نزل قوله تعالى : {**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا**}[2] ..

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : (أول ما يكسى يوم القيامة إبليس حلة من نار فيضعها على حاجبه ، فيسحبها من خلفه ، وذريته خلفه ، وهو يقول : واثبوراه ،

---

(١) يس : ٦٥ .

(٢) الفرقان : ١٢ ــ ١٤ .

وينادون واثبورهم ، حتى يقفوا على النار فينادى ياثبوراه ، وينادون ياثبورهم فيقول الله : {لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا} .

وروي أن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير ذات يوم حتى ظهر فيه ، فجاء بعض أصحابه إلى علي عليه السلام فأخبره بما رأى ، فجاء علي عليه السلام فاحتضنه من خلفه ، وقبل بين عينيه ، ثم قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم؟ قال : جاءني جبريل فأقرأني {وجيء يومئذ بجهنم}[1] قلت : كيف يجاء بها ؟ قال : يجيء بها سبعون ألف ملك ، يقودونها بسبعين ألف زمام ، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم أتعرض لجنهم فتقول:مالي ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك علي)فلا يبقى أحد إلا قال : نفسي نفسي ، وإن محمدا يقول : أمتي أمتي) .

فأما عرض الشمس :

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين ــ قال المقداد: عند الله . أي الميلين ، ميل مسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين ــ قال : فتصهرهم الشمس ، فيكونون في العرق على قدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذه إلى عنقه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجاما ــ قال المقداد : فرأيت رسول الله يشير بيده إلى فيه يقول : (يلجمه إلجاما وما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسنا ندم ألا يكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع) .

وأما عرض الدخان

فقال تعالى : {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم}[2] قيل : يمتلئ ما بين المشرق والمغرب على الخلق ، وقيل : يكون قبل يوم

---

(١) الفجر : ٢٣ .

(٢) الدخان : ١٠ ــ ١١ .

القيامة ، وهو من علاماتها ، تقف أربعين يوما ، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكـــام ، وأما الكافر فيسكر ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره ، والله أعلم أي ذلك يكون.

الحالة السابعة : من أحوال القيامة السؤال

وهو معلوم من دينه ضرورة ، قال تعالى : {**وقفوهم إنهم مسـئولون**}[1] وقـال : {**ولنسألن المرسلين**}[2] قيل : يسأل الرسل هل بلغوا ، ويسأل الأمم هل قبلوا.

وقال : {**وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت**}[3] وهو سؤال شهادة.

وقال : {**ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل**}[4] والقرآن وارد بذلك.

وعن النبي ﷺ (ما من أحد إلا سيخلو به ربه ثم يقول : يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ ماذا أجبت المرسلين) .

قال النبي ﷺ لأبي الدرداء : (يا عويمر كيف إذا قيل لك يوم القيامة : أعلمت أم جهلت ؟ فإن قلت : علمت ، قيل لك : فماذا عملت فيما علمت ؟ فإن جهلت قيل لك : فما كان عذرك في جهلك) .

الحالة الثامنة : شهادة الأرض

قال تعالى : {إذا زلزلت الأرض زلزالها} إلى قوله : {تحدث أخبارها}

وعن النبي ﷺ (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قـال : أخبارهـا أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا) .

وقوله تعالى : {**بأن ربك أوحى لها**}[5] معناه : أذن لها أن تخبر بما عمل عليها.

---

(١) الصافات : ٢٤ .

(٢) الأعراف : ٦ .

(٣) التكوير : ٨ ــ ٩ .

(٤) الفرقان : ١٧ .

(٥) الزلزلة : ٥ . وفي الأصل (إن) والصحيح (بأن) .

قال النبي ﷺ (حافظوا على الوضوء ، وخير أعمالكم الصلاة ، وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم ، وليس أحد يعمل عليها خيرا أو شرا إلا وهي تخبره به) .

الحالة التاسعة : شهادة الجوارح

وبيانه : قوله تعالى : {**ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**}[١] .

وقوله تعالى : {**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**}[٢] .

وعن النبي ﷺ في قوله : {**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**}[٣] قال : (هي فروجهم). وعنه ﷺ (أول ما ينطق من ابن آدم فخذه الشمال) .

الحالة العاشرة

نشر الصحف ، وأخذها باليمين والشمال من خلف الظهور على حسب الأعمال

وبيانه : قوله تعالى : {**ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**}[٤] .

وقوله : {**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه**}[٥] .

وقوله : {**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**}[٦] .

وقوله : {**فأما من أوتي كتابه بيمينه**}[٧] {**وأما من أوتي كتابه وراء ظهره**}[٨] .

---

(١) فصلت : ١٩ .

(٢) يس : ٦٥ .

(٣) فصلت : ٢١ .

(٤) الكهف : ٤٩ .

(٥) الكهف : ٤٩ .

(٦) الجاثية : ٢٩ .

(٧) الحاقة : ١٩ . الانشقاق : ٧ .

(٨) الانشقاق : ١٠ .

و{بشماله}[1] في آية أخرى قيل : تغل شماله وراء ظهره ثم يأخذ بها كتابه.

وعن الحسن (ليس ميت يموت إلا ودخل عليه ملك إلى قبره ، ومعه صحيفة ودواة ، وناوله صاحب القبر ، ويقول : اكتب كل عمل عملته من خير أو شر ، فيكتب ، ثم يطوي الكتاب فيضعه عند رأسه ، فإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره جاء ذلك الملك ، فيدفع إليه ذلك الكتاب ، فيقول : أتعرف هذا ؟ فيقول : نعم . فيقول : {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[2]

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا قال الله تعالى للعبد يوم القيامة **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**}[3] يخرس لسانه. فيقول الله : عبدي اقرأ كتابك فتأخذه الرعدة فيقول : يا رب عذاب جهنم أحب إلي من قراءة كتابي. فيقول الله : فاذهب إلى الجنة قد غفرت لك) . والآثار في ذلك كثيرة.

الحالة الحادية عشرة (الحساب)

وبيانه: قوله تعالى :{ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا**}[4] الآية. وقوله:{ **يوم تبلى السرائر**}[5] يحاسبه الله تعالى فيظهر كل مكتوم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من نوقش الحساب عذب) .

وفي حديث ابن عمر (إن الله تعالى يحاسب المؤمن بينه وبينه ، فيقول : يا عبدي ألم تفعل كذا ؟ فيقول : يا رب بلى . فيقول : قد سترتها في الدنيا وغفرتها في الآخرة. فأما الكافر والمنافق فينادى عليهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :(يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، ثم يقول : فينادي فيقول : يا أهل الجمع من أولى بالكرم ؟ ثم

---

(١) الحاقة : ٢٥ .

٢) الإسراء : ١٤ .

(٣) الإسراء : ١٤ .

(٤) الانشقاق : ٧ ــ ٨ .

(٥) الطارق : ٩ .

يقول : أين الذين كانوا يحمدون الله في السر والعلانية والسراء والضراء ؟ فيقومون وهم قليلون ، فيدخلون الجنة بغير حساب. ثم يعود فينادي : أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون وهم قليلون فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس فيحاسبون) .

وعن أبي عمران الجوني ، قال :(إذا رأت البهائم يوم القيامة بني آدم تصدعوا من بين يدي الله صفين وقالوا : الحمد لله ويأتيه آدم الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنة نرجو ولانار نارلـ نخاف قالت عائشة للنبي ﷺ(إن الله عز وجل يقول : (**فسوف يحاسب حسابا يسيرا**)؟ قال : (ذلك العرض يا عائشة ، فأما من نوقش الحساب يومئذ فقد هلك) .

عن النبي ﷺ في المهاجرين الأولين (هم السابقون الشافعون المدلون على ربهم ، والذي نفسي بيده إنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فتقول الخزنة: من أنتم؟ فيقولون: هل حوسبتم؟ فيجثون على ركبهم وينشرون ما في جعابهم ، ويرفعون أيديهم ويقولون : أي رب بهذا نحاسب ؟ وقد خرجنا وتركنا الأهل والولد ! فتمثل لهم أجنحة من ذهب فيطيرون إلى الجنة. فذلك قوله تعالى : {**وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**}[1] .والآثار في الحساب كثيرة ، وهذه تذكرة فقط.

الحالة الثانية عشرة (الميزان)

لا خلاف فيه على الجملة وقد قال تعالى :{ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**}[2] وقال :{ **فأما من ثقلت موازينه**}[3] وقال :{ **وأما من خفت موازينه**}[4] وذكره كثير في القرآن.

وعن النبي ﷺ(توضع الموازين يوم القيامة ، ويؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل

---

(١) فاطر : ٣٤ .

(٢) الأنبياء : ٤٧ .

(٣) القارعة : ٦ .

(٤) القارعة : ٨ .

البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ولكن يصب لهم الأجر صبا)

وعن النبي ﷺ (يؤتى بالرجل يوم القيامة، ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلا ، كل سجل منها مد البصر ، فيها خطاياه وذنوبه ، ثم يؤتى بالميزان فيوضع في كفة ، ويخرج له قرطاس مثل هذا ، وأمسك الراوي بطرف إبهامه على نصف إصبعه ، فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فتوضع في كفته الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه).

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في صفة القيامة (ونصب الموازين دون العمود كما بين المشرق إلى المغرب ، كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها ، وشطر الميزان نور وشطره ظلمة، وهو معلق ببعض قوائم العرش) والآثار فيه كثيرة .

الحالة الثالثة عشرة (ظهور العلامات في الوجوه)

قال تعالى : { **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**}[1] وقال تعالى : {**وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة**}[2] وغير ذلك من آي القرآن الكريم.

وعن النبي ﷺ في قوله : {**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**}[3] قال : (يدعى فيعطى كتابه بيمينه ، ويزاد في جسمه، ويتوج بتاج من لؤلؤ يتلألأ ، وينطلق إلى أصحابه فيقولون : اللهم آتنا كهذا . فيقول : أبشروا ، فإن لكل واحد منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسود وجهه ويلبس تاجا من نار ، فيقول أصحابه: نعوذ بالله منه ، ويأتيهم فيقول : لكل رجل منكم مثل هذا) فافهم واعمل .

الحالة الرابعة عشرة (الانتصاف والمقاصة)

وبيانه: أنه قد مكن العباد بعضهم من بعض ، فلو لم ينتصف لبعضهم من بعض لكانت التخلية قبيحة، وقد قال تعالى :{ **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا**

---

(١) آل عمران : ١٠٦ .

(٢) عبس : ٣٨ ــ ٤١ .

(٣) الإسراء : ٧١ .

فيه يختلفون}[1] وقال : **{إن يوم الفصل كان ميقاتا}**[2] وقال : **{ وأشرقت الأرض بنور ربها}**[3] معناه : بعدله.

وقال : **{ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون}**[4] وقال : **{ الملك يومئذ لله يحكم بينهم}**[5]

وعن النبي ﷺ أنه قال : {الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك من المحقرات ، وهن الموبقات ، فإياكم والمظالم ، فإن العبد يأتي بالحسنات يوم القيامة ، يرى أنها ستنجيه ، فلا يزال العبد يقول : رب ظلمني فلان فلا يزال يمحى من حسناته ، حتى ما تبقى له حسنة واحدة من المظالم ، وإن مثل ذلك مثل سفر ، نزلوا بفلاة من الأرض ، وليس معهم حطب ، فأرادوا أن يطبخوا ، فتفرق القوم ، فجاء هذا بعود ، وجاء هذا بعظم ، وجاء هذا بروثة ، فأعظموا النار فأنضجوا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب) .

وعن النبي ﷺ (يحبس أهل الجنة بعدما يجاوزون الصراط ، قبل أن يدخلوا الجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض المظالم التي تظالموا بها في الدنيا ، فيدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم لبعض غل) . والأخبار فيه كثيرة.

الحالة الخامسة عشرة (حدوث الأفزاع والأهوال)

قال تعالى : **{إذا وقعت الواقعة}** الآية.

وقال : **{هل أتاك حديث الغاشية}** الآية.

وقال : **{ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها}**[1] الآية.

---

(١) النحل : ١٢٤ .

(٢) النبأ ١٧ .

(٣) الزمر : ٦٩ .

(٤) إبراهيم : ٤٢ .

(٥) الحج : ٥٦ .

ولا إشكال أن المؤمن لا يفزع من أهوالها ، ولا يتزعزع لأفزاعها ، قال الله تعالى في المؤمنين: { **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة**}[٢] الآية.

وقال تعالى : {**وهم من فزع يومئذ آمنون**}[٣] وقال تعالى : {**لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**}[٤] والآيات فيه كثيرة.

وعن النبي ﷺ حكاية عن ربه عز وجل (لا أجمع على عبدي اليوم أمنين ، ولا أجمع عليه خوفين ، من خافني في الدنيا أمنته اليوم ، ومن أمنني في الدنيا أخفته اليوم).

وعن عائشة قلت : (يا رسول الله أتذرون أهليكم يوم القيامة؟) قال ☹أما عند ثلاث فلا ، الكتاب ، والميزان ، والصراط) وهذا يدل على عظم الفزع مع العاصين ، وقد قال تعالى : {**واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا**}[٥] الآيات.وقال: { **و يوم يعض الظالم على يديه**}[٦] الآية. قيل : يعض بمعنى أنه يأكلهما إلى المرفقين ثم يعودان ، ولا يزال كذلك.

وقال تعالى : {**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**}[٧] وقال : {**يوم يفر المرء من أخيه**}[٨] الآية. وقال :{ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**}[٩] الآية. وقال :{**يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه**}[١٠] الآية.

---

(١) الحج : ١ ـــ ٢ .

(٢) الأنبياء : ١٠٣ .

(٣) النمل : ٨٩ .

(٤) يونس : ٦٢ .

(٥) الأنبياء : ٩٧ .

(٦) الفرقان : ٢٧ .

(٧) الزخرف : ٦٧ .

(٨) عبس : ٣٤ .

(٩) المؤمنون : ١٠١ .

(١٠) المعارج : ١١ .

وكل ذلك يدل على هول عظيم ، وفزع كبير ، وخوف شديد ، نعوذ بالله من ذلك كله، ونسأله النجاة بحق محمد وآله.

وعن النبي ﷺ(إذا كان يوم القيامة يقول الله :(ميزوا الكفار من المؤمنين ، وميزوا أهل النفاق من أهل الإخلاص ، وميزوا أهل الزهد من أهل الرغبة، وميزوا المخلصين من المرائين ، وميزوا أهل الصدق من أهل الكذب. فبكى رسول الله ﷺفرفع صوته وهو يقول :(ماذا تلقى أمتي من يوم القيامة ، حين يميز بعضهم من بعض ، ثم يرجعون ، بعضهم إلى الجنة ، وبعضهم إلى النار ، ثم قرأ هذه الآية {**فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنا تصرفون**}[1] .

الحالة السادسة عشرة (شدة الصراط)

قال تعالى :{ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**}[2]

وعن النبي ﷺ(إن الصراط بين ظهري جهنم دحض مزلة ، والأنبياء يقولون سلم سلم كلمع البرق ، وكطرف العين ، وكأجاويد الخيل والبغال ، والراكب والشد على الأقدام ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم) .

وفي حديث (إنه أدق من الشعر ، وأحد من السيف وله حسك وكلاليب) .

وعن النبي ﷺ(أن الله يعطي المؤمن جوازا على الصراط (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان ، ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية) .

وعن النبي ﷺقال :(يمد الصراط ، فيكون أول من يمر به أنا وأمتي والملائكة بجنبتيه، أكثر قولهم: سلم سلم. وإن عليه الكلاليب وحسكة يقال لها : السعدان ، تنبت بنجد وإنه لدحض مزلة ، فيمرون عليه كالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل

---

(١) يونس : ٣٢ .

(٢) مريم : ٧١ .

والرجال فناج مسلم ، ومخدوش مكلم ، ومكدوس في النار، فإذا جاوز الصراط فما أحد بأشد مناشدة في حق يعلمونه له ـــ من المؤمنين بإخوانهم الذين سقطوا في النار)

وعنه ﷺ في حديث طويل قال فيه : (ثم توقف الخلائق إلى الصراط ، فيوقفون عند الصراط ، وقد ضربت الجسور على جهنم ، أدق من الشعر ، وأحد من السيف وقد غابت الجسور في جهنم بمقدار أربعين ألف عام ، ولهيب جنهم بجوانبها يلتهب وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف، وهي سبعة جسور) والخبر طويل.

الحالة السابعة عشرة (الحوض)

قال الله تعالى :{ إنا أعطيناك الكوثر}.

عن النبي ﷺ(حوضي كما بين أيله إلى مكة ، له ميزابان من الجنة ، كؤوسه كعدد نجوم السماء ، شرابه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب رائحة من المسك ، من كذب به اليوم لم يصبه في الشرب يومئذ ، سيأتيه قوم ذابلة شفاههم فلا يطعمون منه قطرة) .

وعن النبي ﷺ (بين جانبي حوضي كما بين المدينة وصنعاء) والأخبار فيه كثيرة

الحالة الثامنة عشرة (الشفاعة)

اعلم أن الشفاعة معلومة من دين النبي ﷺضرورة ، وقد حمل عليه قوله تعالى : {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[1] .

وعنه ﷺ(أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبيء من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبي ما صدق من أمته إلا رجل واحد) ؟

---

(١) الإسراء : ٧٩ .

وعنه ﷺ (لكل نبي دعوة يدعو بها ، وأريد أن أختبي ء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) .

فأما من تكون له الشفاعة ، فإنها لا تكون إلا لمن استوت حسناته وسيئاته ، فيبقى غير مستحق للثواب ، فيشفع له ليدخل الجنة، وكذلك يشفع للمؤمن ؛ ليزيده الله درجات أعلى من درجاته، ويرقيه منزلة لم يكن ليبلغها إلا بشفاعته .

فأما العاصي فلا شفاعة له قال تعالى : { **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**}[1] وقال : {**وما للظالمين من أنصار**}[2] وقال : {**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**}[3] .

وعن أنس قلت : (يا رسول الله أتشفع لي)؟ قال : (أفعل) قلت : أين أطلبك)؟ قال : (أول ما تطلبني عند الميزان) قلت : (فإن لم أجدك) قال : (عند الحوض) قلت (فإن لم أجدك)؟ قال ☹عند الصراط فإني لن أخطئ هذه الثلاثة المواطن) .

وعن النبي ﷺ (أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم) .

وعنه ﷺ (شفاعتي يوم القيامة لكل مسلم) .

وعنه ﷺ (لا تنال شفاعتي ذا سلطان جائر غشوم ظلوم) .

وعنه ﷺ (ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة ، الضارب بسيفه أمام ذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه) .

وعنه ﷺ (من كذب بالشفاعة لم ينلها يوم القيامة) .

وعنه ﷺ (أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول : أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت

وعنه ﷺ (رجال من أمتي لا تنالهم شفاعتي ، ذو سلطان ظلوم غشوم، ومارق

---

(١) غافر : ١٨ .

(٢) البقرة : ٢٧٠ ، آل عمران : ١٩٢ ، المائدة : ٧٢ .

(٣) الأنبياء : ٢٨ .

من الدين خارج، وغال في الدين ومارق) .

الحالة التاسعة عشرة (نشر الألوية)

سأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ عن لواء الحمد ما صفته ؟ قال ☹طوله مسير ألف سنة، وسنانه ياقوتة حمراء، وقصبته من فضة بيضاء، وزجه من زبرجدة خضراء ، له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالمشرق، وذؤابة بالمغرب، وذؤابة وسط السماء، عليها مكتوب ثلاثة أسطر الأول منها(بسم الله الرحمن الرحيم) والسطر الثاني(الحمد لله رب العالمين) والسطر الثالث(لا إلاه إلا الله محمد رسول الله) طول كل سطر مسيرة ألف سنة عرض كل سطر مسيرة ألف سنة) قال : صدقت يا محمد.

قال ابن عباس:(فإذا مر جميع أهل الجنة الذين سلموا أو نجوا على الصراط ـ جلسوا من وراء الصراط ، وقد خلفوا جهنم ، وقطعوا لهبان نارها ـ نعوذ بالله منها ـ وأمنوا واطمأنوا ، عقد للمؤمنين الألوية ، لكل قوم لواء معلوم ، يتبعونه إلى منازلهم التي أعدت لهم في الجنان) .

وعن النبي ﷺ(أول من يكسى إبليس يوم القيامة حلة من نار يضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه ، وذريته خلفه وهو يقول : واثبوراه، وينادون ياثبورهم. فيقول الله تعالى :{ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا})[1].

وعن ابن عباس أن رسول الله رجع من سفر له وهو متغير اللون ، فخطب خطبة بليغة وهو يبكي ، ثم قال :(أيها الناس إني قد خلفت فيكم كتاب الله وعترتي وأرومتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ألا وإني أنتظرهما ، ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض، ألا وإنه سيرد على يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة، راية سوداء فتقف فأقول من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم . فيقولون: نحن من أمتك. فأقول: كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربي؟ فيقولون : أما الكتاب فضيعنا، وأما عترتك

---

(١) الفرقان : ١٤ .

فحرصنا على أن نبيدهم ، فأولي وجهي عنهم ، فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخري أشد سوادا من الأولى ، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: كالقول الأول : نحن من أهل التوحيد، فإذا ذكرت اسمي ، قالوا : نحن من أمتك ، فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب ربي وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفنا وأما العترة فخذلنا ، ومزقناهم كل ممزق ، فأقول: إليكم عني . فيصدرون عطاشا مسودة وجوههم. ثم ترد على راية أخرى تلمع نورا فأقول :من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد ، والتقوى نحن أمة محمد ، ونحن بقية أهل الحق ، حملنا كتاب ربنا ، فأحللنا حلاله وحرمنا حرامه ، وأحببنا ذرية محمد ، فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا كل من ناواهم . فأقول لهم: ابشروا فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم كما وصفتم ، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون رواء ، ألا وإن جبريل أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين في أرض كرب وبلاء، ألا ولعنه الله على قاتله وخاذله أبد الدهر ، أبد الدهر) .

واعلم أن من نظر في هذا الخبر ـ علم أن من الفرقة الأولى : الناصبة ، القاتلة للذرية الطاهرة ، والفرقة الثانية : الرافضة الخاذلة للعترة، والفرقة الثالثة : الزيدية أنصار العترة عليهم السلام.

الحالة العشرون الجنة والنار

وهما معلومتان من دين النبي ضرورة ، فيكفر منكرهما، والقرآن مملوء من ذكرهما وصفتهما وصفة أهلهما ، نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

قال تعالى :{ **فريق في الجنة وفريق في السعير**}[1] وقال تعالى :{ **وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين**}[2].

---

(١) الشورى : ٧ .

(٢) الشعراء : ٩٠ ـ ٩١ .

وأما صفتهما:

ففي سورة الرحمن ، وسورة الواقعة ، وسورة هل أتى ، وسورة الملك ، والمرسلات، وغير ذلك من سور القرآن وآياته، فإنه ما من سورة من سور القرآن إلا وفيها ذكر الجنة والنار غالبا.

فأما الآثار في ذلك فكثير جدا ، نذكر هاهنا قليلا من كثير ؛ للترغيب والترهيب.

الجنة

أما ما ورد في القرآن من أحوال الجنة فكثير لا يمكن شرحه مع الاختصار ، إلا أنا نذكر طرفا منها تسهيلا لطريق معرفته.

أما حياتهم: فقال تعالى :{**[فهو]في عيشة راضية**}[١] .

وأما سعة الجنة: فقال تعالى :{**عرضها كعرض السماء والأرض**}[٢] وطولها لا يعلمه إلا الله.

وأما دورهم: فقال تعالى :{**ومساكن طيبة في جنات عد ن**}[٣] وقال تعالى : {**حور مقصورات في الخيام**}[٤] وروي أنها خيمة من در مجوفة ، أربعة فراسخ في أربعة ، عليها أربعة آلاف باب من ذهب.

وأما مجالسهم: فقال تعالى :{**على سرر موضونة**}[٥] وقال :{**على سرر مصفوفة**}[٦] وغير ذلك.

وأما مأكلهم: فقال تعالى :{**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون**}[١]

---

(١) الحاقة : ٢١ ، القارعة : ٧ .

(٢) الحديد : ٢١ .

(٣) التوبة : ٧٢ ، الصف : ١٢ .

(٤) الرحمن : ٧٢ .

(٥) الواقعة : ١٥ .

(٦) الطور : ٢٠ .

وغير ذلك.

وأما إدامهم: فقال تعالى :{ ولحم طير مما يشتهون}[2] وغير ذلك.

وأما بساتينهم: فقال :{ولمن خاف مقام ربه جنتان}[3] وقال :{و من دونهما جنتان}[4]

وأما فواكههم: فقال تعالى :{ فيهما فاكهة ونخل ورمان}[5] وقال :{فيهما من كل فاكهة زوجان}[6].

وأما أنهارهم: فقال تعالى :{فيها أنهار من ماء غير آسن}[7] الآية.

وأما شرابهم: فقال تعالى :{ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا }[8] وفي آية أخري {كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا}[9] وقال :{ يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك}[10] .

وأما لباسهم: فقال تعالى :{ و لباسهم فيها حرير}[11] وقال :{ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق}[12] وقال :{ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا}.[13]

---

(١) فصلت : ٣١ .

(٢) الواقعة : ٢١ .

(٣) الرحمن : ٤٦ .

(٤) الرحمن : ٦٢ .

(٥) الرحمن : ٦٨ .

(٦) الرحمن : ٥٢ .

٧) محمد : ١٥ .

(٨) الإنسان : ٥ . في الأصل : (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها كافورا) وليس في القرآن آية بهذا التركيب .

(٩) الإنسان : ١٧ ــ ١٨ .

(١٠) المطففين : ٢٥ ــ ٢٦ .

(١١) الحج : ٢٣ .

(١٢) الكهف : ٣١ .

١٣) الإنسان : ٢١ .

وأما حليهم: فقال تعالى :{ **يحلون فيها من أساور من ذهب**}[1] .

وأما زوجاهم: فقال تعالى :{ **وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون**}[2] وقال :{ **عربا أترابا**}[3].

وأما زيارة الملائكة عليهم السلام لهم: فقال تعالى :{ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم**}[4] وقال في سلام المؤمنين عليهم {**إلا قيلا سلاما سلاما**}[5].

فأما سلام الله عليهم: فقال :{ **سلام قولا من رب رحيم**}[6].

وأما فرشهم: فقال تعالى :{ **متكئين على فرش بطائنها من إستبرق**}[7] وقال :{ **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**}[8] .

وأما خدمهم: فقال تعالى :{ **يطوف عليهم ولدان مخلدون**}[9] وقال :{ **غلمان لهم**}[10].

وأما كيزالهم : فقال تعالى :{ **بأكواب وأباريق وكأس من معين**}[11] .

وأما ظلهم: فقال تعالى :{ **وظل ممدود**}[12].

---

(١) الكهف : ٣١ ، الحج : ٢٣ ، فاطر : ٣٣ . وفي الأصل (ويحلون فيها أساور من فضة) ولا يوجد في القرآن آية بهذا اللفظ ، وإنما الموجود {**وحلوا أساور من فضة**} كما في الآية السابقة ، أو كما أثبتناه هنا .

(٢) الواقعة : ٢٢ ــ ٢٣ .

(٣) الواقعة : ٣٧ .

(٤) الرعد : ٢٣ ــ ٢٤ .

(٥) الواقعة : ٢٦ .

(٦) يس : ٥٨ .

(٧) الرحمن : ٥٤ .

(٨) الرحمن : ٧٦ .

(٩) الواقعة : ١٧ .

(١٠) الطور : ٢٤ .

(١١) الواقعة : ١٨ .

(١٢) الواقعة : ٣٠ .

وأما من يسقيهم: فقال تعالى : { **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** }[1] ..

وأما رفقاؤهم: فقال تعالى : { **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين** }[2] الآية.
وقال : { **إخوانا على سرر متقابلين** }[3] وقال : { **ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا** }[4]

وأما مناظرتهم لأعدائهم في النار: فقال تعالى : { **[أن] قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا** }[5] الآية وهذه شماتة.

وأما استهزاؤهم بأعدائهم : فقال تعالى : { **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون** }[6] وهذه مكافأة لهم بما كانوا يستهزئون بهم في الدنيا وقال تعالى حكاية شماتة واستهزاء { **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** }[7] .

وأما حمدهم: فقال تعالى : { **وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور** }[8] .

وأما مدة نعيمهم: فهو أبد الأبد ، فإنه معلوم من دين النبي ضرورة، والقرآن نـاطق بذلك قال تعالى : { **أكلها دائم وظلها** }[9] وقال تعالى : { **خالدين فيها** } في آيات كثيرة. وفي هذا فتح لباب المعرفة لما ورد من صفتها في القرآن فهو كثير.

وأما الآثار فكثيرة .

---

(١) الإنسان : ٢١ .

(٢) النساء : ٦٩ .

(٣) الحجر : ٤٧ .

(٤) الحجر : ٤٧ .

(٥) الأعراف : ٤٤ .

(٦) المطففين : ٣٤ .

(٧) الصافات : ٥٥ .

(٨) فاطر : ٣٤ .

(٩) الرعد : ٣٥ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: (يا علي إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق ، عليها رحائل الذهب يستوون عليها ، فتطير بهم حتى ينتهوا إلى باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوت على صفائح الباب ، وإذا عند الباب شجرة ينبع من أصلها عينان ، فيشربون من إحدى العينين ، فلما بلغ الشراب إلى الصدور أخرج الله ما في صدورهم من الغل والحسد والبغي ، فذلك قوله تعالى : { ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا }[1] فلما انتهى إلى البطن طهره الله من دنس الدنيا وقذرها ، وذلك قوله تعالى : {وسقاهم ربهم شرابا طهورا}[2] ثم اغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم النضرة والنعيم ، لا تشعث أشعارهم ، ولا تتغير ألوانهم ، فيضربون بالحلقة على الصفائح، ولو سمعت لها طنينا يا علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد قدم ، فتبعث إليه قيمه ، فلولا أن الله عرفهم نفسه لخر له ساجدا مما يرى من النور والبهاء والحسن ، فيقول : يا ولي الله أنا قيمك الذي وكلت بمنزلك ، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي إلى قصر من الفضة ، شرفه الذهب ، يرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره ، فيريد أن يدخله ، فيقول : يا ولي الله أمامك

ما هو أحسن ، فينطلق به إلى قصر من الذهب ، شرفه فضة ، يرى باطنه من ظاهره ، وظاهره من باطنه ، فيقول : لمن هذا؟ فيقول : هو لك ، فقال ﷺ: ولو مات أحد من أهل الجنة من الفرح لمات هو ، فيريد أن يدخله ، فيقول : أمامك ما هو أحسن منه، فلا يزال يمر به على قصور جنانه وأنهاره ، حتى ينتهي به إلى غرفة من ياقوت أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ، في الغرفة سرير ، عرضه فرسخ في طول ميل ، عليه من الفرش كقدر سبعين غرفة ، بعضها فوق بعض ، فراشه نور ، وسريره نور ، وعلى رأس ولي الله تاج ، لذلك التاج سبعون ركنا ، في كل ركن ياقوتة ، تضيء مسيرة ثلاثة أيام للراكب المتعب، ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، عليه طوق ووشاحان ، له نور يتلألأ ، وفي يده ثلاثة أسورة من فضة وذهب ولؤلؤ ،

---

(١) الحجر : ٤٧ .

(٢) الإنسان : ٢١ .

وذلك قوله تعالى : { يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير }[1] فيهتز السرير فرحا وشوقا إلى ولي الله، ويتضع له حتى يستوي عليه ، ثم يهتز في السماء، ثم أتاه قهرمانه بقضيب الملك ، فجعل ينكت فينظر إلى أساس بنيانه، ويسترقه مخافة أن يذهب بصره ، فبينا هو كذلك إذ أقبلت حوراء عيناء ، معها سبعون جارية وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة ، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والحلي والجلد والعظم ، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما يرون السلك في الدرة الصافية قال : فلما عاينها نسي كل شيء قبلها ، فتستوي معه على السرير ، فيضرب بيده إلى نحرها ، وإذا هو يقرأ ما في كبدها وإذا فيه مكتوب (أنت حبي وأنا حبك ، إليك اشتهت نفسي) فذلك قوله تعالى :{ **كأنهن الياقوت والمرجان**}[2] فيتنعم معها سبعون ــ عاما ــ لا تنقطع شهوتها ولا شهوته ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت الملائكة، وللغرفة سبعون ألف باب ، وعلى كل باب حاجب فتقول الملائكة: استأذنوا لنا على ولي الله . فتقول الحجاب إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم عليه ، إنه لمع أزواجه، فيقولون: لابد لنا ، إنا رسل الجبار إليه. فيناجونه فيما بينهم ، فيقولون: يا ولي الجبار ، إن الملائكة يستأذنون عليك . فيقول : ائذنوا. ثم تلا قوله تعالى :{ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**}[3]{**وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا**}[4] يعني استئذان الملائكة.

ولبعضهم : (الجنة عزيزة ، لا تنال إلا ببذل عزيز ، وهو المهج) قال الله تعالى :{**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**}[5].

ولبعضهم:(بدموع العينين نشرب من العينين {**فيهما عينان نضاختان**}[6] بساتينها

(١) الحج : ٢٣ ، فاطر : ٣٣ .

(٢) الرحمن : ٥٨ .

(٣) الرعد : ٢٣ ــ ٢٤ .

(٤) الإنسان : ٢٠ .

(٥) آل عمران : ٩٢ .

٦) الرحمن : ٦٦ .

زاهرة ، لكن لمن تبيت عينه ساهرة . ظلها ممدود ، ولكن لمن لا يتعدى الحـــدود. عيشها مقيم ، لكن لمن قلبه سليم) .

وعن النبي ﷺ(في الجنة حوراء يقال لها لعبة ، خلقت من أربعة أشياء ، مـــن المسك ، والكافور ، والعنبر ، والزعفران، وعجن طينها بماء الحيوان ، جميع الحور لها عشاق لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر من طعم ريقها ، مكتوب على نحرها(من أحب أن تكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي) شعر

عزيزة ليس لـــها مـــشـــبه	في الحسن والنـــعمة واللـــين
تزهو بوجه حســـن مبـــهج	أحسن مـــن روض البســـاتين
وورد خـــد ناعـــم لمســـه	بنفسج ما بـــين نســـرين
نـــظرة فـــوق جبـــين لـــها	تذهب بـــالـــدنيا إلى الديـــن
إذا مشت بالغنج في روضـــة	تـــخجل أغصـــان الرياحـــين
لو مسها الماء عـــلى لـــينه	جرت مع الماء علـــى الطـــين
تقول بالغنـــج لأتـــرابـــها	إذا مشت في الخـــز والـــعين
يا طالبي لو كنت لي طالبـــا	لمـــا تشاغـــلت بمـــا دوني
يا عاشقي لو كنت لي عاشـــقا	ما كنت في الأحيـــاء تجفـــوني
سبحـــان من صـــورها لعبـــة	وجل من قـــال لها كونـــي

وعن النبي ﷺ(إن في الجنة حورا خلقهن الله من الورد ، يقال لهن: الورديـــات نصف أجسادهن من الورد الأحمر ، ونصف أجسادهن من الورد الأبيض ، لا يتزوج بهن إلا نبي أو صديق أو شهيد، ولأبي بكر منهن أربع مائة) .

وعن أبي هريرة (قلت : يا نبي الله حدثني عن الجنة ما بناؤها؟) قال : (لبنـــة مـــن ذهب ، ولبنة من فضة ، ملاطها المسك الأذفر، وتربتها الزعفران، وحصباؤها الـــدر والياقوت، من يدخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابـــه، ولا يفـــنى شبابه) .

وعن علي عليه السلام في قوله: { **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** }[١] قال :(الزيادة غرفة في الجنة من لؤلؤة واحدة لها أربعة آلاف باب) .

وعن النبي ﷺ(يبعث الله أهل الجنة على صورة آدم في ميلاده ، ثلاث وثلاثين سنة ، جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم) .

وعن النبي ﷺعن الله تعالى (أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم {**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**}[٢] وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم {**وظل ممدود**}[٣] .

وعن ابن عباس(طوبى : شجرة في الجنة ، ساقها من ذهب، الورقة منها تغطي الدنيا ، ليس في الجنة منزل إلا وفيه غصن منها ، ليس مما خلق الله من شيء إلا وهو فيها إلا الأنهار الأربعة) . شعر يحي بن معاذ:

لبيك لبيك أنت مولاي ... فارحم عبيدا إليك ملجاه

عليك يا ذو الجلال معتمدي ... طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خائفا وجلا ... يشكو إلى ذي الجلال بلواه

وما به عليه السلامة ولا ... أكثر من بغضه لدنياه

إذا خلي في الظلام مبتهلا ... أجابه الله ثم لباه

وعن النبي ﷺ(إن في الجنة لسوقا ما فيه بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها، وإن فيها لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلها ، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، وطوبى لمن كان لنا وكنا له) .

---

(١) يونس : ٢٦ .

(٢) السجدة : ١٧ .

(٣) الواقعة : ٣٠ .

وعن النبي ﷺ (الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة، وإن في الجنة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) .

وعن النبي ﷺ (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار كذلك) .

والآثار كثيرة ، وفيما ذكرناه فتح لباب المعرفة ، مما لم نذكره.

صفة النار نعوذ بالله منها

القرآن ناطق فيها بما لا يغبى على موحد ولا ملحد.

أما أصنافها فهي سبعة : قال الله تعالى : {**لها سبعة أبواب**}[1] وكأنها سبعة أبواب لسبعة أصناف ، أو لسبع جهات ، كل جهة لأصناف من المعذبين.

وأما مدة مكثهم : فقد أجمعت الأمة على خلود الكافرين.

ومعلوم من دين النبي ﷺ ضرورة والقرآن ناطق به والسنة قال الله عز وجل في اليهود : {**وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة**} إلى قوله : {**خالدون**}[2] قيل : قالوا مقدار عبادة العجل ، وقيل : قالوا : بمقدار معاصيهم. وغير ذلك من الآيات كثير ، والأخبار نورد بعضا منها.

فأما الفساق من أهل الصلاة ، فقالت المرجية : يجوز أن يخرجوا من النار.

وقطع بعض الأمة على الدخول والخروج ، والقرآن والسنة واردان بغير ذلك ، وبذم قائله قال الله تعالى : {**ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**}[3] والفاسق عاص لا يطلق عليه اسم الإيمان لكونه اسم مدح.

---

(١) الحجر : ٤٤ .

(٢) البقرة : ٨٠ ـــ ٨١ . وتتمة الآية :{ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أاتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}

(٣) الجن : ٢٣ .

وقوله تعالى : {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم}[1] ولقوله : {قد أفلح المؤمنون} الآيات وقال تعالى : {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا}[2] لما لم يعلموا بالإيمان.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان ومعرفة بالقلب)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) .

الإيمان أكرم على الله من ذلك ، وإذا ليس بمؤمن من دخل مع الكفار في وعيدهم بالخلود ، وإنما لم يدخل في بعض أحكام الدنيا ؛ لأن ذلك من قبيل التكاليف.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ثلاث من كن فيه فليس مني ولست منه ، بغض علي ، وبغض أهل بيتي ، ومن قال : الإيمان كلام) .

وقال تعالى : {لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى}[3]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة) دل على أنه لا يبقى مؤمنا ، فيدخل في وعيد الكافر ، وقد قال تعالى في العصاة من أهل الصلاة : {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها}[4] فنص على خلود القاتل.

وقال : {ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا}[5] دل على خلود العصاة من أهل الصلاة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لكل أمة يهود ويهود هذه الأمة المرجية) .

---

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٤ .

(٣) البقرة : ٢٦٤ .

(٤) النساء : ٩٣ .

(٥) الفرقان : ٦٨ ــ ٦٩ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صنفان من أمتي لا سهم لهما في الإسلام ، أهل القدر ، وأهل الأرجاء) .

وعن ابن عباس (اتقوا هذا الإرجاء فإنه شعبة من النصرانية).

وقال تعالى عقيب آية المواريث : {**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها**}[1] وقال : {**وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين**}[2] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا يدخل الجنة خمسة مؤمن بسحر ، ومدمن خمر ، وقاطع رحم ولا كاهن ، ولا منان).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد).

وعن عبد الله بن عمر "أن أهل النار يدعون مالكا فلا يرد لهم جوابا أربعين عاما ، ثم يرد عليهم {**إنكم ماكثون**}[3]" يعني دائمون أبدا ، ثم يدعون ربهم {**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**}[4] فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرتين ، ثم يرد عليهم {**قال اخسئوا فيها ولا تكلمون**}[5] فوالله ما ينبس القوم بعدها بكلمة ، ما كان بعد ذلك إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم أصوات الحمير ، أوله زفير ، وآخره شهيق) . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا مخلدا ، ومن تردي من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم

---

(١) النساء : ١٤ .

(٢) الإنفطار : ١٤ ــ ١٦ .

(٣) الزخرف : ٧٧ .

(٤) المؤمنون : ١٠٧ .

(٥) المؤمنون : ١٠٨ .

خالدا فيها مخلدا أبدا ، ومن تحسى سما فقتله ، فهو يتحساه في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا) .

وعنه ﷺ (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرفون وينظرون ، وكلهم قد رآه ، ويقولون : نعم ، هذا الموت . ثم يؤخذ ويذبح ، ويقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت ، فذلك قوله تعالى : {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة}[1] قال أهل الدنيا في غفلة . دل ذلك على خلود داخلها.

فأما مكانهم :

فقال تعالى : {إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون}[2] وقال : {فاهدوهم إلى صراط الجحيم}[3] .

وأما بيوتهم :

فقال تعالى : {لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش}[4] وقال : {لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل}[5]

وأما طعامهم :

فقال تعالى : {ليس لهم طعام إلا من ضريع}[6] وقال : {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون}[7] الآية . وقال : {ولا طعام إلا من غسلين}[1].

---

(١) مريم : ٣٩ .

(٢) الزخرف : ٧٤ ــ ٧٥ .

(٣) الصافات : ٢٣ .

(٤) الأعراف : ٤١ .

(٥) الزمر : ١٦ .

٦) الغاشية : ٦ .

(٧) الدخان : ٤٣ ــ ٤٥ .

وأما مياههم

فقال تعالى : {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه}[2] الآية .

وأما ثيابهم :

فقال تعالى : {قطعت لهم ثياب من نار}[3] وقال : {سرابيلهم من قطران}[4].

فأما وكلاء عذابهم :

فقال تعالى : {عليها تسعة عشر}[5] وقال : {سندع الزبانية}[6] {وقال الذين في النار لخزنة جهنم}[7].

فأما عذاب أعضائهم : أما الجلود :

فقال تعالى : {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب}[8].

وأما وجوههم :

فقال تعالى : {يوم تقلب وجوههم في النار}[9] الآية.

وأما رؤوسهم :

فقال تعالى : {ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم}[10]

---

(١) الحاقة : ٣٦ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) الحج : ١٩ .

(٤) إبراهيم : ٥٠ .

(٥) المدثر : ٣٠ .

(٦) العلق : ١٨ .

(٧) غافر : ٤٩ .

(٨) النساء : ٥٦ .

(٩) الأحزاب : ٦٦

(١٠) الدخان : ٤٨ .

وأما آنافهم :

فقال تعالى : {سنسمه على الخرطوم}[1].

وأما ظهورهم وجنوبهم :

فقال تعالى : {فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم}[2].

وأما أيديهم :

فقال : {خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه}[3].

وأما قلوبهم وأعينهم :

فقال تعالى : {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم}[4].

وأما بطونهم :

فقال تعالى : {وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم}[5].

وأما أرجلهم :

فقال تعالى : {إن لدينا أنكالا}[6] يعني قيودا.

وفي القرآن من هذا ما هو أكثر.

فأما الآثار في ذلك فكثيرة ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال : (ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من جهنم ، ولولا أنها غسلت بسبعين ماء ما أطاق آدمي أن يسعرها ، وإن لها يوم القيامة لصرخة ، لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على

(١) القلم : ١٦ .

(٢) التوبة : ٣٥ .

(٣) الحاقة : ٣٠ ــ ٣٢ .

(٤) الأنعام : ١١٠ .

(٥) محمد : ١٥ .

(٦) المزمل : ١٢ .

ركبتيه من صرختها ، ولو أن رجلا من أهل النار علق بالمشرق لأحرق أهل المغـرب حره) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إ(ن جبريل أتاه فقال أتيتك حين أمر الله بمنافح النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة. فقال : صف لي النار يا جبريل. قال : إن الله أمر بها فأو قد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أو قد عليها ألف عام حتى اصفرت ، ثم أو قد عليها ألف حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة لا يظيء لهبها ، ولا خمود لها ، والذي بعثك بالحق نبيئا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ، ولو أن ذنوبا من شرابها صب في ماء الأرض لقتل من ذاقه ، ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض لزالت وما استقلت ، ولو أن رجلا دخل إلى النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه ، وشويه خلقه وعظمه. فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام فقال جبريل : أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا ، و لم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه ؟ فقال : أخاف ربي إن عصيته فيدخلني النار)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم(إن في النار لحيات مثل أعناق البخت ، تلسع أحدهم لسعة يجد حموتها أربعين خريفا ، وإن في النار عقارب مثال البغال تلسع أحدهم لسعة يجد حموتها أربعين خريفا)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (جهنم سوداء مظلمة ، وأهلها سود ، وطعامها وشرابها وما أعد الله لأهلها أسود / والذي نفسي بيده لو أن رجلا اطلع وجهه في جهنم لاسودت الأرض وما عليها من سوء وجهه) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يلقى على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنفد الدموع ، ثم يبكون الدم حتى انه ليصير في وجوههم أخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن منهم من تأخذه النار إلى كفيه ، ومنهم من تأخذه إلى

ركبتيه ومن تأخذه إلى ترقوته) .

وعن النبي ﷺ في قوله : {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[1] قال : الماء يقرب إليهم ، فإذا أدني منه شوى وجهه ، فإذا شربه قطع أمعاءه) .

وعن النبي ﷺ في قوله تعالى : {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ}[2] قال : تلفحهم النار لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم) .

وعنه ﷺ(إن جهنم إذا سيق إليها أهلها لفحتهم لفحة لم تدع لحما على عظم إلا ألقته على العرقوب) .

وعنه ﷺ في قوله تعالى : {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[3] قال : (ينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى الجوف ، ويستلب ما في جوفه ، ثم تمر من قدميه وهو الصهر ثم يعاد على ما كان) .

وعنه ﷺ في قوله : {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}[4] قال : تشويه ، فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلي حتى تبلغ سرته)

وعنه ﷺ في قوله : {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ}[5] قال : (لو وضع مقمع من حديد في الأرض ، ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض) .

والآثار في هذا الباب كثيرة.

وعن الرقاشي قال : "ذكر النار شديد فكيف النظر إليها. والنظر إليها شديد فكيف الوقوع فيها. والوقوع فيها شديد فكيف الخلود فيها".ويقال : سبعة لا يمكن وصفها : عظمة الله سبحانه ، وبلاء الدنيا ، ونكاية إبليس وسكرات الموت ، وأهوال القيامة ، ونعيم الجنة ، وشدائد النار.

---

(١) محمد : ١٥ .

(٢) المؤمنون : ١٠٤ .

(٣) الحج : ١٩ .

(٤) المؤمنون : ١٠٤ .

(٥) الحج : ٢١ .

وعن عيسي عليه السلام "كم من نفس صحيح ، ووجه صبيح ، ولسان فصيح ، غدا بين أطباق النيران يصيح" .

مالك بن دينار قال : "لو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في منازل الدنيا : يا أيها الناس النار النار).ولبعضهم شعرا :

مقام المذنبين غدا ذليل	إذا ما النار قربها الجليل
ونادى مالكا خذ من عصاني	فإن اليوم ليس لهم مقيل
عصوني واستخفوا بي زمانا	وغرهم تفضلي الطويل
يخر لوجهه باك ينادي	إلهي قد عصيت فما السبيل

عن ابن عمر قال : "يقول أهل النار : يا مالك ليقض علينا ربك. فلا يجيبهم أربعين عاما ، ثم يجيبهم {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}فيقولون : {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}[1]. فلا يجيبهم قدر الدنيا ثم يجيبهم {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[2]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تقول جهنم للمؤمن : يا مؤمن جز فقد أطفأ نورك لهبي).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصناف يدخلون النار ـــ الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، والعلماء بالحسد ، وأهل الرساتيق بالجهل) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تعوذوا من وادي الحزن)قالوا : (وما وادي الحزن) ؟ قال : (واد في جهنم ، إذا فتح استجارت منه سبعين مرة ، أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم ، وإن من شرار القراء الذين يزورون الأمراء) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يلقى على أهل النار الجوع ، حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بالشراب فيغاثون بالحميم في كلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، وإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم

---

١) المؤمنون : ١٠٧ .

(٢) المؤمنون : ١٠٨ .

، فيدعوهم فيقولون : {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ، قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}[1] الآية ، فيقولون : ندعو مالكا ، فيقولون : {وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} قال : فيجيبهم {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}[2] قال : فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم فيقولون : {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[3] قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والعويل)[4].

وعن الحسن "لقي رجل أخا له ، فقال : يا أخي أما علمت أنك وارد النار ؟ قال : نعم. قال : فأيقنت أنك صادر عنها ؟ قال : لا. قال : ففيم اللعب ؟ ففيم الضحك ؟ ففيم اللهو؟"

وعن كعب "ينظر الله إلى العبد وهو عليه غضبان ، فيقول : خذوه . فيبتدره مائة ألف ملك أو يزيدون ، كلهم غضبان لغضب الرب ، ثم يُجَرُّ على وجهه إلى النار ، وهي أشد غضبا عليه سبعين ضعفا ، فيستغيث بشربة من ماء ، فيسقى شربة من ماء لا يبقي له لحما على عظم إلا سقط ، ثم يكدس في النار ، فويل له من مكدوس فيها ، يهوي سبعين خريفا"

وعن كعب قال : "إذا كان يوم القيامة أمسكت جهنم للناس هكذا ــ وضم أصابعه ــ حتى يستوي عليها أقدام الخلائق ، برهم وفاجرهم فينادي بها مناد ، خذي أصحابك ، ودعي أصحابي . قال : فلهي أعرف بمن تعذب فيها من الرجل بولده ، ومن المرأة بولدها فتخسف بهم).

تكملة لهذا الأصل ، وتوطئة لما بعده

اعلم أيها الطالب للنجاة أن المكلف لا يمكنه الخلاص بمجرد ظواهر أفعال العبادات

---

(١) غافر : ٤٩ ــ ٥٠ .

(٢) الزخرف : ٧٧ .

(٣) المؤمنون : ١٠٦ ــ ١٠٨ .

(٤)

والقرب إلا بعد معرفة سبعة أمور ، ثم العمل بحسب علمه بها ، وهي أن يعـــرف ربـــه ، ويعرف نفسه ، ويعرف دنياه ، ويعرف أعداءه ، ويعرف نصحاءه ، ويعرف داءه ، ويعـــرف دواءه.

أما معرفة ربه :

فهي أن يعرفه إلها لا شريك له ولا ند ، ولا مثل له ولا ضد ، وانه لا بدايـــة لـــه ولانهاية ، ولا أول له ولا آخر ، ولا اتصال ولا انفصال ، ولا حلول ولا مكان ، قادر لا يعجز ، عالم لا يجهل ، حي لا يموت ، عدل في قضيته ، حكيـــم في أمـــر بريته.

هدى وأرشد ، ووفق وسدد ، وأنذر وأعذر ، وبشر ووعد ، وأوعد وزجر وتهـــدد ، وشرع الشرائع ، وافتطر البدائع ، وقضى بالحق ، وحكم بالصدق ، وأرسل الرسل لبيان ما حرم وأحل ، كل ذلك رحمة منه لعباده ، ومبالغة في هدايته لهم وإرشـــاده ، فله الصفات العلياء ، والأسماء الحسنى.

ويعرف ذلك كله بما ذكرناه من الأدلة في هذا الفصل المنطوي على المعارف الـــتي شرحناها معرفة يقينية لا يداخله فيها شك ولا ريب.

وأما معرفة نفسه

فهو أن يعرف أنه عبد مملوك ، من نور أحدثه مالكه وهو ربه ، وخلقه ، وصوره ، وقدَّره وأنعم عليه بنهاية ما يمكن في حقه من النعم ، التي لم تكن تصلح في حقه نعـــم أعظم منها ولا أكثر مما تقتضيه الحكمة الإلهية ، ويعرف أنه في نفسه ضعيف حقـــير ، مسكين صغير ، جعل أصله من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغـــــة ، كان منـــزله أخس منـــزل ، ومسكنه أذل مسكن ، إبتداء محله وقراره في موضـــع ذلة وصغار ، موضع الحيض والقذارات والأماكن المنفورات ، خرج من مجرى البـــول مرتين ، ومر من الطريق الرذلة في طريقين ، مشى عند خروجه منكوسا على أم رأسه ، حتى رجع إلى الأصل الذي خلق وهي الأرض ذات الصدع ، إما سعيدا بعملـــه ،

وإما شقيا بقبيح فعله ، صغيرا حقيرا ضعيفا لا يعقل ولا يفهم ، ويجهل ولا يعلم ، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا حياة ولا موتا ، ولا سمعا ولا بصرا ، ولا نطقا ولا عقلا ، ولا شهوة ولا لذة ، والله تعالى يربيه أحسن التربية ، ويغذيه أحسن الغذاء ، ويكبره وينميه ، ويحفظه ويحميه ، ويزيد في جسمه ، وفي سمعه ، وفي بصره ، وفي عقله ، وتعريف نطقه قليلا قليلا ، حتى يصير شابا جميلا ، سميعا بصيرا ، عاقلا نظيفا ، يجتلب النفع ويجتنب الضرر ، وصار يكتم أقذاره التي تخرج من سبيله ، وكان قبل ذلك يتلوث بها ولا يخفيها ، وكان قبل ذلك متظاهرا بما يكره أن تصيب نعله ، ويودعها بطنه ، ويعرف أنه يأكل ويشرب ، ويجوع ويعطش ، ويزيد وينقص ، وتعتريه الأمراض والعاهات ، ويصيبه ما يكره من الآفات ، ويعرف أنه يبول ويتغوط ، ويخرج منه القذارات من الحيض والمني ، والمذي والودي ، فإنه لا يزال يحمل ذلك كله ، وكلما خرج منه شئ خلفه آخر من جنسه ، ويعرف أنه يلد ويولد ، وينام ويتيقظ ، ويبزق ويتمخط ، ويعتريه الوسخ والنتن والعرق ، والخوف والقلق ، والهم والغم ، واللذة والألم ، والشهوة والنفرة ، والفاقة والحاجة ،ويعرف أنه يجوز عليه التوهم والتخيل ، والظن والعجز والجهل ، والعمى والصمم ، والبكم والخرس ، إما عاجلا وأما آجلا ، ويعرف أنه كلما دامت حياته يبلى شبابه ، وينحل جسمه ، وتزول نظارته ، وتتكفت جلدته ، ويبيض شعره ، وتضعف قوته ، وتقل شهوته وبهجته ، ويتناقص سمعه وبصره ، وحسه وعقله ، وتسقط أسنانه ، ويرتفع حسنه وإحسانه ، ويعود إلى أرذل من حال الصغر والتربية ، ثم يموت ويفنى ، ويصير بين أهله ملقى كالحجر الصماء ، وهي أعز منه وأنفع وأجدى ، يستوحش أحبابُه قربه ، ويحبون بُعْدَه ، ثم يرد إلى باطن أصل خلقته وهو الثرى ، مطروحا في لحده ، منفردا بعمله ، ينتن ويقذر ، وتسارع إليه الديدان عند شمها لرائحته ، ثم تتقذره وتتركه ، ثم يبلى جلده ثم عظمه ، ثم يصير ترابا مطحونا ، ثم هباء منثورا ،ثم يجمع ربه جسمه من كل أو ب ومكان ، ويعيده إلى ما كان ، ويسمعه دعاء الداعي إلى أمر نكر، ثم يبعث وينشر ويحشر ، ويواف به إلى المحشر ، ويسأل ويحاسب ، ويصير بعد ذلك إما

إلى جنة يدوم نعيمها ، أو إلى نار لا ينفد عذابها .

فهذه صفة العبد في نفسه ، وهي نقيض صفة ربه ، فإن الله تعالى أزلي ، والعبد أولي ، وخالق والعبد مخلوق ، ورازق والعبد مرزوق ، وقادر والعبد يعجز ، وعالم والعبد يجهل ، وحي والعبد يموت ، وإله مالك والعبد مملوك مربوب ، وليس بجسم والعبد جسم ، ولا يحله عرض ويحل العبد العرض ، وللعبد كيفية وكمية وكونية وزمانية ، والرب يتنزه عن ذلك ، والله تعالى عدل ، والعبد فيه الجهل ، يظلم نفسه وغيره ، والله تعالى يبين ويمكن ويرشد ويهدي ، والعبد يَضَل ويُضِل ، ويَغْوى ويغوي ، والله تعالى ينعم ويثيب ويعاقب ، والعبد على نقيض هذه المناقب.

فهذه صفة العبد الذليل وتلك صفة الرب الجليل ، وفي معرفة ذلك ما يدعو إلى التواضع والإذلال للنفس لطلب عزها الأبدي ، والإجلال لله عز وجل بالجريان في ميدان رضاءه في الفعل والترك.

وأما معرفة الدنيا

فهي أن تعرف أنها دار سرور وشرور ، ودار نصيحة وغرور ، ودار بلاء ونعماء ، ودار منفعة ومضرة ، ودار التكليف ، وطريق المحل الشريف ، ومزلة القدم ، ومنهج جلائل النعم ، فهي جامعة للخير والشر ، والنفع والضر ، إن ابتغيتها وتبعتها غرتك ، وإن نبذتها وأنأيتها نصحتك وسرتك ، فهي طريق الجنة لمتخذها طريقا ، ومنهج النار لمن كان لها عشوقا ، وهي على حالة واحدة في الزوال والانفصال ، والتغير من حال إلى حال ، وقد ورد فيها المدح والذم على المعنى الذي ذكرناه ، قال تعالى : {[اعْلَمُوا] أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ}[1] الآية فهذا ذم لها .

وقال : {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}[2] بين أن فيها حظا حسنا.

وقال تعالى : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[1] وهذا

---

(١) سورة الحديد : ٢٠

(٢) سورة القصص : ٧٧

فيه إباحة ، وقال : {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}[٢] الآية وفيه معنى الحظر والكراهة ، وذلك لأنها جامعة للأمرين جميعا ، والسنة واردة بذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر ، إنه إذا قال العبد : لعن الله الدنيا. قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه)[٣].

وعلى هذا المعنى قال الشاعر :

يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

فهذا مدحها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم المختار وآله الأطهار ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء) وهذا تحقير لها وتصغير لحالها.

وقد وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأحسن وصف حين سمع رجلا يذمها ، فلما أطنب الرجل في ذلك قال عليه السلام : "أيها الذام للدنيا ، أنت المجترم عليها ؟ أم هي المجترمة عليك ؟ قال : بل أنا يا أمير المؤمنين. فقال : ويحك ففيم تذمها ؟ أليست منزلة صدق لمن صدقها ؟ ودار عمل لمن تزود منها ؟ ودار عاقبة لمن فهم عنها ؟ مسجد أولياء الله ، ومصلى أنبيائه ، ومهبط وحيه ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد أذنت ببينها ، ونادت بانقطاعها ، ونعتت نفسها لأهلها ، فمثلت ببلائها البلاء وشوقت بسرورها إلى السرور ، وراحت بفجيعة ، وابتكرت بعافية ، فذمها رجال يوم الندامة ، وحمدها آخرون حدثتهم فصدقوا ، وذكرتهم فذكروا ، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذمت لك ؟ بل متى غرتك ؟ أبمصارع آبائك من البلاء ؟ أم بمصارع أمهاتك

---

١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) لقمان : ٣٣

(٣) هو في كنز العمال رقم ٦٣٤٣ ، إلى قوله : (ينجو من الشر) وقال : أخرجه الديلمي ، وابن النجار ، عن ابن مسعود ، ورواه في كشف الخفاء عن الديلمي عن ابن مسعود رقم ٣٠٢٩ ، ٢/٤٩١ ، بلفظ (لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن) .

تحت الثرى ؟ كم عللت بيدك . وكم مَرَّضْتَ بكفك تلتمس لهم الشفاء ، وتستوصف لهم الأطباء ، لم تشفع بشفاعتك ، ولم تستغن بطلبتك ، مثلت لك الدنيا بمضجعه مضجعك ، وبمصرعه غدا مصرعك ، حتى ما يغني بكاؤك ، ولا ينفع أحباؤك ، ثم التفت إلى الحسن فقال : إن قوما يذمون الدنيا وهي راحلتهم إلى الآخرة)[1] .

وإنما نهى عن ذمها من نسب أفعاله القبيحة إليها ، وأفعال الله المنفورة عنها إليها ، فأما من ذمها بمعنى : أنه أخبر بحقارتها وهوانها على ربها ، وسرعة زوالها وتنقلها ؛ لئلا يغتر بظاهر زخرفها ، فلا حرج عليه في ذمها كذلك.

فقد ذمها من هو أعلم بها ، ووصفها بالاستحقار خالقها وربها ، قال تعالى : **{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ}**[2] الآية وقال : **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**[3] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها) .

وعن علي عليه السلام (الدنيا جيفة فمن أرادها وطلبها فليصبر على مخالطة الكلاب)

ويروى (الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وشهواتها يطلب من لا فهم له ، وعليها يعادي من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يطرب من لا بقاء له).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما الدنيا إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليَمِّ فلينظر بم يرجع ولعلي عليه السلام :

ومن يصحب الدنيا يكن مثل على الماء خانته فروج الأصابع

---

(١) قول أمير المؤمنين :(أيها الذام للدنيا) الخ هو في نهج البلاغة قصار الحكم ١٣١ ، وانظر تخريجه في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين .

(٢) يونس : ٢٤ .

(٣) آل عمران : ١٨٥. سورة الحديد : ٢٠ .

وعن محمد بن الحنفية (من كرمت نفسه عليه صغرت الدنيا في عينه).

وعن النبي ﷺ (من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله تعالى) .

وعن عامر بن عبد القيس قال : "لو أعطيت الدنيا بحذافيرها رددتها بعيوب ثلاثة ؛ لأنها عقوبة آدم ، وجنة الكافر ، ومجاورة إبليس" .

ولبعضهم "الدنيا غرارة مكارة لو بقيت لها لم تبق لك ، وإن بقيت لك لم تبق لها"

شعر لأبي العتاهية :

فكرت في الدنيا وجدّتها فإذا جميع جديدها يبلى
وإذا لها ثوب يعد لنا في كل موضع نظرة أفعى
وبلوت أكثر أهلها فإذا كل امرؤ في شأنه يا رب
ولقد نظرت فلم أجد أحدا بأعز من قنع ولا أغنى
ولقد خبرت فلم أجد كرما أعلى بصاحبه من التقوى
ولقد مررت على القبور فما ميزت بين العبد والمولى
دار الفجائع والهموم ودا ر البث والأحزان والشكوى
ولقل يوالإمام ذر شارقه إلا سمعت بهالك ينعى
مر المذاقة غب ما اجـ تلبت منها يداك وبية المرعي
بينا الفتى فيها بمنزلة إذ صار تحت ترابها ملقى

وقيل : (الدنيا غنيمة الأكياس ، وحسرة الحمقى).

وقيل : (الدنيا مفيدة ومبيدة ، فما أفادت أذن بالرحيل ، وما أبادت فلا رجعة فيه). فهذه صفة الدنيا مختصرة.

وأما معرفة أعدائه

فهو أن يعرف أن له عدوين الهوى والشيطان ، وهما يصدانه عن الحق ، ويحملانه على الباطل ، ويأتيانه عن يمينه وشماله ، ومن خلفه وأمامه ، قال تعالى في الشيطان :

{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ}[1] الآية وقال : {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[2] وهو حريص على الوفاء بهذا القسم ، من غير إجلال لمن أقسم به ، بل على وجه المخالفة له.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : (ما من أحد يخرج من بيته إلا وعلى بابه رايتان ، راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج في طاعة الله تبعه الملك برايته حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج فيما يكره الله عز وجل تبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع) .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (إن المؤمن لينضي الشيطان كما ينضي أحدكم بعيره في سفره) .

وعن بعضهم "ما دخلت في شئ من أعمال البر ثم خرجت منه فحاسبت نفسي ، إلا وجدت نصيب الشيطان أو فر من نصيب الله ، ليته لا لي ولا علي) .

وعن النبي ﷺ (إن البلاء موكل بالقول ، ما قال عبد لشيء :والله لا أفعله أبدا إلا ترك الشيطان كل عمل وولع بذلك حتى يؤثمه) .

وعنه ﷺ (إن أناسا من أمتي يقرؤون القرآن ، ويتفقهون في الدين يأتيهم الشيطان فيقول : لو أتيتم الملوك فأصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم ، ألا ولا يكون ذلك أبدا) .

وعنه عليه‌السلام (ما يخرج رجل شيئا من الصدقة حتى يفك عنه لحيي سبعين شيطانا)

وأما الهوى

فهو العدو القريب حلاله قال تعالى : {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}[3] فعرفت عداوة الهوى للحق.

---

(١) الأعراف : ١٧ .

(٢) ص : ٨٢ .

(٣) المؤمنون : ٧١ .

وقال تعالى : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}[1] الآية.

وعن النبي ﷺ (إن الشديد ليس الذي يغلب الناس ، ولكن الشديد من غلب نفسه) .[2] وفي آخر حديث (وبئس العبد عبد [3]هوى يضله).

وما ذكر الله الهوى إلا ذمه في كتابه ، قال تعالى : {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}[4].

وقيل : إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار.

وعن ابن عباس قال : (كل هوى ضلال).

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : (من غلب عقله هواه فذلك العلم النافع ، ومن جعل شهوته تحت قدمه فر الشيطان من ظله ، ومن فرح قلبه بشيء من عرض الدنيا فقد أخطأ الحكمة) .

واعلم أيها الطالب أن أحد عدويك أخف عليك من الآخر ، وهو الشيطان قال الله تعالى : {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[5] ولا يتم له فيك أثر ولا مدخل إلا من قبل هواك ، فتبين أن الهوى هو العدو المعاند ، الذي ينبغي أن تتعرفه لتحذره.

وأما معرفة النصحاء

فهم ثلاثة : العقل ، والكتاب ، والسنة ، فإن هؤلاء الثلاثة لا يشيرون عليك إلا بالنصيحة ، ولا يهدونك إلا إلى الآراء الصحيحة ، فإنه قد ثبت لك صحتهن بما تقدم في أول هذا الأصل.

---

(١) النازعات : ٤٠ .

(٢)في مسند أحمد رقم ٦٩٢١ ٦٩٢١حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ *]
١٠٢٨٤حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ *]

٣) وفي نخ (وبئس العبد عبد له هوى يضله) .

(٤) الكهف : ٢٨ .

(٥) النساء : ٧٦ .

واعلم أن السنة إنما تشير عليك بما في الكتاب ، إما مجملا وأما مفصلا ، والكتاب إنما يشير عليك بما في العقل ، إما جملة وأما تفصيلا.

فالعقل الذي تنتهي إليه النصائح ، وهو ينتهي إلى ربك وخالقك جل وعز ، فهو المنعم عليك ، والناصح لك والمتولي لأمرك ، واليه يرد الأمر كله ، فينبغي أن يكون اعتمادك عليه ، كما أن مصيرك إليه ، وذلك لا يتم لك إلا بالجريان في ميدان رضله ولو أسخطك لما قد تحققت أنه ناصحك ومعلمك ، والهادي لك ، والنافع لك ، والمنعم عليك ، والمربي لك من صغرك إلى كبرك ، والموفق لك والمقوي لك ، والمعرض لك للصلاح ، وليس له حاجة إليك ولا اعتماد عليك ، فأنت المحتاج وهو الغني ، وأنت الضعيف وهو القوي ، وأنت العبد

وهو المولى ، وأنت الذليل الوضيع وهو العلي الأعلى ، وأنت المنقوص في الذات والصفات وله الأسماء الحسنى ، فاعمل بحسب علمك ، وجد في أمرك.

وأما معرفة الداء

فهو أن تعرف أيها الطالب للنجاة جميع الذنوب والسيئات ، وتميزها عن غيرها من الطاعات والمباحات والمكروهات ، فإن الأدواء الدوية المزمنة ، والأمراض المهلكة الموهية هي الذنوب ، والمعاصي الجامعة بين الأقدام والنواصي ، قال تعالى في صفة المنافقين : {**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**}[1] يعني معصية وذنب ، وهما الشك والريب.

فبين تعالى أن الذنوب هي الأمراض والآفات ، والأدواء والعاهات.

وقال النبي ﷺ لأصحابه : (ألا أخبركم بدائكم من دوائكم؟قالوا : بلى يا رسول الله قال : داؤكم الذنوب ، ودواؤكم الاستغفار) .

فبين عليه السلام أن الأدواء الحقيقية هي المعاصي والذنوب ، وأن الأنكحة[2]

---

(١) البقرة : ١٠ .

٢) النكاح هنا عبارة عن الاقتران بالأجساد ، والمراد بها هنا الأمراض ، وعبر بالنكاح لأنه بمعنى التلازم وضم البعض إلى البعض .

الأخروية إنما ترد بهذا الضرب من العاهات والعيوب لاما يكون في أحكام الدنيا عيبا[1] فإن ذلك لا يزيد من الله إلا قربا.

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (عظم الجزاء على عظم البلاء إذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضاء ، ومن سخط فله السخط).

ولما اشتدت بأيوب عليه السلام البلوى قالت له زوجته : يا أيوب إلا تدع الله فيكشف عنك فقال : قد أتى علي في الرخاء سبعون سنة فدعيني حتى يأتي علي في البلاء سبعون سنة ليكون الشكر لله ، ثم ندعو الله بالعافية. وقال تعالى : {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[2]

وعن وهب "ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة) وعنه : أنه قرأ في بعض الكتب كتب الحواريين إذا سلك بك البلاء فقر عينك ، فإنه سلك بك سبيل الأنبياء والصالحين ، وإذا سلك بك سبيل الرخاء فابْكِ على نفسك ، فقد خولف بك عن سبيله).

نعم ـــ فبان لك أن الأدواء والعاهات إنما هي الذنوب والسيئات.

وروى أن عثمان دخل على عبد الله بن مسعود وهو شاكٍ ، فقال له ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : المغفرة.

ومرض أبو الدرداء فعادُوه ، فقالوا : ما تشتكي ؟ قال ذنبي.قالوا : فأي شئ تشتهي ؟ قال : الجنة.قالوا : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال : هو أضجعني.

فهذان العالمان من الصحابة رضي الله عنهم سئلا عن مرضهما ودائهما ، فأجابا بأن ذلك هو سيئاتهما وذنوبهما ، فتحققت صحة ما ذكرت لك من أن الأمراض والأدواء هي الذنوب التابعة للأهواء.

ـــ في أمالي قاضي القضاة قال : "مر بعض الزهاد ببعض المتطببين ، وعنده رجال

---

١) في نسخة (ما لا يكون في أحكام الدنيا عيبا)

(٢) ص : ٤٤ .

ونساء ومعهم قوارير يرونه ، ويصف لكل واحد منهم على قدر ما يرى من علته ، فتقدم إليه الزاهد فقال : أيها المتطبب أعندك دواء الذنوب ؟ وكان المتطبب حكيما ، فأطرق ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه فقال : تفهم إن وصفت ؟ قال الزاهد : نعم قال : خذ عروق الفقر بورق الصبر ، وهليلج التواضع بيليلج الخشوع ، واطرحه في هاون التوبة ، واسحقه سحقا ناعما بدستق التوفيق ، واطرحه في طنجين التقى ، وصب عليه ماء الخوف ، وأوقد عليه نار المحبة ، ثم صفه بمنخل الفكر ، في جام الرضاء ، ثم روحه بمروحة الجد حتى يبرد ، فإذا برد صببته في قدح المناجاة ، ثم حركته بملعقة الاستغفار ، ثم شربته ، ثم تمضمضت بعده بالورع فإنك لا تعود إلى معصية أبدا.

واعلم أيها الطالب للنجاة أن الأمراض الأخروية وهي الذنوب على مثال الأمراض الدنياوية ، فكما أنها تعرض في الأجساد الجسمانية ؛ لأنها محالها ، فكذلك الأمراض الأخروية التي هي الذنوب ؛ فإنها لا تعرض إلا في الأجساد الجسمانية ؛ لأنها محالها ، وبها تقع وتحصل ، وكما عود الله تعالى أن الأمراض الدنياوية قد تكون بمواد وأسباب ، كما يقال : موادها وأسبابها هيجان أحد أربعة أشياء ، وهي الصفراء ، والبلغم ، والسوداء ، والدم ، فكذلك الأمراض الأخروية وهي الذنوب فإنها تهيج بسبب أربعة أشياء ، وهي موادها وأسبابها ، وهي : الجهل الذي هو نقيض العلم ، وحب الدنيا ، وطول الأمل ، وقلة التأمل للجزاء على العمل ، فإن بسبب هذه الأربعة تهيج الذنوب ، ولكل واحد منها تأثير في جنس من السيئات ، ينطوي على أنواع كثيرة ، كما ذكرنا في القسم الأول من هذا الكتاب ، وكما أن الأجساد تفتقر من الأمور الدنياوية إلى غذاء ودواء ، فكذلك تفتقر من الأمور الأخروية إلى غذاء ، وهي الطاعة لرب العالمين ، وإلى دواء وهو ما يزول معه الداء الدفين ، على ما نبينه إن شاء الله تعالى .

فانظر إلى راهب وهو يخرج إلى الجبل فقيل : أين تريد ؟ فقال : أطلب العيش . قالوا : خلفت العيش وراءك في المدينة. قال : وما تعدون العيش فيكم ؟ قالوا :

الطعام والشهوات. قال : ليس هو عندنا هكذا ، إنما العيش أن تدعــو نفســك إلى طاعة فتجيبك.

فأخبر الراهب أن الغذاء هو الطاعة كما ذكرت لك.

وكما أن الداء يمنع من مواصلة الغذاء ، ويصرف عن شهوته فكذلــك الذنــب يصرف عن فعل الطاعة ، ويقع الخذلان بسببه.

قال النبي ﷺ : (إن العبد ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل) .

نعم . وكما أن الغذاء الدنياوي ينقسم إلى ما لا بد منه في بقاء الحياة ، وإلى مـــا يكون من الفضلات المقويات ، والمربيات والمسمنات ، فكذلك الغذاء الأخـــروي ، وهي الطاعة فإنه ينقسم إلى ما لا بد منه في لزوم الحيـــاة الهنيـــة ، وهـــي الطاعـــة بالواجبات ، وإلى ما يكون من الفضلات المرقية إلى أعلى الدرجات ، وهو ســـائر الطاعات من المندوبات.

وكما أن الداء الدنياوي ينقسم إلى ما يكون مقاوما للغذاء الدنياوي ومساويا لـه ، فيكون رافعا لنفع الغذاء ومزيلا له ، وإلى ما يكون ناقصا عنه ، ويكون مزيلا لبعض نفع الغذاء ، وإلى ما يكون زائدا عليه ويكون ضارا ومزيلا لنفع الغذاء.

وينقسم الزائد على الغذاء إلى ما تكون زيادته عظيمة ، وإلى ما تكون نـــزرة قليلة ، وإلى وسائط بين ذلك ، وإلى أعلى منها وأعظم ؛ فتزول منفعة الغذاء ، وتعظـــم مضرة الداء ، فكذلك الأدواء الأخروية ، وهي الذنوب فإنها تنقسم إلى ما يكـــون مساويا للغذاء الأخروي وهو الطاعات ، ومقاوما له ، وإلى ما يكون ناقصا عنـــه ، وإلى ما يكون زائدا عليه ، فالأول والثاني هي الصغائر من السيئات ، وأحدهما وهـــو المساوي يكون أعظم من الآخر ، وهو الناقص.

والثالث : وهو الزائد من الداء على الغذاء وهو الكبائر ، وهي تنقسم إلى ما تكون زيادته عظيمة جدا وهي الكفر. وإلى مادون ذلك وهو الفسق ، وكلمـــا عظمـــت زيادته كان أكثر حتى ينتهي إلى منـــزلة الكفر.

ثم الكفر أيضا يتزايد حتى ينتهي إلى نفي الربوبية ، أو إثبات الشريك ، ثم لا داء أعظم من ذلك أصلا.

فعرفت أن الأدواء الأخروية على مثال الأدواء الدنياوية ، فكما يجب حسم مادة الأدواء الدنياوية عند خوف هيجانها ، فكذلك يجب حسم مادة الأدواء الأخروية وهي الذنوب ؛ لئلا تهيج ، ويجب التجنب لها ؛ لأن المكلف قادر على تجنبها ، كما يجب تجنب المضار والمتالف الدنياوية.

وهذا شئ يعلم بضرورة العقل ، فناقص العقل وخسيس المنزلة عند العقلاء من يعمل بخلافه.

فالعجب ممن يتجنب المضار الدنياوية ، ويحمي نفسه عن ألذ الأشياء عنده وأحبها إليه ، من المطعومات والمشروبات ، والمشمومات والمنكوحات ، وغير ذلك من المشتهيات ، وكل ذلك خوفا من حدوث الأمراض والعاهات الدنياوية ، مع أنها فانية زائلة بلا محالة ، فإن أكثر ما يبلغ به أن تؤدي إلى زوال حياته ، وذلك مزيل لألمه ومضرته ، ومع ذلك لا يتجنب المضار الأخروية وهي الذنوب ، ولا يحمي نفسه عما يمدها من الجهل وحب الدنيا ، وطول الأمل ، والغفلة عن الفكر فيما يجازي به على العمل ، مع أن مضارها تتأبد ولا تفنى .

وهي مع ذلك أعظم بأضعاف كثيرة من مضار الدنيا ، فإن كل بلاء دون النار عافية ، كما ورد عن سيد البشر ، وقد بينا في القسم الأول من هذا الكتاب أنواع المعاصي وأعدادها ، وصورها وموادها ، وإن كانت كثيرة جدا ، وتحتاج إلى بحث وتأمل ، فإذا أردت أيها الطالب معرفة الأدواء الأخروية على التفصيل فعليك بما قدمنا هنالك ، فهذه معرفة الداء.

وأما معرفة الدواء

فاعلم أيها الطالب للنجاة وفقك الله أن الدواء النافع ، والشفاء الحاسم للداء القاطع ، هو التوبة النصوح ، وعلى هذا جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا

أنبئكم بدوائكم من دائكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فإن داءكم الذنوب ودواءكم التوبة والاستغفار) نعم : وكما أن الأدواء الدنياوية تزول بالأدوية ، فكذلك الأدواء الأخروية ، وهي الذنوب تزول بالأدوية الأخروية ، وهي التوبة ، وكما أن ما تزول به الأمراض الدنياوية قد تكون غذاء ، وقد تكون دواء ، فكذلك الأدواء الأخروية وهي الذنوب قد تزول تارة بالأغذية الأخروية ، وهي الطاعات ، كما قال تعالى : ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾[1] وقد تزول بالأدوية الأخروية ، وهي التوبة على ما نذكره الآن ، بمشيئة الله وعونه.

والآن أرشدك أيها الطالب للنجاة إلى معرفة عشرة أمور في التوبة ؛ ليكون ذلك داعيا إلى استصحابها في أثناء تكليفك ، وباعثا لك على استهدائك مطايا الاستغفار أيام عمرك ، وهي هذه :ـ

المعرفة الأولى منها : بيان وجوب التوبة.

والثانية من المعارف : بيان فضلها ومنفعتها.

والثالثة : بيان معناها وماهيتها.

والرابعة : بيان شروطها وصفتها.

والخامسة منها : بيان قبولها.

والسادسة منها : بيان ما يفسدها ويمنع منها.

والسابعة منها : بيان وبال تأخيرها وعدمها.

والثامنة منها : بيان وقت انحسام منفعتها.

والتاسعة منها : بيان ما ورد في كيفية التلفظ بها.

والعاشرة منها : بيان أسبابها ، وتعيين جماعة من أربابها.

وبذلك يكمل غرضنا من الكلام في الدواء النافع ، والشفاء الحاسم القاطع ، إن

---

(١) هود : ١١٤ .

شاء الله تعالى ، وبه الحول والقوة.

المعرفة الأولى منها : بيان وجوب التوبة

قد ثبت أن العقلاء يوجبون دفع الضرر عن النفس ، ويذمون من أخل بذلك ، ولهذا من ظهرت فيه أمارات الجذام ــ فإن العقلاء يوجبون عليه دفع ذلك بالأدوية الكريهة الشاقة ، فكيف لا يجب دفع الداء العظيم ، والذنب الجسيم ، الذي لا مضرة أعظم منه ؛ لأنه يؤدي إلى العقاب الذي لا أعظم منه يتصور في العقول أبدا ، وأيضا فإن من أساء إلى غيره فإن العقلاء يوجبون عليه الاعتذار إليه ، ويذمونه على تركه ، فإن كان المساء عليه منعما على المسيء كان وجوب الاعتذار والتوبة من إساءته آكد ، وكلما كثرت النعمة كان حكم الإساءة أعظم ، ووجوب الاعتذار والتوبة من إساءته آكد ، ولا نعمة أعلى من نعمته تعالى على عباده ، ولا يتصور أعظم من قبح إساءتهم إليه جل وعز ؛ لما بينا أنهم يعصونه بنفس نعمته ، وفي حال وصولها إليهم ، وغير ذلك ، فوجوب التوبة والاعتذار إليه تعالى آكد مما في الشاهد ؛ ولهذا قال تعالى :{توبوا إلى الله توبة نصوحا} وقال تعالى : {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}[1] وغير ذلك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا ، وأكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتجبروا وتنصروا) .

والعجب ممن يعصي ربه ، ويكفر نعمته ، ويهلك نفسه ، ويغضب خالقه ، وهو تعالى مع ذلك يدعوه إلى الرجوع إليه ، ويعده أنه يغفر له ، ويقبل توبته ، ثم هو هارب منه مصر على معصيته ، معتمد على غيره ، ونعمه تعالى مع ذلك كله متواترة إليه ، متوالية عليه ، هل هذا إلا عبد سوء مشؤوم ، ناقص العقل ، قليل الدربة ــ والله المستعان ، وعليه نتوكل ، وإليه المصير.

---

(١) الزمر : ٥٤ .

المعرفة الثانية : بيان فضلها ومنفعتها

اعلم أيها الطالب للنجاة أن التوبة أنفع الأدوية وأشفاها ، وأفضل الطاعات وأعلاها بعد أصول العقيدة ؛ وذلك لأن المكلف لا ينجو في أثناء تكليفه من السيئات ، إما الكبائر وإما الصغائر ، وقد ثبت أنه لا مضرة أعظم من مضرة هذا الداء ، الذي هو الذنوب ، والتوبة نافية له ، رافعة لحكمه ، مبطلة لمضرته ، ولو حصلت الدنيا بأسرها ، والآخرة معها ما أبطلت حكم هذا الداء ، ولا نفت مضرته إلا مع التوبة ، وما في حكمها من كثرة الطاعات كما تقدم.

قال تعالى بعد ذكره لأعداد معاصي عظيمة : **{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}**[(١)].

هذا مع أنه ينضاف إلى دفعها لهذه الأدواء العظيمة منفعة ثابتة ، وفضيلة أخرى وهي أنها جالبة للمنافع الأخروية ، التي لا أعلى منها ولا أفضل ولا أكمل ، ومدرة للمنافع الدنياوية ومانعة من المعاجلة بالنقمة ، وهذا نهاية الفضل ؛ لأنها جمعت بين المنفعتين ، ودفعت عن صاحبها المضرتين قال الله تعالى : **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}**[(٢)] وقال الله تعالى : **{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**[(٣)].

هذا مع أنه ينضاف إلى ذلك فضيلة ثالثة ومنفعة أخرى ، وهو أنها موافقة لمحبة الله تعالى ومطابقة لإرادته ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لله أفرح بتوبة أحدكم منه بضالته) يعني أنه يحبها ويريدها.

وفضائلها كثيرة ومنافعها عظيمة.

---

(١) الفرقان : ٦٨ ـــ ٧٠ .

(٢) نوح : ١٠ ـــ ١٢ .

(٣) الأنفال : ٣٣ .

وفي حديث النبي ﷺ (إذا تاب العبد إلى الله تعالى أنسى الله الحفظة ما علموا من مساوئه ، وأمر الجوارح أن يكتموا ما علموا من مساوئه ، وقال للأرض اكتمي ما علمت منه).

وعن النبي ﷺ أنه قال : (صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : أمسك . فيمسك عنه سبع ساعات ، فإن استغفر الله لم تكتب عليه ، وإن لم يستغفر الله كتبت عليه سيئة) .

وعنه ﷺ (من رزق خمسة لم يحرم عليه خمسة ، من رزق الشكر لم يحرم الزيادة قال الله تعالى : {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[1] وزيادته في الجنة ، ومن رزق التوبة لم يحرم القبول قال الله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}[2] ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة ، قال الله تعالى : {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}[3] ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة قال تعالى : {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[4] ومن رزق الصبر لم يحرم الأجر قال تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[5] .

وفي رواية أخرى (من أعطي ستا لم يحرم ستا ، وفيها : من أعطى النفقة لم يحرم الخلف ، قال تعالى : {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}[6].

وعنه ﷺ (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) .

وعنه ﷺ (ما أصر من أستغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة) .

---

١) إبراهيم : ٧ .

٢) الشورى : ٢٥ .

٣) النساء : ١١٠ .

٤) غافر : ٦٠ .

(٥) الزمر : ١٠ .

(٦) سبأ : ٣٩ .

وستجد فضائلها مذكورة في جميع المعارف ، فلا يطول الكلام في هذه المعرفة مــع قصد الاختصار والتسهيل للقارىء مخافة الملل.

المعرفة الثالثة منها : بيان معناها وماهيتها

اعلم أن التوبة هي : الندم على ما مضى . كما بيناه في كتاب التكميل ، وإن كان لابد من العزم ، إذا ذكره فإنه لا يكون نادما وهو ذاكر لحال فعله في المستقبل إلا مع العزم ولكنه لا يدخل في ماهية التوبة ، وسنبين أشتراطه إن شاء الله تعالى ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (الندم توبة) .

وقال على عليه‌السلام : (من أذنب أو أخطأ ثم ندم غفر الله له ذلك مـــن قـــبل أن يستغفر بلسانه).

وعنه عليه‌السلام (من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنبا ثم ندم فهو كفارته).

وعنه عليه‌السلام (ياعائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليـــه ، فـــإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار ، فإن العبد إذا أستغفر الله من ذنب غفر له).

وعن على عليه‌السلام (إني لأرجو إن تكون كفارة العبد من ذنبه ندامته عليه).

وعن القاسم بن إبراهيم عليه‌السلام "التوبة الندم ، والعزم على أن لا يعود إلى شئ من المعاصي والإخلال بالواجب).

وهو مروى عن على بن موسى الرضا ، وعن كثير من العلماء ، وغرضنا هاهنـــا العظة والزجر ، فلا ندخل فيه ما هو من قبيل الجدل.

المعرفة الرابعة : بيان شروطها وصفتها

اعلم أيها الطالب للنجاة أن التوبة ينبغي أن تفعل على الوجه الذي يـــزول معـــه استحقاق العقاب ، ولن تكون مزيلة لذلك إلا متى وقعت على شروطها.

وشروطها تختلف باختلاف الذنوب التي يتاب منها ، فإنا قد بينا أن التوبـــة دواء والذنب داء ، ولا إشكال أن الأدوية تختلف بحسب اختلاف الداء،فليس ما معه تـبرأ الأمراض الصفراوية من الأدوية تبرأ معه الأمراض البلغمية ، وكذا سائر الأدوية والأدواء.

وكما أنه لابد من استصحاب شرطين في كل دواء ، أحدهما : إن يكون الدواء في حكم المضاد لذلك الداء ، فإن الحرارة لا تدواى بالحرارة ، ولا البرودة بالبرودة.

والثاني : أن يقع الدواء على وجه لا يكون ذلك المريض مستعملا لما يهيج ذلك الداء معه ؛ فإنه إذا كان كذلك زال نفع الدواء وأدى إلى استحكام الداء ، فكذلك الدواء الأخروي وهو التوبة فإنها تختلف بحسب الذنوب ، فإنه لابد من استصحاب شرطين في كل توبة.

أحدهما : أن يتوب من القبيح لقبحه فقط ، لا لمخافة الفضيحة عند الناس ، ولا لخوف السلطان ، ولا لغير ذلك من الأغراض ؛ لأن التوبة لا تكون نافية لهذا الداء وهو القبيح إلا بذلك ، فإنه إنما يستحق العقاب العظيم ، والألم الجسيم – لقبح الفعل ، فلا بد أن يندم على القبيح لقبحه المؤدي إلى المضرة ، كما بيناه مشروحا في كتاب التكميل.

الشرط الثاني : أن لا يتوب من قبيح مع استمراره على قبيح آخر ؛ لأن ذلك يهيج ذلك الداء الذي تاب منه ، ويبطل دواءه ، ويقتضي أنه ما تاب عن ذلك الذنب لقبحه بل لعله تاب منه لما ظهر عليه ، أو لمخافة الفضيحة ، أو لأنه غير معتاد له فلهذا أقام على غيره ، وقد بينا ذلك مفصلا في كتاب التكميل ، والغرض هاهنا التعريف لما يقع به الخلاص ، والزجر لما يقع به المعاصي فقط ، لإقامة البراهين بالحجج ، وأيضا فقد قال النبي ﷺ : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه) والخبر يدل على الشرطين جميعا لمن تأمله.

فأما صفة التوبة وشروطها في كل ذنب

فاعلم أن ترك كل قبيح واجب ، وهو حق الله تعالى وحَدُّه الذي حَدَّ ، ولكنه ينقسم إلى ما يكون حقا لله محضا ، وإلى ما لا يكون حقا محضا ، بل يكون مشتركا

بين الله تعالى وبين عباده بتمليكه لهم ذلك ، فإن كان حقا لله تعالى محضا ، نحو الجهل بالله ، وتشبيهه بخلقه ، ووصفه بما لم يتصف به ، وغير ذلك مما ذكرناه في العقيدة ، ونحو: ترك الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ونحو فعل الزنا وشرب الخمر ، وغير ذلك مما ليس فيه حق يتعلق بالغير ، فإن الشرط الذي يختصه أنه إن كان ذلك واقعا منه جهرا كانت التوبة جهرا ،

وإن كان واقعا منه سرا أجزت التوبة منه سرا.

وعلى هذا قال النبي ﷺ : (يا معاذ اذكر الله عند كل حجر ومدر ، وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية).

وشرط آخر وهو : أنه إن كان قد أضل غيره ، ودعاه إلى مثل ذنبه ، لم تصح التوبة إلا بأن يبين له ضلال استدعائه إلى ذلك الذنب حتى يخلصه إن أمكنه ، وإن كان بدعة وضعها في الكتب ــ فلا يصح التوبة إلا بنقضها متى انتشرت النسخ ، وإن كانت نسخة واحدة أجزت التوبة بتمزيقها وإهلاكها وإن لم ينقضها ، قال تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾[1] الآية .

ولابد من استصحاب الشرطين اللذين ذكرناهما في كل ذنب ، وذلك يقتضي أنه لا تصح التوبة من الاعتقادات والبدع إلا بعد حصول العلم واليقين ، فلو تاب من اعتقاد التثنية وهو لا يعلم الوحدانية بل يقلد فيها لا يكون تائبا ، لأنه مقيم على القبيح الأعظم وهو التقليد في الوحدانية فلم يكن تائبا من التثنية.

وإن كان الحق مشتركا بين الله وبين عباده ، نحو الظلم ، والقتل ، وأخذ المال ، والقذف ، والنميمة ، والغيبة وغيرها ، فالشرط الذي يخلص بذلك أن يؤدي إلى المظلومين حقوقهم على حسب قدرته ، وعلى قدر يساره وإعساره ، ويعتذر في الغيبة والنميمة وسائر ما يكون في الأعراض إن كان قد بلغ إلى المظلوم،فإن كان لم يبلغه ، ولا جوز أن يبلغه فإنه لا يعتذر إليه ، وتجزئه التوبة.

---

(١) البقرة : ١٦٠ .

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله تعالى يقول : ذنب أغفره ، وذنب لا أغفره ، فأما الذنب الذي أغفره فما كان بيني وبين عبدي ولو أذنب حتى يبلغ ذنبه السماء ثم استغفرني لغفرت له ، وأما الذنب الذي لا أغفره فما بينه وبين العباد ، لا أغفره حتى يرد المظالم إلى أهلها) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الغيبة أشد من الزنا ، إن الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه ، وصاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه) .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام (يا موسى من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة).

ويدخل هاهنا الشرط الخاص بحق الله تعالى ، وهو إن ما كان من ذلك جهرا وجبت التوبة منه جهرا ، فلهذا يجب على المغتاب أن يظهر التوبة لمن سمع اغتيابه ، ولابد من استصحاب الشرطين المتقدمين هاهنا ، وذلك يقتضي أنه لو تاب من قتل النفس المحرمة مع إصراره على غصب عشرة دراهم أو خمسة دراهم لا يكون تائبا ، ولا يزول عنه عقاب القتل ، فانسج على هذا المنوال جميع أجناس التوبة من الذنوب وقسه عليه تصب إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن عليا عليه السلام سمع رجلا بحضرته يقول : أستغفر الله . فقال : "ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ إن الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان أولها : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبدا.

والثالث : إن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله وليس عليك تبعة .

والرابع : أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس : أن تعمد إلى اللحم الذي نبت من السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلحق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .

والسادس : أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية. فعند ذلك تقول : أستغفر الله).

وعنه ﷺ (التوبة من الذنب أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود)يعني أن هذه التوبة النافعة في الآجل.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[1] قال : "التوبة النصوح الندم بالقلب ، والإقلاع بالبدن ، والإضمار على أن لا يعود ، والاستغفار باللسان".

وعن بعضهم وقد سئل من التائب ؟ قال : من كسر السيئات على رأسه ، والدنيا على رأس الشيطان ، ولزم الفطام حتى أتاه الحمام.

وعن النبي ﷺ (والذي نفسي بيده إن الرجل إذا قال : أستغفرك وأتوب إليك ثم عاد ، ثم قال : أستغفرك وأتوب إليك ثم عاد ، ثم قال : أستغفرك وأتوب إليك ثم عاد ، ثم قال : أستغفرك وأتوب إليك ثم عاد عند الرابعة كتبه الله كذابا) أو قال : (من الكذابين) ولبعضهم :

تتوب من المعاصي إن مرضت ... ونرجع في الذنوب إذا بريتا
إذا ما الضر مسك ظلت تبكي ... وأخبث ما نكون إذا قويتا

قال ثابت البناني : "ما شرب داود عليه السلام شرابا بعد الذنب إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه" .

مالك بن دينار "دخلت على جار لي مريض فقلت : عاهد الله أن تتوب عسى أن يشفيك. فقال : هيهات يا أخي أنا ميت ، جعلت أعاهد كما كنت أعاهد. فسمعت قائلا من ناحية البيت : عاهدناك مرارا فوجدناك كذوبا" .

المعرفة الخامسة : بيان قبولها

اعلم أن التوبة مقبولة من التائب متى وقعت على صفتها وشرطها ، قال تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[2] وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[3].

---

(١) التحريم : ٨ .

(٢) غافر : ٣ .

(٣) الشورى : ٢٥ .

وقال ﷺ: (إن العبد إذا أذنب ذنبا فاعترف به وتاب غفر له).

وعنه عليه السلام (للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب منها مفتوح للتوبة).

وسئل مسروق هل لقاتل المؤمن توبة ؟ قال : "لا أغلق بابا فتحه الله" .

وقيل للحسن :"المؤمن يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب إلى متى ؟ قال : ما أعرف هذا إلا أخلاق المؤمنين" .

وعن حذيفة بن اليمان قال : "كان في لساني دربة[1] على أهلي ، لم تكن تعدوهم إلى غيرهم فسألت النبي ﷺ فقال : (أين أنت من الاستغفار يا حذيفة ؟ إني لأستغفر كل يوم سبعين مرة ، وخيار أمتي الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا) .

وعن عطاء قال : "لما رفع لإبراهيم ملكوت السموات رأى رجلا يزني ، فدعا عليه فهلك ، ثم رأى آخر يزني فدعا عليه فهلك ، ثم رأى آخر فدعا عليه ، فقيل له : على رسلك يا إبراهيم إنك عبد مستجاب لك ، وإني من عبدي على إحدى ثلاث ، إما أن يتوب إلي فأتوب عليه ، وأما أن أخرج منه ذرية طيبة تعبدني ، وأما أن يتمادى فيما هو فيه فإن جهنم من ورائه" .

المعرفة السادسة : بيان ما يفسد التوبة ويمنع منها

أما ما يفسد التوبة : ففسادها على وجهين :

أحدهما : ما معه لا تصح التوبة ولا تكون مزيلة للعقاب ، وهذا إذا اختل بعض صفاتها وشروطها التي ذكرناها ، كما أن الدواء قد يفسد لاختلال بعض شروطه ، ونقص بعض أجزائه.

والثاني : أن تفسد بمعنى أنه يعود الداء الذي رفعته وهو العقاب ؛ وذلك بالعود إلى المعاصي ونقض التوبة ، وإن كانت قد أزالت عقاب ما مضى ، وهذا كالدواء الذي يفسد نفعه بسبب المعاودة إلى ما يولد ذلك الداء في العادة باختيار الفاعل ، فيعود

---

١) أي : عادة وجرأة (مختار الصحاح) .

الداء كما كان.

وعلى ذلك يحمل ما في الأخبار من أن صفتها أن لا يعود ، وأن التائب العائد كاذب في توبته ، فإن المراد بجميع ذلك أنه أفسدها بعد صحتها بنقضها ، فهذا معنى إفساد التوبة.

وأما ما يمنع من التوبة فقد يكون مانعا من قبولها فذلك بوجهين : —

أحدهما : اختلال شروطها المتقدمة.

والثاني : استحكام الذنب إلى وقت لا تصح فيه التوبة وإن حصلت ، وأعني بالتوبة الندم كما أن الدواء قد لا ينفع لاختلال شروطه ، وقد لا ينفع لاستحكام الداء في نفسه.

وأما ما يمنع من فعلها فأمور كثيرة .

منها : أن يكون المكلف معتقدا أنه مصيب فيما أخطأ فيه ، وهذا داء مستحكم لا يزول أبدا مادام مستحكما ، ولا تخرجه التوبة عن استحكامه ، وإنما تخرج إذا تغير استحكامه ؛ وذلك أن يعرف أنه مخطئ في اعتقاده ، وهذا هو المانع من توبة المخالفين لنا ، والرجوع إلى الحق من أهل البدع والأهواء ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}**[1] الآية .

وعلى هذا قال النبي ﷺ : (أعوذ بالله من ذنب لا أستغفر الله منه) قيل : يا رسول الله وكيف هذا؟) قال : (نعم — أقوام في آخر الزمان يبتدعون البدع ، يدينون الله بها لا يستغفرون الله منها حتى يموتوا).

وقال ﷺ: (إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة).

ومنها : أن يكون المانع القنوط والأياس من رحمة الله ، كما قال تعالى : **{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}**[2] وذلك أنه إذا قنط وأيس من قبول التوبة

---

١) الكهف : ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) يوسف : ٨٧ .

صرفه ذلك عن فعلها ، كما أن من وقع معه الأياس من زوال دائه بالأدوية يصرفه ذلك عن استعمالها ، وهذا المانع بنفسه ذنب عظيم يجب أولا أن يستغفر الله منه ، فإنا قد بينا أولا قبول التوبة فيما سبق ، وما نطق به في ذلك الكتاب والسنة.

ولهذا جاء حبيب بن الحارث إلى النبي ﷺ فقال : إني رجل مقراف للذنوب . قال : (فتب إلى الله يا حبيب) فقال : يا نبي الله إني أتوب ثم أعود . قال (كلما أذنبت فتب) قال : يا نبي الله إذن تكثر ذنوبي ! قال : (عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب).

وعن علي عليه السلام "العجب ممن يقنط ومعه النجاة! قيل : وما النجاة ؟ قال : الاستغفار" .

وعن عبد المنعم بن إدريس قال : "يحكى أن عابدا عبد الله سنين كثيرة فأتاه الشيطان فقال : ما الذي حملت عليه نفسك من الشدة ؟ فكأن النار خلقت لها وحدك !؟ ادخل المدينة وخالط الناس ، فدخل المدينة فرأى من المنكرات والمعاصي ما استعظمه وضاق صدره ، وأراد الانصراف إلى صومعته فاستحيى من ربه ، فلما طال تفكره فقال : على كل حال مولاي أرحم بي من غيره ، ثم رجع إلى صومعته فنودي توكلت علينا فكفيناك ، وآثرت علينا فتركناك ، وأقبلت إلينا فقبلناك، قارفت ذنوبا فغفرناه . وسمع صوتا و لم ير قائله شعرا :

سأترك ما بيني وبينك واقفا ... فإن عدت عدنا والوداد سليم
تواصل قوما للوفاء بعهدهم ... وتترك مثلي والوفاء قديم
ولو قد بلوت الناس حق اختبلوهم ... رجعت إلى وصلي وأنت كريم

ومن الموانع عن التوبة استحكام الذنب

وذلك بالبخل بترك الدنيا ، وكثرة العشق لها ، وطلب العز العاجل ؛ فإن بذلك يستحكم الداء ، وقد ثبت أن الداء إذا استحكم لم يداو ، وإنما يستحكم الذنب بكثرة مواصلة الذنوب على الاستمرار، من غير مداخلة بينها للندم والاستغفار ؛ فإن ذلك يورث استحكام الذنب ، ونسيان التوبة وهي الدواء ، كما أنه إذا استمر الداء

من غير تعاهد له بالدواء فإنه يستحكم في العافية ولا يداوى أبدا.

وقيل في قوله تعالى : {[كلا] **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**}[1] إنه الذنب على الذنب حتى يسود القلب.

وعلى هذا المعنى يحمل قوله تعالى : {**طبع الله على قلوبهم**}[2] و {**ختم الله على قلوبهم**}[3] وما أشبه ذلك ، فإن المراد بذلك ظهور علاماته للملائكة عليهم السلام أنهم لا يتوبون لكثرة ذنوبهم ، واستحكام أدوائهم ، وأنه تعالى قد حكم أنهم لا يتوبون لعلمه بذلك منهم ، وهذا هو المانع لفرعون لعنه الله تعالى من التوبة ، واتباع موسى عليه السلام مع ما رأى من الآيات الكبار.

فقد روى أنه عمر أربعمائة سنة ، وأنه كان مدعيا للربوبية ثلاثمائة سنة وعشرين سنة ما ناله فيها تنغيص ، وهو المانع لكثير من المخلوقين الذين علم الله أنه لا لطف لهم ولا توفيق ، مثل أبي جهل ، وأبي لهب وغيرهما من شياطين الأنس.

ونحو جبابرة بني أمية ، وفراعنة بني العباس ، وغيرهم من الملتفتين إلى الدنيا ، والمولين عن الآخرة ، مع رؤيتهم للآيات الباهرات ، وعلمهم بأنه لابد من الممات.

ونظر هشام بن عبد الملك لعنه الله في المرآة فاستحسن وجهه فقال : (أنا الملك الشاب) فهتف به هاتف شعرا :

أنت خير المتاع لو كنت تبقى	غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما عليه السلام ـــت	كان في الناس غير أنك فان

فلم ينزجر ولا رجع إلى ربه.

وروى أن معاوية لما أصابته اللقوة في طريق مكة ، وتكلم بما تكلم ثم بكى ، فقال له مروان : ما يبكيك ؟ قال : يا مروان كبرت سني ، وكثرت الدموع في عيني ،

---

(١) المطففين : ١٤ .

(٢) النحل : ١٠٨ ، محمد : ١٦ .

(٣) البقرة : ٧ .

وابتليت في جسدي ، قال : وقد خشيت أن تكون عقوبة من ربي ، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي . فانظر هل الحاجب بينه وبين التوبة إلا طلب الدنيا.

ولما حضرته الوفاة جعل يقول شعرا :

فأضحى الذي قد كان منها يسرني كحلم مضى في المزمنات الغوائر

فيا ليتني لم أغن في الملك ساعة ولم أغن في لذات عيش نواظر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار ضنك المقابر

فتمنى أنه لم يكن ملكا ، ولم يتب ، وليس ذلك إلا لخذلانه ؛ لقلة توفيقه ، وكثرة ذنوبه وعظم ميله إلى الدنيا.

وروي أن عمرو بن العاص لما احتضر جَمَعَ بين يديه أربعة عشر أكرا من الذهب كان كسبها في ولايته ، وقال لابنه : وددت أن هذا كله بعرا ولم أقاتل أمير المؤمنين عليا عليه‌السلام فقال ابنه :لا عليك يا أبت إن رسول الله كان يحبك ، فقال : أما إني أعرف أنه كان يحب عمار بن ياسر ، ولا أدري أكان يحبني ، أو يؤلفني على الإسلام

وروى أنه كان يجود بنفسه وهو يقول :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

والشعر لأمية بن الصلت قاله عند موته ، فتمنى ما تمنى ولم يتب ، مع توافر عقله وثقابة رأيه ، وكثرة دهائه ، فلم ينفعه ذلك لما آثر أم الغرور ، ولم ينظر لعواقب الأمور.

وقد روى أنه لما هم بالارتحال إلى معاوية قال لغلامه وردان : شد الرحل . ثم قال : حط . ثم أمر بذلك ثلاثا ، فقال له غلامه : أتأذن لي في الكلام ؟ قال : تكلم قال : أما إنك وقفت بين أمرين : تارة تحدثك نفسك بالخروج إلى معاوية ، وتارة بالخروج إلى أمير المؤمنين علي عليه‌السلام فإن أردت الدنيا فعليك بمعاوية ، وإن أردت الآخرة فعليك بأمير المؤمنين ، فقال : شد الرحل إلى معاوية ، وغلب عقله هواه حتى ألقاه في المهواة.

ولما مرض عبد الملك حماه الطبيب الماء ، فدخل عليه الوليد يعوده فتمثل لما نظر إليه

ومستخبرا عنا يريد بنا الـــردى ومستخبرات والعيون ســـواجم

ثم جمع أولاده وأشار بخاتمه إلى الوليد فبكى ، فقال : كأني بك إذا ما مت تعصـــر عينيك كالأمة الوكفاء ، ضعني في حفرتي ، وخلني وشأني ، فادع الناس إلى البيعـة ، فمن فعل برأسه هكذا فافعل بسيفك هكذا ، إياكم والتعرض للحجاج بن يوســـف فإنه بني لكم المنابر ، وكفاكم القناطر ، وقد كان الحجاج قتل سبعين ألف نفـــس ، حتى خضع لهم الأمر. وقيل : قتل ثلاثين ألفا منهم بغير جناية . ثم قال عبد الملـــك : اسقوني شربة من ماء وإن كانت نفسي فيها فشرب فمات.

ولما حضرت المأمون الوفاة أخذ يجود بنفسه ، ويبث الأسف على ملابسة الملـــك ويتمثل :

الآن يا دنيا عرفتك فاذهبي يـــا دار كل تشـــتت وزوال

فقطعت عنك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطي رحال

وروى أن هشام بن عبد الملك أمر أن يفرش له ضيعة ، من شجر وكروم ، وفنـــون النبات ، ففرشت بأفخر الفرش ، وأمر بإحضار ندمائه ومغنيه ، وتقدم إلى الحجـــاب بضبط الأبواب ، فبينا هو جالس إذ أقبل رجل جهير جميل ، فشخص هشام ببصـــره ينظر إليه متعجبا من هيئته حتى دنا فألقى صحيفة ، ثم ولى فلم ير ، فإذا فيها : بئـــس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد ، فأمر بإحضار الحجاب فسألهم عـــن الرجـــل ، فقالوا : ما رأينا أحدا فصرف ندماءه وقال : تكدر علينا هذا اليوم ، فلم يمض عليـــه إلا أيام قليلة ومات.

فهؤلاء قوم لم ينظروا لأنفسهم ، ولم يهتموا بدواء أدوائهم ، وألهتهم العاجلة عـــن الآجلة ، فصارت صفقتهم الخاسرة ، وتجارتهم البائرة.

وروى أن أبا جعفر انتبه مذعورا فقال : يا ربيع أتاني آت في منامي فأنشأ يقول :

كأني بهذا القصر قد باد أهـــله وأوحش منه ركنـــه ومنازلـــه

وصار عميدُ القوم من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه ... ينادى بليل معولات حلائله

فلم يعش بعد ذلك إلا عشرا ، وهلك على غير توبة ولا إنابة ، مع سماع النذير ، ومع ما كان عليه من شدة الحذر وكثرة التدبير.

ولما سخط الرشيد على البرامكة ، وقتل جعفر بن يحي ، أمر بيحي بن خالد البرمكي وولده الفضل فحبسهما ، فكتب إليه يحي بن خالد من الحبس يا أمير المؤمنين ، ويا إمام المسلمين وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه صديقه ، ونزل به الحدثان ، وزال به الزمان ، فحلّ الضيق بعد السعة ، وعالج البؤس بعد الدعة ، ولبس البلاء بعد الرخاء ، وافترش السخط بعد الرضاء ، واكتحل السهر بعد الهجود ، فساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا يا أمير المؤمنين من

مؤاخذتك ، وأسفا على ما سلف من قربك ، لا على شئ من المواهب ، لأن الأهل والمال في يدي عارية منك ، والعواري لابد مردودة ، وأما ما اقتصصت به من ولدي جعفر فإنما كان عبدا من عبيدك أخذته بذنبه ، وعاقبته بجرمه ، ولا يخاف عليك الخطأ في أمره ، ولا تكون جاوزت ما كان ينبغي فيه ، وما من رضائك خلف ، ولا من سخطك عوض ، وقد كبرت سني ، وضعفت قوتي ، فارحم شيبتي ، فمنك الإقالة ، ومني العثرة ، لست أعتذر إليك شئ إلا بما يجب الإقرار به حتى ترضى ، فإذا رضيت رجوت أن يظهر لك من أمري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما مننت به علي من رأفتك ورحمتك والسلام).

فأجابه هارون "ليس لكتابك يا أبا علي جواب ، إنما مثلك مثل قرية **{كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}**[1]" .

---

١) النحل : ١١٢ .

فانظر أيها الطالب إلى مناجاة يحي بن خالد في كتابه لهارون لعنهما الله تعالى ، هل أبقى شيئا يحسن من الاعتذار ، والتذلل والخضوع الذي كان يصلح أن يكون عبادة لرب العالمين إلا أتى به ، مع أن هارون ما قبل منه ذلك ، مع قلة الجناية من يحي بن خالد إليه، وعلى كثرة الأنعام من البرامكة عليه ، فإنهم حصنوا هارون الغوي ، وحمله يحي بن خالد البرمكي إلى غزو ملك الروم ، حتى هادن ملك الروم على مال جسيم خراجا منه.

وعلى أيديهم كان هلاك أعدائهم من أهل البيت عليهم السلام مثل إدريس بن عبد الله وغيره فالإساءة منهم إليه ، مثله لا يحتاج إلى مثل هذا الاعتذار العظيم ، مع ما جرى منهم من الأنعام ، ولو أنه رجع إلى ربه ، وناجاه بمثل ذلك ، بل بما هو أصغر من ذلك ، وهو فعل يسير ، يحصل في القلب بأقل القدر وهو الندم ــ لقبل تعالى توبته ، ولمحا خطاياه العظيمة ، وإساءته الجسيمة ، ولكنه آثر رضاء المخلوق على رضاء الخالق ، فسلط الله عليه الدمار من حيث الأمان ، فصار إلى سخط الرحمن.

ولما أيس يحي بن خالد من النجاة من هارون الغوي كان يقول : أغفلنا دعوة المظلومين ، وأهملنا الشكر لله ، فصرنا عظة للحاسد ورحمة للعدو ، ولو كانت النعمة تزيد البقاء ما وصلت إلينا.

فانظر إلى هذا الإقرار مع إغفاله للتوبة ، ونسيانه الرجوع إلى الله تعالى والأوبة ، وإنما صرفه ما ملأ قلبه من حب الدنيا ، والالتفات إليها بكليته حتى أسلمته إلى هلاكه وشقوته.

وروي أن المنتصر لما قتل أباه كان يطوف على الخزائن ، فإذا بكتاب في خزانة ، فنظر فيه فإذا أوله : المقادير تريك ما لم يخطر على بال. فقال ذات يوم : نريد غدا أن نتفَرَّجَ ، وكان لهم بساط يبسطونه فيه جامات، في كل جام ذكر ملك من ملوك الفرس ، وكم ملك ، وكم بقي في مملكته ، قال : فنصب له كرسي ، فرمى بطرفه إلى جام من تلك الجامات فساءه فتبين لأصحابه منه الكراهة ، ثم وثب فقام ، ولم يدر ما سببه ، فنظروا فإذا هو قد وقعت عيناه على جام مكتوب فيه : شيرويه بن

كسري قاتل أبيه ، ملكك بعده ستة اشهر فكان ملك المنتصر ستة اشهر.

فانظر رحمك الله إلى اغتمامه بما رأى ، وقلة اعتباره ، وانه ما دعاه ذلك إلى التوبة ، وليس ذلك إلا لاستحكام دائه ، حتى أورده إلى شقائه.

ومن موانع التوبة كثرة الجهل ، وترك العلم ، حتى لا يدري بمضرة الذنب ، ولو عرف مضرته لا يعرف كيفية المخرج منه ، فإن من لا يعرف الداء ولا يدري بمضرته لا يطلب الدواء ولو عرف منفعته ، وكذلك فإن من يجهل الدواء وكيفيته لا ينفعه علمه بالداء ، ولا يجلب صحته ، ومن هاهنا يموت أكثر هذا الخلق على غير توبة ، لجهلهم وقلة تمييزهم بين دائهم ودوائهم ، وهو موت العامة الذين شبههم الله بالأنعام ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] ، ومن موانع التوبة للعارفين وجهان ـــ أحدهما : إغفال النظر في أكثر الأوقات للحساب والجزاء ، وقلة التفكر في الموت ، والمصير إلى القبر وضيقه ووحشته ، وما يجري فيه ، فإن ذلك هو دواعي التوبة ، كما أن من لم يخطر بباله ما يؤول إليه من أدوائه من مضرته ، ونفرة النفس عنه ، وأجناس ذلك في أكثر أوقاته لا يشتغل بمداواته.

والوجه الثاني

التسويف للتوبة وتأخيرها فإن ذلك يؤدي إلى انتشار الداء في جسده ، واستحكامه في بدنه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى عقيب هذا.

فهذا طرف من موانع التوبة ، وهذا يدلك على ما بقي متى تأملت حقيقة التأمل.

المعرفة السابعة : بيان وبال تأخيرها وعدمها

اعلم وفقك الله تعالى أن تأخيرها يؤدي إلى استحكام الداء حتى لا ينحسم شيء ، وعدمها يؤدي إلى بقاء مضرتها ، كما في الأدواء الدنياوية ، بل هي أسهل ، لأنها وإن استحكمت وبقيت فلا بد أن تزول وتفنى ؛ لزوال ما يصححها من الحياة.

فإذاً تأخير الدواء الأخروي وفقده أعظم وأكبر ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى

---

(١) الفرقان : ٤٤ .

مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}[1] والمغفرة تكون بعد الذنب ، فأوجب المبادرة إليها — أعني التوبة — لأن المغفرة لا تحصل إلا بها ، وقال تعالى : {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}[2] ثم وصف مالهم من النعيم فقال تعالى : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}[3] وقال ﷺ : (النادم ينتظر الرحمة ، والمعجب ينتظر المقت ، وكل عامل سيقدم على ما أسلف عند موته ، فإن ملاك الأعمال بخواتمها ، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغا إلى الآخرة ، وإياكم والتسويف بالتوبة ، واعلموا أن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}[4] .

وعنه ﷺ وهو يخطب (ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر الله لكم ، ويل للمصرين على ما فعلوا وهم يعلمون).

وقال علي عليه‌السلام : (ما أطال رجل الأمل إلا أساء العمل).

وقال أيضا عليه‌السلام : (التسويف شعاع إبليس يلقيه في قلوب المؤمنين).

فأحذرك أيها الطالب للنجاة سوف ، فإنه يهوي بك في أودية الخوف.

المعرفة الثامنة : بيان وقت انقطاع منفعة التوبة

اعلم رحمك الله أن التوبة تنقطع عند شيئين أحدهما : عند معاينة ملك الموت وتجرع غصصه.

والثاني : عند ظهور علامات القيامة التي معها ينقطع التكليف ، قال تعالى : **{وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن}**[5].

---

(١) آل عمران : ١٣٣ .

(٢) الواقعة : ١٠ — ١١ .

(٣) النساء : ١٧ .

(٤) الزلزلة : ٧ — ٨ .

(٥) النساء : ١٨ .

وقال ﷺ : (من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه . ثم قال : والسنة كثير. ثم قال : من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه. ثم قال : والشهر كثير. ثم قال : من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه . ثم قال : واليوم كثير. ثم قال : من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه. ثم قال : من تاب قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه) .

وعنه ﷺ (التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها).

وعنه ﷺ (إن باب التوبة مفتوح حتى يغرغر العبد بنفسه).

وعنه ﷺ (إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر بالموت).

وقال عليه السلام : (التوبة مبسوطة ما لم ينزل سلطان الموت).

وعن النبي ﷺ (إن من قبل المغرب بابا مسيرة عرضه أربعون سنة ، أو سبعون سنة ، فتحه الله للتوبة يوم خلق السموات والأرض ، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه).

وعنه ﷺ (الهجرة خصلتان ، إحداهما : أن تهجر السيئات ،والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه، وكفى الناس عن العمل).

المعرفة التاسعة : ما ورد في بيان لفظ التوبة

اعلم أن الاستغفار باللسان ليس بشرط في التوبة ، ولهذا جعل النبي عليه السلام المستغفر باللسان من دون القلب مستهزأ بربه. ، وقال تعالى في المنافقين : {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا}[1] الآية لما أظهروا باللسان ما ليس في القلب.

والأعمال كلها إنما تنفع إذا كان الظاهر مطابقا للباطن ، ولكنه قد ورد التعبد بالاستغفار باللسان لا على سبيل الوجوب ، ولكنه نافلة وفضيلة يكتسب بها العبد جزيل الثواب متى وافقت القلب.

---

(١) البقرة : ٩ .

قال النبي ﷺ : (ما من عبد ولا أمة يستغفر الله كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يومه أو ليلته أكثر من سبعمائة ذنب).

وقال ﷺ : (من قال : أستغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فر من الزحف) وبرواية أخرى (من قالها خمس مرات غفر له وإن كان عليه مثل زبد البحر).

وعن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال : (إذا أذنب عبدي ذنبا فقال : أي رب اغفر ذنبي قال الله تعالى : أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم أذنب فقال مثل ذلك فقال الله تعالى : اعمل ما شئت فقد غفرت لك)[1] .

وعنه ﷺ أنه قال : (إن في القرآن لآيتين ما من عبد يذنب ذنبا فيقرأهما ثم يستغفر الله إلا غفر له ، قوله : {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ}[2] الآية الأخرى {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}[3]

وعنه عليه‌السلام أنه قال : (هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، الدعوة التي دعا بها يونس عليه‌السلام حيث ناداه في الظلمات الثلاث : {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[4]. فقال رجل : يا

---

(١) هذا الحديث مروى في البخاري وهو مذكور فيه الاستغفار ثلاث مرات .. ولفظه في البخاري ....

وهذا الحديث مصادم للقرآن الكريم وللسنة النبوية فإن الله سبحانه وتعالى قد توعد صاحب الذنب إذا لم يتب منه ، أما هذا الحديث فقد أطلق الحرية لكل مذنب بعد استغفاره مرتين أو ثلاثا ، ولم نسمع بأحد من المسلمين يعمل به بل كل من أذنب ذنبا أستغفر الله منه. وهذا الحديث هو من وضع بعض المحدثين لسلاطين الجور بأنه قد غفر الله لهم ولو فعلوا الأفاعيل مادامت قد تقدمت منهم توبة أو توبتان فلا يركنن أحد على هذه الموضوعات فإنها مهلكة.

(٢) آل عمران : ١٣٥ .

(٣) النساء : ١١٠ .

٤) الأنبياء : ٨٧ .

رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال : إلا تسمع إلى قوله عز وجل : {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}[1] وقال ﷺ : (أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد ، وإن برئ وقد غفر له جميع ذنوبه).

والاستغفارات المروية عن النبي ﷺ كثيرة ، وإنما قصدنا هاهنا البركة بشيء منها فإن في ذكره تعالى بركة كثيرة ، وخير ينزل.

المعرفة العاشرة : بيان أسباب التوبة وتعيين جماعة من أربابها

أما سبب التوبة :

فاعلم أن للتوبة سببين أحدهما : الخوف من وبال الذنب.

والثاني : الرجاء لثواب التوبة وحسن عاقبتها ، كما أن سبب الدواء والداعي إليه إنما هو الخوف من مضرة الداء ، والرجاء لحصول العافية بالدواء ، والذنب داء والتوبة دواء ، كما تقدم.

ولا يحصل الخوف والرجاء إلا بذكر الأمر المخوف أو المرجو ، وهو العقاب والثواب ، وجميع ما يكون بعد الموت في القبر ، وبعد النشر والحشر وعند الموقف ، وتصور ذلك بباطن القلب حتى يصير كالمشاهد ، فإن ذلك يثير الخوف والرجاء الداعيين إلى التوبة ، وقد يكون سبب هذا الذكر المولد للخوف والرجاء من قبل النفس ، بالتفكر المولد لذلك ، وقد يكون من قبل الله تعالى ، وقد يكون من قبل بعض عبيده إما بالوعظ والتذكير ، وإما بمشاهدة الأمور المشابهة للمرجو والمحذور ، وأجناس ذلك.

وقد كان بعضهم إذا رأى النار غشي عليه وكذلك إذا رأى الظلمة لمشابهة ذلك لما يحذره في الآخرة ، وفي الخوف والرجاء وأسباب ذلك كلاما يأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) الأنبياء : ٨٨ .

فأما ذكر التائبين :

فأعظمهم منزلة ورفعهم عند الله درجة الأنبياء المرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ، قال الله تعالى في آدم وهو أبو البشر : {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}(1).

وروى أن آدم وحواء لما أسكنهما الله الجنة ألبسا لباس الجنة ، وتوجا من تيجانها ، وسُوِّرَا من أسورتها ، وتختما من خواتمها ، وأجلسا على سرير من سرر الجنة.

وقال الله تعالى لهما : {فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}(2) فأباح لهما جميع فواكه الجنة وملاذها إلا شجرة واحدة ، فلما أزلهما الشيطان وعصيا ارتفع عنهما لباس الجنة فهربا عاريين ، فناداهما ربهما : أفرارا مني يا آدم . قال : لا بل حياء منك يارب قال تعالى : {أَلَمْ أَنْهَكُمَا}(3) قال آدم : الأمان الأمان يا رباه. قال : أين أنت يا آدم ؟ قال : هاأنذا عريان. قال : أين أنت يا حواء قالت بصوت ضعيف : ها أنتا عريانة. قال تعالى : بخطيئتك ما حملك على إغواء عبدي حتى حملتيه على أكل الشجرة ؟ وكان إبليس قد اجتهد في إغواء آدم فأبى عليه‌السلام فأغوى حواء حتى أكلت ، ثم أطعمت آدم ، وتحيلت عليه حتى أطاعها ، فقالت : يا رب ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا ، وكان إبليس قد أقسم أنه لهما ناصح. وتاب آدم عليه‌السلام وكان لا يتورع من البكاء. وقيل : بكى على ذنبه ألف سنة.

ولما دعا نوح عليه‌السلام إلى الله تعالى بنجاة ابنه من غير أن يستأذنه في الدعاء ، وظن أن ولده من أهله ، وقد كان الله تعالى أعلمه بنجاة أهله ، فقال تعالى : {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} يعني المؤمنين إلى قوله : {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}(4) فعلم نوح عليه‌السلام أنه قد عصى فندم وقال : {قَالَ

---

(1) طه : 121 ـ 122 .

(2) الأعراف : 19 .

(3) الأعراف : 22 .

(4) هود : 46 .

رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}[١] فقبل الله توبته.

وأستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه ، وكان أبوه منافقا ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وقال في دعائه : {**والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**}[٢] وقيل : قاله قبل الدعاء لأبيه ، وأستغفر في خطايا كانت منه ، وكذلك عادة الأنبياء عليهم السلام فإنهم كانوا يستغفرون من الصغائر ، وغيرهم لا يتوب من الكبائر.

وقيل : ما من نبي إلا وقعت منه صغيره وتاب منها ، وليس في ذلك طعن على الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن معاصيهم صغائر ، وغير منفرة ، ولا إشكال في معاصي الأنبياء التي ذكرها الله تعالى في القرآن.

وما فعله أولاد يعقوب عليه السلام كان معصية ، ولهذا قالوا : {**ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي**}[٣] قيل : وعدهم لآخر الليل في السحر ليلة الجمعة ؛ ليكون أبلغ في الاستغفار ؛ فاعترفوا بالذنوب وتابوا وتقبل الله توبتهم.

ولما قتل موسى القبطي وعرف خطأه ليس في مجرد القتل ، فإنه قيل : لم يتعمده وإنما أراد نجاة الإسرائيلي.

وقيل : قصده وتعمده وهو في دار الحرب إلا أنه كان بغير أذن متجدد من الله تعالى ، قال {**قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم**}[٤] ولما سأل الرؤية لقومه حين قالوا : {**أرنا الله جهرة**}[٥]. قال : {**رب أرني أنظر إليك**}[٦] الآية ، واندك الجبل فصعق موسى عليه السلام ، وعلم أنه قد أتى بذنب ـ تلب إلى

---

(١) هود : ٤٧ .

(٢) الشعراء : ٨٢ .

(٣) يوسف : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٤) القصص : ١٦ . في الأصل (فتاب الله عليه) وهو خطأ

٥) النساء : ١٥٣ .

(٦) الأعراف : ١٤٣ .

الله تعالى فقال : { سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ } الآية ، وفي أية أخرى قال : { فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ }[1] يعني : إنا رجعنا إليك.

ولما وقع من داود عليه السلام ذنب صغير تاب إلى الله ورجع ، قال الله تعالى : { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ }[2].

ولما تمنى سليمان عليه السلام ذات يوم الأولاد ، وقال : أطوف على مائة امرأة ، تلقي كل امرأة بغلام يجاهد في سبيل الله ، فنزهه الله عما ظاهره الدنيا عند السامعين ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة ، وولدت غلاما ميتا ألقوه على كرسيه ، فلما رآه ظهر له عليه السلام أن إظهاره لذلك التمني كان سيئة فأناب إلى الله تعالى ، قال الله تعالى : { وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي }[3] الآية .

وكذلك يونس عليه السلام فإنه خرج من قومه مغاضبا لهم ، فظن أن لن يقدر الله عليه ، بمعنى : لن يضيق عليه في خروجه من قومه ، كما قال الله تعالى : { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ }[4] أي ضيق . فتوهم عليه السلام أنه لا يضيق عليه في الخروج ، فخرج بغير أذن ، فلما صار في بطن الحوت وظلمة البحر عرف الخطيئة ، فنادى في الظلمات لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، وتاب إلى الله تعالى ، وقبل توبته.

وكذلك سيد المرسلين وخاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين فإن الله تعالى أمره بالتوبة فقال : { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ }[5] وقال : { وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }[6] فتاب عليه السلام من صغائر كانت منه ، فقال تعالى : { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ

---

(١) الأعراف : ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٢) ص : ٢٤ ــ ٢٥ .

(٣) ص : ٣٤ ــ ٣٥ .

(٤) الطلاق : ٧ .

(٥) غافر : ٥٥ ، محمد : ١٩ .

(٦) النصر : ٣ .

وَمَا تَأَخَّرَ}[1].

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام بادروا إلى التوبة ، وسارعوا إلى استجلاب الرضاء من الله والمغفرة عند وقوع سيئات صغيرة ، وأدواء خفيفة غير مضرة ، وإن كانت تنقص قليلا من المنفعة العظيمة فلم يرضوا بنقصان الفلس ، وهو من الصغر من مائة ألف من الدنانير الحمر ، وذلك لأنهم أطباء الأنام ، وحكماء الإسلام ، والمقتدرون على الدواء ، والعارفون بما دق وجل من الداء ؛ فلهذا صحت أجسادهم وزانت ، ودرت عليهم النعم ودامت.

وروى أن داود عليه السلام خر ساجدا أربعين ليلة حتى قيل : قد غفر لك ، وقيل : إنه نفد دمعه فبكى دما.

وبكى آدم ألف سنة ، وقيل : ما رفع رأسه من الحياء أربعين سنة.

وعن النبي ﷺ (لو جمع بكاء أهل الأرض إلى بكاء داود لكان بكاؤه أكثر ، ولو جمع بكاؤه مع بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر ، وسمي نوح : نوحا ؛ لأنه كان ينوح نوحا على نفسه.

ولو جمع بكاء أهل الأرض وبكاء نوح إلى بكاء آدم لكان بكاؤه أكثر.

وهذا يدلك أيها الطالب على كثرة يقين الأنبياء عليهم السلام وتعظيمهم لذي الجلال والإكرام ، فأولياء الله المخلصون هم الذين يقتدون بهم ، ويتبعون آثارهم ، ولا يقنطون عند معصيتهم ، ولا ييأسون من رحمة ربهم.

وروى أن الكفل من بني إسرائيل كان لا يتورع من ذنب عمله ، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت ، فقال : ما يبكيك ؟ أكرهتك ؟ قالت : لا. ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة فتركها. فقال : اذهبي والدنانير لك، ثم قال : والله لا يعصي الكفل أبدا قال : فمات من ليلته ، فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر للكفل.

---

(١) الفتح : ٢ .

وعن عبد الله بن مسعود قال : "بينما رجل في مملكته إذ تذكر فعلم أنما هو فيه منقطع ، وأنه قد شغله عن عبادة ربه ، فانساب الملك الذي هو في مملكته حتى صار في مملكة غيره فأتى إلى ساحل البحر ، وأقام يضرب اللبن ويعيش ، فانتهى إلى الملك الذي هو في مملكته ، وصفة عبادته وحاله ، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، ثم أرسل إليه فأبى أن يأتيه، فلما رأى ذلك ركب إليه ، فلما رآه العابد تهارب منه ، فتبعه على فرسه فقال له : يا عبد الله ليس عليك مني بأس ، ثم نزل إليه فسأله عن أمره ، فقال له : أنا فلان صاحب مملكة كذا ، تذكرت الموت ، وعلمت أنما كنت فيه منقطع ، وأنه قد شغلني عن عبادة ربي ، قال : فما أنت أحق بما صنعت مني ، ثم خلى سبيل فرسه واتبعه ، فكانا يعبدان الله عز وجل ، فسألا الله تعالى أن يميتهما جميعا . فماتا جميعا فدفنا ، قال عبد الله بن مسعود : فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبرهما بالنعت الذي نعته لنا رسول الله ﷺ .

وأبو عبد الله عامر بن عبد قيس رفض ملكه وتاب ، وهام على وجهه لا يعرج على شئ من الدنيا.

ومالك بن عامر بنى مستقرا بالعراق ، واجتهد في تزويقه ، وإحكام صنعته ، وعجائب صنعه ، ثم استحضر من الجودي قوما زهادا ، وقال : أترون في قصري هذا عيبا ؟ فقالوا : إنه ليس من علمنا. فقال له وزيره : إن هؤلاء قوم ما بنوا لبنة على لبنة ، فلح عليهم الملك ، فدخلوا قصره وقالوا : رأينا خرقا على خرق ، ولبنة على لبنة ، وغرورا على غرور من غرور الشيطان ـــ القصة بطولها ـــ فرفض الدنيا وتاب ، وهام على وجهه لا يلوي على شئ من زخرف الدنيا وملكها حتى لقي الله عز وجل.

وروي أن الفضيل بن عياض رحمه الله كان يقطع الطريق ، فخرج ليلا فإذا ناس يمرون وأحدهم يقرأ بصوت حزين ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [1] الآية ، فصاح ومزق ثيابه وقال : بلى والله قد آن ، قد آن ،

---

(١) الحديد : ١٦ .

وتاب إلى الله ، وكان من عبادته ما قد علم.

وكذلك الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وتابوا ، وندموا ، وبالغوا ، أنـزل الله توبتهم . وهم : هلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك من أصحاب رسول الله ﷺ .

وكان حبيب العجمي تاجرا بالبصرة يمر على حلقة الحسن البصري والناس يبكون فيقول: (أسيان بي كادوه) يعني : لا عمل لهم ، فاتفق في بعض الأيام أنه طلب غريما له كان في مجلسه فجاء وجلس ، وسمع كلام الحسن فبكى وارتعد وتاب وقام ، وقال : يا حبيب أنت في غير عمل ، وتصدق بجميع ماله. وقيل : كان مجوسيا ، ويربي في تجارته ، فلما سمع كلام الحسن رجع وتاب.

وروي أن إبراهيم بن ادهم رحمه الله كان من أهل النعم والرفاهية بخراسان ، فبينا هو مشرف على قصره إذ رأى رجلا يأكل رغيفا بيده في فناء قصره ، ثم شرب ماء ونام ، فلما انتبه قال : جيئوني به فجاءوا به ، فقال : يا أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع ؟ قال : نعم. قال : فشبعت ؟ قال : نعم . قال : ثم نمت طيبا ؟ قال : نعم. قال إبراهيم في نفسه فما أصنع بالدنيا ، والنفس تقنع بما رأيته ، فخرج سائحا فلقيه رجل فقال : من أين ؟ وإلى أين يا غلام ؟ قال : من الدنيا إلى الآخرة. وروى قصة أطول من هذه.

وروى أن أبا عمرو بن هشام كان فاسقا شريبا ، فبينا هو في مجلس شرابه إذ هتف به هاتف :

جَدَّ بك الأمرُ يا أبا عمرو وأنت معكوف على الخمر
شرب صهباء صراحية سال بك السيل ولا يستقدمون

فغشي عليه ثم أفاق وتاب ورجع إلى الله ، فكان ما قد عرف من عبادته

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يشرب والمغنون حوله ، فمر بعض الصالحين ببابه فقال : أحر هذا أم عبد ؟ فقالت جارية على بابه : بل حر. فقال : ما يفعل أفعال

الأحرار . فسمعها بشر فخرج حافيا وهو يقول : بل عبد وابن عبد ، وتاب ورجع إلى الله تعالى

وكذلك صلة بن أشيم كان من الفساق ، فنظر يوما في المصحف فقرأ { **وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** }[1] فارتعد وتاب.

وكان مالك بن دينار يزني ، فمر بصبيان يلعبون فقالوا : شيخ يزني فتاب ورجع.

ومضي يوما بصبيان يلعبون ، فقالوا : جاء الشيخ التائب.

وكان سبب توبة وهب بن الورد أنه رأى رؤوسا في النار فقال : أخرج رأسا فأخرج فلما رأى ذلك تذكر قوله تعالى : { **وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** }[2] فزال عقله ، ثم أصحى وتاب.

وهؤلاء عرفوا أدواءهم فبادروا إلى مداوتها ، فلا يزالون أصحاء أبد الأبد ، فعليك أيها الطالب بمثل فعلهم ، واحذر كحذرهم فإنما ذكرت لك أخبارهم لتقتدي بآثارهم ، فإنهم صاروا رهبانا في هذه الأمة ، رؤوسا في هذه الملة ، لما صبروا على مرارة العبادة ، وعن زخارف الدنيا وزينتها كما قال تعالى : { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** }[3].

وينبغي أن تعرف أيها الطالب للنجاة أن العمل لا ينفع إلا بحسب العلم ، وهذا عظم فضل العالم.

وقد قيل : إن الرجل لو جاء يوم القيامة بعمل أهل المشرق والمغرب فإنما يكون ثوابه على قدر علمه ، وقد يعترض الشك لبعض الناس في شئ من المعارف المتقدمة في الأصل الأول فيخطر بباله ما معناه :كيف يصح إثبات الصانع ؟ وكيف كان قبل خلق السموات والأرض ؟ وما معنى الأزل ؟ وربما تصور جسما ، وربما داخله

---

(١) الزمر : ٤٧ .

(٢) المؤمنون : ١٠٤ .

(٣) السجدة : ٢٤ .

الشك في علم الله تعالى بما في قلب الإنسان ، وبما تحت الثرى ، ويدخل ذلك أيضا في عدله وحكمته ، وفعله لبعض أفعاله ، نحو الأمراض والعاهات ، ويدخل ذلك في النبؤات والشرائع ، والوعد والوعيد ، فيبقى ذلك في قلبه ، ولا ينظر في إزالته بالأدلة المتقدمة ، ولا يبحث عنه العالم إن عجز عن حل شبهته ، ويمنعه من ذلك إما التساهل بما يحمله من وزر هذا الشك.

وأما مخافة أن يظن به الزندقة والشرك ،وهذا خروج عن الدين ، ولحوق بالكافرين فإن الواجب على هذا المكلف النظر والسؤال إن لم يمكنه النظر ، فإنما شفاء العي السؤال.

هذا المأثور عن الصادق المصدوق عليه السلام وقد قال تعالى : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[1] والذكر القرآن لقوله تعالى : {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}[2] يريد اسألوا العلماء وهم أهل القرآن ، وكان يمكن هذا المكلف إذا خاف أن يظن به ، يُعرّض ولا يصرح ، فيقول : إن من الناس من خطر بباله كذا وكذا فما يكون شفاؤه ؟ فيلقي ذلك إلى العالم الذي أمره الله تعالى بالاستعانة به ، وربما أفضى هذا الجنس بالإنسان إلى الانسلال من الدين ، اعتمادا منه على الشبهة التي استحيا من السؤال عنها ، وذلك الحياء هو عين الضلالة ، وهذه الخصلة هي أحد الأسباب الموبقة ، كما ذكرنا في قوله : (إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث) الخبر.

فهذا الجاهل بمنزلة من كان في طريق راكبا على فرس جواد ، فلما اعترضه الأسد وهو لا يعرفه استحسن خلقه وصورته ، فنزل عن فرسه ، وارتفع على موضع عال ورمى بنفسه على ظهر الأسد ، ولا يشعر بمضرته ، وهو يخفي على الناس لئلا يعيبوا عليه ركوبه عليه بدلا عن فرسه ، فكما أن هذا الجاهل مهلك لنفسه ، حيث لم يسأل عن ماهية مركوبه ، ومن أي الأجناس هو ، مع تجويزه أن يكون هو الأسد ، فكذلك راكب الشبهات ، والساكت على ما في قلبه منها.

---

(١) النحل : ٤٣ ، الأنبياء : ٧ .

٢) الزخرف : ٤٤ .

وكالذي يستبدل السم بما معه من الدواء ، على غير معرفة ولا بصيرة ، ولا هو يشعر ، ولا هو يسأل من يشعر به ، فكما أنه إلى الهلاك ، فكذلك هذا ، وكما أن العمل إنما يكون على حسب العلم ، فكذلك العلم أيضا ، فإنه لا ينفع إلا مع العمل.

وفي حديث النبي ﷺ (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه).

وعن النبي ﷺ (مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيئ الناس ويحرق نفسه) .

فينبغي للعاقل أن يرجع إلى نصحائه ، وهم المشيرون عليه بالنصيحة ، عقله ، وكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعمل بحسب ذلك ، فإنما العمل الصالح بمنزلة البناء المحكم ، فكما أنه لا يتم البناء المحكم إلا من عالم به ، فكذلك العمل الصالح ، وكما أنه لا ينتفع العالم بالبناء المحكم إلا بالعمل، وهو البناء لئلا يقف في الصحارى في الحر والبرد والأعداء وسائر المضار، فكذلك لا ينفع العلم إلا مع العمل ، وكما إن هذا البناء إذا انثلم دخلت الأعداء من الثلم على صاحبه ، فكذلك العمل الصالح متى انثلم دخلت الأعداء على صاحبه ، وهم الشياطين فأهلكته ، ودمرته ، وأخربت عليه عمله ، كما يخرب العدو الدار ، وأهلكت روحه بالنار ، كما يهلك العدو نفس عدوه بالقتل ، ويلحقه بالبوار.

وكما أن هذا البناء إنما ينثلم من سوء الصنعة ، بأن لا يأتي بها على الوجه الذي ينبغي ، أو بأن يدخل شيئا ثالما له ، فكذلك بناء الأعمال ينثلم تارة بسبب إيقاعه للعمل غير موافق للعقل والشرع ،وتارة لإدخاله عليه ما هو من هواه ، ويصير ذلك سببا لدخول أعدائه عليه ، وهم شياطين الإنس و الجن ، والهوى هو الأصل ، فإنهم لا يدخلون عليه إلا من حيث الهوى فاعرف ذلك.

واعلم أن أعداء الإنسان من الهوى والشيطان لا يدعونه إلا إلى الأخذ بظاهر الدنيا دون باطنها لما كان ظاهرها يروق الناظر ، وباطنها يقود إلى المقابر ، كما قال تعالى: {[اعْلَمُوا] أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ}[1]

وقال تعالى : {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}[2] الآية.

ثم بين باطنها بالمَثَل فقال تعالى : {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}[3] الآية.

وقوله : {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}[4] الآية ، وقد مثلها العقلاء بامرأة عجوز فانية هرمة قد جعل عليها من أنواع الحرير وأنواع الجواهر واللآلئ والفضة والذهب واليواقيت ما لا يوقف على حصره صفة وهي تتعرض لنكاح الناس لا لعشق بها ولكن لتقتل عشاقها وخطابها بحديدة قاطعة. فالناس منهم من رآها من بعيد فعشقها ودنا منها وهي تستدعيه بزينتها ، ولا تريه وجهها حتى إذا قرب منها ازداد لها عشقا ، ثم نزع لباسها قليلا قليلا لمواصلتها مع شدة عشقه وشوقه ، فبينما هو كذلك إذ بها قد نالته بحديدتها بعد ما أرته وجهها ، وتبين له قبح منظرها وكراهية خلقها ، وأنها مزخرفة مدلسة موضوعة لقتل عشاقها وأزواجها.

ومن الناس من يحمي نفسه عنها قبل كشفها،فلا ينال منها إلا مجرد المحبة من دون تحقيق العشق لها.

ومنهم من تناله بمجرد العشق من دون أن يواصلها،وقل من سلم منها من عشاقها وعلى حسب مواصلتهم وقربهم منها يكون هلاكهم ، والأعداء من الهوى والشيطان إنما يدعون إلى الظاهر منها وهو اللهو واللعب ، الذي لا ينفع بل يضر ، والله يدعو

---

١) الحديد : ٢٠ .

٢) آل عمران : ١٤ .

٣) يونس : ٢٤ .

٤) الحديد : ٢٠ . وتمام الآية :{ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} .

بالنصحاء وهم العقل والكتاب والسنة إلى دار الكرامة ، وإلى القرب منه بالرضاء والجلالة ، فأي الداعيين أحق بالإجابة ؟ وأولى في دعائه بالإصابة.

وأنت متى علمت بملك عظيم الشأن يدعو بعض الناس إلى التعرف به وبملكه وبوزرائه وخاصته ليوليه معظم الأمر ، بحيث يجعله من الخواص المقربين ، والأولياء المعظمين ، وعلمت أن ذلك الإنسان لقيه في طريقه إلى الملك زنجي قبيح المنظر ، خسيس الفعل ، وهو من أخس عبيد هذا الملك ، لما علم بدعاء الملك لهذا الإنسان حسده وقال له : ارجع بنا حتى نلعب ويسخر بعضنا ببعض ، ونتصافع ونتراكض بالأرجل كالحمر ، ونصطحب أياما في ذلك قبل ورودك على الملك ، فأجابه ذلك الإنسان إلى ما دعا إليه ، واعرض عما دعاه الملك إليه ، فإنك تعلم أن ذلك الإنسان ناقص العقل قليل الأدب ، مسخور به ، مستحق للعقوبة لاختياره لما لا يجدي ولا ينفع من اللعب واللهو ، فالملك العظيم الشأن هو الله تعالى وحده لا شريك له ، والإنسان المدعو هم العصاة ، والزنجي هو الهوى والشيطان ، واللهو واللعب الذي دعاه إليه هو الدنيا ، والذي دعاه إليه الملك هو الجنة والقرب منه برضاه لا بقرب المكان.

فهذا مثل العبد الذليل المسخور به في هذه الدنيا ، وهو المقبل عليها بكليته ، والجاعل لها نهاية بُغْيَته.

وإذا قد عرفت هذه التكملة لما مضى ، والتوطئة لما يأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى فلنلتفت إلى الإرشاد إلى طريق النجاة بالقُرَب والعبادات ، ومن الله أستمد التوفيق ، وإياه أسأل المعونة والتأييد.

الإرشاد إلى النجاة بالقرب إلى الله تعالى بالصلاة

وهو الأصل الثاني من أصول التكليف.

اعلم أيها الطالب للنجاة أن الصلاة عماد الدين وأساسه الذي يبني عليه هكذا ورد عن سيد المرسلين صل الله عليه وآله الطاهرين.

أما كونها عماد الدين فورد بهذا اللفظ الذي ذكرناه.

وأما كونها أساسا للدين فهو معنى قوله ﷺ : (بني الإسلام على خمس) وقد كانت الصلاة علامة الإسلام في زمن النبي ﷺ ، ولم تزل كذلك في زمن أصحابه رضي الله عنهم ، وعلى هذا قال النبي ﷺ : (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد أشرك).

وعنه ﷺ (الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين).

وعنه ﷺ (ستكون فتنة بين يدي الساعة يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا ولا يبالون ما فاتهم من صلاتهم إذا أصابتهم دنياهم أولئك مني براء وأنا منهم بريء).

واعلم أنا قد صرنا في هذا الزمان الذي ذكره النبي ﷺ فإن الأكثر تارك للصلاة ومعرض عنها بوجهه، تابع للدنيا مقبل عيها بكليته ، يرى فعلها عارا ، والمواظبة عليها ذلا وصغارا ـــ أعني الصلاة ـــ فهؤلاء كفرة بتركها ، عاصون لله برفضها ، فإنها شعار الدين ، والعلامة الفاصلة بين المسلمين والكافرين ، فإن الصحابة كانت عند هجومها على العدو يصلون فإن صلى من هجموا عليه قضوا بإسلامه ، وإن لم يصل قضوا بكفره وعظم احترامه.

وهل الاستخفاف بالصلاة غير تركها ورفضها ، والتعظيم لها غير فعلها والمواظبة عليها ، ولو شاهدنا رجلا يشتغل بالزنا في الليل والنهار لعددناه غير مستخف بأمر الزنا ولا مهينا له ، ولو ذمه بلسانه نظما ونثرا ، وعلا ونهلا ، ومتى رأيناه مفارقا له غير موافق ، مباينا له غير ملاحق عددناه مصغرا لأمر الزنا ومستخفا بحاله.

وأيضا فتارك الصلاة عمدا مستخف بالله تعالى ؛ لأنها تعظيم له عز وجل ، فمن ترك تعظيم العظماء عمدا في وقت التعظيم ومكان التعظيم يعد مستخفا، والمستخف بالله تعالى كافر بالإجماع.

وما اشتبه الحال على من قضي بإسلام تاركها إلا لإظهاره الشهادتين ، وظن أن الإيمان خصلة واحدة ، ولقد كانت الجاهلية تعتقد الإله عز وجل وتعظمه ، وتعتقد

عبادة الأصنام تعظيما له ، ويعتقدون نبوة إبراهيم وإسماعيل وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام فما خرجوا بذلك عن الكفر ، ولا دخلوا به في الإسلام ؛ وذلك لأن الإيمان خصال كثيرة وله أركان وأساسات معلومة محدودة ، والصلاة من أعظم أركانه وأشد أساساته ، فإذا تركها متعمدا غير متأول لم يقبل الله منه التوحيد الذي هو الأساس الأعظم ، وإذا لم يقبله كان كافرا ؛ لأنه تارك لأركان الإسلام التي ينبني عليها.

فعلى هذا المعني قال ﷺ:(خمس لا يقبل الله شيئا منهن دون شئ شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والجنة والنار والحياة بعد الموت فهذه واحدة، والصلوات الخمس عمود الإسلام لايقبل الله الإيمان إلا بالصلاة.والزكاة طهور من الذنب لا يقبل الله الإيمان والصلاة إلا بالزكاة فمن فعل هذه ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمدا لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة ، ومن فعل هؤلاء الأربع وتيسر له الحج ولم يحج ولم يوص بحجة ، ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا صيام رمضان) ؛ لأن الحج فريضة من فرائض الله فلن يقبل شيئا من فرائضه بعضها دون بعض . وهذا الخبر وارد بما ذكرناه.

ولقد كانت الشهادتان علامة للإسلام في زمن النبي ﷺ وزمان أصحابه رضي الله عنهم ، وترك الصلاة أو الزكاة تعمدا علامة الارتداد عن الإسلام بعد حصول العلامة الأولى وهي الشهادتان ؛ لأنه كان لا يشهد بشهادة التوحيد إلا من قد قبل أداء الصلاة وتحمل الإتيان بها ، فكان إذا تركها ردوا عليه حكم تارك الشهادتين ، كما فعلته الصحابة رضي الله عنهم أيام الردة في مانعي الزكاة.

وهذا شئ عرض ولنا فيه غرض فلنعد إلى ما نحن بصدده فإن لبيان هذه المسألة مكانا آخر هو أليق بذلك.

واعلم أن الصلاة فرض ونفل ، فالفرض رأس المال وبه النجاة من النار، والنفل هو الربح الذي تكفر به الأوزار.

قال النبي ﷺ عن الله تعالى : (ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به).

ولن تبلغ أيها الطالب إلى القيام بحق الله تعالى إلا بحراسة جميع أفعالك ، من حركاتك وسكناتك ، ولحظاتك وخطراتك ، في جميع أوقاتك وحالاتك ، فإن الله تعالى مطلع عليك ، وناظر بعلمه إليك ، فلا يعزب عن علمه من حركات قلبك ما هو في دقة الشعرة ، ولا ما هو أدنى ولا أعلى ؛ فإنه يعلم السر وأخفى ، ولن تستطيع هذا النوع من الحراسة إلا بأن توزع أوقاتك ، وترتب أورادك من حين تستيقظ من نومك إلى أن ترجع إلى مضجعك ، ونحن نبين ترتيب الأوراد في اليوم والليلة في جميع أيام السنة ، ثم نبين ما ورد مأثورا من الصلوات الفاضلات في أيام الأسبوع ، ثم ما ورد من ذلك في الشهور ، ثم ما ورد من ذلك على العموم ، ثم ما ورد مختصا بالأسباب مع قصدنا إلى الاختصار والإيجاز.

فهذه إرشادات خمسة ، وقد أذنت لمن أطل على ذلك أن يزيد على ما وضعته من ذلك في كل إرشاد ، ويلحق الشيء بجنسه ، فإن الغرض بذلك هو الهداية والإرشاد إلى ما فيه نجاة العباد ، فإن الذي لا يصلح فيه الزيادة والنقصان هو الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وهذا حين ابتدائي مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ورادا أمري كله إليه.

الإرشاد إلى ترتيب الأوراد في اليوم والليلة في جميع السنة

اعلم أيها الطالب للنجاة أن الليل نهار الصالحين ، ونور المؤمنين ، وسوق المتقين ، فيه تربح تجارتهم ، وتنفق بضاعتهم ، ويفشو شوقهم وحبهم ، وتفيض عليهم الرحمة من ربهم فينبغي أن تصحبه أحسن صحبة ، وإن تغتنم فيه كل قربة فإن ظلامه نورك عند بعثك ، ووحشته أنسك في قبرك ، وهدؤه فلجك بحجتك عند ربك ، وطول ساعاته عليك قصر ساعات وقوفك عند عرضك ، قال الله تعالى في مدح أصحاب

الليل : {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}[1] الآية وقال : {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.[2]

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربى إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسم).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (رحم الله عبدا قام من الليل فصلى وأيقظ أهله فصلوا ، وإن من أفضل الأعمال صلاة الرجل بالليل ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل إذا قام من الليل يصلي تسبح معه ثيابه وما حوله).

وعن يحي بن معاذ (الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والعمر قصير فلا تطوله بآثامك).[3]

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالليل حتى تورمت قدماه ، فقيل له : ما هذا وقد غفر لك ؟ فقال : ألا أكون عبدا شكورا).

ولبعضهم :

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته ... حظا إذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة الأرض لكم موعد

ولبعضهم :

تعود سهر الليل ... فإن النوم خسران

---

1) السجدة : ١٦ .

2) الذاريات : ١٧ ــ ١٨ .

3) في نسخة (بآمالك) .

ولا تركـــن إلى الذنـــب فعقـــبي الذنـــب نـــيران

وكـــن للوحـــي دراسـاً وللقـــراء إخـــوان

إذا مـــا الليـــل فاجـــأهم فـــهم في الليـــل رهبـــان

يميلـــون كمـــا مـــالت مـــن الأريـــاح أغصـــان

ولما علم السلف بفضائل التهجد اشتغلوا به ، فمنهم من اتخذ له نوبة مـن الليـل معلومة كعمران بن الحصين ، وعمر بن عبد العزيز ، ومنهم من طوي فراشه ، كمـا روى عن سليمان التميمي أنه لم يفرش له مدة أربعين سنة ، وكذلك صفـوان بـن سليم ، ولم يفرش لأبي بكر بن عياش خمسين سنة ، وكان عثمان بن عفـان يحيـي الليل كله ، وكان عمرو بن عتبه يخرج ليلا فيقف على القبور ويقـول : "طويـت الصحف ورفعت الأعمال" ثم يصف قدميه حتى يصبح فيشهد الصلاة في المسجد.

وكان أويس القرني يقول : (هذه ليلة الركوع) فيحيي الليل كله في ركعة ، (وهـذه ليلة السجود) فيحيي الليل كله في سجدة واحدة.

وعن أبي الأحوص قال : "كان الرجل يطوف الفسطاط فيسمع فيه دويا كـدوي النحل. قال : فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون".

وعن داود "كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه".

وروي أن ابنة لسعيد بن جبير قالت : يا أبت مالي أرى الناس ينـامون وأنـت لا تنام؟ قال : بنية إن خوف جهنم لا يدعني أنام).

وعن مالك بن دينار :"لو استطعت أن لا أنام لم أنم ؛ مخافة إن يترل العذاب وأنـا نائم ، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم في منازل الدنيا ينادون النار النار".

وعن النبي ﷺ (ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها).

ولبعض الصالحين :

نهارك يا مغـرور سـهو وغفلـة وليلك نـوم والـردى لـك لازم

تسر بمـا يبلـى وتغـتر بـالغني كما اغتر باللذات في النوم حـالم

وتنصب فيما سوف تكـــره غبـــه   كذلك في الدنيا تعيـــش البـــهائم

وكان أبو إسحاق الأزدي يحي الليل كله في ركعتين .

وكانت رابعة تصلي إلى طلوع الشمس.

وروي أن إبراهيم بن أدهم أخذه الإسهال في ليلة واشتد به ، فقام في ليلة واحـــدة سبعين مرة يجدد في كل مرة وضوءه ويصلي ركعتين.

وسئل : ما حرفتك ؟ فقال : إن عمال الله لا يحتاجون إلى حرفة.

وروي أن معاذة العدوية كانت تقول إذا جاء الليل : (هذه ليلتي التي أموت فيـــها) فما تنام حتى يصبح ، وإذا جاء النهار قالت : (هذا يومي الذي أموت فيه) فما تنـام حتى يمسي ، وتلبس الثياب الرقاق في البرد لتمنعها من النوم.

وروي أن حفصة بنت قيس أقامت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخـــرج إلا لقضـــاء حاجة ، وكانت تصلي الليل كله وتبكي .

فينبغي أن يكون اهتمامك بقيام الليل كثيرا ليكون حسابك يسيرا ، فإن الإنســـان يوم القيامة يود أن يحاسبه الله حسابا يسيرا ، ولو علقه بين السماء والأرض ألف سنة أو أكثر فكيف لا يشتري ذلك بسهر الليل.

ومن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار).

ويقال : إنما تنير وجوههم بالنهار لأنسهم بذكر الله تعالى فيفيض عليـــهم أنـــوار الحكمة.

فتأدب أيها الطالب المسكين بين يدي الله عز وجل بأدب العبد الذليل بين يـــدي الملك الجليل ، واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك.

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فينبغي أن يكون نومك فيـــها ثمـــان ساعات وهو الثلث ، فقد علمت أن النوم تفريط ، وإبطال للعقل ، وهو من أحســن حالاتك ، وإن كان أصلح من معصيتك لربك فإنك إذا عمرت ستين ســنة كـــان نومك وتفريطك وزوال عقلك عشرين سنة وهو الثلث ، وهذا نهايـــة التفريـــط أن

يفوت عليك من عمرك عشرون سنة لم تكتسب فيها ثوابا ولا أرضيت فيها ربك فاقنع بهذا القدر إن كان لابد من السعي في التفريط.

وحافظ في سائر الأوقات على الصلوات وما يدخل في ضمنها من القربات فإن الله تعالى إنما يأمر بالإقامة والمحافظة ، ولم يأمر بالصلاة مطلقة فقال تعالى : {أقم الصلاة}[1] وقال : {وأقيموا الصلاة}[2] وقال : {**حافظوا على الصلوات**}[3] وقال : {**والذين هم على صلاتهم يحافظون**}[4].

وقال النبي ﷺ : (حافظوا على الصلوات الخمس فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد فأول ما يسأله عنه الصلاة ، فإن جاء بها تامة وإلا زج به في النار) فأمر بالمحافظة .

[وعن عائشة عن النبي ﷺ (أحب العمل إلى الله أدومه)][5] .

فينبغي أن يكون اهتمامك بالمحافظة التي أمرت بها ؛ لتدخل في زمرة عباد الله المخلصين ، وتكون من جملة السابقين ، ونحن نذكر المحافظات في اليوم والليلة ، ونبين ما فيها من فرض وسنة ، الآن إن شاء الله تعالى .

المحافظة الأولى

وهي سنة أن يكون أول ما يجري على لسانك عند أن تستيقظ من منامك ذكر الله تعالى ، والإقرار له بالإنعام عليك بإرساله لنفسك بعد ما توفاها ، كما قال تعالى : **{الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى}**[6] فتعترف له تعالى بجزيل الأنعام ، وتذكره عند

---

١) الإسراء : ٧٨ . لقمان : ١٧ .

٢) النساء : ٧٧ . يونس : ٨٧ ، النور : ٥٦ . الروم : ٣١ . البقرة : ٨٣ . البقرة : ١١٠ . المزمل : ٢٠ .

٣) البقرة : ٢٣٨ .

٤) المعارج : ٣٤ .

٥) ما بين قوسي الزيادة موجود في نسخة أخرى .

٦) الزمر : ٤٢ .

تيقظك[1] من المنام فقد قال النبي ﷺ : (ما من مسلم ولا مسلمة ذكر ولا أنثى ينام بالليل إلا وعلى رأسه خرص معقود فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، فإن قام وتوضأ وصلى انحلت عقده

جميعا فيصبح نشيطا قد أصاب خيرا ، وإن نام لا يذكر الله حتى يصبح أصبح عقده ثقيلا.

وعنه ﷺ (يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

وعنه ﷺ (من انتبه من فراشه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، آمنت بالله وكفرت بالطاغوت غفرت له ذنوبه) فينبغي أن تجتهد في الذكر عند يقظتك.

المحافظة الثانية

اللباس فإذا لبست ثيابك فاقصد به وجه الله ، والتقرب إليه بفعل ما أمر به ، وهو ستر العورة ، والتسنن بسنة رسول الله ﷺ إن كان الثياب ثياب تجمل ، قال تعالى : {خذوا زينتكم عند كل مسجد}[2].

ويجوز إن يقصد به الهيبة على أعداء الله ، دون أن يقصد بذلك التزين للمعاصي والاستدعاء بذلك لأهلها ، والتكبر على عباد الله عز وجل كما فعله قارون لعنه الله قال تعالى : {فخرج على قومه في زينته}[3] الآية .

واعلم أن للقربة باللباس شرائط . أحدها : أن يكون اللباس من الحلال ، فإن المغصوب والمشتبه لا يجوز لبسه ، ولا الصلاة فيه .

---

١) في نسخة (وتذكره بعد تيقظك من المنام) .

٢) الأعراف : ٣١ .

٣) القصص : ٧٩ .

وثانيها : أن لا يكون من الحرير فإنه يجري مجرى الحرام إلا أن يكون أكثره غير حرير جاز لبسه والصلاة فيه ، وإنما يلبس للهيبة على أعداء الله عز وجل.

وثالثها : أن يكون طاهرا ، وهذا شرط في صحة الصلاة فيه وليس بشرط في كونه قربة في ستر العورة.

ورابعها : أن يكون ساترا ؛ لأن الرقيق لا تصح فيه الصلاة إذا كان يصف البدن ، وكذلك لا يجوز لبسه بانفراده أيضا.

فإذا لبست ثيابك خرجت إلى المحافظة الثالثة.

المحافظة الثالثة

وهي سنة آداب قضاء الحاجة.

فإذا قصدت أداء الحاجة فالآداب في ذلك كثيرة منها : أن تبعد المذهب وخصوصا عن المساجد.

ومنها : أن تتوارى عن أعين الناس وخصوصا عن العظماء كالعلماء والصلحاء .

ومنها : أن تبدأ عند دخولك الخلاء إن كان خلاء برجلك اليسرى .

ومنها : أن لا تستصحب معك على قضاء الحاجة شيئا فيه ذكر الله .

ومنها : أن تقول عند الدخول : بسم الله اللهم إني أعوذ بك من النجس الرجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم) ورد مأثورا ، ويكون ذلك قبل كشف العورة.

ومنها : أن لا تبول قائما.

ومنها : أن لا تبول من فوق مكان عال مواجه للرياح مخافة الترشش بالنجاسة.

ومنها : أن لا تبول في الماء.

ومنها : أن لا تبول على شطوط الأنهار.

ومنها : أن لا تقضي تحت ظل الأشجار التي تعتاد للظل .

ومنها : أن لا تقضي حاجتك تحت ظل الأشجار المثمرة.

ومنها : أن تتجنب قضاء الحاجة في الطرق.

ومنها : أن تتجنب المجالس على العموم ، وكل ما فيه مضرة على المسلمين.

ومنها : طلب المكان السهل أو ما شاكله مخافة الترشش بالنجس.

ومنها : التجنب لاستقبال القبلة واستدبارها. ورد مأثورا ، وهو محظور عند بعض العلماء ومكروه عند الآخرين.

ومنها : أن لا تذكر الله عند قضاء الحاجة بلسانك ، ولا تخلي عن ذكره قلبك فإن ذلك هو الذي ينبغي لك في جميع الأحوال.

ومنها : أن لا تنظر إلى ما يخرج منك.

ومنها : أن لا تبزق عليه ، ولا تتمخط أيضا عليه.

ومنها : أن تستجمر بعد قضاء الحاجة وللاستجمار شرائط.

أحدها : أن يكون بالطاهر دون النجس وشريطة ثانية : وهي أن تتجنب العظم والروث.

وشريطة ثالثة : وهي أن يكون الاستجمار بالوتر من الأحجار. ورد مأثورا في الثلاث.

وشريطة رابعة : وهو أن يكون الاستجمار باليسرى.

وبيان فائدة حكمته في الاستجمار وهي أن الاستجمار بالماء واجب إن وجد ويكون بالحجر أو ما يقوم مقامه مستحبا وإن لم يوجد الماء فالاستجمار بالحجر أو ما يقوم مقامه واجب.

وشريطة خامسة : فيه وهي حصول الإنقاء لعين النجاسة بما يستجمر به ، أو حصول الطهارة لموضع النجاسة لما تغسل به.

وشريطة سادسة تابعة فقط : وهي إمرار اليد تحت القضيب ليجذب بقية البول.

وشريطة سابعة : وهي أن تقول بعد الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش).

ومن الآداب : أن يبتدئ في الخروج برجله اليمني.

ومن الآداب : أن تقول عند الفراغ : (الحمد لله الذي أماط عني الأذى وابقي ماينفعني) وكل ذلك مذكور في الفقه.

المحافظة الرابعة : وهي سنة السواك

ينبغي أن لا يترك السواك ؛ فإنه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب ، ورد مأثورا.

أما كيفيته : فهي أن يكون السواك عرضا لا طولا ، ورد ذلك مأثورا.

وأما فضائله : فروي عن النبي ﷺ أنه قال : (صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك) .

وعنه ﷺ (في السواك عشر خصال : يجلو البصر ، ويشد اللثة ، ويبيض الأسنان ويقطع البلغم ، ويفرح الحفظة ، ويزيد في الوضوء ، ويرضي الرب ، ويزيد في الحسنات ، ويوافق السنة ، وفيه شفاء من كل داء).

وكان ﷺ يستاك بالرطب واليابس في أول النهار وآخره وهو صائم.

وقال ﷺ : (خير خصال الصائم السواك).

المحافظة الخامسة (الوضوء)

اعلم أيها الطالب أن الطهارة طهارتان ، طهارة الباطن ، وطهارة الظاهر ، وكلاهما واجبتان ، أما طهارة الباطن : فهي طهارة القلب من الخبائث ، وقد ذكرناها في آفات القلب ، فأحذرك أن تقصد عبادة ربك ، والقيام بين يديه بطهارة ظاهرك مع نجاسة باطنك ؛ فإنه تعالى مطلع على سريرتك ، عالم بباطنك وظاهرك ، ولن يقبل منك طهارة ظاهرك إلا بأن تكون موافقة لطهارة باطنك ، مصنوعة على مثالها ،

بحيث لا يبقي من النجاسات في القلب قليل ولا كثير ، ولا صغير ولا كبير ، إلا ما يقدر أنه لا يكاد يخلو عنه القلب مما تكفره الطهارة الظاهرة ، كما سنذكر في فضائلها ، فإن بقي ذلك القدر فالطهارة الظاهرة تجبره ، وإن لم يبق كملت الطهارتان ، وكان لك جنتان مذكورتان في سورة الرحمن.

وأما طهارة الظاهر في ضربان : طهارة بالماء ، وطهارة بالتراب.

والطهارة بالماء ضربان : وضوء ، وغسل.

أما الضرب الأول من الطهارة الظاهرة ، وهي الطهارة بالماء وهي الوضوء ؛ فهي طهارة الأعضاء الخمسة وهي : الفرجان ، والوجه ، واليدان ، والرأس ، والرجلان ، ونحن نذكر كيفية الطهارة بفروضهما وسننهما ، ثم نذكر تمييز مفروضها من مسنونها ، ثم نذكر ما يكره فعله فيها ، ثم نذكر الماء الذي يتطهر به ، ثم نذكر فضائلها ، ثم نذكر ما هو من كمالها في الثواب.

أما كيفية الوضوء

فإذا فرغت من السواك فاجلس للطهارة على حجرين مرتفعين لئلا يصيبك الرشاش إلا أن يكون وضوءك على الماء الجاري أو الغدرات فلا بأس بالجلوس على الماء حينئذ وقل عند الجلوس : "بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون" ثم اغسل كفيك ثلاثا قبل إدخالها الإناء ، وقل : "اللهم إني أسألك اليمن والبركة ، وأعوذ بك من السوء والهلكة" ثم اغسل الفرج الأعلى بشمالك ثلاثا وأنت تفيض الماء بيمينك.

ثم اغسل الفرج الأسفل كذلك ثلاثا.

فإذا زالت النجاسة غسلت العضوين ونويت وضوءك للصلاة ، وإنما يجزيك هذا الوضوء لما نويت به من الصلوات ، سواء عينت أو أجملت النية ؛ فإن الأعمال بالنيات ، ورد مأثورا عن النبي ﷺ .

ولا تنو بلسانك وأنت معرض بقلبك فتكون بمنزلة من لم ينو أصلا ، ولا تنو أيضا وضوءك للصلاة وأنت مشرك في النية مع الله عز وجل غيره بالرياء فيحبط عملك ويكون وبالا عليك ، وعليك بطهارة القلب فاخلطها بطهارة كل عضو من أعضاء الطهارة الظاهرة.

وقل عند الاستنجاء : "اللهم حصن فرجي واستر عورتي ولا تشمت بي الأعداء" فإذا فرغت من الاستنجاء أخذت غرفة بيمينك فتمضمضت بها واستنشقت ، تجمع بينهما بغرفة واحدة ، وبالغ فيهما إلا أن تكون صائما واستنثر ما في الأنف من أوساخ ورطوبة ولتكن المضمضة والاستنشاق ثلاث مرات ، وأنت تقول عند المضمضة والاستنشاق : "اللهم ربي لقني حجتي ولا تحرمني رائحة الجنة في الجنة" واعد نية الوضوء عند المضمضة والاستنشاق لتأخذ بموضع الإجماع فهو أحوط.

ثم اغسل وجهك من مبتدإ سطح الجبهة إلى منتهى الذقن طولا ، ومن الأذن إلى الأذن عرضا ، واغسل ما بين ذلك إلى موضع التحذيف ، مما بين رأس الأذن إلى زاوية الجبين ما يقع منه في الوجه ، وبالغ في وصول الماء إلى منابت الشعر الأربعة ، وهي الحاجبان والشاربان ، وأهداب العينين ، واللحية . وخلل لحيتك ، وأوصل الماء إلى البشرة ، وأدخل إصبعيك تحت غابتك تخليلا للحيتك ، وافعل ذلك ثلاثا ، وقل عند غسل الوجه : "اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه ، ولا تسود وجهي يوم تبيض الوجوه" .

ثم اغسل يدك اليمني ، وابدأ بالغسل من أطراف الأصابع إلى ما وراء المرفق من العضد بمقدار ما يدخل الحد في المحدود ، وافعل ذلك ثلاث مرات ، وقل عند غسل يمينك : "اللهم اعطني كتابي بيمني والخلد بشما لي" .

ثم اغسل يدك اليسري كذلك ثلاث مرات وقل عند غسلها : "اللهم لاتعطني كتابي بشمالي ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي" .

ثم امسح رأسك بالماء ثلاث مرات ، تبل يدك بالماء ، وتلصق رؤس الأصابع من

اليمين برؤوس الأصابع اليسرى ، وتضعهما على مقدم الرأس ، ثم تمرهما كذلك إلى القفاء وتديرهما في صفحة الرأس يمينا وشما لا ، وتمسح الأذنين مع الرأس ظاهرهما وباطنهما، وتدخل الإصبعين في خزق الأذنين ،وتقول عند مسحك للرأس : "اللهم غشنا رحمتك فإنا نخشى عذابك اللهم لا تجمع بين نواصينا وأقدامنا"

ثم تمسح عنقك وتمر يديك على عاتقيك ، وتديرهما إلى باطن عنقك وتقول عند ذلك :"اللهم نجنا من مقطعات النيران وأغلالها" .

ثم تغسل رجلك اليمني إلى فوق الكعب وهو العظم النابي في مفصل الساق ، وخلل بين أصابع رجليك ، وأدخل أصابع يدك تحت أصابع رجليك تخليلا لما تحتها وليكن غسلها ثلاثا ، ثم اغسل رجلك اليسرى كذلك ، وقل عند غسلهما : "اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام" . فهذه كيفية الوضوء.

وأما تمييز مفروض الوضوء من مسنونه

فغسل اليدين قبل إدخالهما الإناء مستحب إلا أن يكون فيهما نجاسة فواجب ازالتها

والاستنجاء من البول والغائط واجب ، ومن الريح واجب عند الهادي عليه‌السلام، ومسنون عند غيره ، والمضمضة والاستنشاق واجبتان مرة ، والثلاث تستحب ، والنية واجبة ، وموضعها أول أعضاء الوضوء التي يجب غسلها على حسب الخلاف وقد أعلمك بالأحوط ، وغسل الوجه كله على الحدود التي ذكرناها واجب مرة واحدة ، والثلاث سنة.

وغسل اليدين إلى المرفقين على الحد الذي ذكرناه واجب مرة واحدة ، والثلاث سنة.

وابتداء غسلهما من الأصابع إلى المرفقين سنة.

ومسح الرأس كله مع الأذنين واجب مرة ، والثلاث سنة.

ومسح العنق مرة سنة بالماء الذي يبقي في اليد بعد مسح الرأس عند يحي عليه‌السلام ، وعند غيره ماء جديد.

وغسل الرجلين إلى فوق الكعبين واجب مرة واحدة ، والثلاث سنة.

والترتيب بين الأعضاء واجب ، وذكر الله تعالى على الوضوء واجب مرة ، وسنة في الأعضاء كلها.

وارى في وقتي هذا وجوب الجمع بين غسل الرجلين ومسحهما لأن القراءتين في الآية بمنزلة آيتين أو خبرين ، وليس هو مذهب الهادي عليه‌السلام ، ولكنه يروى عن القاسم والناصر عليهما‌السلام.

وأما مايكره في الوضوء

فيكره لطم الوجه بالماء ، وكثرة الترشش ، وكثرة إراقة الماء الزائد على الحاجة مخافة التبذير ، ويكره تفريق الوضوء ، ويكره كثرة الدلك الزائد على الواجب ، ويكره ما زاد من الغسلات على الثلاث ، مخافة الدخول في البدعة ، ويكره الإبطاء والاشتغال بغير الوضوء معه مخافة دخول الشك ؛ فيؤدي إلى إرضاء الشيطان وإلى تأخير الصلاة ، وإلى الدخول في البدعة ، ويكره أن تمسح أثر الطهور.

وسئل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هل يمسح المتطهر الماء عن وجهه ؟ فقال : (أتمسح عن وجهك الخير إن لك بكل قطرة إثبات حسنة وكفارة سيئة ورفع درجة) .

وأما صفة الماء الذي يتطهر به

فهو أن يكون حلالا غير مغصوب ولا مشتبه ، وأن يكون طاهرا غير نجس ، وأن يكون خالصا غير متغير بشائب بحيث يظهر له ريح أو لون أو طعم ، وأن يكون غير مستعمل في شئ من الطهارة التي تكون قربة ، فإن كان قد استعمل في ذلك لم يجز التطهر به.

وأما مقدار ما لا ينجس من الماء إلا بأن يتغير بالنجاسة فهو الماء الذي يغلب على الظن أن النجاسة لا تستعمل باستعماله ؛ فإنه لا ينجس إلا بأن يتغير بالنجاسة.

ويختلف ذلك بحسب الظنون ، وكل مكلف بظنه ،هذا مذهب الهادي عليه‌السلام وعند القاسم لا ينجس الماء إلا بأن تتغير أحد الأوصاف الثلاثة وهو قوي .

وأما فضائل الوضوء

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا قرب الرجل وضوءه فغسل كفيه كفر الله عنه ما عملت يداه ، فإذا هو تمضمض واستنشق كفر الله عنه ما نطق به لسانه ، فإذا هو غسل وجهه كفر الله عنه ما نظرت عيناه ، فإذا هو غسل ذراعيه كفر الله عنه ما بطشت يداه ، فإذا هو مسح رأسه وأذنيه كفر الله عنه ما سمعت أذناه ، فإذا هو غسل رجليه كفر الله عنه ما مشت به رجلاه).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (الوضوء نصف الإيمان والصلاة جميع الإيمان).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (أنه أخذ غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق) ثم قرأ {**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**}[1] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلك الرباط).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من امرء مسلم قام في جوف الليل إلى سواكه فاستن به ، ثم تطهر فأسبغ الوضوء ، ثم قام إلى بيت من بيوت الله إلا أتاه ملك فوضع فاه في فيه فلا يخرج من جوفه شئ إلا دخل في جوف الملك حتى يجيء يوم القيامة شهيدا شفيعا).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من أسبغ الوضوء في الشتاء زاده الله في عمره بكل وضوء سنة. قيل : يا رسول الله وكيف يزاد في العمر مع قول الله تعالى : {**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**}[2] ؟ قال : يكتب الله له بعد موته بكل وضوء عبادة سنة ، صيام نهارها ، وقيام ليلها لوجه الله تعالى لا رياء فيه ولا سمعة).

وعن علي عليه السلام (من بالغ في الاستنجاء لم ترمد عينه).

---

١) هود : ١١٤ .

٢) الأعراف : ٣٤ . النحل : ٦١ .

وروي :أن كرز بن وبره توضأ ليلة مات ثمانين مرة كي يموت وهو متوضئ".

وروي "أن إبراهيم الخواص كان به علة البطن ، فكان كلما قام توضأ فخرجت نفسه في وسط الماء ، وكان يغسل نفسه".

وكان بإبراهيم بن أدهم إسهال فتوضأ في ليلة سبعين مرة ، يصلي في كل مرة ركعتين.

وأما ما هو من كماله في الثواب

فهو الذكر بعد تمام الوضوء.

فإذا فرغت من الوضوء فقل : "أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) وقل أيضا : "سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واغفر لي إنك على كل شئ قدير" وقل :"اللهم كما طهرتنا بالماء فطهرنا من الذنوب" واجمع بين هذه الأدعية كلها عقيب الوضوء ؛ فإن الأخبار واردة في فضل كل واحدة منها.

قال النبي ﷺ : (ما من مسلم يتوضأ ويحسن الوضوء ، ثم يقول بعد فراغه من وضوئه : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ـــ إلا فتحت له ثمانية أبواب من الجنة من أيها شاء دخل) في خبر طويل.

وقال ﷺ: (من قال إذا توضأ بسم الله . وإذا فرغ : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ـــ طبع الله عليه بطابع من نور ، ثم وضع تحت العرش فلا يكسر إلى يوم القيامة).

وقال : مامن مسلم يتوضأ ويقول عند وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا الله ، أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واغفر لي إنك على كل شئ قدير) إلا كتب في رق ، ثم ختم عليها ثم وضعت تحت العرش حتى تدفع إليه بخاتمها يوم القيامة).

وعن محمد بن الحنفية قال : "دخلت على والدي علي بن أبي طالب فإذا عن يمينه إناء من ماء ، فسمى ثم سكب على يمينه ثم استنجى فقال : (اللهم حصن فرجي ، واستر عورتي ولا تشمت بي الأعداء) ثم تمضمض واستنشق وقال : (اللهم لقني حجتي ، ولا تحرمني رائحة الجنة) ثم غسل وجهه وقال : (اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه ، ولا تسود وجهي يوم تبيض الوجوه) ثم سكب على يمينه وقال : (اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد بشما لي) ثم سكب على يساره فقال : (اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي) ثم مسح رأسه وقال : (اللهم غشنا برحمتك فإنا نخشى عذابك ، اللهم لا تجمع بين نواصينا وأقدامنا) ثم مسح عنقه فقال : (اللهم نجنا من مقطعات النيران وأغلالها) ثم غسل قدميه وقال : (اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام) ثم استوى قائما فقال : (اللهم كما طهرتنا بالماء فطهرنا من الذنوب) ثم قال بيده هكذا يقطر الماء من أنامله ، ثم قال : (يا بني افعل كفعالي هذا ؛ فإنه ما من قطرة تقطر من أناملك إلا خلق الله منها ملكا يستغفر لك إلى يوم القيامة ، يا بني إنه من فعل كفعالي هذا تساقط عنه الذنوب كما تساقط الورق عن الشجر في يوم الريح العاصف).

فهذا هو الضرب الأول من الطهارات

[كيفية الاغتسال]

وأما الضرب الثاني من الطهارة بالماء وهو الاغتسال

فاعلم أن لوجوب الاغتسال سببا ومقدمة لا يتم من دونها ، وصفة لا يصح إلا بها .

أما سبب وجوب الاغتسال فأربعة:

وهو الحيض في المرأة ، وإنزال المني عن مباشرة كان أو احتلام ، وتوارى الحشفة ، والنفاس . فهذه أسباب وجوب الاغتسال ، الذي ينطلق عليه اسم الغسل ــ بضم الغين ــ وأما بفتح الغين فسببه النجاسة ، والموت أيضا ، وطهارة ذلك أن يغسل ثلاث مرات ، ورد مأثورا .

وأما مقدمة الاغتسال التي ينطلق عليها اسم الغسل ـ بضم الغين ـ فمقدمته في الحيض والنفاس حصول النقاء وذهاب أكثر مدة الحيض والنفاس ، أو زوال العلدة ، وفي الجنب البول قبل الاغتسال في الرجال دون النساء.

وأما صفة الغسل :

فهي أن تتوضأ كوضوء الصلاة وتقصد به السنة ، ثم تفيض الماء على بدنك يمينا وشمالا، وتدلك ظاهره وغامضه ، وتبل الشعر وتنقي البشر ، وتمضمض وتستنشق للجنابة ، وتنوي أنك تغتسل للجنابة وإزالة الحدث الأكبر، وتكون النية مقارنة لأول جزء من الاغتسال ، وكذلك الغسل للحيض والنفاس ، والغسلة الواحدة واجبة والثلاث سنة.

فإذا فرغت من الاغتسال فتوضأ للصلاة كما عرفتك أولا ، واقرن به الأذكار التي تقدم شرحها ، والتكملة التي ذكرناها ، فهذا هو الضرب الثاني من الطهارات بالماء.

[كيفية التيمم]

وأما الضرب الثالث من الطهارات وهي الطهارة بالتراب.

فنذكر أسباب ذلك ووقته ، وصفة ما يتطهر به من التراب ، وكيفية التيمم به ، وشرط صحة هذه الطهارة ، وما يؤدي بها من الصلوات.

أما أسباب التيمم.

فهي : عدم الماء ، وتعذر استعماله مخافة الضرر منه ، أو لضرر مع المكلف لا يمكنه معه الطهارة بالماء ، أو فقد الآلة التي لا يحصل الماء إلا بها نحو الحبل والدلو ، أو النجاسة في البدن التي لا يمكن معها استعمال الماء إلا بتنجيسه ، أو مخافة ضرر من العطش إن استهلك الماء في الطهارة ، أو تعذر الوصول إليه مخافة العدو ، أو ما جرى مجراه ، أو خشية فوات الوقت قبل الوصول إلى الماء ، فأما لو خشي فوات الوقت إن توضأ والماء موجود معه فإنه يجب الوضوء ، فهذه أسباب وجوب التيمم.

وأما وقته : فآخر الوقت إلا أن يكون عذره مما يغلب على ظنه أنه لا يـــزول وفي الوقت بقية جاز التيمم في أول الوقت.

وأما صفة التراب الذي يتطهر به : فهو أن يكون من التراب الحلال الطاهر المنبت غير المستعمل في شئ من العبادات ، الذي يعلق بالكف عند الضرب.

وأما كيفيته : فهو أن تضرب بباطن يديك على التراب مصفوفتـــين ثم تنفضـــهما ليزول الزائد على الحاجة من التراب ، ثم تمسح بهما وجهك كما تفعـــل بالمـــاء إلا الدلك فليس مع المسح دلك ، وتعم بالمسح جميع الوجه ، وتدخل في ذلك اللحيـــة ، وذلك هو الواجب ، ثم تضرب بهما على التراب ضربـــة أخـــرى ، وتفـــرق بـــين أصابعهما ، ثم أرفع يديك وانفض الفضلة الزائدة من التراب ، ثم ضع ظاهر أصـــابع يدك اليمني على باطن أصابع يدك اليسرى الأربع دون الإبهامين ، وامر الأصابع علـــى الأصابع كذلك إلى ظاهر ذراعك اليمني ،ثم إلى حيث يجب بلاغ الغسل بالماء من وراء المرفق ، ثم اقلب راحة يدك اليسرى من حيث قد بلغت إلى باطن الذراع على العموم إلى أن تبلغ الإبهام على الإبهام ، وتيقن أنك قد استوعبت جميع اليد اليمني بالمسح ،ثم تمسح اليد اليسرى كذلك مما في اليد اليمني ، وإن ضربت بيديك على التراب ضربـــة ثالثة تمسح اليد اليسرى كذلك فهو سنة ، والأول مقدار الواجب. فهذه صفة التيمم.

وأما شرطه : فهو النية في أو له عند مسح الوجه، فتنوي أن طهارتك هذه لصـــلاة واحدة من الفرائض ، أي صلاة أردت ولنافلتها فقط ؛ فإن التيمم لا يجوز لفرضـــين ، فأما النوافل فإذا نويت أن التيمم لنوافل كثيرة جاز ذلك إذا عينت عدد النوافل ، وإن أجملت أجزأ لصلاة نافلة واحدة إما لركعتين أو أربع بتسليمة واحدة ، فـــإن ذلـــك أكثر ما يطلق عليه اسم الصلاة.

وشرط آخر

وهو ذكر الله تعالى ؛ فإن ذلك واجب في التيمم مرة ، وتكراره سنة ، وهـــو في ذلك كالوضوء ، فهذه أنواع الطهارات وقد تم بذلك المحافظة الخامسة.

المحافظة السادسة

فإذا فرغت من طهارتك فاستقبل الصلاة بخشوع وتذلل ورهبة ورغبة ، وعليك بالصلوات الفاضلات المروية عن النبي ﷺ مما سنبينه لك إن شاء الله تعالى ، واجعل أول وردك في كل ليلة صلاة تلك الليلة التي قد ورد فيها الأثر عن النبي ﷺ كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، واجعل من صلاتك وذكرك في بيتك ليكثر خيره ؛ ويهرب منه الشيطان ؛ فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ، واعمروها بالقرآن ، فإن أفقر البيوت بيت لا يقرأ فيه كتاب الله عز وجل).

فجملة الأمر وتفصيله أن تصرف سهرك ويقظتك إلى ثلاثة أشياء ، وهي استعمال الصلوات ، والتهجد بالقرآن ، والاستئناس بالذكر لله تعالى ، فهذه الأمور الثلاثة هي التعبد لله ، والخدمة له عز وجل بما يحب ويرضى ، وبها يقع الفوز والنجاة ، ولن تذعن لك نفسك إلى التجرد من النوم ، والتلبس بالسهر ، والمفارقة للين المهاد ، ولذة الرقاد إلا بأن تشرب قلبك الخوف والرجاء ، ولن يصدق خوفك إلا مع هيجان الحزن والبكاء ، ولا يصدق رجاؤك إلا مع التوكل والأنس بالله تعالى ، وإنما ينبعث لك داعية التوكل والأنس بالانقطاع إلى الله تعالى وحسن الظن به ، وينبعث لك داعية الخوف والخشية بالتصور والفكرة وكثرة التيقن لجلال الله تعالى والمعرفة ، ويحرك الذكر لله عز وجل أغصان المعرفة ؛ فيقع في باطن قلبك ، ومتى أنشأت التصور للموت والبلاء ، وتفكرت في أحوالك عند مماتك ، وضعفك بين أهل قوتك[1] ، من أهلك وحشمك وأخدانك وأوليائك بحيث لا يجلبون لك نفعا ، ولا يدفعون عنك ضررا ، ثم نظرت في ورود الملائكة عليك لتقبض روحك ، ومعالجتهم لنفسك ، وتصورت عظم الألم ، وتضاعف البلاء ، وكونك على خطر من عملك ،

---

١) في نسخة (بين أهل مودتك) .

ثم تصورت أحوالك كلها إلى أن ترد إلى قبرك ، وتدخل في لحــدك ، ثم فكــرت في دخول نكير ومنكر عليك ، وانفرادهما بك ، ومسآءلتهما لك ، وضعف قلبك عــن إجابتهما ، وأدرت النظر في انفرادك وحدك إلى أن تقوم الساعة ، ثم عاودت التصور إلى أحوال القيامة ومواقفها وأفزاعها وأهوالها ، وأحوال النار وحريقها وأغلالهـــا ، وحياتها وعقاربها ، وطعامها وشرابها ، وغير ذلك من عذابها ، وقصرت خاطرك على جميع ما ذكرناه في الركن العاشر هان ذلك عليــك ، وهيــج الخــوف والخشــية، وأذعنت النفس إلى الحزن والبكاء.

فمتى أخطرت ببالك الجنة وما وعد الله المتقين وجميع ما ذكرناه في الركن العاشـــر للمؤمنين ـــ شربت حينئذ بكاس الرجاء ، ونبت في قلبك التوكل والأنس ، والحـب لله تعالى ، وحينئذ يعتدل مزاجك ، ويذهب رقادك ، ويكثر سهرك، ويسهل عليــك مفارقة مترلك وفرشك ، بل مفارقة روحك ونفسك ، والأنس بدلا من ذلك بربك .فلهذا ينبغي لك أيها الطالب أن لا تشغل قلبك في ليلك ونهارك بغير هذه المطــالب ، وهي الخوف ، والخشية ، والرجاء ، وحسن الظن بالله تعالى ، والانقطاع إليه عـــز وجل، والحب له تعالى ، وكثرة التوكل عليه ، وكثرة التفكر في الموت والبــلاء ، وغير ذلك من أحوال الحشر والنشر ، والموقف والعرض ، والجنة والنار ، والارتــداء برداء الحلم ، والتهيج للبكاء من خشية الله تعالى ، فإن هذه الأمور هـــي بواعــث الخدمة لله عز وجل ، ولهذا حث عليها ومدحها وعظم من اتصف بها .

وكذلك النبي ﷺ أمر بها وعظمها ، وبها دان الصالحون ، وعليها مضى الأولون منهم والآخرون.

وأما إشارتنا عليك بقصر ليلك على الأمور الثلاثة ، التي هي الصلاة ، والقــرآن ، والذكر ، فلأنا قد أرشدناك قبل هذا إلى معرفة الله عز وجل على الكمال ، وهـــذه الثلاثة بعد ذلك هي الخدمة البدنية التي لا بدل لها ، فهي بخلاف الصــوم والزكــاة والحج ، فإنها إما خدمة مالية ، وإلا بدنية لها بدل وهو المال ؛ فلهذا ينبغي أن تكــون هذه الثلاثة مستصحبة مع جميع العبادات على الوجه الشرعي.

أما الصلاة فقد تقدم في فضلها ما ينبئك عن عظم حالها.

وأما القرآن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أفضل العبادة قراءة القرآن) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن البيت يسع أهله ويكثر خيره وتحضره الملائكة ولا تحضره الشياطين إذا يقرأ فيه القرآن ، وإن البيت ليضيق على أهله ويكثر شره ، وتحضره الشياطين وتهجره الملائكة إذا لم يقرأ فيه القرآن).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (يقال لحامل القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل ، فإن منزلك عند آخر آية).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن هذا القرآن مادبة الله فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشافع النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستغيث ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، اتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف منه عشر حسنات ، أما إني لا أقول الم ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (أشراف أمتي حملة القرآن وقوام الليل).

وأما الذكر فقال تعالى : {**فاذكروني أذكركم**}[1] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث ذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس ، فإن نسي الله التقم قلبه).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم وقد سأله رجل : أي العباد أفضل يوم القيامة ؟ فقال : (الذاكرون الله كثيرا) قال : قلت :يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله ؟ قال : (لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويخضب دما لكان الذاكرون لله أفضل منه درجة).

---

١) البقرة : ١٥٢ .

وقد روى أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته. فقال ﷺ :(دعه فإنه أواه).

وعنه ﷺ (ليس شئ أنجي من عذاب الله من ذكر الله).

وعنه ﷺ (من أكثر ذكر الله أحبه الله).

فقد بان لك فضل هذه العبادات الثلاث.

وأما فضل المطالب الباعثة عليها التي ذكرناها.

فروي عن النبي ﷺ أنه قال :(رأس الحكمة مخافة الله) وعنه ﷺ (إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجر البالية ورقها).

وعنه ﷺ (إن الله يحب كل قلب حزين).

وعنه ﷺ (إن لكل شئ لقاحا ولقاح العمل الصالح الحزن).

وعنه ﷺ (إن الحزين في أمر الله في علو من الله).

وسئل النبي ﷺ : من أول من يرد عليك الحوض ؟ قال : (الذاكرون الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا أجنهم الليل استقبلوه بالحزن).

وعن علي عليه‌السلام أنه كان إذا أجنه الليل زفر زفرة ويقول : (يا ويلك يا ابن آدم اعمل في ليلتك هذه فإنها لم ترد عليك فيما مضى ، ولأن صرفت عنك لا ترجع إلى قيام الساعة ، وإذا جاء النهار قال مثل ذلك).

وعن النبي ﷺ أنه قال : (ما من عبد بكى من خشية الله فيخرج من عينيه قطرة ولو مثل رأس الذباب فتصيب شيئا من حر وجهه إلا حرم الله عليه النار).

وعن النبي ﷺ(ما جمدت العيون حتى قست القلوب ، وما قست القلوب حتى كثرت الذنوب).

وعن فضيل بن عياض قال لسفيان بن عيينة : ويل لي ، وويل لك إن لم يعف الله عنا إذا كنا نزعم أنا نعرفه ونعمل لغيره).

وعن ميمون بن مهران قال : لما نزلت هذه الآية {وإن جهنم لموعدهم أجمعين}[١] وثب سلمان وصاح ووضع رأسه ، وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه ،ثم جيء به).

وقيل للفضيل : ما كان سبب موت أبيك ؟ قال : بات يتلو القرآن فأصبح ميتا.

وسمع أخ لمحمد بن المنكدر هذه الآية {وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون}[٢] فقال : هاه هاه ، فلم يزل يقولها حتى مات

وكان محمد بن واسع إذا سمع القاري ظهر الخوف فيه.

وقرأ قارئ عنده يوما فلم يصب من نفسه ما كان يصيب ، فقال : يا أيها القارئ إما بي وإما بك ، ولذلك لم تنفعني ، ثم قال : بل هو بي عافاك الله .

وروى أن رجلا كان يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط وهو يقول : {وامتازوا اليوم أيها المجرمون}[٣] فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها ؟ فقال : إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره).

وروى أن الربيع بن خثيم خرج مع عبد الله بن مسعود إلى شاطئ الفرات فنظر ابن مسعود إلى تنور تفور فورا فقرأ {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا}[٤] فخر الربيع مغشيا عليه ، فحمل إلى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وروى عن عبد الله بن الشخير أن النبي ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل.

وروى أن النبي ﷺ صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يهوي برأسه مصفرا لونه ، قد نحف وغارت عيناه في رأسه ، فقال له رسول الله ﷺ :

---

١) الحجر : ٤٣ .

٢) الزمر : ٤٧ .

٣) يس : ٥٩ .

٤) الفرقان : ١٢ .

كيف أصبحت يا فلان) ؟ فقال : أصبحت يا رسول الله موقنا ، قال : فتعجب رسول الله ﷺ من قوله ، وقال : (إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك) ؟ فقال : إن نفسي يا رسول الله قد أحزنتني فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري ، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها ، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي عز وجل وقد نصب للحساب ، وقد حشر الخلائق لذلك وأنا فيهم ، فكأني أنظر إلى أهل الجنة وهم ينعمون فيها ، ويتعارفون على الأرائك متكئون ، وكأني أنظر إلى أهل النار يعذبون فيها ويصطرخون ، وكأني أسمع الآن زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله ﷺ :(هذا عبد نور الله قلبه للإيمان ثم قال : الزم ما أنت عليه) فقال الشاب : ادع لي يا رسول الله أن يرزقني الشهادة معك . قال : فدعا له رسول الله بذلك ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر ، وكان هو العاشر.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال لا صحابه : (استحيوا من الله حق الحياء)قالوا : إنا نستحيي من الله والحمد لله قال : ليس ذلك كذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء).

وروى أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء ، لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا.

وكان الأسود بن يزيد يصوم فكان جسده يصفر مرة ويخضر مرة ، وقال له علقمة وهو عمه : لم تعذب هذا الجسد ؟ وقال له آخر : لو رفقت بنفسك ؟ فقال له : لو أتاني آت من ربي وأخبرني بالمغفرة لهمني الحياء من ربي مما قد صنعت ، والله إن الرجل ليكون بينه وبين أخيه الذنب الصغير فيعفو عنه ، فهو يستحي منه أيام حياته فمن الله تعالى أحق أن يستحيا قال : قد أمرنا فتركنا ، ونهانا فركبنا فياويلتنا. .

وروى عن بعضهم قال : أتيت إبراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء ، فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمي بنفسه ، فلم يلتفت من جنب إلى جنب حتى طلع

الفجر، وأقام المؤذن فوثب إلى الصلاة و لم يحدث وضوءا ، فحك في صدري فسألته عن ذلك فقال : كنت الليل كله رائضا في رياض الجنة أحيانا ، وفي أو دية النار أحيانا فهل ينام أحد في ذلك.

وروى أن عيسي عليه السلام مر بأربعة آلاف نسوة متغيرات ألوانهن فقال : ما الذي غير ألوانكن ؟ قلن : ذكر النار يا ابن مريم ، إن من دخل النار لا يذوق فيها بردا ولا شرابا.

وعن النبي ﷺ أنه قال : (إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والأنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على أولادها ، وادخر لنفسه تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة . شعر :

يا راكب الذنب لا تقنطن فإن الإله رؤوف رؤوف
ولا ترحلن بلا عدة فإن الطريق مخوف مخوف

وعن النبي ﷺ لو يعلم الناس قدر رحمة الله لا تكلوا حتى لم يعملوا شيئا ، ولو تعلمون قدر غضب الله أو قدر شدة عذاب الله لظننتم أن لن تنجوا ولن ينفعكم شئ)

وخرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال : (خرجت من عند خليلي جبريل آنفا فقال : يا محمد والذي بعثك بالحق نبيئا إن لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة ، على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، واخرج الله له عينا عذبا بعرض الإصبع ، تنبض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل ، وشجرة رمان تخرج له كل ليلة رمانة ، فيصوم يومه فإذا أمسي نزل فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ، ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد ففعل قال : فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا ، فنجده في العلم يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب : ادخلوا

عبدي الجنة برحمتي فيقول : بل بعملي. فيقول له الرب : ادخلوا عبدي الجنة برحمتي . فيقول : بل بعملي. فيقول الله للملائكته قايسوا بنعمتي عليه وبعمله فيوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه ، فيقول : ادخلوا عبدي النار قال : فيجر إلى النار فينادي رب برحمتك أدخلني الجنة فيقول : ردوه ، فيوقف بين يدي الله فيقول : يا عبدي من خلقك و لم تك شيئا ؟ فيقول : أنت يا رب. فيقول : أكان ذلك من قبلك أم برحمتي؟فيقول : بل برحمتك . فيقول : من قواك على العبادة خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب . فيقول : من بوأ لك في جبل في وسط اللجة ، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك في كل ليلة رمانة ، وإنما تخرج في السنة مرة ، وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك ؟ فيقول : يا رب أنت . فيقول : ذلك برحمتي ، وبرحمتي أدخلك الجنة ، فأدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة. قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد). ولبعضهم[1] :

ولما قسي قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا منك لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وعن النبي ﷺ قال : (قال الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا رجاني).

وعنه ﷺ (ظنوا بربكم أن سيغفر لكم ، ثم ظنوا بربكم أن سيتوب عليكم فإن الله تعالى يقول : أنا عند ظن عبدي بي أتركه إذا تركني).

وعنه ﷺ قال : (يقول الله تعالى إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعمته ولذته في ذكري ، عشقني فعشقته ، رفعت الحجاب بيني وبينه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفت بهم عنهم.

وعن النبي ﷺ (إن الدرجة في الجنة كما بين السماء والأرض ، وأرفعها

---

١) وهو الشافعي رحمه الله تعالى .

لأكثرهم محبة لله ، وأسرعهم التزاما لأمره ، وإن الرجل ليرى أخاه من فوق درجته فيقول : يا رب أخي كنا نعمل جميعا في الدنيا والفريضة واحدة ؟ فيقال له : إنه كان أفضل منك عملا بمحبته وإرادته ، ثم يجعل في قلبه الرضاء حتى يرضى).

فقد بان لك بهذه الجملة فضل المطالب الباعثة للخدمة بالأمور الثلاثة لله عز وجل.

واعلم أنك أولا تكون عارفا بالله وبحقيقة جلاله ، ثم تصير بعد ذلك عارفا متصورا لوبيل عقابه وهني ثوابه ، وتصير بعد ذلك مع ما تقدم خائفا راهبا ، ثم تصير مع ذلك خادما مخلصا ، ثم تصير مع ذلك راجيا متشوقا إلى رحمته ، ثم تصير مع ذلك متوكلا عليه منقطعا إليه ، ثم تصير مع ذلك محبا له عز وجل وحده لا شريك له ، ثم مستأنسا به دون غيره ، ثم تصير من الأصفياء المقربين والأولياء المخلصين.

وأصل ذلك المعرفة إلا أنها تزداد بالقرب بالطاعة ، حتى تنتهي إلى الظفر بالبغية ، وإلى الانفراد في الإرادة والمحبة عن كل شئ سوى الله تعالى .

ولهذا روى أن موسى بن عمران كان له صاحب فقال ذات يوم لموسى عليه السلام : ادع الله لي أن يعرفني نفسه حق معرفته. قال : فدعا موسى ربه فاستجيب له ، فلحق صاحبه بالجبال مع الوحش قال : وعدا موسى إلى أخيه فلم يصبه ، فقال : يا رب أخي وصاحبي كنت آنس به وقد فقدته ، فقال : يا موسى إنك سألتني أن أعرفه نفسي حق معرفتي وإنه لا ينبغي لا حد أن يعرفني حق معرفتي فيأنس بالناس.

وعن حسين بن جعفر قال : سمعت أبي قال : مررت بدار فإذا عجوز مكفوفة تنوح على نفسها وتقول : يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال فدعوك بها ؛ فكيف أدعوك بالذنوب ولا عمل لي أرضاه ، يا رب هب لي من حلمك ما يكفيني ، ونجني من عذابك، فوقفت عليها وذكرت لها الله وقلت : هل لك ولد ؟ قالت : لا والحمد لله فقلت لها : من معك في دارك ؟ قالت : سبحان الله معي من أناجيه فهل علي وحشة بعد ، وهو أنيسي يا عبد الله ، فأبكتني والله ، فقلت لها : ما معاشك ؟ قالت : دع عنك ما لا تحتاج إليه بلغت هذا المبلغ من السن ما أحوجني إليك ولا إلى

غيرك ، أما تقرأ القرآن {**والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين**}[1] أما في حكاية خليل الرحمن واعظ فقلت : هذه أفقه الناس ، فقلت : ائذني لي في زيـــارتك ؟ فقالت : أحرج عليك إن فعلت ، وإن ذكرت لي اسما فأنشأت تقول :

أنا الـــتي ألبســني ســيدي   لما تعرفــت لباس الــوداد

فصــرت لا آوي إلى مؤنــس   إلا إلى مالـــك رزق العبــاد

وهكذا كان الانفراد بخدمة الله تعالى والمعرفة له تعمل هذا العمل.

فعليك بمداومة السهر ، وملازمة الذكر ، والخدمة للعلي الأكبر تـــأنس بقربـــه ، وتستغن به عن غيره ، وكابد الليل بالعمل فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (صـــلاة الليـــل سراج لصاحبها في ظلمة القبر ، وقول لا إله إلا الله تطرد الشيطان عن صاحبـــها ، وصلة الرحم تثبت المودة في قلب صاحبها).

فعليك بملازمة العبادات الثلاث ، من الصلاة وقراءة القرآن والذكر ، وأقـــل مـــا يصلى قبل الفجر ثمان ركعات كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يداوم عليهن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :(من صلى في الليل ثمان ركعات والوتر ، يداوم عليهن حتى يلقي الله بهن فتح الله له اثني عشر بابا من الجنة ، يدخل من أيها شاء).

فاستفتح هذه الأبواب بهذه الركعات الخفيفة فإن الواحد يتمنى يوم القيامة أن يصير ترابا فضلا أن يفتح له من الجنة أبوابا.

واجعل صلاتك في بيتك كما أعلمتك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (النوافـــل في البيـــوت أفضل). وقال عليه السلام : (لا تتخذوا بيوتكم قبورا ، صلوا فيها صلاة التطوع).

ومتى قصدت إلى صلاة الفجر بعد طلوع الفجر ، فإن كفاك غيرك الأذان صليت في بيتك ركعتي الصبح كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل.

---

١) الشعراء : ٧٩ ــ ٨٠ .

المحافظة السابعة

(من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)

اعلم أن الذي يختص هذا الوقت من المحافظات تسع وظائف.

الوظيفة الأولى

الخروج إلى المسجد ، فإذا قارب طلوع الفجر و لم تكن في المسجد فعليك بالخروج إلى المسجد فإنه لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، ورد ذلك ما ثورا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد كانوا يعدون من لا يصلي في المسجد منافقا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولتكن أيها الطالب بمنزلة التاجر يطلب الربح بالسفر في مواضع الربح ، فيشتري في موضع الرخص ويبيع في موضع الغلاء ، والمسجد موضع الأرباح ، فينبغي أن تطلب فيه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة).

وإذا مشيت إلى المسجد مشيت رويدا بسكينة ووقار ، عن محمد بن جابر بن عبد الله قال : خرج جابر يمشى رويدا ، فقمت إليه أنا وأخي عبد الرحمن فقلنا : يا أبتاه ما هذه المشية ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج ولا يريد إلا المسجد ، ثم مشى هذه المشية كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحي عنه بكل خطوة سيئة).

الوظيفة الثانية

دخول المسجد فإذا أردت فقدم رجلك اليمني ، وقل عند دخولك المسجد : بسم الله وبالله ، السلام عليك أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فكذلك روى عن علي عليه السلام ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال : (اللهم صل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي

أبواب رحمتك) وإذا خرج قال مثل ذلك ، إلا انه يبدل أبواب رحمتك بقوله : (أبواب فضلك).

وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل : لا ردها الله عليك فبهذا أمر النبي ﷺ.

الوظيفة الثالثة تحية المسجد

فإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية المسجد قال النبي ﷺ : (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) وفي بعضها (لا يجلس ولا يستخبر حتى صلي ركعتين).

وينبغي أن لا يأكل الثوم ، وإذا رأى من أكله أمره بالخروج من المسجد ، قال النبي ﷺ : (من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته).

واستكثر من الدعاء خلف تحية المسجد ففيه نهاية الفضل ، وإن لم تكن صليت ركعتي الصبح فهما يجزيانك عن التحية إن أعجلت إما لطلب الاستيلاء على الأذان أو لغيره من الفضائل.

الوظيفة الرابعة الأذان

فإذا فرغت من التحية وأمكنك أن تستولي على الأذان فعلت ، فإن فيه فضلا عظيما وخصوصا إن توليت أمره في الصلوات كلها قال النبي ﷺ لرجل سأله فقال : علمني عملا واحدا أدخل به الجنة ، فقال : كن مؤذن قومك يحملوا بك صلاتهم قال : فإن لم أطق ذلك ؟ قال : فكن إمام قومك يقيموا بك صلاتهم . قلل : فإن لم أطق ذلك قال : فعليك بالصف الأول).

وعن النبي ﷺ أنه قال : (من أذن أربعين صباحا صابرا محتسبا بعثه الله يوم القيامة وله عمل أربعين صديقا مبرورا متقبلا).

وعنه ﷺ (من أذن سنة واحدة بعثه الله يوم القيامة وقد غفرت ذنوبه كلها بالغة ما بلغت ولو كانت زنة جبل أحد).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر غلقت أبواب النيران السبعة ، فإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله فتحت له أبواب الجنان الثمانية ، وإذا قال : أشهد أن محمدا رسول الله أشرفت الحور العين ، وإذا قال : حي على الصلاة خشخشت ثمار الجنة ، وإذا قال : حي على الفلاح قالت الملائكة : أفلحت وأفلح من أجابك ، فإذا قال : حي على خير العمل [قالت الملائكة] صلحت وصلح ما عملته أنت وما ولدته ، فإذا قال : الله أكبر الله أكبر قالت الملائكة : كبرت كبيرا ، وعظمت عظيما ، وإذا قال : لا إله إلا الله قال الله : بها حرمت بدنك وبدن من أجابك على النار).

الوظيفة الخامسة

وهو ما تقول عند أذان المؤذن إذا لم تكن مؤذنا وسمعت الأذان فقل مثل ما يقوله المؤذن ورد ذلك مأثورا .

وروى أيضا أنه يقال مثل ما يقوله المؤذن إلا في قوله : حي على الصلاة حي على الفلاح) فإنه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا غفر الله له ذنبه).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من سمع المؤذن فالتفت إلى وجهه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ـــ غفرت خطاياه).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا سمع المؤذن قال كما يقول : فإذا قال : حي على الصلاة حي على الفلاح قال : لا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا بلغ الإقامة قال : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة أعط محمدا سؤله يوم القيامة ، وبلغه الوسيلة والدرجة الرفيعة من الجنة ، وتقبل شفاعته في أمته).

فإذا أذن وأنت في الصلاة فتمم الصلاة ، ثم تدارك الجواب بعد السلام.

الوظيفة السادسة

الذكر ما بين طلوع الفجر إلى صلاة الفريضة ، وليكن من جملة أذكارك في هـــذا الوقت سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، أستغفر الله العظيم مائة مرة.

فإن رجلا دخل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال : أين أنت من صلاة الملائكة ، وتسبيح الخلائق وبهـــا يرزقــون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، أستغفر الله العظيم تأتيك الدنيا راغمة).

وعنه ﷺ أنه قال : (ما من صباح يصبحه العباد إلا نادى مناد من السماء أيـها الناس سبحوا قدسوا)

الوظيفة السابعة (صلاة سنة الفجر)

فإذا فرغت من ذلك فصل سنة الفجر ركعتين تقرأ في الأولى بـــ{قل يـــا أيـــها الكافرون} وفي الثانية بـــ {قل هو الله أحد} خمس عشرة مرة ؛ فإنه يـــروى عـــن مجاهد قال : "من صلى ركعتي الفجر يقرأ في الأولى بـــ(فاتحة الكتاب) و(قل يا أيـــها الكافرون) وفي الثانية بـــ(فاتحة الكتاب) و(قل هو الله أحد) خمس عشرة مرة ـــ بني الله له ألفي ألف قصر في الجنة) قلت : ألفين ؟ قال : ألفي ألف ذكره الراوي هكـــذا وإن قرأت في الركعة الأولى (قل هو الله أحد) اثني عشرة مرة وفي الأخرى (قل يـــا أيها الكافرون) (وآية الكرسي) فحسن.

وروى عن عبد العزيز بن عمر أنه قال : من قرأ في الركعتين قبل الغداة (قل هو الله أحد) اثني عشر مرة وفي الأخرى (قل يا أيها الكافرون) و(آية الكرسي) بني الله لـــه ألف غرفة من لؤلؤة.

الوظيفة الثامنة (صلاة الفريضة)

فإذا فرغت من ذلك صليت صلاة الفجر ركعتين ، واجتهدت أن يكون ذلك في

جماعة فإن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرادى أربعا وعشرين درجة ، وهي الخامسة.[1]

قال النبي ﷺ : (صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا).

وعنه ﷺ (من صلى أربعين صباحا يدرك التكبيرة الأولى مع الإمام كتب الله له براءة من النار).

وعنه ﷺ (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله).

وروى أن أبا بكر فاتته التكبيرة الأولى بسبب عير فتصدق بجميعها.

وروى أن النبي ﷺ قال : (إن اثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لا توهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار).

وعنه ﷺ (أفضل الناس في المسجد الإمام ، ثم المؤذن ، ثم من عن يمين الإمام)

الوظيفة التاسعة (مما ينبغي بعد صلاة الفجر فعله)

اعلم أيها الطالب أن ما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قد وردت فيه أخبار كثيرة قضت بزيادة فضله على غيره من الأوقات للأذكار والدعاء ، ثم بعده ما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، فلا تشتغل في هذا الوقت إلا بما فيه قربة إلى الله عز وجل ، ولا تنتقل عن موضعك الذي صليت فيه الفجر إلى طلوع الشمس ، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى صلاة الصبح ، ثم جلس في مصلاه يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس كان له حجابا أو سترا من النار).

---

١) قوله (وهي الخامسة) أي : هي الموفية للدرجات إلى خمس وعشرين درجة ، كما جاء في الأثر التالي .

وعنه ﷺ (أنه قال : لأن أذكر الله مع قوم بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمان رقاب من ولد إسماعيل ، دية كل واحد منهم اثني عشر ألفا).

وعنه ﷺ (من قعد في مصلاه الذي صلى فيه الفجر يذكر الله ويسبحه ويحمده حتى تطلع الشمس كان كالحاج إلى بيت الله ، وكالمجاهد في سبيل الله).

فاغتنم هذه الجلسة بعد صلاة الفجر ، ولا تفرط فيها ، ولا تؤثر عليها غيرها فتكون بمنزلة من قال له ملك من الملوك : اقعد في هذا المكان وأنا أعطيك بقعودك فيه ساعة واحدة مائة ألف ألف ، وأوليك جميع أمر مملكتي ، وإن قمت منه فلا شئ لك من هذا، فيقوم هذا الرجل إلى غير ذلك المكان يطلب خبزة يا كلها.

فالملك هو الله تعالى ، وقد أنصفك حيث جعل لك الثواب على جلوسك من غير حاجة منه إليك ، ولا شك أن هذا الثواب أعظم من الألوف وغيرها ، بل من الدنيا بأسرها ، وقد علمت جهل من اختار القيام على هذا القعود فلا تكن جاهلا ، وليكن أول ما تفعله بعد التسليم لصلاة الفجر قراءة الفاتحة ، وآية الكرسي ، والآيتين من آل عمران {**شهد الله أنه لا إله إلا هو**} إلى قوله : {**إن الدين عند الله الإسلام**}[1] وقوله تعالى : {**قل اللهم مالك الملك**} إلى قوله : {**بغير حساب**}[2] ثم تقرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة ، وعليك بمثل ذلك بعد التسليم لكل فريضة ؛ فإن في قراءة ذلك خلف كل فريضة فضلا عظيما.

وروى عن علي عليه‌السلام أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، والآيتين من آل عمران {**شهد الله أنه لا إله إلا هو**} و{**قل اللهم مالك الملك**} إلى قوله : {**وترزق من تشاء بغير حساب**} مشفعات ما بينهن وبين الله حجاب ، ولما أراد الله أن ينزلها تعلقن بالعرش وقلن : يا رب تهبطنا إلى أرضك

---

١) آل عمران : ١٨ ــ ١٩ .

٢) آل عمران : ٢٦ ــ ٢٧ .

وإلى من يعصيك ؟ قال الله تعالى : بي حلفت لا يقرأكن أحد من عبادي دبر كل صلاة مفروضة إلا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه ، وإلا أسكنته حظيرة القدس ، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة)

وعن علي عليه‌السلام عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة مائة مرة (قل هو الله أحد) جاز الصراط يوم القيامة وعن يمينه ثمانية أذرع ، وعن شماله ثمانية أذرع ، وجبريل آخذ بحجزته وهو متطلع في النار يمينا وشمالا من رأى فيها دخلها بذنب غير شرك أخرجه).

وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه قال : (يا علي اقرأ في دبر كل صلاة آية الكرسي ؛ فإنه لا يحافظ عليها إلا نبي أو صديق أو شهيد).

فإذا فرغت من قراءة ما ذكرته لك فلا تقم من مقعدك ، واشتغل بالذكر إلى طلوع الشمس ، واجعل من جملة أذكارك ثلاثين ذكرا مما هو مأثور عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو أن تقول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير).

وتقول : (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) وتقول : (لا إله إلا الله قبل كل أحد ، ولا إله إلا الله بعد كل أحد ، ولا إله إلا الله يبقي ربنا ويفني كل أحد).

وتقول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلها واحدا أحدا ، فردا صمدا وترا ، لم يتخذ صاحبة ولا و لدا).

وتقول : (لا إله إلا الله المعبود بكل مكان ، لا اله إلا الله المذكور بكل لسان ، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان).

وتقول : (الحمد لله رب العالمين).

وتقول : (الحمد لله على ما هدانا للإسلام).

وتقول : (سبحان ذي الملك والملكوت).

وتقول : (سبحان ذي العزة والجبروت).

وتقول : (سبحان الحي الذي لا يموت).

وتقول : (سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح).

وتقول : (سبحان من جمع بين الثلج والنار).

وتقول : (سبحان الملك القدوس رب كل شئ وخالق كل شئ).

وتقول : (سبحان خالق النور).

وتقول : (سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

وتقول : (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

وتقول : (استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأتوب إليه من جميع ذنوبي).

وتقول : (اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، تبوء بالنعمة وأبوء بالذنب فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

وتقول : (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

وتقول : (سبحان الله العظيم وبحمده).

وتقول : (سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء وقهر العباد بالموت والفناء) وتقول : استعيذ بالله من الشيطان الرجيم).

وتقول : (لا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله Kولا حول ولا قوة إلا بالله الأول الآخر الباطن الظاهر ، بيده الخير ، يحي ويميت ، وهو على كل شئ قدير).

وتقول : (اللهم لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، أنت ربي خلقتني وأنا عبدك ، آمنت بك مخلصا لك ديني ، أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت ، أتوب إليك من

سوء عملي وأستغفرك لذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

وتقول : (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم).

وتقول : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).

وتقول : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وترحم على محمد وعلى آل محمد ، كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وسلم على محمد وعلى آل محمد ، كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وتقول : (سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره).

وتقول : (بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله).

وتقول : (لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) ثم تقرأ (قل هو الله أحد) تفعل هذه الأذكار كلها مائة مرة ، فإن عجزت عن ذلك فأقله عشر مرات ، وتشتغل بذلك إلى طلوع الشمس .

والآن أورد عليك فضائلها ليكون داعية لك إلى الاشتغال بها.

أما الذكر الأول

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له) إلى آخره ــ خرقت له كل سقف من السماء فلا يلتئم خرقها حتى ينظر الله عز وجل إلى قائلها فحق على الله أن لا ينظر إلى عبد فيعذبه).

وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من قال حين يصلي صلاة الفجر قبل أن يتكلم : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) إلى آخره ــ عشر مرات أعطي بهن سبعا ،

وكتب له عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكن له عدل عشر نسمات ، وكن له حراسا من الشيطان ، وتحرزا من المكروه ، ولم يلحقه ذلك اليوم ذنب إلا الشرك بالله ، فإن قالها بعد صلاة المغرب كن له من ليلته مثل ذلك).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من قال هن بعد صلاة الفجر كن كعدل أربع رقاب من ولد إسماعيل).

وأما الذكر الثاني

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين) في كل يوم مائة مرة ــ كان له أمان من الفقر ، وأمان من وحشة القبر ، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة).

وأما الذكر الثالث

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من قال لا إله إلا الله قبل كل أحد) إلى آخر الكلمات أتاه حافظاه عند النشور فقالا له : قم فإنك من الآمنين ، ويؤتى بحلتين فيكساهما ومركب فيركبه ، وينظر إليه المؤمنون فيقولون : ملك ، وينظر إليه الأنبياء فيقولون : نبي مرسل. حتى يقف تحت لواء الحمد).

وعن وهب بن منبه قال: "من قال هذه الكلمات مرة كتبها ألف ملك إلى الصيحة وإذا كان عشية النشور كتب هذا الكلام في اللوح المحفوظ ، وجاء قريناه اللذان يكتبان عمله فينفضان التراب عن رأسه حتى يخرج عن قبره ، ويقولان له : قم بإذن الله فإنك من الآمنين ، ويجيء الألف الملك الذين كتبوا هذا الكلام مع كل ملك كسوة ودابة من الجنة فيقولون له : اركب ما شئت ، والبس ما شئت ، قال : فيزف إلى الموقف فإذا رآه الأنبياء قالوا : هذا ملك مقرب ، وإذا رآه المؤمنون قالوا : هذا نبي مصطفى ، فإذا رأته الملائكة قال : وهذا ملك لم نكن نراه ولا نسمع به فإذا جاوزهم ووقف تحت لواء الحمد عرض عليه من فاكهة الجنة وشرابها فيقال له : كل

ما شئت ، واشرب ما شئت ، واركب ما شئت ، قال : حتى إذا وقف بين يدي الله جل وتعالى قال : يا عبدي سلني ما شئت . قال : أسألك أن تنجيني من النار وتدخلني الجنة قال : فيقول : ذلك لك قال : فيفرح عندها ويستبشر قال : فيقول : أروا عبدي ما أعددت له قال : ويشيع كل شعرة منه ألف ملك ،حتى إذا دخل الجنة استقبله ملك عليه من الحسن والبهاء ما لم ير مثله قال : فيقول الملك : مرحبا بمن يحبه الله وتحبه ملائكته ، تعال حتى أريك ما أعد الله لك قال : فيريه سبع درجات قال : هذا لك وغير ذا ، فيقول المؤمن : هذا قد رأيته فغير هذا ما هو ؟ قال : فيرفع له ألف ألف مدينة من زمرة خضراء ، شرفها الياقوت الأحمر ، يستضيء بها أهل الجنة على سائر نورهم ، في كل مدينة ألف ألف قصر ، في كل قصر ألف ألف دار في كل دار ألف ألف بيت ، في كل بيت ألف ألف سرير ، على كل سرير امرأة من أهل الجنة لكل امرأة ألف ألف وصيف ، وألف ألف وصيفة ، في كل بيت ألف ألف مائدة ، على كل مائدة ألف ألف قصعة ، في كل قصعة لون من الطعام . فيقال له : كل ما شئت واشرب ما شئت ، قال : فيقول المؤمن : يا رب من يطيق هذا ويؤدي شكر نعمتك التي أنعمت على !؟ قال : فيلبس من القوة ما إذا نظر إليه الثانية قال : يا رب لو كان مثل هذا كنت له كفؤا . أي : أطيقه قال : فاسألوا إبراهيم خليل الرحمن عن هذه الكلمات فقال : من قالهن مرة كان بينه وبين الحجاب ثلاث كراسي ، ومن قالهن مرتين كان بينه وبين الحجاب كرسيان ، ومن قالهن ثلاث مرات كان في أول الكراسي ليس بينه وبين الحجاب شئ ، قال نبي الله إبراهيم : ومن زاد زاد الله له) ..

وأما الذكر الرابع

فقال النبي ﷺ : (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة).

وفي حديث عن النبي ﷺ (فإن الرجل لو أذنب حتى بلغت ذنوبه السماء ثم قال لا إله إلا الله لعلت فوق خطاياه حتى يقهرن).

وعنه أيضا ﷺ (إن لله عز وجل عمودا من الياقوت الأحمر ، رأسه تحت العرش وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلي ، فإذا قال العبد : لا إله إلا الله

اهتز العرش ، وتحرك العمود ، وتحرك الحوت فيقول له الرب عز وجل : اسكن عرشي ، فيقول له : كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها ! فيقول الله عز وجل : اشهدوا سكان سماواتي أني قد غفرت لقائلها).

وأما الذكر الخامس

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال :لا إله إلا الله وحده) إلى آخرها أعطاه الله تعالى في الجنة أربعمائة قصر من يا قوتة حمراء) . هذا القول على المؤمن خفيف ، وعلى المنافق ثقيل.

وأما الذكر السادس

فهو ذكر الضفدع روي (أن موسى عليه السلام سألها عن تسبيحها فقالت : أقول : لا إله إلا الله المعبود بكل مكان) إلى آخره.

وروى أن دواد عليه السلام سأل ربه هل أحد أكثر منه ذكرا ؟ قال : نعم الضفدع وكان عليه السلام يذكر الله كثيرا.

وأما الذكر السابع

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال الحمد لله رب العالمين ملأ نورها ما بين السماء والأرض ، فإن قالها ثانية ملأ نورها ما بين السماء إلى الأرض ، فإن قالها ثالثة ملأ نورها السموات والأرض ، فإن قالها رابعة نظر الله إليه وما نظر الله إلى أحد إلا رحمه).

وأما الذكر الثامن

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (ما أحب الله من عباده ذكر شئ من النعم أفضل مما أحب أن يذكره عبده بما هداه به من الإيمان به وملائكته ورسله) الخبر.

وأما الذكر التاسع وسائر الأذكار إلى الذكر الخامس عشر

فهو ذكر ملائكة السموات السبع ، والتاسع لأهل السماء الدنيا ، والعاشر لأهل السماء الثانية ، ثم هو على هذا الترتيب.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من قال ذلك كان له مثل ثواب من قالها من الملائكة) بعد ما ذكر من كثرة عددهم وعدد ألسنتهم شيئا عجيبا.

وأما الذكر السادس عشر

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن (سبحان الله والحمد لله) إلى آخرهن هن الباقيات الصالحات المذكور في الآية).

وعن علي عليه السلام (من سبح الله في كل يوم مائة مرة ، وحمده مائة مرة ، وكبره مائة مرة ، وهلله مائة مرة ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة ، دفع عنه من البلاء سبعون نوعا أدناها القتل ، وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعون ضعفا ، ومحي عنه من السيئات سبعون ضعفا).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر غرس له شجرة في الجنة أصلها ذهب وفرعها در ، وطلعها كثدي الأبكار ، ألين من الزبد وأحلى من العسل ، كلما أخذ منها شئ عاد كما كان).

وأما الذكر السابع عشر

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

وأما الذكر الثامن عشر

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من قال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له ذنوبه ، وإن كان قد فر من الزحف).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من قالها ثلاث مرات غفر الله له وإن كان عليه من الذنوب مثل رمل عالج) ولم يذكر (من جميع ذنوبي).

وأما الذكر التاسع عشر

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (سيد الاستغفارات اللهم أنت ربي) إلى آخره فإذا

قالها العبد حين يمسي موقنا بها فمات من ليلته كان من أهل الجنة ، وإن قالها حين يصبح موقنا بها فمات قبل أن يمسي كان من أهل الجنة).

وأما الذكر العشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (استعينوا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها تذهب سبعين بابا من الفقر أدناها الهم).

وأسر ابن لبعض الصحابة فشكي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله يرده الله عليك) ففعل ذلك فرده الله عليه مع غنيمة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة).

وأما الذكر الحادي والعشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من قال : سبحان الله وبحمده ـ مائة مرة ـ كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرين ألف حسنة ، ومحي عنه مائة ألف سيئة وأربعة وعشرين ألف سيئة ، ورفع له مائة ألف درجة وأربعة وعشرين ألف درجة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من قالها حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر).

وأما الذكر الثاني والعشرون

فروي عن كعب أنه قال : (من قال : سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء ، وقهر العباد بالموت [والفناء]ثلاث مرات ـ بني الله له ثلاث مدائن في الجنة مدينة من ياقوتة حمراء ومدينة من زبرجدة خضراء ، ومدينة من لؤلؤة بيضاء ، ما بين كل مدينتين مائة عام).

وأما الذكر الثالث والعشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من قال : أستعيذ بالله) إلى آخره عشر مرات وكل به ملك يذود عنه الشياطين كما تذاد غريبة الإبل .

وأما الذكر الرابع والعشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (مقاليد السموات والأرض لا إلـــه إلا الله ، والله أكبر ـــ إلى آخرهن ـــ من قالها عشر مرات حين يصبح أو حين يمسي أعطي بها ست خصال أول خصلة : يحرس من إبليس وجنوده. الثانية : يكون له قنطار في الجنـــة. الثالثة : يرفع درجته في الجنة. والرابعة : يزوجه ألفا من الحور العين. والخامســـة : يحضرها اثنا عشر ملكا. والسادسة : يكون له أجر من قرأ القرآن والتوراة والإنجيل ، وله أيضا ـــ يا عثمان وهو السائل له ـــ أجر من حج واعتمر حجة متقبلة وعمـــرة متقبلة فإن مات من يومه أو ليلته طبع الله له بطابع الشهادة).

وأما الذكر الخامس والعشرون

فروي أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه حلف لا يستثني (ما من أحد يقول إذا أصبـح : اللهم لك الحمد ـــ إلى آخره ـــ قال : فإن ما ت من يومه ما ت حامدا موحدا مؤمنـا تائبا مخلصا مستغفرا ، وإن قالها حين يمسي فمثل ذلك).

وأما الذكر السادس والعشرون

فروي أبان بن عثمان عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (مـــن قـــال إذا أصبح وأمسي : بسم الله ـــ إلى آخره ـــ ثلاث مرات لم يصبه فالج ، فأصاب أبـــان فالج فدخلوا عليه فنظر بعضهم إليه فقال : ما تنظرون إلي ؟ ما كذبت علـــى أبي ، ولا كذب أبي على رسول الله ، ولكن أمسيت وأنا مغضب فلم أقله فأصابني هذا).

وأما الذكر السابع والعشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (لو أن أحدكم إذا أمسي قال : أعوذ بكلمـــات الله التامات من شر ما خلق ثم لسعته عقرب[1] لم تضره).

وأما الذكر الثامن والعشرون

فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى على محمد وآل محمد مائة مرة قضي

---

١) في نسخة (حية) .

الله له مائة حاجة).

وقال عليه السلام : (من صلى على تعظيما لحقي جعل الله من تلك الكلمة ملكا ، جناح له في المشرق ، وجناح له في المغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله تبارك وتعالى : صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من قرأ قل هو الله أحد) مائة مرة وصلى علي مائة مرة غفر الله له البتة).

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : "عدهن في يدي يحي بن مساور ، وقال يحي : عدهن في يدي أبو خالد ، وقال أبو خالد : عدهن في يدي زيد بن علي ، وقال زيد : عدهن في يدي أبي على بن الحسين ، يعدهن عن آبائه عليهم السلام إلى أن قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال جبريل : هكذا أنزلت بهن من عند رب العزة (اللهم صل على محمد وال محمد))إلى آخر ما ذكرناه في الصلاة على النبي . صلى الله عليه وآله وسلم

وأما الذكر التاسع والعشرون

فهو تسبيح الملك المنبه للعباد قال أبو جعفر : "إن لله ملكا في خلق الديك ، براثينه في تخوم الأرض ، وجناحاه بالهواء ، وعنقه مثنية تحت العرش فإذا مضى من الليل نحو من نصفه أو ثلثه رفع ذلك الديك رأسه وقال : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ألا ليقم المتهجدون قال : فبعدها تفزع ديوك الدنيا وتضرب بأجنحتها وتصيح ، قال : ثم يخمد فيبقي ما شاء الله من الليل ه ثم يرفع رأسه فيقول مثل ذلك ويقول : إلا ليقم القانتون قال : ثم يسكت ثم يرفع رأسه في الثالثة ، فيقول مثل ذلك ، ويقول : إلا ليقم الذاكرون قال : ثم يصيح بعد طلوع الفجر إلا ليقم الغافلون).

الذكر الثلاثون

فروي (أن على كل باب ملكا فإذا قال العبد : باسم الله قال الملك : هديت . فإذا

قال : توكلت على الله . قال الملك : كفيت. فإذا قال : لا حول ولا قوة إلا بـالله. قال الملك : وقيت).

وأما الذكر الحادي والثلاثون

فهو الذكر الذي قاله آدم عليه السلام بعد المعصية فتاب الله عليه.

وأما قراءة قل هو الله أحد) فلما فيها من الفضل العظيم قال النبي ﷺ : من صلى الغداة في بيته وفي مسجده ثم قرأ قل هو الله أحد) مائة مرة ولا حول ولا قوة إلا بالله) مائة مرة بعث الله إليه ملكا يقول : قد قضي الله لك مائة حاجة ، ثمانين في الآخرة ، وعشرين في الدنيا سل تعطه).

وعنه ﷺ (من قرأ قل هو الله أحد ، في مرضه الذي يموت فيه لم ينتن في قبره ووسع الله عليه فيه وحملته الملائكة بأكنافها أو أكتافها حتى يجيزونه الصراط).

وعن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ "قل هو الله أحد" مخلصا حرمت عليه النار ، ووجبت له الجنة ، ومن قرأها في صلاة تقبل الله منه ، ومن قرأها في دعاء استجيب له ، ومن قرأها حين يدخل مترله نفت عنه الفقر ، ونفعت الجار ، ومن قرأها حين يأوي إلى فراشه وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح ، فإن عاش كان أجره مثل ليلة القدر ، ومن قرأها فكأنما عبد الله إلى يوم ينفخ في الصور ، قال : ومن قرأها فقد آمن بكل كتاب أنزله الله ، وصدق بكل نبي بعثه الله ، قال : ومن قرأها وكل الله به ملائكته يكتبون ثواها من حين قالها إلى يوم يموت ، فإذا مات فما بقي من ثواها أكثر ، قال : ومن قرأها أعطاه الله ثواب مائة ألف شهيد ، قال : ومن قرأها بني الله له ألف ألف قصر من ذهب ، وألف ألف قصر من فضة ، في كل قصر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال : ومن قرأها وكل الله بكل حرف منها ألف ألف ملك يبنون له قصورا ، ويغرسون له أشجارا في الجنة ، قال : ومن قرأها أعطاه الله ألف ألف قطران ، قيل : وما القطران ؟ قال : قطران الإبل ما بين المشرق إلى المغرب

يحملون ديوان ثوابها في كتاب أدق من الشعر قال : وبها حملت الأرض على الماء ، وبها حمل الماء على الهواء ، وبها رفعت السماء بلا عمد ، وبها استقر العرش والكرسي ، وبها دعا إبراهيم ربه حين القي في النار فقال : يا أحد يا صمد ، يا من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفؤا أحد ، فقيل : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) .

قال : (ومن قرأها ألف مرة في صلاة ما بين المغرب والعشاء لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له).

وعن أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبوك فطلعت الشمس بنور وضياء وشعاع لم يرها طلعت به فيما مضى ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بنور وضياء وشعاع لم أرها طلعت به فيما مضي ؟ قال جبريل : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات اليوم بالمدينة فبعث الله عز وجل إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه ، قال : وفيم ذلك ؟ قال : كان يكثر قراءة "قل هو الله أحد" في صلاته ، وفي ممشاه ، وفي قعوده ، وفي قيامه ، وإن شئت يا نبي الله أن أقبض لك الأرض فتصلي معهم عليه ؟ قال : فافعل فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع).

والأخبار فيها كثيرة فاجهد نفسك في أن لا تنساها عند كل حركة وسكون ، وفي أول كل فعل وآخره ، واجتهد في الإكثار من هذه الأذكار كلها في هذا الوقت ، فقد أعلمتك فضائلها ، وتحققت فضلها ، وأنت تعلم أنه لو وعد إنسان درهما على أن يجلس في ذلك الوقت ، وهو من بعد صلاة الفريضة إلى طلوع الشمس لجلس له ، فكيف بما ذكرنا ، وكررها مرارا على حسب ما يمكنك ، وعلى حسب ما في الأخبار فإنك تصير من الأخيار ، وتفوز بثواب الأبرار إن شاء الله عز وجل .

المحافظة الثامنة

من طلوع الشمس إلى زوالها ، فإذا طلعت الشمس فابتدئ بالدعاء المروى عن النبي ﷺ أنه كان يدعو به.

روى أن جبريل عليه‌السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال : (يا محمد ما بعثت إلى نبي قط أحب إلى منك ، ألا أعلمك أسماء من أسماء الله هي من أحب أسمائه إليه أن يدعي بها ، قل : يا نور السموات والأرض ، ويا زين السموات والأرض ، ويا جمال السموات والأرض ، ويا عماد السموات والأرض ، ويا بديع السموات والأرض ، ويا قيام السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا صريخ المستصرخين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا منتهى رغبة العابدين ، المفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا إله العالمين ، ويا أرحم الراحمين ، أنا متزل بك كل حاجة. ثم ادع من حوائجك بما أحببت).

ولاتصل عند طلوع الشمس شيئا من النوافل إلى أن ترتفع الشمس ، وتزول صفرها ، ويظهر نورها ، فإن ذلك هو وقت الكراهة لصلاة النافلة دون قضاء الفرائض ، ويكره فيه أيضا صلاة الجنازة ، وكذلك سائر الأوقات المكروهة عند انتصاف النهار حتى تميل الشمس شيئا ، وعند غروبها.

ويلحق بهذه الأوقات الثلاثة وقتان أخيران وهما ما بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، وما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ؛ فإنه يكره أن يصلي فيهما النوافل إلا النوافل التي لها أسباب ، نحو صلاة الكسوف والخسوف ، ونحو قضاء النوافل فيها ، وما أشبه ذلك.

فإذا ارتفعت الشمس وزال وقت الكراهة صليت الضحى ركعتين أو أربعا أو ستا أو ثمانيا أو اثني عشر ركعة ، وهي أكثر ما نقل عن النبي ﷺ فإنه قال لا بي ذر :(إن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين ، وإن صليتها أربعا كتبت من العابدين ، وإن صليتها ستا كتبت من القانتين ، وإن صليتها ثمانيا لم يلحقك في ذلك

اليوم ذنب ، وإن صليتها اثني عشر ركعة بني الله لك بيتا في الجنة ، وما من يـــوم ولا ساعة إلا ولله عز وجل فيها صدقة يتصدق فيها على من يشاء من عباده ، وما مـــن الله به جل وعز على عبد ، بشيء هو أفضل من أن يلهمه ذكره) .

وروى أنه قال لا بي ذر : (فإن صليت أربعا كنت من المسبحين ، وإن صليت ستا لم يتبعك يومئذ ذنب ، وإن صليت ثمانيا كنت من العابدين ، وإن صليت اثني عشــر ركعة بني الله لك بيتا في الجنة).

وهذه الصلاة مروية عن علي عليه‌السلام وروى أنه قال : ((يا بني إني لا أنهاكم عـــن الصلاة ، إن الله لا يعذب على الحسن ولكن يعذب على السيء).

وهي مروية عن على بن الحسين عليهما‌السلام وكان يقول : وقتـــها حـــين ترمـــض الفصال) يعني صغار الإبل.

فإذا فرغت من صلاة الضحى فلك فيما فضل من الوقت إلى زوال الشمس أربـــع حالات :

الحالة الأولى : وهي أفضل أن تصرف شغلك كله إلى طلب العلم ، وهـــو العلـــم النافع في الدين ، والعلم النافع هو ما يزيد في يقينك بمعرفة ربـــك ، ومـــا يزيـــد في بصيرتك بعيوب نفسك ، وما يزيد في معرفتك بعبادة ربك ، وما يزيد في خوفـــك وخشيتك ، وما يقلل رغبتك في الدنيا وما يحضر بين يديك صورة المـــوت والبـــلاء وأحوال الآخرة ، وما يطلعك على مكائد الشيطان وغروره ، وكيفية تلبيسه علـــى علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله بالدخول على السلاطين ، والأخذ لأموالهـــم ، وطلب الجاه عندهم ، وكثرة طلبهم للدنيا والتنافس فيها ، والمباهاة بها ــ فهذا هـــو العلم النافع ، وهو العلم الذي أشرنا إليه بترتيب هذا الكتاب ، وتعيينه : علم أصـــول الدين ، وعلم القرآن ، وعلم السنة، وما يعين عليهما من معرفة أصـــــول الفقـــه ، والنحو ، واللغة . وأما التفرد بعلم النحو واللغة ، والاشتغال بالحســـاب والطـــب والهندسة الزائدة على ما ينفع في علم المواريث ، فذلك كله من جملة سخرية الشيطان

وغروره ، وتلبيسه لترغب في الدنيا وتزهد في الآخرة.

فهذه هي الحالة الأولى وقد بينا أيضا فضيلتها.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب).

وعنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم (يسير الفقه خير من كثير العبادة).

وعنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده) .

وعنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم (من طلب العلم تكفل الله برزقه).

وعنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم (ساعة يتكئ العالم إلى فراشه ينظر في علمه أحب إلى الله من عبادة عابد سبعين سنة).

وعنه أيضا صلى الله عليه وآله وسلم (الكلمة الواحدة يتعلمها المسلم من أخيه المسلم أو يعلمها إياه أفضل عند الله من قيام ألف ليلة ، وصيام ألف يوم ، وصدقة ألف دينار ، وصدقة ألف درهم وحجة مبرورة ، وهدي لا يموت ، وهذا إنما يراد به العلم النافع ، وهو ما عرفتك دون ما أكب عليه الناس وسموه علما.

ويراد به وضعه في أهله ، فأما وضعه في طلاب الدنيا ، ومن يريد به الترفع على عباد الله ، والدخول على السلاطين الظلمة ــ فلا يكون تعليمه لهم إلا وزرا وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم). فهذه الحالة الأولى .

الحالة الثانية

أن تتوفر على وظائف العبادات ، من الصلوات والذكر والقرآن والتسبيحات فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين وطريق المخلصين ولكن عليك فيه شريطة واحدة وهي تقدمة مقدار الكفاية في معرفة الله تعالى ، وما يتصل بها من أصول الدين ، ومعرفة كيفية عبادته ، ويكفيك في معرفته ما ذكرناه هاهنا في الأصل الأول من أصول الدين.

الحالة الثالثة

أن تشتغل بما فيه نفع المؤمنين ، وإيصال خير إلى الصالحين ، بإيصال السرور إلى قلوب المتقين ، نحو خدمة العلماء والمتعلمين ، والسعي في حوائجهم والزيارة لهم والنظر إلى وجوههم ، ونحو التردد على الفقراء والتعاهد لهم ، والإجلال والإنصاف لهم والإتحاف ونحو العيادة للمرضى ، والتشييع للجنازة ، وكل ذلك إنما يكون قربة متى كانوا مؤمنين ، فأما العاصون فإنه لا يجوز تعظيمهم ولا إجلالهم ، ولا موازرتهم ، ولا مؤانستهم ، ولا الرفق بهم كما ذكرناه في معاشرة الأمراء.

الحالة الرابعة

أن تشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك ، وعلى من تلزمك نفقته من عيالك فتقصد بذلك التقرب إلى الله ، وأداء ما يجب عليك ، وتكون ممن سلم منه المسلمون وأمنوا من لسانه ويده ، وظنه وتهمته وتخيله وتجسسه ، ويكون قد سلم لك دينك حيث شغلت نفسك بما ليس فيه معصية لربك فتكون من الناجين ، وهذه الحالة أقل الدرجات في مقامات الدين ، وما بعدها فهو مراتع الشياطين ، وهو أن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك أو يضعف يقينك نحو مجالسة الأغنياء من طلاب الدنيا ، والاستماع لحديثهم في الدنيا ، وترغيبهم فيها ، والقعود مع البطالين وأهل التفرغ للمحادثة والمضاحكة، واستجلاب ذلك من أربابه فتكون من الهالكين ، المتورطين في بحار الغرقين.

واعلم أن العبد باعتبار دينه إما ناج ، وهو المقتصر على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، وإما رابح ، وهو المتوفر مع ذلك على النوافل.

وما مقصر هالك ، وهو التارك للفرائض واللوازم ، والمتهور في المحارم.

فإن لم تكن رابحا فاجهد نفسك ألا تكون خاسرا فإن العبد يوم القيامة يتمنى أنه خلص لا له ولا عليه.

واعلم أن العبد في حق الناس له ثلاث مراتب . أحدها : أن ينزل نفسه معهم منزلة الكرام البررة فينالهم خيره ولا ينالهم شره.

والثانية : أن ينـــزل معهم منـــزلة الجمادات فلا ينالهم خيره ولا شره.

والثالثة : أن ينـــزل معهم منـــزلة العقارب والحيات ينالهم شره ولا ينالهم خيره.

فإن لم تلحق بمنـــزلة الكرام البررة ، فأحذرك أن تنزل عن مراتب الجمـــادات إلى مراتب العقارب والحيات ، فلعلك أن تنجو كفافا لا لك ولا عليك ..

فإن عجزت عن القيام بدينك مع مخالطة الناس فعليك بالعزلة ففيها السلامة.

قال النبي ﷺ يوما لا صحابه : (ألا أخبركم بأحسن الناس منـــزلة : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل ، أولا أخبركم بالذي يليه : رجل يعتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعتزل بشروره عن الناس).

ورئي معاذ على باب داره يقول بيده كأنه يخاصم نفسه ، فقيل له : ما شأنك يـــا أبا عبد الرحمن ؟ قال : نفسي تريد الجلوس على الطريق وقد سمعت النـــبي ﷺ يقول : (خمسة كلهم ضامن على الله ـــ الحاج إلى بيت الله تعالى ، والغازي في سبيل الله ، والماشي إلى بيت من بيوت الله ، والعائد للمريض لوجه الله ، والجالس في بيتـــه ليسلم الناس منه ويسلم منهم).

وعن مكحول (لئن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في الوحدة).

وعن يحي بن معاذ "في العزلة ثلاث خصال سلامة من زلات المحـــاورة وآفـــات المكابرة وغفلات المناظرة".

ولكن عليك شريطة في العزلة وهي أن يكون قد تقدم لك من العلم مقـــدار مـــا يكفيك في العمل ، وإن كان الوسواس يجاذبك في العزلة إلى ما لا يرضاه الله تعـــالى ، ولا تنقمع لك نفسك بالمعرفة ووظائف العبادات ـــ فعليك بالنوم ففيه كف الشـــر عن نفسك ، وإن كان التعرض له من أخس أحوالك ، ولكونك متعرضـــا لـــزوال عقلك وهو أشرف ما فيك ؛ لكن من عجز عن الغنيمة رضي بالسلامة في الهزيمـــة ، هذا إذا لم يكن في النوم صلاح يعود على عقلك ، وذلك بأن تجعله في غير وقتـــه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى فهذه المحافظة الثامنة.

المحافظة التاسعة

من زوال الشمس إلى غروبها

فإذا زالت الشمس فينبغي أن لا تزول إلا وقد أعددت النوم قبل ذلك لقيام الليل وسهره فإن فيه معونة على ذلك ؛ ولهذا أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

واجتهد أن تستيقظ قبل الزوال ، وتتهيأ للصلاة بما قدمنا ذكره من السواك والوضوء والخروج إلى المسجد لطلب صلاة الجماعة ، وصلاة تحية المسجد والأذان ، أو إجابة الأذان كما تقدم ذلك كله ، ثم تستقبل وتصلي ثماني ركعات عقيب الزوال واظب عليها مشائخ آل الرسول عليهم السلام ، وهي مروية عن علي عليه السلام ، وإن اكتفيت بأربع ركعات تحسن قنوتهن وخشوعهن ، فهي صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يداوم عليها.

روى أبو أيوب الأنصاري "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يداوم على أربع ركعات بعد الزوال، فقلت : يا رسول الله ما هذه الصلاة التي تداوم عليها ؟ فقال : يا أبا أيوب إن الشمس إذا زالت فتحت أبواب السماء فلم ترتج حتى يصلي الظهر ، فأحببت أن يصعد لي فيها عمل صالح قلت : أفي كلهن قراءة ؟ قال : نعم قلت : بتسليمة واحدة ؟ قال : نعم ، وركعتان بعد المغرب).

وفي خبر (إن من صلاهن ، وأحسن ركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له إلى الليل).

وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم (أربع ركعات بعد الزوال يعدلن صلاة السحر).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من صلى ست عشرة ركعة من النهار سوى صلاة الليل فتح الله له اثني عشر بابا من الجنة يدخل من أيها شاء).

ثم صل الفرض في جماعة فقد أعلمتك فضل صلاة الجماعة.

واعلم أن من العلماء من ذهب إلى وجوبها ، فأحذرك أن تتهاون بها Pلأنك إنما تطلب النجاة ، وقد تحققت أن النجاة في فعلها والمحافظة عليها ؛ فإنها إن كانت واجبة حزت الثواب ونجوت من العقاب ، وإن لم تكن واجبة فهي فاضلة إن وقع الشك في وجوبها فالنجاة في فعلها ، قال الله تعالى : {واركعوا مع الراكعين}[1] وقال {وكونوا مع الصادقين}[2] وقال : {وتقلبك في الساجدين}[3] .

وروي (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب فقال : (أيها الناس من صلى الصلاة في جماعة حيثما كان في أوقاتها جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان له بكل يوم حافظ على الجماعة أجر من قتل في سبيل الله).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (من صلى لله أربعين يوما وليلة في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى كان حقا على الله أن يكتب له براءة من النار).

وعنه أيضا عليه السلام (أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها ثم ينام).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام أنه قال : (يا محمد إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : بلغ أمتك أنه من فارق الجماعة لم يرح رائحة الجنة ، وإن كان أكثر أهل الأرض عملا ، يا محمد من فارق الجماعة فعليه لعنتي ولعنة ملائكتي ، يا محمد من ترك الجماعة فهو عندي شر من قاتل النفس ، يا محمد تارك الجماعة شر عندي من شارب الخمر والنباش ، تارك الجماعة أدخله مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد له نصيرا).

وعن ابن مسعود في آخر حديث (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين اثنين حتى يقوم في الصف).

---

١) البقرة : ٤٣ .

٢) التوبة : ١١٩ .

٣) الشعراء : ٢١٩ .

وفي هذا دليل على تعظيم صلاة الجماعة فأحذرك أن تدعها.

فإذا فرغت من صلاة الظهر فاقرأ ما ذكرت لك بعد صلاة الفجر ، فقد عرفت فضل ذلك ، وادع بما شئت ، ثم صل ركعتين وهما راتبتا الظهر صلاهما رسول الله ﷺ بعد العصر في بيت أم سلمة ؛ فسألته عنهما فقال : كنت أصليهما بعد الظهر فجاءني مال وشغلني فصليتهما الآن).

فإذا فرغت من ذلك صليت ركعتين أيضا ففيهما فضل عظيم.

فإذا أردت الانصراف دعوت بدعاء الانصراف فإن النبي ﷺ كان إذا أراد الإنصراف من الصلاة مسح جبهته بيده اليمنى ، ثم يقول : "اللهم لك الحمد، لا إله إلا أنت ، عالم الغيب والشهادة ، اللهم اذهب عني الهم والحزن والفتن ، ما ظهر منها وما بطن).

وان أقمت في موضعك فهو أفضل لك قال النبي ﷺ في آخر كلام : (والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه ، ويقولون : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ؛ ما لم يحدث فيه أو يؤذي فيه).

وأحذرك أن تشتغل بعد ذلك إلا بتعليم علم ، أو قراءة قرآن ، أو أداء صلاة ، أو إعانة مسلم ، أو غير ذلك من وظائف العبادات والقرب ، فإن في هذا الوقت فضلا عظيما قال النبي ﷺ : (صلاة ما بين الظهر إلى العصر ، وما بين المغرب إلى العشاء تعدل عند الله قيام ليلة).

واحرس نفسك أن تشتغل ما بين الصلاتين باللهو واللعب ، والضحك والهزوء والكذب، والأذى للمسلمين ، والتجسس عليهم ، واستجلاب ظنون السوء ، والحديث فيما لا يغني ، وأجناس ذلك فتكون قد طمست ما كتب لك من الأجر على عبادتك ، وذهاب رأس مالك ، وخسرت خسارة الأبد.

وعليك بالسكينة والوقار ، والاستدعاء للعباد إلى طاعة الله في قلوب الخلق والتحذير لهم من أليم عقابه ، وطميم سطواته ونقماته ، والرفق بالمسلمين والنفع لهم

والزيارة للعلماء والنظر إلى وجوههم ، والمجالسة لهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نظرة في وجه العالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة ، صيام نهارها، وقيام ليلها) ثم قال : (لولا العلماء لهلكت أمتي).

اللهم احفظ العلماء واعف عن الجهال وارحم التائبين.

وجالس الضعفاء من المسلمين ، ورتب الذكر ، واجلس مع أهله.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات ، وغفر لكم جميعا ، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عددهم من الملائكة).

نعم ــ واصحب المصحف ، واتل القرآن ورتل ، ووقر الله عند ذكره ، وأبغض الشيطان واستخف به عند ذكره ، وتجري على هذا المنهاج في أعداء الله وأوليائه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من استمع آية من كتاب الله كتب الله له حسنة مضاعفة ومن تلي آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة).

وقال عليه السلام : (أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا : يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه).

وان سمعت مغتابا نهيته ، وإن رأيت فاجرا أبغضته ، وإن مر بك مسلم عظمته ورحمته ، وإن وجدت مصحفا مطروحا رفعته ، حتى القرطاس الواحد فيه ذكر الله .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من رفع قرطاسا من الأرض فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) إجلالا لله تعالى أن يداس ــ كتب عند الله من الصديقين ، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين).

ولا تزال كذلك في أعمال البر كلها إلى أن يقرب دخول وقت العصر ، ثم صل أربع ركعات ، وهي سنة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا). فاجتهد أن يتناولك دعاؤه.

ثم أذن ، أو أجب المؤذن كما تقدم تعريف ذلك ، ثم صل صلاة العصر مع الإمام

في جماعة ، واجتهد أن لا تغفل بعد التسليم من قراءة ما ذكرت لك بعد الفجر ، وعن الدعاء إن أردت الانصراف بما ذكرت لك في صلاة الظهر ، ولا تشتغل بعد العصر إلا بما ذكرت لك بعد الفجر ، وهي الأذكار المذكورة ، ولا تشتغل في هذا الوقت بشيء من الصلوات النوافل ، فإنه جار مجرى ما بعد صلاة الفجر في جميع أحكامه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل وقد قال تعالى : {**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**})[1].

نعم ــ وينبغي أن لا تجعل أوقاتك مهملة مضيعة ، بل اجعل لكل وقت شغلا في طاعة الله تقصد إليها ذلك الوقت ، وأقله السعي في معاشك ومعاش من تلزمك نفقته.

واعلم أن أوقاتك هي نفسك ، وكل ما فني منها وقت فقد فني بعضك ، ويوشك أن تفني أوقاتك كلها وتفني أنت معها ، فأحذرك أن تفني نفسك إلا فيما يكون سببا لبقائها في النعيم ؛ فتكون من {**الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**} .[2]

واستكثر بعد صلاة العصر من الاستغفار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للشاب في آخر حديثه : (استغفر الله في دبر كل صلاة سبعين مرة يغفر لك ذنوب سبعين عاما) فقال : يا رسول الله ما أتت على سبعون عاما ؟ قال : (فيغفر بها لأبيك) قال : ولا أتت على أبي ؟ قال : (فيغفر بها لأمك) قال : ولا أتت على أمي ؟ قال : (فيغفر بها لجيرانك).

---

١) ق : ٣٩ .

٢) الكهف : ١٠٣ ــ ١٠٤ .

وإن اشتغلت بشيء من الطاعات في غير المسجد فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل غروب الشمس بمقدار ما تأتي فيه بالذكر الذي ذكرته لك بعد صلاة الفجر مرة ، وبمقدار ما تقرأ (والشمس وضحاها) و(الليل إذا يغشى) و(قل هو الله أحد) و(المعوذتين) وهو أقل ما تفعل بعد العصر من هذا القبيل.

ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار ، فإذا دخل عليك وقت المغرب فأذن أو أجب المؤذن بما ذكرت لك ، وقل : "اللهم إني أسألك عند حضور صلواتك ، وأصوات دعاتك وإقبال ليلك وأدبار نهارك ـــ أن تؤتي محمدا الفضيلة والوسيلة ، والمقام المحمود الذي وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد) وبادر بصلاتك قبل اشتباك النجوم فالنهي وارد بتأخيرها كذلك .

وقد روى أن عمر أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة ، وأخر ابن عمر ليلة حتى طلع نجمان فأعتق رقبتين.

وصل صلاة المغرب في جماعة كما ذكرت لك ، فإذا فرغت اشتغلت بقراءة ما ذكرته لك بعد صلاة الفجر ، ثم دعوت بما أحببت ، ثم تصلي ركعتين وهما راتبا المغرب ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا ما يقرأ فيهما بـ(قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) وإن قرأت فيهما ما روي عن أبي جعفر أنه قال : (من قرأ في ركعتين بعد المغرب في الأولى بعشر آيات من أول سورة البقرة إلى {مصلحون} {وإلهكم إله واحد} إلى آخر الآية ، والتي تليها إلى {يعقلون} وخمس عشر مرة (قل هو الله أحد) وفي الثانية (آية الكرسي) و{آمن الرسول} إلى آخر السورة وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) فكأنما حج ألف حجة من مشارق الأرض ومغاربها ، ثم تصلي ركعتين ففيهما فضل عظيم ، وإن قرأت فيهما ماروي عن الأعمش أنه قال لجلسائه : "من صلى ركعتين بعد المغرب ، فقرأ (الحمد) و(قل هو الله أحد) خمس عشرة مرة ، في كل ركعة ـــ بنى الله له في الجنة ألف قصر من ذهب ، في كل قصر ألف بيت ، في كل بيت ألف سرير ، على كل سرير ألف حوراء، فقال له رجل من بعض

جلسائه: يا أبا محمد هذا كله بهذا ؟ فقال الأعمش : أمن مهر أمك هــو) وكــان الأعمش حديدا.

فإن قرأت في ركعتين في هذا الوقت ما روي عن حسن بن حسين بإسناده قــال : "من صلى ركعتين بعد الركعتين التي بعد المغرب ، يقــرأ في أول ركعــة (فاتحــة الكتاب) وعشر آيات من أول سورة البقرة و{إلهكم إله واحد} والتي تليها (وآيــة الكرسي) والتي تليها ، وثلاث آيات من آخرها ، وخمس عشرة مرة (قــل هــو الله أحد) وفي الركعة الثانية (فاتحة الكتاب) وست آيات من أول (سورة الحديد) وأربــع آيات من آخر (سورة الحشر) وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) كتب الله له ثواب مائة ألف حجة مبرورة بأقطارها.

نعم وإن أحييت ما بين العشائين بالصلاة ؛ فقد ورد في ذلك من الفضائل مــا لا يحصي . وقيل : بأنه ناشئة الليل.

وسئل النبي ﷺ عن قوله تعالى : {**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**}[1] فقال : هي ما بين الصلاتين العشائين) وقيل : إن الصلاة في هذا الوقت هي صلاة الأوابين.

وعن النبي ﷺ (من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعــة منها بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد حفظ الله له أهله وما له ودينه ودنياه وآخرتــه خمسا).

وفي خبر آخر مثل ذلك وزاد فيه ومحياه ومماته وكانت عدل عشــرين نســمة أو رقبة).

وعن النبي ﷺ)ص من من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة في صلاة ما بين المغــرب والعشاء لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له).

وعن النبي ﷺ (من حبس نفسه ما بين المغرب والعشاء في مســجد جمــاعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة ، مسيرة كل

---

١) السجدة : ١٦ .

قصر منهما مائة عام ، ويغرس له ما بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم).

وعنه عليه السلام (تبتلوا في ساعة الغفلة ولو بركعتين خفيفتين ؛ فإنهما يورثان دار الكرامة قيل : يا رسول الله وما ساعة الغفلة ؟ قال : ما بين المغرب والعشاء).

فإذا دخل وقت العشاء فأذن أو أجب المؤذن ، وصل قبل الفرض أربع ركعات ؛ إحياء لما بين الأذانين ؛ فإن فيه فضلا كبيرا.

وفي الخبر (إن الدعاء ما بين الأذان والإقامة لا يرد).

وروى أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم كانوا يتبادرون بإزاء السواري يصلون عند الأذان ، وكان الداخل إذا رآهم خاف أن يكونوا قد صلوا الفريضة فيسألهم ، وروي ذلك في أذان المغرب ، إلا أن الاختيار المبادرة بالمغرب ، بخلاف سائر الفرائض لأخبار رجحت ذلك.

فإذا فرغت من ذلك فصل صلاة العشاء مع إمام في جماعة ، كما أخبرتك بفضل الجماعة ؛ فإن صلاة العشاء في جماعة تقاوم قيام نصف الليل ، عن النبي ﷺ .

فإذا فرغت من الصلاة فاقرأ ما ذكرته لك بعد صلاة الفجر ، وادع بما شئت ، ثم صل ركعتين وهما راتبتا العشاء ، وليس تأكيدهما كسائر الرواتب ، واقرأ فيهما (سورة السجدة) و(تبارك) أو (يس ، والدخان) فذلك ما ثور عن النبي ﷺ .

فإذا فرغت من راتبتي العشاء فصل بعد ذلك أربع ركعات ، فقد روت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي بعد العشاء أربع ركعات ثم ينام.

وعن ابن مسعود "من صلى بعد العشاء أربع ركعات كن كمثلهن من ليلة القدر".

ثم إن كنت عازما على قيام آخر الليل أخرت الوتر إلى آخر الليل فهو أفضل ، فإن قدمته وصليته أجزأك وقد كان رسول الله ﷺ يصليه في أول الليل تارة ، وتارة في وسطه ـــ وحينا في آخره ، وهو الأفضل. ورد ذلك ما ثورا ، وكان يقرأ في الركعة الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) وفي الثانية(قل يا أيها الكافرون) وفي الثالثة (قل هو الله أحد والمعوذتين).

نعم ـــ ثم أنت بالخيار بين أن تحيي من الليل إلى وقت نومك بالصلاة قال النبي صلى الله عليه وآله : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، ويكفر السيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الحسد).

وروى أن أم سليمان عليه السلام قالت : "يا بني لا تكثر النوم بالليل ؛ فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرا يوم القيامة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله (ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون) .

فأنت بالخيار بين ذلك ، وبين أن تشتغل إلى وقت نومك بمذاكرة علم ، أو بمطالعة كتاب ، أو تصنيف علم أو قراءة قرآن ، أو إحداث ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى ، قال النبي صلى الله عليه وآله في آخر كلام : (وليس شئ أحب إلى الله تعالى من العلم ، ولمذاكرة في العلم ساعة أحب إلى الله تعالى من عباده عشرين ألف سنة).

وعنه صلى الله عليه وآله (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال : مجالس العلم).

وعنه صلى الله عليه وآله (أيما مؤمن مات وترك أربعين حديثا مما ينتفع به المؤمنون جعل الله تعالى مكافآته الجنة ، وكتب له بكل حديث ثواب ألف شهيد ، والمؤمن إذا سمع أربعين حديثا وقف يوم القيامة مقام العالم ، وأعطاه الله ثواب اثني عشر شهيدا ، والمؤمن والمؤمنة إذا انفقا درهما أو دانقا في سبب العلم أعطاهما الله ثواب أجر ستين حجة وعمرة ، وتعليم حرف من العلم خير من عبادة ألف سنة ، وتفكر ساعة خير من عبادة سنة).

وعنه صلوات الله عليه وآله (ما من قوم يجتمعون فيتلون كتاب الله عز وجل ، ويتعاطونه بينهم إلا كانوا أضيافا لله عز وجل ، وإلا حفت بهم الملائكة حتى يقوموا ويخوضوا في حديث غيره).

وقال صلى الله عليه وآله : (إذا قرأتم القرآن فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا).

فاجتهد أن تشتغل بذلك وأجناسه ، وأحذرك أن تضيع وقتك ، وتشغل نفسك بما فيه هلكك وخسرانك ، نحو اللعب واللهو والمسامرة لأهل الفراغ ، والمضحكين والمطربين، وأهل الغناء بالشعر أو بالعيدان ، وأهل الخرافات والحكايات لأخبار الجاهلية في جهالاتها، والتعريف للأنساب ، وغير ذلك مما ليس عليك فيه إلا الوزر أو تضييع الوقت لغير فائدة فأنت فيه إما هالك وإما خاسر ، فاحرس نفسك ، واخش ربك خشية من تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وعليك بطول الفكر ، وكثرة الذكر لربك ولنفسك ولأعمالك ، وحاسب نفسك فيها أعظم من محاسبتك لشريكك ، فإن محاسبة الله تعالى لك أعظم وأكبر، فإنك تنسي كثيرا من أعمالك ، وهو تعالى يحصي عليك جميع حركاتك وسكناتك ولحظاتك وخطراتك ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها عليك ، فلا تغتر بإمهال الله تعالى لك ، وكثرة إنعامه عليك ، وإدراره لرزقك في حال طاعتك ومعصيتك قال النبي ﷺ : (لا تغتروا بالله ؛ فإن الله لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة.

ولا تستكثر عملك ، ولا تستعظم عبادتك ؛ فإنك متى فكرت في نعمة ربك عليك تحققت أن عملك لا يوافي أقل قليلها ، ولا يبلغ كثيره إلى صغيرها.

ولو أن شخصا قبض بيده على نفسك حتى لا يدخل ولا يخرج لتمنيت أن تعبد له الليل والنهار على أن يرسل لك روحك.

فتصور هذا التصور وأجناسه مما يصغر عندك عملك ، وفكر في عبادة من قبلك من أولياء الله الصادقين ، وخدمة ملائكة الله المقربين ؛ فإن ذلك يقلل عندك عملك ، قال النبي ﷺ : (إني لأرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، السماء أطت ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفراشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، ولوددت أني كنت شجرة تعضد).

وفكر أيضا فيما ذكره النبي ﷺ في قصة المسرى ما رآه من كثرة عبادة ملائكة الله، وشدة خوفهم وخشيتهم ، وعظم اشتغال جوارحهم بعبادة ربهم ، فإن ذلك يخفف عنك وزن عملك ، فإن تصورت طول الشقاء وكثرة العناء بالعبادة ، وراودتك نفسك إلى الملال ، واستهدلتك مطية الكلال ، فاذكر الموت والبلاء ، وتصور ساعة تدهمك الدهماء فلا ينفعك المال ولا البنون ، ولا العشائر الأقربون ، بل حملوك ثقل أوزارك ، وأزعجوك بالكره عن دارك وقرارك ، في ثياب يسيرة ، وزانة حقيرة ، يدلونك في أضيق حفرة ، ولا يتحملون عنك وزن بعرة ، يصبون عليك التراب ، ويسلمونك إلى الثواب والعقاب، ولتأخذ فكرك فيمن كان قبلك ، ممن أمره أكبر من أمرك ، وملكه أكثر من ملكك ، وقدرته أعظم من قدرتك ، وبهجته أحسن من بهجتك ، من العمالقة والأكاسرة ، والتبابعة والقياصرة ، والفراعنة والمناذرة ، كيف وترتهم الواترة فردوا في الحافرة، وطرحوا في الساهرة ، وباءوا بصفقة خاسرة ، وتجارة بائرة ، وأصبحت قصورهم دامرة ، وقبورهم عامرة.

وأعد النظر ثالثة إلى أمية الطاغية ، وفئتها الباغية ، وعزتها العالية ، ونخوتها السامية وسطوتها العاتية ، هل ترى لهم من باقية ، دهمتها الداهية ، فلحقت بالأمم الماضية ، وكان منهم من يخطب له كل جمعة على ثمانين ألف منبر ، فبينما هو كذلك وإذا بخده الأبيض والأصفر بين التراب معفر ، وفي أخس الأماكن مدعثر ، فكلما فكرت في ذلك سهلت عليك عبادة ربك ، وصغر عندك ما تستكثر من عملك ، وحملك على مطية الصبر لتحوز وافر الأجر ، فعليك بالفكر فإنه أنفس العبادة ، وأحسن ما تزيا به أهل الزهادة.

وروى أن ذا القرنين عليه السلام مر بمدينة عظيمة ، قد ملكها سبعة ملوك وما توا عنها فأعجبته ، فقال : هل بقي من نسلهم أحد ؟ فقيل له : ليس إلا غلام ، وقد لزم المقابر، وانفرد من الناس ، فأمر من جاء به فسلم عليه وقال : ما دلك على لزوم المقابر ؟ قال : أردت أن أميز بين عظام ملوكهم وعبيدهم فإذا هي سواء . قال : فهل لك همة ؟ قال : إن همتي لعظيمة . قال : فإني أرد عليك ملك آبائك وأوليك

هذه المدينة. قال : إني أريد ملكا لا يزول فهل هو عندك ؟ قال : لا ذلك ما لا يقدر عليه إلا الله . قال : فإني أطلبه ممن يقدر عليه وهو الله وحده وانطلق ، فقال ذو القرنين : ما رأيت أحكم من هذا.

وروى أن الإسكندر رحمه الله لما مات حضر الحكماء وتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة ، وقد جعل في تابوت من ذهب ، فقال أحدهم يا إسكندر هذه القدرة الطويلة العريضة طويت في ذراعين. قال الآخر : قد كنت حاكما فأصبحت محكوما عليك. وقال آخر : ما أشبه خروجك من الدنيا بدخولك فيها ، دخلت وليس معك شئ ، وخرجت وليس معك شئ. قال حاجبه : كنت أحجبك ممن تكره فدخل الموت و لم يستأذن.

وسئلت أم جعفر بن يحي بن خالد في يوم اضحي عن أعجب ما رأت من تقلب الدنيا. قالت : إن نظير هذا اليوم في العام الماضي وقع وعلى رأسي ستمائة وصيفة ، مختلفات الحلي الثياب ، ووالله إني لأشتهي لحم عيدكم هذا فلا أقدر عليه.

وقيل للحرقة بنت النعمان : خبرينا بأعجب شئ رأيت . قالت : ما رأيت من أمرنا أن الشمس طلعت وما على وجه الأرض عربي إلا وهو يرجونا أو يخافنا ، وغربت وما على وجه الأرض عربي إلا ونحن نرجوه أو نخافه.

فتفكر في هذا الجنس وأمثاله فإنه لا يدعوك إلى الملال وحب الاستراحة من عبادة ربك ــ إلا حب الدنيا ، وطلب راحتها ونعيمها ، وهذا الجنس يصغر عندك الدنيا ويقلل عندك عملك ، ويقصر أملك ، فإنك لو قدرت أنك بلغت مبالغ من ذكرنا من الملوك فما أسرع زوال ذلك من يديك ، وما أكثر جرمه عليك ، فسارع إلى الخيرات ، وبادر إلى الأعمال الصالحات ، واكتف من الدنيا بما اتفق لك ، من غير تكلف لما يشغلك عن ربك فكل شئ يشغلك عن ربك فهو عليك مشوم ؛ لأنك تعلم أن العادة جارية من العقلاء أنهم يبذلون النفوس والأموال في القرب من ملك البلد رجاء أن يدخلهم في جملة خدمه ، ويتشرفون بذلك ، ويرون لهم الحظ ، مع تجويزهم أنه لا يدخلهم في جملة خواصه ، ومع تجويزهم أنه لو أدخلهم فإنه ربما

أخرجهم من ذلك ، وصغرهم من غير جرم ، فكيف لا تحب أن تدخل في جملة خدم مالك الملوك ، الذي قد علمت أنه يستدعيك إلى القرب منه لأنه ينعم عليك بأعظم النعم ، وقد علمت أنه لا يظلم ولا يعذب من غير جرم ، ويسامح فيما يقع من الزلات والعثرات ، وينعم عليك في حال معصيتك له ، فاجعل الأنس به بدلا عن الأنس بالدنيا وزهرتها وفضولها ورياشها ، فتكون من الفائزين والمنعمين عند لقائك لرب العالمين.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن لله خواص من خلقه يسكنهم الرفيع من الجنان ، كانوا أعقل الناس) قيل : يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس ؟ قال : كان همتهم المسابقة إلى ربهم والمسارعة إلى ما يرضيه ، وزهدوا في الدنيا وفضولها ورياشها ونعيمها ، فهانت عليهم، فصبروا قليلا ، واستراحوا طويلا).

فخذ في هذا الجنس من الفكر ، فإن فترت أعضاؤك من العبادة بالصلاة قائما فصل قاعدا ، فإن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، فإذا عجزت أن تكون في درجات السابقين ، فلا تدع أن تكون في درجات أصحاب اليمين ، فتنزل إلى درجات الهالكين

فإن عجزت عن الصلاة قاعدا فعليك بقراءة القرآن قاعدا أو قائما أو مضطجعا، فاستعمل النظر في المصحف لتقع الخدمة بجارحتين من جوارحك اللسان والعين ، بل بجوارحك كلها ، فإنك تحمله بيدك ، وتضعه على يديك ورجليك ، وتقلب ورقه بأصابعك ، وتدركه بمسامعك ، وتقابله بوجهك ، وتقبل على فهمه بقلبك ؛ فلهذا كان استعمال القراءة في المصحف أفضل ؛ لإقبال الأعضاء كلها على الخدمة لله تعالى .

نعم — وإن عجزت عن قراءة القرآن ، وثقل ذلك عليك — فعليك بالذكر والتسبيح والتهليل ، وأحضر القلب في جميع ذلك ؛ فإنه ما لم يكن حاضرا مع الأعضاء لم يكن عبادة ، وإن فترت عليك لسانك ، فاستخدم الأذن لسماع القرآن وسماع العلم من العلماء ، وإن كان هذا النوع وهو استماع العلم من العلماء في

الدرجة الأولى ، كما قد أعلمتك ، واستعمل العين في النظر إلى وجه العالم ، وفي النظر إلى الاعتبار إلى ملكوت السموات والأرض ، واستخدم الرجل في المشي مع المسلمين لقضاء حوائجهم ، ولعيادة مرضاهم ، وما أشبه ذلك.

فإذا فترت عليك أعضاؤك الظاهرة فاستعمل القلب في التوبة من الذنوب ، وفي النيات الصالحة ، وفي الفكر في أحوال الآخرة ، وأحوال الموت والقبر ، والحشر والنشر ، وتصور جميع ما ذكرناه في الركن العاشر من المعارف ؛ فإنه يحرك جميع الأعضاء إلى طاعة الله متى قرنك التوفيق.

واعلم أن استعمال جارحتين من جوارحك في طاعة الله تعالى أفضل من استعمال جارحة واحدة إلا في العلم فإن استعمال جارحة واحدة فيه أفضل من استعمال جميع الجوارح في غيره ، فعليك بهذا النوع من الترتيب في العبادة وهي عبادة أصفياء الله تعالى وأوليائه.

قال سلمان الفارسي : (أربعة لا أتركها إلى الموت أصلي ، فإذا أعيت الرجل أقول لها : استريحي ، إيه أيها اللسان قد رجعت النوبة إليك فاجتهد بالذكر ، فإذا أعي أقول له : استرح ، إيه أيها القلب قد رجعت النوبة إليك بالتفكر. فإذا أعي أقول للعين : قد رجعت النوبة إليك فانظري بالعبرة ، فإذا أعيت أقول للرجل : قد رجعت النوبة إليك).

واعلم أنك متى رتبت هذا الترتيب سهل عليك العمل ، واعتادت جوارحك الخدمة الإلهية فحينئذ تكون متحصنا من مكائد الشيطان ، إلا باب العجب فإنه ينبغي أن تغلقه بذكر أعمال الصالحين ، وعبادة ملائكة الله المقربين والتنقير عن عيوبك وذنوبك ، فإن لم تجد ذنبا عرفت أن أعظم ذنوبك تحسينك الظن بنفسك ، وكثرة عجبك بعملك.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاث مهلكات ـــ شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه).

وعن عيسي عليه‌السلام (كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده العجب).

وعن مطرف بن عبد الله (لأن أبيت نائما وأصبح نائما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا) .

فارجع على نفسك باللوم وقل : يا نفس لو بلغت في العبادة أعلاها ما أديت شكر نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليك ، وقد علمت يا نفس أن من جملة عبادة الملائكة قولهم : "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك" وهم عن الطاعة طرفة عين لا يفترون ، والمعصية طرفة عين لا يرتكبون ، فتذكر استصغار الصالحين لأعمالهم ، وربما كانت أكثر من عملك.

قال أويس القرني : (كن في أمر الله كأنك قبلت جميع الناس).

وقيل لرابعة : بم ترجين أكثر ما ترجين ؟ قالت : "بأياس من كل عمل".

وعن الحارث بن سويد قال : "أكثروا على عبد الله ذات يوم فقال : لو تعلمون مني ما أعلم لحثيتم على رأسي التراب ، والله الذي لا إله غيره لوددت أني أعلم أن الله غفر لي ذنبا واحدا وأني سميت عبد الله بن روثة).

وعن صالح المري قال : "وقف بكر بن عبد الله ، ومطرف بالموقف فقال مطرف : اللهم لا تردهم من أجلي) وقال بكر : ما أشرفه من موضع وارجاه لولا أني فيهم).

وعن الحسن البصري "ألا أخبركم بأشركم ، أشركم من يرى أنه خيركم).

وعن بكر بن ماعز قال : صلى بنا الربيع بن خثيم فلما أن سلم أقبل علينا بوجهه وقال : "لتصلن وحدانا ، أو لنتخذن إماما غيرى".

وعن وهب قال : "كان فيمن قبلكم عابد عبد الله سبعين سنة صائما ، يفطر من سبت إلى سبت ، فطلب إلى الله حاجة فلم يعطها فأقبل على نفسه وقال : من قبلك أتيت ، لو كان عندك خير قضيت حاجتك . فأنزل الله ملكا ساعتئذ فقال : إن ساعتك هذه التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت).

فعليك بمعالجة قلبك هذه المعالجة حتى ينغلق عنك باب العجب ، واطلب درجات السابقين لعلك أن ترقى إلى درجات الناجين لا لك ولا عليك ، وعليك بمداومة السهر، وملازمة الفكر ، والخدمة لله تعالى إلى أن يغبك النوم.

قال يزيد بن هارون : " تفكرت في قيام الليل فإذا الحارس يحرس الليلة بدانقين ، أفيطلب أحدكم الجنة بدانقين ، ويمن على الله بسهر ليلة وهي تساوي دانقين).

فإذا غلبك النوم فاجعل خاتمة عملك عند نومك ما يجب أن تجعلها عند موتك ؛ فإن النوم أخو الموت ، ولا تأمن أن يتوفى الله نفسك في نومك فلا يرسلها إليك ، وإنما الأمور بخواتمها.

فإذا أردت النوم فاقصد إلى مضجعك ، وصل فيه ركعتين قبل أن تنام ، تقرأ فيهما (إذا زلزلت الأرض) و (ألهاكم) فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك.

وفي بعض الأخبار : تقرأ في أحدهما(قل يا أيها الكافرون) .

فإذا فرغت فاستقبل القبلة بنفسك كهيئتك عند موتك إلى وقت نومك ، ثم نم على يمينك فهو حسن ، وإن وضعت نفسك عند مضجعك كما توضع في لحدك على يمينك فهو حسن ، واجتهد أن تنام وأنت على طهارة لتدخل في دعاء الملك الموكل بك قال النبي ﷺ : (من بات طاهرا بات في شعاره ملك يقول : اللهم اغفر لعبدك فلان بات طاهرا).

وعن النبي ﷺ (إذا آوى الرجل طاهرا إلى فراشه على ذكر ، ثم توسد يمينه ، ثم تغار من الليل لم يسأل الله شيئا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله).

وعنه ﷺ أنه قال : (من تغار من الليل على فراشه فقال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، اللهم اغفر لي . إلا غفر الله تعالى له ، فإن قام وتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله استجاب الله له).

واقرأ ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (من قرأ هاتين الآيتين (آية الكرسي ، وحم) الأولى حتى انتهى إلى قوله : {إليه المصير} حين يمسي حفظ بها حتى يصبح ،

وإن قرأهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي).

وعنه ﷺ (لو أن أحدكم إذا أمسي قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثم لسعته عقرب لم يضره).

فاتخذ الذكر لله تعالى شعارك في يقظتك ونومك ، واجتهد أن لا تنام إلا ووصيتك مكتوبة محروسة ، ولا تنام إلا وأنت مستغفر من الذنوب ، عازم أن لا تعود إلى معصية ، وإن كنت قادرا على قضاء دينك ، والخروج من جميع ما عليك لله تعالى وللآدميين فافعل فإنك إنما تستعد للموت الذي لا تأمن أن يدهمك ، وتذكر أنك ستضجع في اللحد وحيدا فريدا لا يؤنسك إلا عملك إن كان صالحا ، وإن كان فاحشا كان وحشة عليك في قبرك ، ولا تتكلف النوم بتمهيد الفرش الوطية ، وبسط اللين من الثياب فإن في النوم تعطيل للعقل وهو أشرف ما فيك.

فإذا اختار الله لك اليقظة ووفقك لها فأشكر الله تعالى على توفيقه لك لأحسن أحوالك وأشرفها ، واغتنم القيام والخدمة لذي الجلال والإكرام

وأحسن العبادة هي الصلاة ، وليست العبادة الصلاة وحدها ، بل هي الصلاة ، والقراءة ، والذكر ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، ويمكنك أن تكون عابدا وأنت مضطجع بالقرآن والذكر والاستغفار ، والتصور لأمر الآخرة والتفكر فيها ، تصور نفسك تصورة الرأي لها ، المشاهد لأحوالها التي ذكرناها في الركن العاشر.

وينبغي أن تنام على عزم القيام في الليل ، فركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ، وهما من كنوز البر. ورد ذلك كله مأثور .

ولا ينبغي أن تنام إلا على ذكر الله تعالى قال النبي ﷺ : (من نام على تسبيح ، أو تهليل أو تكبير بعث عليه يوم القيامة ، ومن نام على غفلة بعث عليها يوم القيامة فعودوا أنفسكم الذكر عند النوم وعند الموت ، وكان النبي ﷺ يقول عند مضجعه : (اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته ، أنت تكشف المغرم والمأثم ، اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا

ينفع ذا الجد[1] ، منك الجد سبحانك وبحمدك) فقل مثل ذلك اقتداء برسول الله ﷺ .

وقل أيضا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأسيد بن حضير : (ألا أدلك على شئ تفعله إذا أنت مت من ليلتك دخلت الجنة ، وإذا عشت عشت بخير. إذا أنت نمت فاجعل يدك اليمني تحت خدك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رهبة ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ورسولك الذي أرسلت).

وقل أيضا ما روي أنه كان ﷺ إذا آوى إلى فراشه اتكأ على جانبه الأيمن ، ثم وضع يمينه تحت خده مستقبلا القبلة ثم قال : (بسم الله اللهم ، بك وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أخرتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).

وقل ما روي عنه عليه السلام قال : (من آوى إلى فراشه ثم قرأ سورة (تبارك الملك) ثم قال : اللهم رب الحل والحرم ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ، وبحق كل آية أنزلتها في شهر رمضان ـــ بلغ روح محمد مني تحية وسلاما أربع مرات. وكل الله به الملكين حتى يأتيا محمدا فيقولان له ذلك ، فيقول : وعلى فلان مني السلام ورحمة الله وبركاته).

وعنه ﷺ في الآية التي في آخر الكهف {**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**}[2] إلى آخر السورة قال عليه السلام : (من قرأها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ إلى الكعبة ، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ).

وقد كان ﷺ لا يبيت ليلة إلا ويقرأ (الم تنزيل . وتبارك).

---

١) الجد : هو الحظ ، وفاعل لا ينفع محذوف تقديره : لا ينفع ذا الجد جده .

٢) الكهف : ١١٠ .

وقل بعد هذه الكلمات المتقدمة : "اللهم باسمك أحيا وأموت ، وأعوذ بك من شر كل ذي شر ، وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، اللهم إن أمتها فاغفر لها ، وإن أحييتها فاحفظها ، اللهم إني أسألك العفو والعافية ، اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك ، واستعملني بأحب الأعمال إليك ليقربني إليك زلفا ، ويبعدني من سخطك بعدا ، أسألك فتعطيني ، وأستغفرك فتغفر لي ، وأدعوك فتستجيب لي) .

واقرأ من القرآن ما ذكرناه ، واقرأ (قل هو الله أحد) فقد أعلمتك فضلها ، وفضل قراءتها عند النوم ، واقرأ (آية الكرسي) و(آمن الرسول) و(المعوذتين) فمن فعل ذلك وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح ، وعرج بروحه إلى العرش ، وكتب مصليا إلى أن يستيقظ.

نعم ــ فإذا استيقظت فارجع إلى ما قد عرفتك ، وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك ، واستقم عليه ، وإنما ينفعك من الأعمال ما أدمت عليه وأقمت ، كما قال تعالى : {إ ن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا}.[1]

نعم ــ وإن شق عليك الدوام ، ومللت من الاستقامة فارجع إلى التفكر والتصور لأمر الآخرة ، وداو نفسك بما ذكرته لك أولا ، وتأمل كيف تتحمل المشقة والذل المهين في طلب الدنيا شهرا وسنة وسنين ، رجاء أن تستريح من الزمان مثل ما أتعبت نفسك أو دون ذلك ، فكيف لا تتعب نفسك أياما قليلة تعبا ليس عليك فيه ذل ولا مهانة ، فإن الله قد جعل لخدمه مودة وجلالة في قلوب الخلق ، مع أنك تستريح بسبب ذلك أبد الأبد ، فاجعل الموت نصب عينيك ، وقل يا نفس صبرا في هذه الليلة فلعلك أن تموتين غدا ، أوفي هذه الساعة فلعلك تقبضين في الساعة الثانية ، فإن

---

١) فصلت : ٣٠ .

الموت لا يهجم في وقت معين ، ولا في سن مخصوص ولا بد لك منه ، فإذا الاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا ، فاجعل همك لآخرتك والسلام.

فهذا هو تمام الإرشاد إلى ما يجب عليك في جميع أيام السنة ويستحب من ترتيب الأوراد .

الإرشاد إلى ما يختص الأسبوع كل يوم من أيامه

اعلم أنا نذكر هاهنا ما ورد في العبادات بالصلوات دون غيرها من الأدعية والذكر والقرآن ، فإن فتح هذا الباب يتسع ، وينقض الغرض بالاختصار ، وهو موجود في غير هذا الكتاب وأنا أذكر هاهنا ما سمعته مطلقا على ما مضي ، وما وجدته ورأيته في الكتب غير مسموع بينت أين وجدته ، وسأبين جواز العمل بذلك وفضيلته إن شاء الله تعالى.

ليلة الأحد

فإذا دخلت عليك ليلة الأحد فصل فيها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما نذكره الآن ، واجعل ذلك منها في وقت لا يشغلك عما ذكرناه من الصلوات في الأوقات التي أرشدناك إليها؛ لئلا يؤدي ذلك إلى النقص من أورادك التي ذكرناها لك ، فالليل طويل والعبادة فيه آنس بالله تعالى ، ومصاحبة لمرضاته.

وفي كتاب إحياء العلوم روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة (الحمد) مرة ، و(قل هو الله أحد) خمسين مرة و(المعوذتين) مرة ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ، ويستغفر الله لنفسه ولوالديه مائة مرة ، وتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته ، وإبراهيم خليل الله ، وموسى كليم الله ، وعيسي روح الله ، ومحمد حبيب الله ــ كان له يوم القيامة من الثواب

بعدد من ادعى لله ولدا ، وبعدد من لم يدع لله ولدا ، وبعثه الله يـوم القيامـة مـع الآمنين ، وكان حقا على الله أن يدخله الجنة مع النبيئين).

يوم الأحد

فإذا كان يوم الأحد فصل ما نذكره لك من غير إخلال بأورادك المتقدمة.

وفي إحياء علوم الدين أنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى يوم الأحد أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة (فاتحة الكتاب ، و آمن الرسول) مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات ، وأعطاه الله ثواب نبي ، وكتب له حجة وعمـرة ، وكتب له بكل ركعة ألف صلاة ، وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر).

وفيه أيضا عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (وحدوا الله بكثرة الصـلاة يوم الأحد ، فإنه سبحانه واحد لا شريك له ، فمن صلى يوم الأحد بعـد صـلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة ، قرأ في الركعة الأولى (فاتحـة الكتـاب) و(تنـزيل السجدة) وفي الثانية (فاتحة الكتاب) و(تبارك الملك) ثم يتشهد ويسلم ، ثم قام وصلى ركعتين يقرأ فيهما (فاتحة الكتاب) و(سورة الجمعة) ويسأل الله حاجتـه كان حقا على الله أن يقضي حاجته).

ليلة الاثنين

صل فيها ما نذكره لك من غير إخلال بالأوراد ، وفي إحياء علوم الدين أنـه روى الأعمش عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من صلى ليلة الاثنين أربع ركعـات ي، قـرأ في الركعة الأولى الحمد ، وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفي الثانية الحمد ، وقل هـو الله أحد عشرين مرة ، وفي الثالثة الحمد ، وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفي الرابعـة الحمد ، وقل هو الله أحد أربعين مرة . وقرأ قل هو الله أحد خمسا وعشرين مـرة ، وأستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ، وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم

سأل حاجته إلا كان حقا على الله أن يعطيه ما سأل وهي تسمي صلاة الحاجة.

يوم الاثنين

صل فيه من غير إخلال بالأوراد ما في كتاب إحياء علوم الدين أنه روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مرة ، وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة ، فإذا فرغ استغفر عشر مرات ، وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها).

وكذلك مافيه عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : (من صلى يوم الاثنين اثني عشر ركعة ، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة ، وآية الكرسي مرة ، فإذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثني عشر مرة ، واستغفر اثني عشرة مرة ــ ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ؟ ليقم فيأخذ ثوابه من الله ، فأول ما يعطي من الثواب ألف حلة ويتوج ، ويقال له : ادخل الجنة ، فيستقبله مائة ألف ملك ، مع كل ملك هدية ، يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ.

ليلة الثلاثاء

يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين خمس عشرة مرة ، فإذا فرغ قرأ آية الكرسي خمس عشرة مرة ، واستغفر الله خمس عشرة مرة.

يوم الثلاثاء

صل من غير إخلال بالأوراد ما في كتاب الإحياء أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار) وفي رواية (عند انتصاب النهار) يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي مرة ، وقل هو الله

أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما ، فإن مات إلى سبعين يوما مات شهيدا ، وغفر له ذنوب سبعين سنة).

وعنه ﷺ سماعا أنه قال : (من صلى يوم الثلاثاء ركعتين ، يقرأ في كل ركعة مائة مرة (قل هو الله أحد) لم ينصرف حتى يناديه مناد من السماء : طبت وطابت لك الجنة.

ليلة الأربعاء

في كتاب الإحياء عن فاطمة عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى ليلة الأربعاء ركعتين، يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة ، وقل أعوذ برب الناس عشر مرات ـــ نزل من السماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة).

يوم الأربعاء

وفي كتاب الإحياء عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال : (من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، والمعوذتين ثلاث مرات نادى له ملك من عند العرش : يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم وما تأخر ، ودفع عنك عذاب القبر ، وضيقه وظلمته ، ودفع عنك شدائد القيامة ، ورفع له من يومه عمل نبي).

ليلة الخميس

وفي كتاب الإحياء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي

خمس مرات ، وقل هو الله أحد خمس مرات ، والفلق خمس مرات ، والناس خمس مرات ، فإذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة ، وجعل ثوابه لوالديه ، فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقا ، ألا وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء).

يوم الخميس

وفي كتاب الإحياء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين ، يقرأ في الركعة الأولى الفاتحة مرة ، وآية الكرسي مائة مرة ، وفي الثانية الفاتحة مرة ، وقل هو الله أحد مائة مرة ، ويصلي علي مائة مرة ـ أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان ، وكتب له من الثواب مثل حاج البيت ، وكتب له بعدد من آمن بالله وتوكل عليه حسنة).

ليلة الجمعة

اعلم أن فضل هذه الليلة عظيم ، والعمل فيها للخير والشر مضاعف ، فينبغي أن تستغنم فيها الأعمال الصالحة ، وتتوفر فيها على الوظائف الأولى المذكورة ، وتزيد فيها على المعتاد ، وتستشعر خوف حلول الموت وسرعة الولوج إلى أحوال الآخرة ، وتصور ما فيها وكونك على خطر من أمرك ، لو لم يكن إلا أنك لم تدر ما تكون خاتمة عملك بعد، فلعل ذكر ذلك يدفع عنك وخيم النوم ، ويوقظك للعمل فتنال فضيلة هذه الليلة ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (أربع ليال كأيامهن ، وأيامهن كلياليهن يجزل الله فيها القسم ، ويعطي فيها الجزيل ليلة الجمعة وصبيحتها ، وليلة النصف من شعبان وصبيحتها ، وليلة القدر وصبيحتها ، وليلة عرفة وصبيحتها).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن الله تعالى في آخر ساعة تبقي من الليل يأمر بباب من أبواب سماء الدنيا فيفتح ، ثم ينادى ملك يسمع ما بين الخافقين إلا الجن والأنس : ألا هل من مستغفر فيغفر له ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من

داع بخير فيستجاب له ، هل من سائل يعطي سؤله ، هل من راغب يعطي رغبته ، يا صاحب الخير هلم ، ويا صاحب الشر أقصر ، اللهم أعط كل منفق مال خلفا ، اللهم وأعط كل ممسك مال تلفا ، فإذا كان ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره).

نعم ـ فينبغي أن تجتهد في أن يدخل لك عمل من هذا الباب في هذه الليلة ، فقد فتح لك من أول الليل إلى آخره ، وليكن من أعمالك في هذه الليلة الصلوات المأثورات فيها عن النبي ﷺ نحو ما روي عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشر ركعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله إحدى عشرة مرة ، فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة ، صيام نهارها وقيام ليلها).

وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة ، وصلى ركعتين السنة ، وصلى بعدها عشر ركعات ، يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد ، والمعوذتين مرة مرة ، ثم أوتر بثلاث ركعات ، ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة فكأنما أحيي ليلة القدر).

وقال ﷺ : (أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء ، واليوم الأزهر يوم الجمعة وليلة الجمعة).

وعن النبي ﷺ (من صلى ليلة الجمعة أربع ركعات ، يقرأ فيهن قل هو الله أحد ألف مرة ، في كل ركعة مائتان وخمسون قل هو الله أحد ـ كان قد أدى من حق الجمعة ما أدت الملائكة).

يوم الجمعة

اعلم أن هذا اليوم هو أفضل أيام الأسبوع ، وهو عيد المسلمين الذي خص الله تعالى به هذه الأمة ، فينبغي أن تستكثر فيه من الأعمال الصالحة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد سأل حاجة إلا أعطاه الله إياها.

فينبغي أن تستعد لها بالعمل والدعاء في جميع ساعات النهار إلى أن تغرب الشمس ماخلا الأوقات المكروهة فإنه لا صلاة فيها.

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا كان يوم الجمعة يأمر الله سبحانه أن ينصب عند باب البيت المعمور منبر ، فتجتمع الملائكة الكروبيون ، فيؤذن جبريل ، ويؤم ميكائيل ، ويصلون خلفه ، فإذا فرغوا يقوم جبريل ويقول : اللهم اجعل ثواب أذاني لمؤذني أمة محمد ، ويقول ميكائيل : اللهم اجعل ثواب إمامتي لأئمة أمة محمد ، وتقول الملائكة : اللهم اجعل ثواب صلاتنا للمصلين من أمة محمد ، فيقول الله تعالى : أتسخون علي وأنا أوفي الأجور ، أشهدكم أني قد غفرت لمذنبي أمة محمد ، ثم يتفرقون إلى الجمعة القابلة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه).

نعم ـــ قيل : تلك الساعة أول ساعة من النهار.

وقيل : وقت الخطبة.

وقيل : بعد الفراغ من الجمعة.

وقيل : آخر ساعة من النهار.

وقيل : سترها الله تعالى ليشتغل بعبادته جميع اليوم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن أحب الأيام إلى الله تعالى يوم الجمعة ، وأحب الشهور شهر رمضان ، وأحب الكلام كلمة الإخلاص ، وأحب الحديث تلاوة القرآن).

ثم عليك بالتوفر بعد صلاة الفجر بالذكر الذي ذكرناه ، وأكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أول ليلة الجمعة إلى غروب الشمس يوم الجمعة.

وعن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : (إذا كان عشية الخميس ليلة الجمعة نزلت ملائكة عدد الذر ، معهم صحف من فضة ، وأقلام من ذهب ، فلا يكتبون إلا

الصلاة على محمد وعلى آل محمد حتى تغيب الشمس يوم الجمعة).

فإذا ارتفعت وزالت حمرتها وظهر نورها صليت صلاة الضحى.

وروى عن علي عليه‌السلام عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه قال : (في يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس فارتفعت قيد رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ، ثم أسبغ الوضوء ، وصلى تسبيحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتي حسنة ، ومحي عنه مائتي سيئة ، ومن صلى أربع ركعات رفع الله له في الجنة أربعمائة درجة ، ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثمان مائة درجة ، وغفر له ذنوبه كلها ، ومن صلى اثنتي عشر ركعة كتب الله له ألفا ومائتي حسنة ، ومحي عنه ألفا ومائتي سيئة ، ورفع

له في الجنة ألفا ومائتي درجة).

واجتهد في هذا اليوم في لبس الثياب البيض ، واستعمل من الطيب أطيب ما عندك ، وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق والتقصير والتقليم والاغتسال والسواك ، وسائر أنواع النظافة ، وتطييب الرائحة ، وبكر إلى الجامع ، واسع إليه على الهيئة والسكينة ، فقد قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (من اغتسل يوم الجمعة ، ثم مس من طيب أهله ، ولبس أحسن ما عنده ، وأنصت للإمام غفر له ما بين الجمعتين).

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه قال : (من بكر ابتغاء وجه الله فجهنم عليه حرام ، ألا من بكر ابتغاء وجه الله فله الجنة).

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه قال : (من راح في الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر).

فعليك بالمبادرة إلى الجامع في يوم الجمعة ، وإن أمكنك أن تكون معتكفا في هذا

اليوم فهو الأولى ، ولكن ذلك إنما يكون بالاستعداد بصيام يوم الخميس ، وصيام الجمعة فإن الاعتكاف لا يصح إلا بالصيام ، والصيام في يوم الجمعة منفردا مكروه ، ورد فيه النهي.

وعليك بالاستكثار من الصلاة إلى نصف النهار ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى ركعتين يوم الجمعة يقرأ في أول ركعة منهما قل هو الله أحد مائة مرة ، ويقرأ في الثانية آية الكرسي مائة مرة ـــ لم يصف الواصفون من أهل السماء والأرض ماله عند الله من الخير ، وذلك ضحوة يوم الجمعة ، أو في الشهر ، أو في السنة).

قال أبو جعفر : سمعت من يذكر أن من صلى هاتين الركعتين في يوم رفع له عمله ذلك اليوم عمل نبي).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من صلى يوم الجمعة أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله أحد ـــ كان قد أدى حق الجمعة ما أدت الملائكة).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى أربع ركعات في يوم الجمعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب عشرا ، وقل أعوذ برب الناس عشرا ، وقل أعوذ برب الفلق عشرا ، وقل هو الله أحد عشر ـــ دفع الله عنه شر أهل السماء والأرض وشر الإنس والجن).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من كانت له إلي حاجة فليصل يوم الجمعة عند ارتفاع النهار أربع ركعات ، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب ، وسبح اسم ربك الأعلى ، وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، وفي الثانية فاتحة الكتاب ، وإذا زلزلت ، وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، وفي الثالثة فاتحة الكتاب ، وألهاكم التكاثر ، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ، وفي الرابعة فاتحة الكتاب ، وإذا جاء نصر الله والفتح ، وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، فإذا فرغ من الصلاة رفع يده إلى السماء وسأل حاجته فإن الله تعالى يقضيها).

والأخبار الواردة في الصلاة في هذا اليوم كثيرة.

فإذا خرجت إلى الجمعة فاخرج حافيا راجلا ، كذلك كان رسول الله يفعل ، واقرأ في طريقك قل هو الله أحد.

قال الزهري : بلغني أنه من اغتسل في منزله يوم الجمعة ، ثم صلى ركعتين ، ثم خرج يقرأ قل هو الله أحد حتى يدخل المسجد ـ دخل كما ولد ، فإن ثبت حتى يصلي الجمعة ، ثم يرجع استوجب الجنة .

فإذا دخلت الجامع فأطلب الصف الأول ، ثم اليمين للإمام فإن ذلك هو أفضل المواقف للمأموم.

وأحذرك أن تتخطى رقاب الناس ، وتمر بين أيديهم وهم يصلون ، فإن ذلك منهي عنه ، ولا تقعد حتى تصلي ركعتين تحية المسجد ، وإن صليت أربع ركعات تقرأ في كل ركعة خمسين مرة سورة الإخلاص فهو حسن ، ففي الخبر (من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له) ثم صل ما تقدم من الأوراد.

ثم صل مع الإمام صلاة الجمعة ، وهي فرض واجب إن كان في الزمان إمام ، وكان هنالك مسجد يجمع فيه ، وإياك والحديث عند سماع الخطبة والصلاة ، فإن ذلك منهي عنه.

ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الأنعام ، وطه ، ويس ، والكهف ، فإن لم تقدر فسورة يس ، والسجدة ، والدخان ، ولا تدع قراءة هذه السور ليلة الجمعة ففيها فضل عظيم ، وأكثر من قراءة قل هو الله أحد.

فإن لم يكن جمعة صليت الظهر مع الإمام ، ثم صليت ما ذكرناه في الأوراد ، ثم صليت ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى يوم الجمعة بين الظهر والعصر ركعتين ، يقرأ في الركعة الأولى منها فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وخمسا وعشرين قل أعوذ برب الفلق ، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب ، وخمسا وعشرين مرة قل أعوذ برب الناس، ثم يسلم ويقول : خمسا وعشرين مرة : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة).

ثم اشتغل بالأوراد كما عرفتك ، ولازم المسجد إلى غروب الشمس بالسكينة والوقار ، والخشوع والتذلل والدعاء والتضرع ، فلعلك أن تدرك الساعة المطلوبة في يوم الجمعة.

وعليك بمجالس الذكر ، ومجالس العلم ، وبالصدقة ، والزيارة للعلماء ، والعيادة للمرضي ، وغير ذلك من أنواع القرب ، واجعل هذا اليوم خاصة لربك ، فعساه يكون كفارة لما مضى من الأسبوع.

ليلة السبت

فاجتهد في هذه الليلة في الأعمال الصالحة ، وتعاهد الأوراد ، ووظائف العبادات كما ذكرت لك أولا ، وزد في أورادك فيها لكونه أول أسبوعك إلى الجمعة الأخرى فينبغي أن يكون عملك فيها أكثر ، فإنه من شرع في الخير يوشك أن يختم له به ، ومن يبتدي بالشر والكسل والتواني وقلة الاهتمام فيما يرضى الله تعالى يوشك أن يختم له به ، فإن الله تعالى يحوط العبد بأعماله السالفة حتى أنه يحفظ نسله الأسفلين بسببه ، ويسلمه إلى التبار والدمار بسبب أعماله الفاسدة ، حتى أنه ربما أفضى ذلك إلى نسله.

والأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك واردة ، والكتاب ناطق ، وليكن من جملة صلواتك في هذه الليلة ما في كتاب الإحياء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني الله له قصرا في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنه ، وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له).

يوم السبت

وصل يوم السبت ما في كتاب الإحياء أنه روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صلى يوم السبت أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد مرة ، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا فرغ قرأ آية الكرسي

كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ، ورفع له بكل حرف أجر سنة ــ صيام نهارها وقيام ليلها ــ وأعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد ، وكان تحت ظل عرش الله مع النبئين والشهداء)

الإرشاد إلى ما يخص الشهور من الصلوات

شهر المحرم

اعلم أنه ينبغي أن تجري في هذا الشهر على حسب ما ذكرته في الأوراد في كل ليلة ويوم ، وتجري في أسابيعه على حسب ما ذكرته لك في الأسابيع ، ثم فيه صلاة تخصه في يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر منه ، قال النبي ﷺ في آخر حديث سنذكر جملته فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وفيه (من صلى) يعني في هذا اليوم (أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله أحد ــ غفر له ذنوب خمسين عاما وبني له في الملأ الأعلى ألف منبر من نور).

وقال ﷺ: (من صلى ليلة عاشوراء مائة ركعة ، يقرأ في كل ركعة الحمد ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته قال : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ويصوم يوم عاشوراء) قال ﷺ: (من صلى هذه الصلاة ملأ الله قبره مسكا وعنبرا ، وله ثواب كثير لا يحصيه إلا الله تعالى).

نعم ــ وفي هذا اليوم وهو يوم عاشوراء ينبغي الاستكثار فيه من الأعمال الصالحة لعظيم ما ورد فيه من الفضل كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

شهر رجب

اعلم أن فضل هذا الشهر عظيم كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، فينبغي المبادرة فيه بالأعمال الصالحة ، وفيه صلاة الرغائب.

روى أن النبي ﷺ قال : (ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعشاء يعني أول ليلة جمعة منه اثنتي عشرة ركعة ، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي ﷺ سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وسلم ، ثم يسجد ويقول في سجوده : سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه ويقول : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، فإنك أنت العلي الأعظم سبعين مرة ، ثم يسجد الثانية ويقول فيها مثل ما قال في الأولى ، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضي).

قال ﷺ : (لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر ، وعدد الرمل ، ووزن الجبال ، وورق الشجر ، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار ، فإذا كان أول ليلة في قبره بعث الله عز وجل ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة صبيحة ، بوجه طلق ، ولسان ذلق فتقول : يا حبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة فيقول : من أنت ؟ فوا الله ما رأيت أحسن من وجهك ، ولا سمعت كلاما أحلى من كلامك ، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك. فتقول له : يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها في ليلة كذا ، في شهر كذا من سنة كذا ، جئت الليلة لأقضي حقك ، وأونس وحدتك ، وأرفع عنك وحشتك ، فإذا نفخ في الصور ضللت في عرصة القيامة على رأسك ، وأبشر فلن تعدم الخير من مولاك أبدا.

وفي قيام أول ليلة من رجب فضل عظيم

قال النبي ﷺ : (أربع ليال يفرغ الله الرحمة على عباده إفراغا ــ أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر والأضحى).

وعن عطاء الخراساني (خمس ليال من قامهن ــ أول ليلة من رجب يقومها ويصبح صائما ، وليلة النصف من شعبان يقومها ويصبح صائما ، وليلة الفطر يقومها

ويصبح مفطرا ، وليلة الأضحى يقومها ويصبح مفطرا ، وليلة عاشوراء يقومها ويصبح صائما ـ كتب الله أجر شهيد في حياته وبعد موته).

والشهر كله فاضل كما سنذكره ، فينبغي المبادرة فيه بالأعمال الصالحة من غير إخلال بالأوراد التي ذكرناها ، وعليك في هذا الشهر بالصلوات المأثورة في أوله ووسطه وآخره.

روينا بالإسناد الموثوق به عمن روى وسمع ، بإسناد إلى سلمان الفارسي قال : قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (تصلي في أول رجب عشر ركعات ، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا سلمت رفعت يديك وقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ثم امسح بهما وجهك ، وصل في وسط الشهر عشر ركعات مثلها ، فإذا سلمت فأرفع يديك إلى السماء وقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، إلها واحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ثم امسح بهما وجهك . وصل في آخر الشهر عشر ركعات مثلها ، فإذا سلمت رفعت يديك إلى السماء وقلت : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم امسح بهما وجهك ، واسأل حاجتك فإنه يستجاب دعاؤك ، ويجعل بينك وبين جهنم سبعة خنادق ، كل خندق كما بين السماء والأرض ، ويكتب لك بكل ركعة ألف ألف ركعة ، ويكتب لك براءة من النار ، وجواز على الصراط)

قال سلمان : فلما فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الحديث خررت ساجدا أبكي شكرا لله تعالى لما سمعت هذا الحديث).

وليلة سبع وعشرين من هذا الشهر هي ليلة المعراج ، وفيها صلاة مأثورة عن النبي ﷺ أنه قال : (للعامل فيها حسنات مائة سنة ، ومن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ، يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ، ويقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ، ويستغفر الله مائة مرة ، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ، ويدعو لنفسه من أمور دنياه وآخرته ، ويصبح صائما فإن الله يستجيب دعاؤه كله إلا أن يكون في معصية.

فأما ليلة النصف منه ففي قيامها فضل عظيم ، فينبغي لك أيها الطالب أن تبادر إلى طلب هذه التجارة الرابحة لتكون من الفائزين

شهر شعبان

هذا الشهر فضله عظيم كما سنذكره في العبادة بالصوم.

فينبغي المبادرة فيه بالأعمال الصالحة ، وفيه ليلة براءة ، وهي ليلة النصف منه.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : (أتاني جبريل في ليلة النصف من شعبان فقال : يا محمد ارفع رأسك. فقلت : ما هذه الليلة ؟ قال : هذه ليلة يفتح فيها أبواب السماء . فقلت : يا جبريل وما هذه الليلة ؟ قال : يفتح فيها ثلاث مائة باب من الرحمة فيغفر الله لجميع من لا يشرك بالله شيئا ، إلا أن يكون ساحرا أو كاهنا أو مشاحنا ، أو مدمن خمر ، أو مصرا على الربا فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا ، فخرج النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد فصلى وسجد ، فبينا هو ساجد يبكي ويقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد. حتى إذا كان في بعض الليل نزل جبريل فقال : يا محمد أرفع رأسك إلى السماء فرفع رأسه فإذا أبواب الرحمة مفتوحة على الباب الأول ملك ينادى : طوبى لمن ركع في هذه الليلة ، وعلى الباب الثاني ملك ينادى : طوبى لمن سجد في هذه الليلة ، وعلى الباب الثالث ملك

ينادى : طوبى لمن خشع في هذه الليلة ، وعلى الباب الرابع ملك ينادى : طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة ، وعلى الباب الخامس ملك ينادى : طوبى لمن بكى في هذه الليلة ، وعلى الباب السادس ملك ينادى : طوبى لمن ذكر الله في هذه الليلة ، وعلى الباب السابع ملك ينادي : هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من داع فتستجاب دعوته ، هل من مستغفر فيغفر له).

وعن النبي ﷺ (من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب).

وعنه ﷺ (لا يترك العبادة في هذه الليلة إلا منافق ، أو من لا يكون له نصيب من رحمة الله).

فأما ما روي فيها من الصلاة فروي عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف قل هو الله أحد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ، ولم يمت حتى يرى مائة ملك يؤمنونه من عذاب الله ، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة ، وثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان ، وثلاثون يستغفرون له آناء الليل والنهار ، وعشرة يكيدون من كاده) وفي بعض الروايات (في كل ركعة عشرا).

شهر رمضان

فإذا دخل شهر رمضان فعليك فيه بالاستكثار من أنواع الطاعات من الصيام والقيام والصدقة والذكر ، وقراءة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاعتمار إن كنت بمكة ، وجميع أنواع الطاعات فإنها تضاعف فيه ، والبس السكينة والوقار ، واعمره بكثرة الاستغفار واطو مهاد النوم ، والبس شعار الصوم ، واصحبه بأحسن صحبة ، وتقرب فيه بكل قربة.

واعلم أنك إن لم تفز فيه بالرضاء والمغفرة فجدير أن تكون من أهل الوجوه المقترة لأن الله تعالى قد كفاك المهم فيه من أمر الشيطان ، وأغلق عنك فيه أبواب النيران وفتح لك فيه أبواب الجنان ، وضاعف لك فيه أجور الأعمال ، وعرفك أن فيه درك

أقاصي الأماني والآمال ، ودعاك فيه إلى قربه بالليل والنهار ، وإلى صحبة ملائكته الأبرار ، وحط عنك فيه جميع الآصار ، ورفع عنك بعمله ثقل الأوزار ، فلم يدع لك علة تعتل بها ، ولا أبقي لك معذرة تعتذر بها ، فاستعد فيه لصالح العمل تبلغ نهاية الأمل ، ولا تشتغل فيه بشغل ليس لله فيه نصيب ، واحرس نفسك فيه حراسة الطب اللبيب ، ولن يتفق لك ذلك إلا بتوظيف الأوقات ، وترتيب الأوراد ، وتقسيم الطاعات بحسب الساعات ، حتى تكون جميع ساعات الليل والنهار مملوءة بخدمة الملك الجبار ، بحيث لا تجد وقتا لشغل ليس لله فيه نصيب إلا ما لا تملك دفعه من النوم ، فانتدب لدفعه باستشعار الخوف والحذر بذكر الموت وأحواله ، وأحوال القبر والحشر والنشر ، وما يقع في تلك المواقف ، فإن ذلك أشد شئ دفعا للنوم متى وقع في القلب ، ولكن الشأن في وقوعه من القلب ، وصل في كل ليلة من لياليه ويوم من أيامه صلاة تلك الليلة وذلك اليوم ، واستعمل جميع الصلوات الفاضلات المذكورات في الليل والنهار.

واستعمل ما رواه ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في شهر رمضان في غير جماعة عشرين ركعة والوتر) .

فحافظ على ذلك في ليالي رمضان كلها مع ما تقدم : عسى أن لا تقول يوم القيامة : { **رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت**}[1] وأشرب قلبك تعظيم لياليه وأيامه ، وساعاته وأوقاته ، ولا تدع القيام في كل وقت بحقه الذي ينبغي فيه ، وقم فيه يوم الجمعة بما ينبغي فيه يوم الجمعة ، ولا تغفل عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل وقت وحين ، وأكثر من الذكر والاستغفار ، وقراءة القرآن.

فإذا كان ليلة النصف منه فصل فيها ما تصلي في ليلة براءة من شعبان ، فالخبر فيها وارد بذلك ، حدث به ثلاثون من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من قرأ ليلة النصف من رمضان (قل هو الله أحد) ألف مرة ، في مائة ركعة ، في كل ركعة

---

١) المؤمنون : ٩٩ ـــ ١٠٠ .

عشرا ـــ لم يمت حتى يرى في منامه مائة ملك ، ثلاثون يبشرونه بالجنة ، وثلاثـــون يؤمنونه من عذاب النار ، وثلاثون يعصمونه من الخطايا ، والعشرة الباقية يكيدون له من عاداه).

فإذا دخلت العشر الأواخر فجد في العمل ، وضاعف في كل نوع منـــه ، والــزم الاعتكاف في المساجد كذلك كان رسول الله ﷺ يفعل.

روت عائشة (أنه عليه السلام ما زال يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله).

وروي (أنه ما ترك الاعتكاف منذ دخل المدينة إلى أن مات).

فينبغي أن تتعاهد الاعتكاف في كل شهر ولا تدعه فإن هذه الطاعات قد تركـــها الناس وهي من أعظم الطاعات وأجلها .

وإن أردت الاعتكاف وكنت في غير رمضان صمت في يوم اعتكـــافك ؛ فـــإن الاعتكاف لا يصح إلا بالصوم ، ورد مأثورا عن النبي. ﷺ

وإن كنت في رمضان فصيام رمضان كاف في ذلك ، ثم تدخل المسجد قبل طلـوع الفجر. ولا يصح الاعتكاف إلا في المسجد ، ولا يصح أن تدخل المسجد بعد طلـوع الفجر.

قال النبي عليه السلام : (كل مسجد تقام فيه الصلاة ، له إمام ومؤذن يصلـــح فيـــه الاعتكاف)

فإذا دخلت المسجد نويت الاعتكاف ، ثم لم تخرج مـــن مســـجد اعتكـــافك إلا للوضوء ، أو لقضاء الحاجة المخصوصة ، أو لعيادة مريض من غير جلوس معه بـــل تكون قائما ، أو لصلاة جنازة ، أو لصلاة الجمعة ، أو لحاجـــة الأهـــل أو بعـــض المسلمين ، مع ترك القعود ، وسرعة الانقلاب ، ولا تشتغل في مســـجد اعتكـــافك بشيء من المباحات أصلا ، بل تكون موقوفا على الطاعات من الصلاة والذكـــر ، وقراءة القرآن ، وأشباه ذلك.

وعليك بالسكينة والوقار ، وكثرة المناجاة ، والدعاء ، والاستغفار ، والصلاة على

النبي ﷺ المختار ، وعلى آله الأطهار.

وإن نويت الاعتكاف الليل مع النهار كان أفضل وحينئذ تجعل المسجد منـــزلك.

وروى ابن عمر (أن النبي ﷺ بني في المسجد بيتا من سعف فاعتكف فيه في آخر شهر رمضان ، وكان يصلي فيه ، فأخرج رأسه وقال : إن المصلي ينادى ربه فليعلـم أحدكم من يناجيه ، ولا يجهر بعضكم على بعض).

وقال ﷺ : (من اعتكف العشر الأواخر من رمضان كان له عدل حجتين وعمرتين).

وان اعتكفت من أول الشهر إلى آخره فهو أفضل ؛ لتكون قد جمعت بين أنـــواع الطاعات في شهر رمضان ؛ فتحوز الفضل كله في العمل مع فضيلة الشـــهر ؛ فـــإن المحروم من حرم نفسه فيه العمل.

قال النبي ﷺ يوما وقد حضر شهر رمضان : (أتى شهر رمضان ، شهر بركـــة وخير، يغشيكم الله فيه الرحمة ، ويحط فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظـــر الله فيه إلى تنافسكم وتباهيكم ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي كل الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل).

وفي فضل الشهر

ما روي عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم وقد أهل شهر رمضان : (لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمني العباد أن يكون شهر رمضاد سنة) فقال رجل من خزاعة : يا نبي الله حدثنا فقال : (إن الجنة لتزين لشهر رمضان من رأس الحول إلى رأس الحول ، حتى إذا كان أول ليلة هبت الريح من تحت العرش ، فصفقت ورق شجر الجنـــة ، فنظر الحور العين إلى ذلك فقلن : يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجا ، تقر أعيننا بهم ، وتقر أعينهم بنا ، وما من عبد صام رمضان إلا زوجه الله زوجـــة في كل يوم من الحور العين ، في خيمة من درة مجوفة ، ممـــا نعـــت الله بـــه الحـــور المقصورات في الخيام ، على كل امرأة منهن سبعون حلة ، ليس منها حلة على لـــون الأخرى ، ويعطي سبعين لونا من الطيب ، ليس منه لون يشبه الآخر ، وكل امـــرأة

منهن على سرير من ياقوت موشح بالدر ، على سبعين فراشا ، بطائنها من إستبرق ، وفوق السبعين فراشا سبعون أريكة ، ولكل امرأة منهن سبعون وصيفة لخدمتها ، وسبعون وصيفة للقيها زوجها ، مع كل وصيفة صحفة من ذهب فيها لون من الطعام يجد لآخره من اللذة مثل ما يجد لأوله ، ويعطي زوجها مثل ذلك ، على سرير من يا قوته حمراء ، عليها سواران من ذهب موشح بالياقوت الأحمر).

هذا لكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات.

وأحذرك أيها الطالب أن تكون غافلا عن النداء ، ساهيا عن الدعاء ، فإن المنادي يدعوك كل ليلة من رمضان إلى الخيرات ، ويستحثك إلى ارتقاء العالي من الدرجات

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (تفتح أبواب السماء كلها في أول ليلة من رمضان إلى آخر ليلة من رمضان ، وتغلق أبواب جهنم كلها من أول ليلة رمضان إلى آخر ليلة من رمضان ، لا يفتح منها باب ، وتغل مردة الشياطين لحق رمضان وحرمته ، ويبعث الله مناديا ينادى من غروب الشمس إلى طلوع الفجر كل ليلة إلى سماء الدنيا : يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر ، هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل يعط سؤله ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من تائب فيتاب عليه ، ولله عتقاء عند وقت الفطر كل ليلة من رمضان).

ولتكن أيها الطالب في ليالي العشر الآخرة منتظرا لليلة القدر بالعمل الصالح ، والمواظبة على الزيادة في الأوراد ووظائف العبادات ، طالبا لها بذلك من دون حاجة إلى رفع البصر إلى ناحية السماء ، والترقب لنور يرى أو غير ذلك ، وليكن ذلك مستمرا في جميع ليالي العشر فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد قمت ليلة القدر فلا محالة والعمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا كانت ليلة القدر أمر الله جبريل فهبط في كبكبة من الملائكة إلى الأرض ، ومعه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة ، وله

ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر ، فينشرهما في تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب ، ويبث جبريل الملائكة في هذه الأمة فيسلمون على كل قائم وقاعد ، ومصل وذاكر ، ويصافحونهم ، ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر قال جبريل : معشر الملائكة الرحيل الرحيل . فيقولون : يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين فيقول : إن الله نظر إليهم في هذه الليلة وعفا عنهم ، وغفر لهم إلا أربعة : مدمن خمر ، وعاق لوالديه ، وقاطع رحم ، ومشاحن. قيل : وما المشاحن يا رسول الله ؟ قال : المصارم)

وإنما أخفاها الله أيها الطالب ليكثر الحرص على العمل في هذه الليالي كلها ؛ فيكون أعظم للأجر ، وهذه رحمة عظيمة من الله تعالى لعباده ، ونظر لهم في المصالح من أمورهم.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (التمسوها في العشر الأواخر لسبع بقين ، أو خمس بقين ، أو ثلاث بقين ، أو آخر ليلة).

وأهل البيت عليهم السلام يرون أنها ليلة ثلاث وعشرين .

والصحيح أن وقتها ليس بمعلوم للمصلحة التي ذكرناها ؛ ولهذا اختلفت فيها الروايات ، فالأصوب الاحتياط بالعمل في هذه الليالي العشر ، بل في جميع رمضان ؛ فإنه قد قيل : بأنه يجوز أن تكون في أوله ، وقيل : في كله.

وعليك أيها الطالب بكثرة الدعاء والاستغفار في هذه الليالي كلها ، وليقع الاستغفار بالقلب مع اللسان.

وعن عائشة قالت : قلت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أسأل ؟ قال : سلي ربك العافية) قالت : وإن وافقتها ثانية ؟ قال : (سلي ربك العافية) قالت : وإن وافقتها ثالثة ؟ قال : (سلي ربك العافية في الدنيا والآخرة) وصدق ، إن العافية في الدنيا والآخرة جامعة لجميع الخيرات.

فإذا قاربت انقراض شهر رمضان فاستشعر الغم والحزن بمفارقته ؛ فإنه الصديق

المنصف والزائر المتحف ، فليكن فراقه عليك أعظم من مفارقة أبيك وأمك وأولادك ، وبني عمك فإنهم يتبرأو ن منك يوم القيامة وهو يشهد لك ، ويخذلونك حيث ينصرك ، ويسلمونك حيث يحفظك وقد ندبه بعضهم عند فراقه وأحسن :

أي شهر قد تولى ... يا عباد الله عنا
نذرف الدمع عليه ... حين ولي لو عقلنا
كيف لا نبكي لشهر ... مر بالغفلة عنا
ثم لا نعلم أنا ... قد قبلنا أو طردنا
نحن في بحر الخطايا ... والمعاصي قد غرقنا
نحن من شؤم المعاصي ... بالبقا لا نتهنأ
ليت شعري من هو الـ ... ـمحروم ممن صام منا
ومن المقبول ممـ ... ـن صام منا
رمضان كنت نورا ... بيننا تزهر حسنا
فكأنا قد فقدناك ... وزال النور عنا
قد أسأنا وظلمنا ... وعصينا وشردنا
فاجعل اللهم هذا ... الشهر يمحو ما فعلنا

شهر شوال

فإذا دخل شهر شوال فأول ليلة هي ليلة عيد الفطر ، وهي ليلة فاضلة ينبغي أن تستكثر فيها من الأعمال الصالحة.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من صلى ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب).

فعليك أيها الطالب بقيام تلك الليلة إلى طلوع الفجر ، ثم استتم وردك للذكر إلى طلوع الشمس يوم عيد الفطر ، ثم عليك أن تخرج زكاة الفطر كما سنذكره إن شاء

الله تعالى ، وينبغي أن تخرجها قبل الخروج إلى صلاة العيد.

فإذا أردت صلاة العيد فالمستحب أن تتهيأ لها بالاغتسال ، ولبس الجميل من الثياب ، والتطيب بما أمكن من الأطياب ، وينبغي أن يقدم الإفطار قبل صلاة العيد ولو بجرعة من ماء ، كذلك كان يفعل رسول الله ، ثم يخرج إلى الجبانة مع الإمام حافيا راجلا ، بالسكينة والوقار ، وإظهار التكبير والذكر لله عز وجل.

واعلم أن العيد شبيه بيوم القيامة ، فإذا سمعت البوقات في عشية العيد وغدوته ، فاذكر النفخ في الصور مرتين ، والموتة بينهما ، فإن النوم أخو الموت ، وإذا رأيت الأعلام فاذكر أعلام يوم القيامة وألويتها ، وإذا خرج الناس من بيوقم للصلاة فاذكر خروجهم من قبورهم للعرض ، وإذا رأيت اختلاف الهيئات في اللباس والمشي والركوب فاذكر ما يقع من ذلك في الآخرة قال النبي ﷺ : (يحشر الناس على ثلاثة : ثلث على الدواب ، وثلث على الأقدام، وثلث على الوجوه ، فإذا قعد الناس لانتظار الإمام فاذكر انتظارهم لقضاء الله فيهم يوم القيامة ، وإذا رأيت بعضهم في الظل وبعضهم في الشمس فاذكر مثل ذلك يوم القيامة ، وإذا أنصت الناس للخطيب فاذكر إنصاقم في المحشر ، عند شهادة الشهود وحضور المحاسب لهم ، وإذا رأيتهم صفوفا فاذكر قوله تعالى : **{وعرضوا على ربك صفا}**[1] وإذا رأيت انصرافهم إلى بيوقم فاذكر معنى قوله تعالى : **{يومئذ يصدر الناس أشتاتا}**[2] وكذلك فافعل في جميع أحوال العيد.

ثم صل العيد ركعتين تجهر فيهما بالقراءة وتقول بعد قراءة السورة : الله أكبر ، ثم تقول : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا) ثم تكبر وتقول مثل ذلك ، ثم تكبر سبع تكبيرات في الأولى وتركع بالثامنة ، وتكبر خمس تكبيرات في الثانية وتركع بالسادسة ، فإذا سلمت كبرت ثلاث تكبيرات ، ثم تقوم إلى المنبر فتكبر تسع تكبيرات ، ثم اخطب الخطبة الأولى وكبر بعدها سبعا ، ثم

---

١) الكهف : ٤٨ .

٢) الزلزلة : ٦ .

اخطب الخطبة الثانية ، وكبر بعدها سبعا ، هذا إذا كنت إماما ، فإن لم تكن إماما لم تحتج إلى خطبة.

هذا في صلاة العيد وهي التي تختص هذا الشهر من الأعمال.

وقال ﷺ: (من صلى يوم الفطر بعد ما يصلي الإمام صلاة العيد أربع ركعات يقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب ، وسبح اسم ربك الأعلى ، والثانية : فاتحة الكتاب ، والشمس وضحاها ، والثالثة : الحمد ، وسورة الضحى ، وفي الرابعة : الحمد ، وقل هو الله أحد ، من صلى هذه الصلاة فكأنما قرأ كل كتاب أنزله الله ، وكأنما أشبع جميع اليتامى ، ودهنهم ، وأطعمهم ، وكان له من الثواب مثل ما طلعت عليه الشمس ، وغفر له ذنوب خمسين سنة مقبلة ، وخمسين سنة مدبرة في هذا اليوم).

يوم الجائزة

فينبغي أن تستكثر فيه من الأعمال الصالحة على اختلاف أصنافها ؛ فإنه من تمام عمل رمضان قال النبي ﷺ في آخر حديث ليلة القدر : (فإذا كان غداة الفطر بث الله الملائكة في كل بلاد ، فيهبطون إلى الأرض ، فيقومون على أفواه السكك ، وينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله تعالى إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد ، اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ، ويغفر الذنب العظيم ، فإذا مروا بمصلاهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة : يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ قال : فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره. فيقول الله عز وجل : فإني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم — رضائي ومغفرتي فيقول : يا عبادي سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئا في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وعزتي لأسترن اليوم عثرتكم ما راقبتموني ، وعزتي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الأخدود انصرفوا مغفورا لكم ، فقد راضيتموني ، ورضيت عنكم قال : فتفرح الملائكة ، ويستبشرون بما يعطي الله هذه الأمة إذا أفطروا شهر رمضان).

وفي حديث آخر (وإذا صلوا العيد نادى مناد من السماء : ارجعوا إلى منـــــازلكم راشدين قد غفرت لكم ذنوبكم كلها ، ويسمي ذلك في السماء يوم الجائزة).

شهر ذي الحجة

هذا الشهر أحد الأشهر الحرم ، وفضلها عظيم كما سنبينه ، والعمل فيها مضــاعف وخصوصا في العشر الأولى من هذا الشهر ، فينبغي أن تزيد في الاشتغال بالطاعات.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (هذه الأيام العشر أفضل أيام الدنيا ، والعمل فيها أفضل العمــل وصوم كل يوم منها يعدل شهرين).

فعليك أيها الطالب بصيام نهارها ، وقيام ليلها وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من صلـــى ليلة من ليالي العشر ركعتين ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ، وآيـــة الكرســي مرتين ، وخمس مرات قل هو الله أحد ـــ خرج من ذنوبه كما تخــرج الحيــة مــن جلدها).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (ما من أيام الدنيا أيام أحب إلى الله أن يتعبد فيها من أيام العشـر ، وإن صيام يوم منها ليعدل بصيام سنة ، وليلة منها بليلة القدر).

فينبغي لك أيها الطالب أن تكثر من العمل فيها ، وأن تطوي فراشك في لياليـــها ، وخصوصا ليلة عرفة ، وليلة العيد ؛ لما فيهما من الفضل العظيم كما نبينه.

فإذا كان ليلة العيد فصل فيها صلاة ليلة النحر ، روي (أن من صلى تلك الليلـــة ركعتين، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب خمس عشرة مرة ، وقل هـــو الله أحـــد خمس عشرة مرة ، وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة ، وقل أعوذ برب النـــاس خمس عشرة مرة ، فإذا سلم قرأ آية الكرسي ثلاث مرات ، ويســـتغفر الله خمـــس عشرة مرة ـــ جعل الله اسمه في أصحاب الجنة ، وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية ، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة ، وكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل ، فإن مات فيما بينه وبين الجمعة الأخرى مات شهيدا).

فإذا كان يوم العيد صبيحتها فافعل فيه ما تفعل في عيد الفطر إلا زكاة الفطر.

فإذا صليت قربت قربانك ، وذبحت أضحيتك فإنها مطيتك على الصراط ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

[صلاة يوم الغدير]

وفي هذا الشهر صلاة مشهورة مأثورة ، وهي في يوم الغدير ، وهو الثامن عشر منه ، يستحب لمن صامه أن يصلي ركعتين ، في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وعشر مرات آية الكرسي ، وعشر مرات سورة القدر ، وعشر مرات سورة الإخلاص) روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن علي عليه السلام وعن الأئمة المتقدمين سلام الله عليهم ، ذكره في شرح الإبانة ، واجتهد في العمل فيه ما أمكنك ، فهو تجارتك فهذا فيما يختص الشهور ــ وبالله التوفيق ــ

الإرشاد إلى العبادات التي لا تختص بأوقات ولا أسباب

فأما الصلوات الفاضلات على العموم من غير اختصاص بوقت ولا سبب فكثيرة جدا ، إلا أنا نذكر هاهنا بعضا منها.

صلاة التسبيح

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال للعباس بن عبد المطلب يوم دخل عليه بعد كلام : (يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا أصلك ألا أحبوك ألا أنفعك ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : يا عم إني لا أقول لك بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، ولا بعد العصر حتى تغرب الشمس ، صل أربع ركعات ، اقرأ فيهن بطوال المفصل ، فإذا قرأت فقل: الحمد لله وسبحان الله ولا اله إلا الله والله أكبر، تقولها خمس عشرة مرة فإذا ركعت فقلها عشرا ، فإذا رفعت رأسك من الركوع فقلها عشرا ، فإذا سجدت

فقلها عشرا ، فإذا رفعت رأسك من السجود فقلها عشرا ، فإذا سجدت الثانية فقلها عشرا ، فإذا رفعت رأسك من السجود قبل أن تقوم فقلها عشرا ، فتلك خمسة وسبعون في كل ركعة ، ثلاثمائة في أربع ركعات ، والذي نفس محمد بيده لو كان ذنوبك يا عباس يا عم النبي ﷺ عدد نجوم السماء ، وعدد قطر السماء ، وعدد أيام الدنيا ، وعدد الشجر والمدر ، وعدد رمل عالج ـ لغفر الله لك . قال : فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ومن يطيق ذلك ؟ قال : فقلها في كل يوم مرة قال : ومن يطيق ذلك ؟ قال : فقلها في كل جمعة مرة ، قال : ومن يطيق ذلك ؟ قال : فقلها في كل شهر مرة ، قال : ومن يطيق ذلك قال : فقلها في كل سنة مرة ، قال : ومن يطيق ذلك ؟ قال : فقلها في عمرك مرة).

والأخبار الواردة فيها كثيرة ، وفي بعضها تقول : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلا الله ، والله أكبر) وفي بعضها (الله أكبر، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله إلا الله ، والله أكبر) وظواهر الأخبار تقتضي أن تكون الأربع بتسليمة واحدة ، وأدركنا الصالحين يجعلونها كل ركعتين بتسليمة ، وكذلك ذكره صاحب شرح الإبانة ، ورواه عن جعفر الطيار قال له النبي ﷺ ذلك.

ومنها صلاة أخرى

(صلاة الفرقان)

روى عن النبي ﷺ أنه قال : (من صلى ركعتين بين العشائين ، يقرأ في أحدهما من الفرقان الآيات {**تبارك الذي جعل في السماء بروجا**}[1] حتى يختم السورة ، وفي الركعة الثانية من أول سورة المؤمنين حتى يبلغ {**فتبارك الله أحسن الخالقين**}[2] ثم يقول في كل ركعة : سبحان الله العظيم وبحمده ثلاث مرات ، ومثل ذلك سبحان الله الأعلى وبحمده في السجود أعطاه الله عشرين خصلة ، فيؤمن من شر الجن

---

١) الفرقان : ٦١ .

٢) المؤمنون : ١٤ .

والإنس ، ويعطيه الله كتابه بيمينه يوم القيامة ، ويؤمن من عذاب القبر ،ومن الفزع الأكبر، ويعلمه الكتاب وإن لم يكن عليه حريصا ، وينزع منه الفقر ، ويذهب عنه هم الدنيا ، ويؤتيه الله الحكمة ، ويبصره كتابه الذي أنزل على نبيه ، ويلقنه حجته يوم القيامة ، ويجعل النور في قلبه ، ولا يحزن إذا حزن الناس ، ولا يخاف إذا خافوا ، ويجعل النور في بصره ، وينزع حب الدنيا عن قلبه ، ويكتب عند الله من الصديقين.

ومنها صلاة الخنادق

روى سلمان الفارسي رحمه الله قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : (يا سلمان ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قلت : حب النظر إلى وجهك ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : أنت يا سلمان منا أهل البيت ألا أحدثك عن غرائب حديثي ؟ قلت : بلى يا رسول الله من علي به قال : نعم يا سلمان ما من عبد يقوم في ظلمة الليل وغفلة من الناس فيستاك ويتوضأ ، ويمشط لحيته ، ويأخذ من صالح ثيابه ، وإن حضره طيب مسه ، وإن لم يحضره يمسح بالماء فإنه طيب أهل العبادة،ثم يستقبل القبلة بكل قلبه ، يعني لا يريد سواه فيصلي ركعتين وجيزتين يتحرى فيهما تمام ركوعهما وسجودهما ، يقرأ في أول ركعة بفاتحة الكتاب ، وقل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، ويتشهد ، ويسلم ، ثم يشخص ببصره إلى السماء ويقول في خفية : لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، فهب لنا بقدرتك ورحمتك ومنك وفضلك علما نافعا ، وعملا متقبلا ، ورزقا طيبا واسعا ، وعافية جامعة تجمع لنا بها خير الدنيا والآخرة ، فإنك رحيم ، وإنك على ما تشاء قدير ، وإنك ذو من كثير ، وإنك ذو فضل عظيم . ثم يلقى وجهه بيديه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين وجيزتين ، يقرأ في إحداهما فاتحة الكتاب ، وقل أعوذ برب الفلق ، وفي الثانية فاتحة الكتاب ، وقل أعوذ برب الناس ، ويتشهد ، ويسلم ، ثم يشخص ببصره إلى السماء ويقول في خفية : لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له

الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيئ قدير ، إلها واحدا أحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، سبحانه{ **له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**}[1] يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، تعطي من تشاء ، وتمنع من تشاء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ــ إلا جعل الله يا سلمان بينه وبين جهنم ستة خنادق ، ما بين الخندق إلى الخندق كما بين السماء والأرض ، وكتب له بكل ركعة سبعين ركعة ، ويقول له حافظاه : لو تعلم ما أعطاك الله في هذه الليلة من الخير بهذه الأربع الركعات لم تغمض سائر الليلة ، فإن رزقه الله الزيادة يصلي بعدها أربع ركعات يقول الله : زيدوه فإن عبدي لم يرد سواي ، وله علي ثلاث خصال العصمة في الدنيا ، وتنوير قبره بعد الموت ، ومحاسبته حسابا يسيرا ، وتقول الملائكة الموكلون به : طوبى لك يا صاحبنا) فخر سلمان ساجدا ؛ شكرا لله بما سمع من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

ومنها صلاة أخرى

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في حديث طويل :(من قرأ قل هو الله أحد في ركعتين لا يكونان ركعتي الفجر ــ بين الله له ألف ألف قصر في الجنة من ذهب) .

ومنها صلاة أخرى

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (رحم الله عبدا قام من الليل همسا ، ثم توضأ همسا ، ثم رجع إلى فراشه همسا ، ثم صلى همسا) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (من توضأ فأحسن وضوءه ، وصلى ركعتين ، لا يسهو غفر الله له ما تقدم من ذنبه) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من حال يكون عليها العبد أحب إلى الله من أن يراه ساجدا ،

---

١) البقرة : ١١٦ ــ ١١٧ .

معفرا وجهه بالتراب) .

ومنها صلاة أخرى

عن النبي ﷺ (يا أبا ذر إذا كان الرجل في أرض فتوضأ أو تيمم ، ثم أذن ، ثم أقام ، ثم صلى — أمر الله تعالى الملائكة فاصطفوا خلفه صفا لا يرى طرفاه ، يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويؤمنون على دعائه ، ومن أقام و لم يؤذن لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه) ويحتمل أنه أراد بذلك الفريضة.

ومنها صلاة أخرى

عن أبي جعفر قال : سمعت حسن بن مالك يذكر حديثا قال : (من أدام صلاة ركعتين كل يوم مرة واحدة ، يقرأ في كل ركعة إحدى عشرة مرة آية الكرسي ، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة — أعطي رضوان الله ، وكان مع أنبيائه ، وعصم من الشياطين) .

ومنها صلاة عن عيسى الخياط ، وكان مستورا من أهل الخير قال : (كنت يوم الجمعة قريبا من وقت الزوال ، فسمعت رجلين يتحدثان خلفي يقول أحدهما لصاحبه : من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة ثلاث عشرة مرة قل هو الله أحد — غفر له البتة ، فالتفت فلم أر أحدا).

ومنها صلاة أخرى

وجدت في بعض الكتب عن النبي ﷺ قال : (من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي ثلاثين مرة ، فإذا فرغ من صلاته سجد وقال في سجوده سبع مرات : أسألك يا غفار أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجعل اسمي في السعداء وروحي في الشهداء وإحساني في عليين ، وإساءتي مغفورة غفر الله له).

صلاة الدهر

ووجدت في بعض الكتب صلاة سماها صلاة الدهر ، وهي ما روي عن علي عليه

السلام أن النبي ﷺ قال : (من صلى أربع ركعات بتسليمة واحدة في دهره مرة يوم الجمعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب عشر مرات ، وآية الكرسي عشر مرات ، وقل يا أيها الكافرون عشر مرات ، وقل هو الله أحد عشر مرات ، وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وقل أعوذ برب الناس عشر مرات ، فإذا فرغ من صلاته أستغفر الله عشر مرات وهو أن يقول : أستغفر الله الذي لاإله إلا هو الحي القيوم واسأله التوبة ثم يقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . مائة مرة ، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة . من صلى هذه الصلاة دفع الله عنه شر أهل الأرض ، وشر السلطان الجائر . قال النبي ﷺ : (والذي بعثني بالحق نبيئا ما من مؤمن يصلي هذه الصلاة إلا غفر الله له وإن كان عاقا لوالديه ، ويقضي له سبعين حاجة من حوائج الدنيا ، وسبعين حاجة من حوائج الآخرة ، ومن صلى هذه الصلاة ثم أتي من السحر مثل ما أتى سحرة فرعون ما قدروا عليه أن يضروه ، وأيما رجل أو امرأة لم يكن لهما ولد ثم صلى هذه الصلاة وسأل الله ربه أن يرزقه ولدا يرزقه الله بقدرته ، ويقبل صومه وصلاته إلى أن يموت ، وإن مات مات شهيدا ، ويعطيه الله بكل قطرة قطرت من السماء إلى الأرض حسنات ، فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم يعطي الله هذا الثواب كله من صلى هذه الصلاة ؟ قال : والذي بعثني بالحق نبيئا إن من صلى هذه لا يلدغه حية ولا عقرب ، ولا يحترق منزله ، ولا يموت حرقا ولا غرقا ، ويفتح عليه باب الغناء ، ويستد عنه باب الفقر. قال : إن من كتب جميع ما قرأ من القرآن والتسبيح والاستغفار في هذه الصلاة بماء المطر والزعفران ثم يشربه ثلاث جمعات غدوا وعشيا وكان به الجذام ، أو البرص ، أو الجنون ـــ أذهب ذلك بأذنه عز وجل ، ولا يرجع إليه أبدا ، وفي بدن الإنسان ثلاث مائة وستون عرقا فإذا صلى هذه الصلاة ، وشرب هذا الماء كما وصف أخرج الله الأوجاع من جميع عروقه ، قال : ويدخل النور والحكمة في جميع عروقه ،قال عمر بن الخطاب: إن لي صديقا ابتلي بالدود في جوفه قال : نعم يا عمر إذا صلى هذه الصلاة وشرب هذا الماء عافاه الله ، وأخرج

من بطنه ذلك الدود إن شاء الله تعالى)).

وإنما ذكرت من ذلك ما لم أسمعه لأن العمل بذلك جائز لو لم يقع فيه رواية وإسناد لما تظاهرت به الآثار، من الحث في الجملة على صلاة التطوع، والحث على قراءة القرآن فيها، وعلى التسبيح والذكر لله تعالى، والتشفي بذلك.

وسمعت عن النبي ﷺ أنه قال: (من بلغه عن الله تبارك وتعالى ثوابا في عمل فعمل به أعطاه الله ما بلغه، وإن لم يكن ذلك الحديث حقا).

وسمعت بالإسناد الصحيح إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (من حدث عني حديثا هو لله رضي فأنا قلته، وبه أرسلت).

وهذا الخبر يحث على العمل بأمثال ما وجدته، وإن لم يجز أن يرويه الراوي على القطع، بل لابد أن تقول: وجدت، أو ما ينبي عنه، وفي العمل بما يوجد من هذا القبيل فضل عظيم.

قال النبي ﷺ لأصحابه: (أي الخلق أعجب إليكم إيمانا؟ قالوا: الملائكة قال: وما لهم لا يؤمنون، وهم عند ربهم! قالوا: فالأنبياء؟ قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم! قالوا: فنحن؟ قال: ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم فقال رسول الله ﷺ إن أعجب الخلق إيمانا لقوم يكونون من بعدكم، يجدون صحفا يؤمنون بما فيها).

وبإسناد آخر قال ﷺ: (ائتوني بأفضل أهل الإيمان إيمانا، ثم عدد الملائكة والأنبياء والشهداء، ثم قال: أقوام يأتون من بعدي، هم في أصلاب الرجال، يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانا، فهل ينبغي العمل بمثل هذا القبيل وإن لم يسمعه العامل.

الإرشاد إلى الصلوات ذوات الأسباب

اعلم أن الأسباب التي عندها تجب الصلاة أو تستحب ، سوى ما تقدم من الصلوات الخمس ، وما يتقدمهن أو يتعقبهن تختلف ، فربما رجع ذلك إلى أحوال المصلي ، وربما رجع ذلك السبب إلى الزمان ، وربما رجع ذلك إلى حدوث حادث ، وربما رجع ذلك إلى المكان أيضا.

فأما ما يرجع إلى أحوال المصلي ، فاعلم أن الأسباب التي ترجع إليه كثيرة ، نحو أن يكون مسافرا ، أو أتى من سفر ، أو خائفا ، أو محتاجا ، أو مستجيرا ، أو مذنبا ، أو ضريرا ، أو مديونا ، أو كثير الغفلة قليل الحفظ ، أو مستغيثا ، أو مستكفيا ، أو منتبها من نوم ، أو زائرا للمقابر ، أو غير ذلك من الأحوال.

الإرشاد إلى الصلوات الراجعة إلى أحوال المصلي

أما صلاة السفر فقد خفف الله عن المسافر ، فجعل كل أربع من المفروضات ركعتين ، سواء كان السفر في طاعة أو معصية ، في خوف أو أمن ، إذا كان مسافرا بريدا ، وهو أربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة أميال ، كل ميل ثلاثة آلاف ذراع ، وهذا غاية الرفق بالعبد الذليل من الرب الجليل ، فينبغي أن تحمد الله على هذه النعمة ، حيث جعل الله له ثواب ركعتين بمنزلة ثواب أربع ممن هو مقيم ، وينبغي أن لايقصد إلى معصية في سفره ، ولا يغتر بكثرة عفوه وحلمه ، بل ينبغي لكل عبد أن يصحب الطاعة ، فهي أربح بضاعة ، وأعظم نفاعة ، وليكثر من الدعاء والذكر لله تعالى ؛ ليكون صاحبه في سفره ، وحارسه من آفاته وخطره.

وأما صلاة الخروج للسفر

فهي أربع ركعات في المترل قبل الخروج ، يقرأ في كل واحدة منهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، ثم يقول : اللهم إني تقربت بهن إليك ، فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي . ورد ذلك مأثورا كما سنذكره في الحج.

وأما صلاة الأوبة

فهي ركعتان في المسجد كان رسول الله ﷺ إذا رجع من سفر لم يدخل منزله حتى يدخل المسجد ، فيصلي فيه ركعتين ، وإن لم يتفق لك دخول المسجد وصليت ركعتين شكرا لله على تمكينه لك من الأوبة ، وتسليمه لك من بوادر الحوبة ـــ كنت قد استننت بسنة النبي ﷺ .

وأما صلاة الخوف

فإن كان بغير إمام صليت على قدر ما أمكنك ، قائما ، أو سائرا ، أو ساعيا ، أو مستقبلا للقبلة ، أو مستدبرا لها ومنحرفا ، بحيث لا تأخذ بالأدنى مع تمكنك من الأعلى ، فإنه ينبغي أن يكون خوفك من الله تعالى أعظم من خوفك من غيره ؛ لأنه يمكنك أن تهرب من غيره إليه ، ولا يمكنك أن تهرب منه إلى غيره.

واذكر عند هربك أنك كلما صبرت على طاعته كنت جاره ، وجاره لا يغلب ، وذمته لا تخفر ، وإن أصابك شئ فليس عن الموت مهرب ، فلا يأتيك إلا لوقت أجلك ، وهو الثائر فيك ، والمنتقم لك إن كنت خائفا للظلم ، وهو المعوض لك إن كنت خائفا لغير الظلم ، والذاخر لك من الأجر على بلائك ، وعلى طاعتك ، وعلى صبرك ، وعلى رضائك بقضائه إن كان من فعله ما هو أجل وأعظم ، كما تقدم بيانه في المعارف.

وان كانت صلاة الخوف مع إمام وأردت الصلاة المعهودة عن النبي عليه السلام ، فشرطها أن يكون المصلون خائفين مطلوبين ، مطيعين في سفرهم غير باغين.

وصفتها : أن ينقسم المسلمون طائفتين ، طائفة مع الإمام ، وطائفة وجاه العدو ، وكلهم متسلحون لأسلحتهم فيصلي بالطائفة الأولى ركعة ، ويتمون لأنفسهم في ضمن قيامه للركعة الثانية ، ويطول القراءة فيها أعني الركعة الثانية ، ثم يقفون موقف إخوانهم ، وتصلي الطائفة الثانية مع الركعة الثانية ويتمون لأنفسهم ، وإن أطال الإمام التشهد حتى يسلموا بتسليمه جاز.

وإن كان في صلاة المغرب صلى بالطائفة الأولى ركعتين ، وبالثانية ركعة.

وهذه الصلاة فاضلة لكونها مخلوطة بالجهاد ، وهو من أفضل القرب والعبادات كما سنذكره ، وقد تقدم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيانه أيضا .

وأما صلاة الحاجة

فهي سنة ، وهي صلاة طلب وتضرع إلى الله تعالى ، واستغاثة في المهم ، وقد ورد في ذلك صلوات كثيرة :

منها : ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من المخلوقين فليسبغ الوضوء ، ويصل ركعتين ، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي ، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ، والثانية الفاتحة ، و(آمن الرسول) إلى آخر السورة ، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ، فإذا فرغ من ذلك قال : اللهم يا مؤنس كل وحيد ، ويا صاحب كل فريد ، ويا قريبا غير بعيد ، ويا شاهدا غير غائب ، يا غالبا غير مغلوب ، يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم إني أسألك باسمك الحي القيوم ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الحي القيوم الذي عنت له الوجوه ، وخشعت له الأصوات ، وخضعت له الرقاب ، ودخل القلوب حبه أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، وإن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ومنها صلاة أخرى

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كانت له حاجة إلى الله عز وجل أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ ثم ليحسن وضوءه ، ثم ليصل ركعتين ، وليقل : لا إله إلا الله الحكيم الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل ذنب ، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا غما إلا كشفته ، ولا

حاجة هي لك رضي إلا قضيتها ، يا أرحم الراحمين . قال : ثم ليطلب الدنيا والآخرة فإنهما عند الله).

وأما صلاة الاستخارة

عند الأمور المهمة فروى جابر بن عبد الله قال : "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، قال : (إذا هم أحدكم بالأمر ، وأراد الأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة وليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر — وتسميه بعينه — خير لي في ديني ومعادى ومعاشي ، وعاقبة أمري ، وعاجل أمري وآجله فأقدره لي ، ويسره ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعادى ومعاشي ، وعاقبة أمري ، وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به)).

وصلاة أخرى

عن محمد بن علي قال : كان علي بن الحسين عليه‌السلام إذا هم بحج ، أو عمرة — أو عتق ، أو شراء ، أو بيع — تطهر ، ويصلي ركعتين للاستخارة ، ويقرأ فيهما سورة الرحمن وسورة الحشر ، فإذا فرغ من الركعتين استخار الله مائتي مرة ، ثم قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ، ثم قال : اللهم إني قد هممت بأمر قد علمته ، فإن كنت تعلم أنه خير لي في ديني ودنياي وآخرتي فأقدره لي ، وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي وآخرتي فاصرفه عني ، رب اعزم لي رشدي وإن كرهت ، وأحب ذلك إلى نفسي ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله ونعم الوكيل. ثم يمضي ويعزم) .

فهذا في صلاة الاستخارة ، وإن كان الوارد في ذلك كثير ، والقليل يدل على الكثير ويكفي مع الإخلاص.

وأما صلاة الذنب

فهي صلاة رجوع وأوبة ، وهي مفتقرة إلى الإخلاص بالندم على ما مضي ، والعزم على ترك المعاودة والنكث ثانيا ، ولا يصدق من نفسه بذلك ، ولا يحسن به الظن فيه حتى يجد أمارة ذلك ، وهو البكاء والعويل ، وعظم الفجيعة ، وكثرة الخوف من الله والشفقة أن لا يكون قد أتى بحق الله تعالى الواجب في التوبة ، ويجلب له ذلك تفكره في أحوال الآخرة ، وذكره لعظمة الله تعالى وحقارة نفسه ، وتعجبه من كثرة اجترامه على من يقدر عليه ، وتسارعه إلى كفر نعمة من لا تزال نعمه متوالية عليه ، ثم يصلي ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من أذنب ذنبا فذكره ، فقام في جوف الليل فصلى ما كتب الله له ، ثم وضع جبهته على الأرض ، ثم قال : رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. غفر الله له ما لم يكن مظلمة فيما بينه وبين عبد مؤمن ، فإن ذلك إلى المظلوم).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل يذنب ذنبا ، ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ، ثم يصلي فيستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ {**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**}[1] الآية ، وإن جعل من صلاته لذلك صلاة التسبيح، وصلاة الخنادق فلا بأس ، وهو أفضل كما تقدم.

وأما صلاة الضرير

فروي أن ضريرا شكي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عينيه فقال : (توضأ ، وصل ركعتين وقل : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيئك نبيء الرحمة ، يا محمد أتوجه بك إلى ربي ، فيجلو لي عن بصري ، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي) قال الراوي : فما تفرقنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضر).

---

١) آل عمران : ١٣٥ .

وأما صلاة قضاء الدين

فروي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا عليه الدين فقال : (توضأ ، وأسبغ الوضوء ، ثم صل ركعتين بتمام الركوع والسجود ، ثم قل : يا واحد يا أحد يا كريم أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك وربي ورب كل شئ ، أسألك يا الله أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، وأسألك نفحة من نفحاتك ، فتحا يسيرا ، ورزقا واسعا ، ألم به شعثي ، وأقضي به ديني ، وأستعين به على عيالي يا كريم).

وروي أن رجلا شكي إليه الفقر والسقم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (قل إذا أصبحت وأمسيت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، توكلت على الحي الذي لا يموت ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك) قال الرجل : فوا الله ما قلت إلا أياما حتى أذهب الله عني الفقر والسقم.

وأما صلاة الحفظ

روى أن أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه ؟ فقال له : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات إذا قلتهن ينفعك الله بهن ، وينفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمته في صدرك ؟ قال : أجل يا رسول الله فعلمني . قال : إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الأخير ، فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وهو قول أخي يعقوب لبنيه {**سوف أستغفر لكم ربي**}[1] فإن لم تستطع ففي وسطها ، فإن لم تستطع ففي أولها تصلي أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الثانية بفاتحة الكتاب وسورة الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله ، وأحسن الثناء عليه ، وصل علي وعلى سائر

---

١) يوسف : ٩٨ .

النبيئين ﷺ وأستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلم[1] بما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كلامك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تشغل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق غيرك ، ولا يؤتنيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا ، تجاب بإذن الله ، فوا الذي بعثني بالحق نبيئا ما أخطأ مؤمن قط).

قال ابن عباس : فوا الله ما لبث علي عليه السلام إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال : يا رسول الله إني كنت في حال لا أتعلم أربع آيات ونحوهن ، فإذا قرأتهن على نفسي يتفلتن ، وأنا اليوم أتعلم الأربعين آية ونحوها ، فإذا قرأتهن علي فكأنما كتاب الله بين عيني ، ولقد كنت أسمع الحديث وإذا أردته تفلت علي ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخط منها حرفا واحدا. قال : فقال رسول الله عند ذلك : مؤمن ورب الكعبة).

وأما صلاة الكفاية

فهي أربع ركعات والتسليم مرة ، يقرأ في الأولى الحمد مرة ، وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد عشر مرة ، وفي الثانية الحمد مرتين ، وآية الكرسي مرتين ، وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفي الثالثة الحمد ثلاث مرات ، وآية الكرسي ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفي الرابعة الحمد أربع مرات ، وآية الكرسي

---

١) وفي رواية (أن أتكلف ما لا يعنيني) .

أربع مرات ، وقل هو الله أحد أربعين مرة ، ثم تسلم وتسجد وتقول في سـجودك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم . ثم تقول : اللهم يا كافي من في السموات ومن في الأرض اكفني شـر كذا وكذا وتدعو بما أحببت).

وأما صلاة الانتباه

فروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من انتبه من منامه وقال : سـبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ــ نظر الله إليه ، فإن توضأ غفر الله لـه ، فإن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وآية الكرسي مـرة ، وقل هو الله أحد عشر مرات غفر الله له البتة البتة ، قال عكرمة : والله الذي لا اله إلا هو لقد سمعت ابن عباس يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت رسول الله يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت جبريل يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد قال الله ذلك).

[صلاة زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام]

وأما صلاة زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام عند ألا تتمكن من الوصول إليهم.

فروي عن جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام أنه قال : (إذا بعدت بأحدكم الشـقة ونأت به الدار فليصل ركعتين ، وليومئ بالسلام إلى قبورنا فإن ذلك يصل إلينا).

وأما صلاة الزيارة عند الاتصال

فروي عن الرضا عليه السلام أنه قال : (من زار قبر أمير المؤمنين علـي عليه السلام فليصل عند رأسه ست ركعات فإن في قبره عظام آدم ، وجثة نوح ، وأمير المؤمنين ، فمن زار أمير المؤمنين فقد زار نوحا وآدم وأمير المؤمنين).

الإرشاد إلى الصلوات ذوات الأسباب الراجعة إلى الزمان

هذا القبيل كثير جدا ، نحو صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، والصلوات الفاضلة التي ذكرناها في الأيام والأسابيع والشهور ، والليل والنهار ، وغير ذلك مما تقدم بيانه كله.

الإرشاد
إلى الصلوات ذوات الأسباب الراجعة إلى حدوث الحوادث

أما هذا القبيل فهي كصلاة الجنازة ، وصلاة الكسوف والخسوف ، والزلزلة ، وسائر الآيات ، وكصلاة الاستسقاء عند حدوث القحط ، والصلاة عند حدوث الأذان.

أما صلاة الجنازة

فهي فرض على الكفاية ، وشروطها أن يكون الميت مؤمنا ، وينبغي أن يتقدم غسله وتكفينه ، وينبغي أن يتذكر المصلى تلك الأحوال التي الميت عليها ، ويصور نفسه بصورة الميت لأنه لابد أن يصير مثله ، ويعتبر بمصرعه ، ويستغفر الله تعالى من ذنبه ، فإذا أراد الصلاة عليه استقبل القبلة ويجعل الميت بين يديه على قفاه ، وإن كان رجلا وقف مما يلي وسطه عند سرته ، وإن كانت امرأة وقف مما يلي صدرها ثم يتوجه وينوي صلاة الجنازة، ويكبر تكبير الإحرام ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير ، ثم يقرأ الفاتحة ويصلي على محمد وآله ويدعو بما أحب.

ويكبر تكبيرة ثانية ثم يقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك ، وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار، الصادقين الأبرار ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، ثم يقرأ قل هو الله أحد.

ثم يكبر تكبيرة ثالثة ثم يقول : اللهم صل على ملائكتك المقربين ، اللهم شـــرف بنيانهم وعظم أمرهم ، اللهم صل على أنبيائك المرسلين ، اللهم أحسن جزاءهـــم ، وأكرم عندك مثواهم ، وأرفع عندك درجاتهم ، اللهم شفع محمدا في أمته ، واجعلنـا ممن تشفعه فيه ، اللهم اجعلنا في زمرته ، وأدخلنا في شفاعته ، واجعل مأوانا الجنة ثم تقرأ قل أعوذ برب الفلق .

ثم تكبر تكبيرة رابعة ثم تقول : سبحان من سبحت له الســموات والأرضــون ، سبحان ربنا الأعلى ، سبحان الله وتعالى ، ثم إن كان كبيرا قلت : اللــهم إن هــذا عبدك وابن عبديك ، وقد صار إليك ، وقد أتينا معه مستشفعين سائلين له المغفـــرة فاغفر له ذنوبه ، وتجاوز عن سيئاته ، وألحقه بنبيئه محمد ، اللهم وسع عليه قـــبره ، وأفسح له أمره ، وأذقه رحمتك وعفوك يا أكرم الأكرمين ، وارزقنا حسن الاستعداد لمثل يومه ، ولا تفتنا بعده ، واجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك.

وإن كان صبيا قلت : اللهم اجعله لنا ولوالديه سلفا وفرطا وأجرا. فكذلـــك روي عن علي عليه‌السلام .

وان زدت فيه : اللهم شفعه في والديه ، واجعله لهما ذخرا وثقلا في ميزانهما يـــوم يلقيانك يا أرحم الراحمين ـــ فهو حسن.

ثم يكبر تكبيرة خامسة

ثم يسلم على اليمين ، ثم على الشمال ، ويخافت بالقراءة ، ويجهر بالتكبـــيرات ، وليس الفرض من هذا كله إلا التكبيرات الخمس ، والتسليم فقط.

وينبغي أن لا يفارق القبر حتى يدفن.

وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (من غسل أخا مسلما له ، فنظفه ولم يقـــذره ، ولم ينظر إلى عورته ، ولم يذكر منه سوأ ، ثم شيعه وصلى عليه ، ثم جلس حتى يدلى في قـــبره خرج من ذنوبه عطلا).

وأما صلاة الكسوف والخسوف وسائر الآيات

روى عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الشمس والقمر ليسا يكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله ، فإذا رأيتموهما كذلك فصلوا).

فينبغي لك إذا رأيت هذه الآيات وظهرت أن تتذكر القيامة ، وأن تتخوف أن يكون ذلك من أمارات الساعة فإن النبي ﷺ لما انكسفت الشمس ومات ابنه إبراهيم ترك الصلاة عليه ، وآثر صلاة الكسوف وخشي أن يكون كسوفها لقرب الساعة ، وأن يكون أول أشراط القيامة ، ولهذا قال بعض الفقهاء : لا يصلي على الصبي للخبر ، وإن كان الأولى أن يصلي عليه إذا كان أحد أبويه مؤمنا ، فإنه أمر النبي ﷺ من صلى على ولده إبراهيم ، وقيل : بل صلى عليه أيضا .

فأما صفة صلاة الكسوف والخسوف

فروي أن الشمس انكسفت على عهد النبي ﷺ (فصلى بالناس ، فقرأ في الركعة الأولى سورة من الطوال ، وركع خمس ركوعات ، وسجد سجدتين ، ثم قام للثانية وقرأ سورة من الطوال ، وركع خمس ركوعات ، وسجد سجدتين ، ثم جلس كما هو مستقبل القبلة يدعو حتى تجلي كسوفها).

وكذلك روى أن عليا عليه السلام (كان إذا صلى بالناس صلاة الكسوف بدأ فكبر ، ثم قرأ الحمد وسورة من القرآن ، يجهر بالقراءة ليلا كان أو نهارا ، ثم يركع نحوا مما قرأ ، ثم يرفع رأسه من الركوع فيكبر حتى يفعل ذلك خمس مرات ، فإذا رفع رأسه من الركوع الخامس قال : سمع الله لمن حمده ، فإذا قام لم يقرأ ، ثم يكبر ويسجد سجدتين ، ثم يرفع رأسه ويقول في الثانية كما فعل في الأولى فيكبر كلما رفع رأسه من الركوع في الأربع ويقول : سمع الله لمن حمده في الخامسة ولا يقرأ بعد الركوع الخامس.

وأما صلاة الاستسقاء

فإذا أصاب الناس الجدب تقرب الناس إلى الله تعالى بما أمكن ، من صيام أو صدقة والتوبة من الذنوب ، والخروج من المظالم ، ثم يخرجون بالعباد والزهاد ، وأهل الورع والضعف والمسكنة والصبيان ، مستكينين متواضعين ، أذلاء خاضعين خاشعين في الثياب الخشنة بخلاف صلاة العيد ، ولا يؤذن لها ولا يقام ، ولا يخطب ، وينادى لها : الصلاة جامعة إن شاءوا ، وليكن معظم ذكرهم الاستغفار ، ثم يصلي الإمام بالناس ركعتين يجهر فيهما.

وعند يحي عليه السلام أربع ركعات ، يفصل بينها بتسليمتين ، ثم يدعو ويستغفر الله ، ويقلب رداءه تفاؤلا . كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وينبغي أن تكون الصلاة والدعاء بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعائه ، فإنه روي أنه خرج يستسقي فصلى ركعتين ، ثم قلب رداءه ورفع يديه وقال : (اللهم صاخت جبالنا ، واغبرت أرضنا ، وهامت دوابنا ، يا معطي الخيرات من أماكنها ، ومرسل الرحمة من معادنها ، ومجري البركات على أهلها بالغيث المغيث ، أنت المستغفر الغفار فنستغفرك للخاصات من ذنوبنا ، ونتوب إليك من عوام خطايانا ، اللهم فأرسل السماء علينا ديما مدرارا ، واصلا بالغيث ، واكفا مغزارا من تحت عرشك ، من حيث ينفعنا ويعود علينا ــ غيثا ، مغيثا ، عاما ، طبقا ، مجللا غدقا ، خصيبا ، زارعا ، راتعا ، ممرع النبات ، كثير البركات ، قليل الآفات ، فإنك نفاح بالخيرات اللهم فإنك قلت وقولك الحق : **{وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون}**[1] اللهم ولا حياة لشيء خلق من الماء إلا بالماء ، اللهم وقد قنط الناس أو قد قنط منهم ، وساءت ظنونهم ، وتاهت ألبابهم ، وتحيرت البهائم في مراتعها ، وملت الدوران في مواطنها ، وعجت عجيج الثكلى على أولادها ؛ إذ حبست قطر السماء ؛ فرق لذلك عظمها ، وذهب شحمها ، اللهم فارحم حنين الحانة ، وأنين الآنة ، وارحم

---

١) الأنبياء : ٣٠ .

اللهم بهائمنا الهائمة ، والأنعام السائمة ، اللهم وقد برزنا إليك يـــا رب نســتغفرك لذنوبنا ، ونستسقيك لعيالاتنا وبهائمنا ، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفارا ، وأرســـل السماء علينا مدرارا ، وزدنا قوة إلى قوتنا ، وأعنا على الأعداء ، ولا تقلبنا محرومـين آمين ، اللهم وهذا الدعاء وعليك الإجابة لأنك لا تخلف الميعاد آمين) قال الـــراوي : فوا الله ما رجعنا إلى منازلنا حتى أرسل الله المطر ، فمكثنا كذلك ثلاثة أيام حـــتى إن الناس جاءوا إلى النبي ﷺ يشكون خراب منازلهم فخرج وهو يبتسم ويقول : مـا أسرع ما أشفقتم وجزعتم ، حتى إذا كان أوسط شئ من داره

رفع يديه وقال : اللهم هاهنا ولا هاهنا ، حوالينا ولا علينا قال : فوا الله ما أشـــار بيده إلى شئ من السحاب إلا تنحت السحابة إلى ذلك الموضع.

وأما صلاة الأذان

فاعلم أن المؤذن إذا أذن فتحت أبواب السماء ، وأجابه حتى الشجر والمدر ، وقــد تظاهرت الأخبار بإجابة الدعاء فيما بين الأذان والإقامة ، وأنــــه لا يــرد ، ووردت الأخبار بأن أفضل الدعاء ما كان بعد الصلاة.

وقيل : إن المراد بقوله {**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**}[1] المؤذن ، هو الداعي إلى الله تعالى ، وأن معنى قوله :{وعمل صالحا} صلاة ركعتين بعد الأذان

فينبغي للطالب أن لا يخلي نفسه من ذلك ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسارعون عند أذان المغرب إلى صلاة ركعتين ، حتى إن الداخل يسأل هــل صلــوا المغرب أم لا ؟ مع أن صلاة المغرب ينبغي المسارعة إليها في أول الوقت.

وفي حديث النبي ﷺ (بين كل أذانين صلاة إلا المغرب) قـــال العلمـــاء : أراد بالأذانين الأذان والإقامة فافهم.

---

١) فصلت : ٣٣ .

الإرشاد إلى الصلوات الفاضلة لما يرجع إلى المكان

اعلم أن الأماكن التي تكون سببا لفضل الصلوات قد تكون من قبيل المساجد ، وقد تكون من غير المساجد ، والمساجد قد تكون المساجد المشهورة ، وهي المسجد الحرام ، والكعبة ، ومسجد النبي ﷺ ، ومسجد قباء ، ومسجد بيت المقدس ، وقد تكون سائر المساجد ، وغير المساجد قد تكون منزل الإنسان ، وقد تكون غيره ، نحو الفضاء والفيافي والقفار.

المسجد الحرام والكعبة

ففضلهما عظيم ، والصلاة فيهما أفضل من الصلاة في سائر المساجد ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (ينزل على هذا البيت في كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت الحرام ، وأربعون للعاكفين حول البيت الحرام ، وعشرون منها للناظرين إلى البيت الحرام).

وعنه ﷺ (خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله مكة).

وعنه ﷺ (من صلى في المسجد الحرام صلاة في جماعة كتب الله له ألفي ألف صلاة ، وخمسمائة ألف صلاة).

وعنه ﷺ (من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان أفضل عند الله من عبادة سنة صائما وقائما وراكعا وساجدا).

ولما دخل النبي ﷺ يوم الفتح مكة دخل الكعبة فصلى ركعتين .

فينبغي أن تستن بسنته ، وأن تزيد في الأوراد ووظائف العبادات في هذه البقعة ، فقد عرفت شرفها.

واعلم أن كل عبادة فاضلة في غير هذه البقعة فإنها تكون فيها أفضل ، وثوابها مضاعف.

وقال النبي ﷺ بعد ذكره فضل الصلاة في مسجده : (وصـــلاة في المســـجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة).

وأما مسجد النبي ﷺ

فقال النبي ﷺ : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه مــن المساجد إلا المسجد الحرام).

وعنه ﷺ (من صلى في مسجدي هذا ركعتين كانتا عدل رقبة).

وعنه ﷺ (أنا خاتم الأنبياء ، وهو أحق المساجد أن يزار ، وأن تركـــب إليــه الرواحل بعد المسجد الحرام).

وأما مسجد قباء

فقال النبي ﷺ : (المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء).

وعنه ﷺ (من توضأ وأسبغ وضوءه ، وجاء مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة).

وأما مسجد بيت المقدس

وهو المسجد الأقصى الذي أسري إليه النبي عليه السلام فقـــال ﷺ : (لا تشــد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي ، والمسجد الأقصى ، والمسجد الحرام).

وعنه ﷺ (القرى المحفوظة مكة ، والمدينة ، وإيلياء ، ونجران ، وما من ليلـــة إلا وينـــزل بنجران سبعون ألف ملك يسلمون على أهل الأخدود).

وإيلياء : هي بيت المقدس.

وفي كتاب إحياء العلوم عن رسول الله ﷺ أنه قال : (صلاة في مسجد المدينـــة بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة).

وفيه أيضا غير مرفوع (إن الصلاة في الأرض المقدسة عند الله بخمسمائة صلاة).

فينبغي للطالب كما يطلب الأعمال الفاضلة أن ينتخب لها الأماكن الفاضلة ، والأوقات الفاضلة ؛ لأنه متاجر في متاجر الآخرة ، وقد ثبت أن تجار الدنيا يطلبون الأماكن الرابحة ، والأوقات الرابحة ، فكذلك تجار الآخرة.

وأما سائر المساجد

ففضلها على غيرها من البقاع كفضل هذه المساجد الأربعة على سائر المساجد وأعظم ؛ ولهذا قيل للنبي ﷺ : (ائذن لنا في الترهب فقال : ترهب أمتي الجلوس في المساجد).

وعنه ﷺ (إن المساجد بيوت المتقين ، ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له بالروح والراحة ، والجواز على الصراط).

وعنه أيضا ﷺ (أحب البقاع إلى الله المساجد).

وعنه أيضا ﷺ (إن الله تعالى لينادى يوم القيامة أين جيراني ؟ أين جيراني ؟ قال : فتقول الملائكة : ربنا من ينبغي له أن تجاوره فيقول : أين عمار المساجد؟).

وفي حياة القلوب عن النبي ﷺ قال : (قلت لجبريل : سل ربك أي البقاع أحب إليه؟ أعلق بها قلبي ، وأنقل إليها قدمي ، وأشغل بها بدني ؟ فعرج ثم هبط فقال : يا محمد إنه تعالى يقول : هي البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال ، من نزل بها كان في ذمتي ، ويخرج منها من ذنوبه صفرا ، ومن رفع لي فيها بناء رفعت ذكره في الملأ الأعلى يدعون له بالاستغفار ، ولا يسجد لي فيها أحد بسجدة إلا كان عامرها شريكه فيها ، وبنيت له بيتا في الجنة ، ومن بسط لي فيها بساطا بسطت له سندسا وحريرا في الجنة ، ومن نور لي فيها نورا نورت له نورا ساطعا يوم القيامة ، وأشرف من ذلك أجمع مناد ينادي بذكري أغفر له مد بصره ، ويستغفر له ما سمع صوته من كل رطب ويابس ، وهو أول من يكسى من ثياب الجنة ، وتقضى حاجته ، ومن أسرج في مسجد من مساجد الله لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ضوء سراجه ، ومن كنس مسجدا

من مساجد الله عز وجل كان كمن صام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعمائة يوم وأعتق أربعمائة نسمة ، وغزا أربعمائة غزوة ، وحج أربعمائة حجة ممن لم يفعل مثل فعله أو يأمر به أو يدل عليه ؛ لأن الدال على الخير والآمر به كفاعله).

فهذا في فضل المساجد .

وأما الصلاة التي تختص غير الفرائض فركعتان عند دخوله قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) وفي بعض الأخبار (لا تجلس ولا تستخبر حتى تصلي ركعتين).

وأما فضل بناء المساجد

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (من بني مسجدا في فلاة أعطاه الله بكل شبر أربعين مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت ولؤلؤ وزبرجد ، في كل مدينة ألف قصر ، في كل قصر أربعون ألف دار ، في كل دار أربعون ألف بيت ، في كل بيت أربعون ألف سرير ، وعلى كل سرير منها زوجة من الحور العين ، لكل زوجة منها أربعون ألف وصيفة ، وأربعون ألف وصيف ، في كل بيت منها أربعون ألف مائدة ، في كل مائدة أربعون ألف قصعة ، في كل قصعة أربعون ألف لون من الطعام مختلف طعمه وريحه ، ويعطيه الله من القوة ما يأتي على تلك الأوزاج وتلك الأطعمة ، ومثلها من الشراب في يوم واحد) الخبر.

وأما صلاة المنزل

فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (النوافل في البيوت أفضل ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تتخذوا بيوتكم قبورا ، صلوا فيها صلاة التطوع ، ولأنه أبعد من الرياء ، وأقرب إلى حضور القلب ، وتوفر الفكر المولد للخوف والخشية.

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره إلا في المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من

المساجد ، وصلاة في بيت مظلم حيث لا يراه الناس أفضل من صلاة في مسجدي هذا والمسجد الحرام).

وأما صلاة البقاع

فينبغي للعاقل أن يستكثر من الصلاة في البقاع على العموم ، ويخلو بنفسه لذلك في المهامه والقفار ، ولا يخلي نفسه من ذلك ، فإنها يوم القيامة تشهد له بلسان ذلق بما عمل عليها ، فيفرح عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا.

وقد قيل في قوله تعالى : {**يومئذ تحدث أخبارها**}[1] : إنها تشهد بما عمل على ظهرها . روي مرفوعا.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (ما أصبحت الدنيا من ذي صباح إلا تنادت البقاع بينها تنادى الأرض السبخة الأرض الطيبة : يا جارتاه هل مر بك اليوم من عبد صالح صلى عليك ركعتين).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضا : يا جارتاه هل مربك اليوم عبد صالح ذكر الله جل وتعالى عليك ؟ فمن قائلة : لا . ومن قائلة : نعم فإذا قالت : نعم رأت لها بذلك عليها فضلا).

وروى أن سليمان بن داود عليه السلام كان إذا كان يوم بساطه يركب ، وتركب معه جنوده من الجن والإنس فهم يوزعون فيقول : أترون ذلك العلم ؟ فيقولون : نعم. فيقول : سبحوا الله إليه . فتلج الجنود بالتسبيح إليه حتى يبلغه ، فيصلي ركعتين ثم يركب فيقول : ترون ذلك العلم . سبحوا الله إليه . فتلج الجنود إليه بالتسبيح حتى يبلغه فيصلي ركعتين ، ثم كذلك في يوم بساطه).

وروى أن على بن الحسين عليهما السلام كان يذكر الله عند كل خطوة يخطوها ، فإذا سها في بعض مشيه عاد إلى الموضع الذي مشى عليها ساهيا فيذكر الله عليها وهو يمشى .

---

١) الزلزلة : ٤ .

وروى أن إبراهيم بن أدهم قطع البادية في سبع سنين ، فما رفع قدما إلا سجد لله قال : ليكون فرقا بين من يمشي على رجليه ـــ وبين من يمشي على وجهه.

وكان إسماعيل العابد إذا سافر ذهب حتى يكون أول القطار فيركع ركعتين ، فإذا بلغ آخر القطار إليه فعل مثل ذلك ، فإذا نزلوا تنحي إلى بعض الأودية فصلى حتى الرحيل ، فإذا أتى مكة قام خلف المقام يصلي حتى ينحل من منخريه الدم.

وروى أن ثابت البناني ما ترك سارية في المسجد إلا صلى عندها.

فعليك أيها الطالب بمثل عمل هؤلاء ترشد ، وداوم على هذا القانون الذي ذكرته لك من ترتيب الأوراد في اليوم والليلة والأسبوع والشهور والسنة ، واشتغل بذلك بقية عمرك فإن استثقلت نفسك القيام بذلك ودعتك إلى نقضه أو نقصه فاعلم أنها النفس الأمارة بالسوء ،وأنها إنما تحاولك لتهلكك ، وترمي بك إلى مهاوي الشيطان وما ذاك إلا بما قد دس إليها إبليس اللعين من فتح باب الأمل وحب الدنيا ، وطلب العاجلة دون الأخرى ، والعجب والاستكثار لعملك لإرادته لإفساد ما قد اكتسبت من الخير ، فارجع حينئذ بها إلى الفكر والتأمل لأحوال الموت والقبر ، والنشر والحشر، والجنة والنار ، وسرعة زوال الدنيا وفنائها، وقلتها في ضمن الآخرة ، ثم أجل الفكر ثانيا إلى ما كان عليه عباد الله الصالحون من توظيف الوظائف ، والصبر على العبادة ، والمصابرة على الخوف والخشية ، والبكاء والعويل ورفض الدنيا ولذاتها وأشغالها ، كما روى عن أبي الدرداء أنه قال في حديث الفضيل : (شهدت علياً عليه السلام وقد اعتزل عن مواليه ، واختفي عن من يليه ، واستتر بفسلان النخل ، فافتقدته وقلت : لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ، ونغمة شجي ، وهو يقول : إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك .

قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : فشغلني الصوت ، واقتفيت الأثر ؛ فإذا هو علـــي بعينه، فاستترت منه ، وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغـــابر ، ثم فزع إلى الدعاء والاستغفار والبكاء ، والبث والشكوى ، فكان مما ناجي به ربــه أن قال : إلهي أفكر في عفوك فتهون على خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظـــم على بليتي ، ثم قال : آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيـــها ؛ فتقول : خذوه . فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه المــلأ إذا أذن فيه بالنداء ، ثم قال : آه من نار تنضج الأكباد والكلي ، آه من نار نزاعـــة للشوى ، آه من ملهبات لظى) .

قال : (ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة ، فقلت : غلب عليه النـــوم لطول السهر ، أوقظه لصلاة الفجر ، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ، فحركته فلـــم يتحرك ، فزويته فلم ينـــزو ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات والله علي بـــن أبي طالب).

قال : فأتيت منـــزله مبادرا أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة : يا أبا الدرداء لهـــي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله ، ثم أتوا بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، فنظر إلي وأنا أبكي، فقال : ما بكاؤك ؟ فقلت : مما أراه تنـــزله بنفسك . فقال : يـــا أبـــا الدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بـــالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد ، وزبانية أفظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبـــار ، وقد أسلمني الأحباء ، ورحمني أهل الدنيا ــ لكنت أشد رحمة لي بين يدي مـــن لا تخفي عليه خافية).

فإذا نظرت أيها الطالب في أمير المؤمنين وشدة عبادته ، وإتعابه لنفســـه ، وشـــدة مواظبته على طاعة ربه ، من كل نوع من أنواع الطاعات ، مع أنه مقطوع له بالجنة ــ علمت حقارة عملك وعظم خطرك ، وتحققت أنك أولى الناس بالعمل لنفسك ، والخضوع لربك لخلاصك لنفعك لا لنفع غيرك.

وانظر فيما رواه الباقر عليه‌السلام فإنه قال : (والله إن كان علي ليأكل أكل العبد ، ويجلس جلسة العبد ، وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين ويخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الآخر فإذا جاوز كمه أصابعه قطعه ، وإذا جاوز كفيه حذفه ، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ، ولا لبنة على لبنة ولا قطع قطيعا ولا أورث بيضاء ولا حمراء ، وإن كان ليعطي الناس خبز البر واللحم ، وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل ، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضي إلا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده ، وما أطاق عمله أحد من الناس ، وإنه كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وإن أقرب الناس شبها به علي بن الحسين ما أطاق عمله أحد من الناس بعده).

وفيما رواه أنس بن مالك قال : يقول الناس : إن قوله تعالى : {**أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**}[1] نزلت في علي بن أبي طالب . قال : فأتيته لأنظر إلى عبادته فأشهد لقد رأيته وقت المغرب ، فوجدته يصلي بأصحابه المغرب ، فلما فرغ منها جلس في التعقيب إلى أن قام إلى العشاء الآخرة ، ثم دخل منزله فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ، ثم جدد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر ثم جلس في التعقيب إلى أن صلى بهم العصر ، ثم أتاه الناس يختصمون وهو يقضي بينهم إلى أن غابت الشمس ، فخرجت وأنا أقول : أشهد أن هذه الآية نزلت فيه).

وعلى هذا المنهاج جرت العترة الطاهرة صلوات الله عليهم كالحسن ، والحسين ، وعلى بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وزيد بن علي ، ويحي بن زيد ، وجعفر بن محمد الصادق ، وعبد الله بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله ، ويحي بن عبد الله ،وأحمد ابن عيسي ، والحسين الفخي ، والعالم القاسم بن إبراهيم ، والهادي إلى الحق يحي بن الحسين ، والناصر الأطروش ، والمرتضي لدين الله ، وأخوه الناصر بن الهادي ،

---

١) الزمر : ٩ .

وغيرهم من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين ، بما لا يمكن شـــرحه وبيانـــه هاهنا مخافة الملال من السامع ؛ ولظهور حالهم بخلاف غيرهم.

نعم ـــ ثم ارجع أيها الطالب إلى التفكر في من تقدم قبل هؤلاء ، وممـــــن جـــرى مجراهم من الصحابة والتابعين ، كما روي أن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن عمر أمتك ثلاثمائة عام ، فسألوا نبيئهم أن يسأل الله لهم الزيادة فلم يزد ، فـــبرز القوم من القصور والدور ، وضربوا الأخبية ، واتخذوا المحاريب ، وأقبلوا على التبتـــل والعبادة ، فما تناسلوا ولا توالدوا حتى هلك كلهم.

وعن وهب قال : (كان فيما قبلكم عابد ، عبد الله سبعين سنة صائما ، يفطر مـــن سبت إلى سبت ، فطلب إلى الله تعالى حاجة فلم يعطها ، فأقبل على نفسه وقـــال : من قبلك أتيت ، لو كان عندك خير قضيت حاجتك . فأنزل الله ملكا ساعتئذ فقـــال : إن ساعتك التي أزريت على نفسك فيها خير من عبادتك التي مضت).

فعليك أيها الطالب بمثل ذلك ليزول عنك وسواس الشيطان من قبل العجب ، فتقبل إلى حال النشاط لخدمة ربك.

وعن سعيد بن مخرمة "لقد جالست أقواما لو رأوني جالسا معكـــــم لاســـتحييت منهم).

وقال الربيع بن خثيم ، وكان في نهاية الزهد والرفض للدنيا ، وهو الذي كان النور يسطع في محرابه عند قيامه للصلاة ، فقال : "إنا جالسنا أقواما نحن في جنبهم لصوص عند الله).

قال ثابت البناني وهو المشهور بالتشدد في العبادة والرفض للدنيا : أدركت رجـــالا يصلي أحدهم حتى ما يأتي فراشه إلا حبوا).

وكان عامر بن عبد القيس يقول : لذات الدنيا أربع : المال ، والنساء ، والطعام ، والنوم ، فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما ، وأما النوم والطعام فـــلا بـــد لي منهما والله لأضرن بهما جهدي. فكان يظل صائما ، ويبيت قائما).

وروى أنه كان يصلي فدخلت حية من تحت قميصه ، وخرجت من جيبه ، فقيل له : رحمك الله نح الحية عنك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئا سواه ، وما علمت بها حين دخلت تحت قميصي ولا حين خرجت).

وقيل له : إن الجنة تدرك بدون ما أنت تصنع ؟ وتتقي النار بدون ما أنت تصنع ؟

فقال : لأجتهدن جهدي فإن أدخل الجنة فبرحمة الله ، وإن أدخل النار فبعد جهدي فلما نزل به الموت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله لا أبكي جزعا من الموت ، ولا حرصا على الدنيا ، ولكن أبكي لبعد سفري ولقلة زادي ، وأني قد أمسيت في صعود وهبوط إلى جنة أو إلى نار ، فلا أدري إلى أيهما يوجه بي).

وكان عامر يصلي كل يوم ألف ركعة من حين تطلع الشمس إلى العصر ، وكذلك أويس القرني ، فإن فيه الفكرة والعبرة لمن اعتبر ، كان يقول : لأعبدن الله في الأرض كما عبدته الملائكة في السماء ، وكان يقول في ليله : الليلة ليلة القيام ، فيقوم حتى يصبح ، وفي الليلة الثانية : هذه الليلة ليلة الركوع فيركع حتى يصبح ، وفي الليلة الثالثة : هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا نظر إلى الرؤوس المشوية قرأ {**تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون**}[1] فيقع مغشيا عليه حتى يرى أنه مجنون ، وكان لا يزال صائما وإفطاره على ما يلتقطه من الحشف والنوى ، ولباسه مما يلتقط من المزابل من الرقاع يغسلها ويصلها ويلبسها ، وكان يقول : اللهم إني اعتذر إليك من جوع كل جائع).

ومن كلامه : "ذكر الموت لا يدع للمؤمن في الدنيا فرجا ، وعلمه بكتاب الله لا يدع له لا فضة ولاذهبا ، وقيامه لله بحقه لايدع له فيها صديقا).

وكما روى أن الأسود بن يزيد ، وهو أحد الزهاد كان يصوم فكان جسده يصفار مرة ويخضار مرة أخرى ، فقال له علقمة : لم تعذب هذا الجسد ؟ وقال آخر : لو رفقت بنفسك ؟ فقال : لو أتاني آت من ربي فأخبرني بالمغفرة لهمني الحياء من ربي

---

١) المؤمنون : ١٠٤ .

مما قد صنعت ، والله إن الرجل ليكون بينه وبين أخيه الذنب الصغير فيعفو عنه ، فهو يستحي منه أيام حياته فمن الله أحق أن يستحي) في كلام له.

وكما روى عن أنس بن سيرين "أنه كان يتعبد ويسجد حتى نقبت الأرض موضع سجوده ، وكان يطيل السجود ، ويكثر البكاء حتى تجتمع الدموع عند موضع سجوده وهو يقول : الأمان الأمان يوم الفزع الأكبر).

وكذلك أبو ميسره كان يبكي الليل كله ، ويمنع أهله من النوم لعلو صوته ، فتقول له امرأته لم تبكي ؟ فيقول : إن الله قد بين لي أنا واردون النار و لم يبين لنا أنا صادرون منها).

وكما روى عن ابي محمد الأسدي رحمه الله أنه لم يضع جنبه الأرض أربع سنين ، ونظرت امرأته إلى مصلاه يوما فإذا دموعه مقدار كف قد خرج من عينيه في سجوده فقالت لابنه : اغسل يدك من أبيك ، فإنه ليس ينظر إليك ، ولا إلى أحد بعد اليوم).

وكما روى عن أبي داود الفارسي "أنه كان يحضر المسجد بنجران قبل نصف النهار فيفتتح صلاته اثنتي عشرة ركعة خفافا ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، ثم يصلي الفرض مع الإمام ، ثم يصلي ركعتين يطيل فيهما القيام والركوع والسجود حتى ينادي العصر ، ثم يصلي اثنتي عشرة ركعة خفافا ، ثم يصلي العصر ويستقبل القبلة ، ثم يقرأ القرآن إلى المغرب ، ثم يصلي المغرب ، ثم يصلي اثنتي عشرة ركعة خفافا ، ثم ركعتين يطيل فيهما القراءة والركوع والسجود إلى العشاء الآخرة ، فإذا أذن صلى اثنتي عشرة ركعة ، ثم يصلي الفرض ، ثم بعدها أربعا أخرى ، ثم الله أعلم ما يفعل بعد ذلك).

وكما روي عن أبي إسحاق الأزرق أنه لم يضع جنبه على الأرض أربعا وعشرين سنة ، وكان يحيي كل الليل في ركعتين ، ويصوم النهار ، وله في الشهر أكلتان فقط لا يذوق الطعام خمسة عشر نهارا بلياليها).

وعن الحسن البصري (أدركت أقواما قبلكم كانوا إذا أجنهم الليل قـــاموا علـــى أطرافهم ، يفترشون وجوههم ، ودموعهم تجري على خدودهم ، يناجون الله الــذي خلقهم في فكاك رقابهم.

فانظر أيها الطالب إلى عبادة هؤلاء ، وأجناسهم من إخوانهم ، ومن هو أعظم منهم من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، واستصغارهم لأعمالهم ، وخوفهم من ربهم ، فإن ذلك إن شاء الله تعالى ينهضك إلى طاعة ربك ، ويخفف عنك وزر عملـــك ، ويعظم عندك تفريطك.

واذ قد فرغنا من ترتيب الأوراد وقوانينها ، فلنعطف إلى الإرشاد لصفـــة الصـــلاة وهيئتها وهيئة سائر العبادات معها ، من الذكر وقراءة القرآن ، والدعاء وأدائه ، فإن ذلك من تمام الركن الثاني من أصول الدين.

الإرشاد إلى هيئة الصلاة ظاهرا وباطنا

فإذا قصدت إلى الصلاة فاستقبل القبلة قائما ، مزاوجا لقدميك بحيث لا تضمهما ، وأرسل يديك إرسالا ، وكما يظهر ذلك في جوارحك الظاهرة فكذلك تفعـــل في قلبك ، تقيمه بين يدي الله تبارك وتعالى ، ولا تفرق خواطرك إلى غير صلاتـــك ، وأرسل الدنيا من قلبك حتى لا تذكرها أصلا ، وليكن قلبك حـــاضرا في صلاتـــك كلها ، وفرغه من الوسواس ، فانظر بين يدي من تقوم ومن تنـــاجي ، واســـتح أن تناجي مولاك بقلب غافل ، وصدر مشحون بغيره من وساوس الدنيـــا وخبـــائث الشهوات فإنه مطلع على سريرتك وناظر إلى ما في باطن قلبك ، وإنما يتقبل منـــك صلاتك على حسب خضوعك وتواضعك ظاهرا وباطنا ، وعلى قدر حضور قلبـــك قال النبي ﷺ : (لا ينظر الله إلى صلاة عبد لا يحضرها قلبه مع بدنه).

ثم استعذ بالله من الشيطان الرجيم.

تقول : (أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم).

فإنه حريص على الوفاء بقسمه ، ولا يكاد يدع الاعتراض للآدمي عند الصلاة ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ركعتان خفيفتان في ذكر ، خير من قيام ليلة والقلب ساه).

وان القوم يكونون في صلاة ــ بينهم من الفضل كما بين السماء والأرض ؛ لأن الخاشع يقبل على الله ، والآخر لا يقبل.

فإذا دخل الرجل في الصلاة أتاه الشيطان يذكره حوائجه ، فيقول له الملك : أقبل على صلاتك ، ويناديه في أذنه اليمنى ، والشيطان يناديه في أذنه اليسرى ، وقلبه ينازع الأمرين ، فإن أطاع الملك ضرب الملك الشيطان بجناحه ، وإن أطاع الشيطان قال له الملك : أما إنك لو أطعتني لم تقم من صلاتك إلا وقد غفر لك.

وأنت أيها الطالب متى تعوذت كفيت شر الشيطان إن صدق تعوذك ، وإن كنت تعوذت بلسانك وليس في قلبك الاعتصام بالله من الشيطان الرجيم ، ولا المعرفة لجلالته تعالى وعظمته ــ فأنت غير معتصم بربك ، فارجع باللوم على نفسك ، وقدر أنك بين يدي عالم البلد أو ملك القطر ، وهو يريد أن ينظر إلى كيفية أدائك لصلاتك ؛ فإنك تجد في نفسك أنك تقيم جوارحك وتسكنها على حسب ما أمرت ، وتشتغل بصلاتك من غير أن تخلط معها غيرها ؛ لتريه حسن صلاتك ، وهو عبد ذليل لا ينفعك ولا يضرك ، ولا يطلب منك أن تعبده ، ثم ارجع على نفسك باللوم وقل ما تستحين من اطلاع ربك وخالقك عليك ، في حال خدمته وعبادته وتقربك إليه ، وطلبك للملك الذي عنده وهو لجنة ، وخطبتك لأحسن جواريه من الحور العين ، حيث تشركين معه غيره في الخدمة ، وتشتغلين في حال تقربك منه بغير رضاه ، وتجعلينه أصغر من بعض عبيده وخدمه عندك ، فعالج قلبك بهذه الحيل ، فلعله يحضر معك في صلاتك.

واعلم أنما أتيت به مع الغفلة وإن قال لك الفقيه : هو يجزئك ؛ فإنه لا يجزئك فيما قصدت ، وهو كونه عبادة لله ، وتقربا إليه ، واستجلابا لثوابه ، وتكفيرا لسيئاتك ؛ متى كان السبب في السهو والغفلة من قبلك ، أو من قبل طاعتك لوسواس الشيطان

، وإنما غرض الفقيه أنه لا تجب عليك الإعادة ولا القضاء ، وذلك راجع إلى كثرة إنعام إلهك عليك ، وعفوه عنك ، وإن كان ذلك إلى الاستغفار وإلى التوبة أحوج.

[التوجه]

فإذا فرغت من التعوذ فقل : (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، حنيفا مسلما ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين ، الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل).

وأحذرك أن تكون كاذبا في قولك : (وجهت وجهي) وفي قولك : (حنيفا مسلما) وفي قولك : (وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ـ إلى قوله ـ لله رب العالمين) وأن تكون كاذبا في قولك : (وأنا من المسلمين) وفي قولك : (الحمد لله) وذلك بأن تكون موجها لقلبك إلى غير الله من حوائج الدنيا وأشغالها ، وأن تكون حنيفا مائلا إليها دون ربك ، وأن تكون مستسلما لها دون خالقك ، وأن تكون من المشركين بين شغله وشغلك ، ومن المشركين لغيره في عبادتك من المراءاة ، أو تكون غير حامد لله ولا شاكر بأن تكون ناسيا لذلك ، أو ذاهلا عن شئ مما تكلمت به فتكون كاذبا هاذرا ؛ فتعود صلاتك عليك وبالا ، وتكون أنما استقبلت ربك بمعصيته لا بطاعته ، فأحضر قلبك عند صلاتك ، واذكر عظمة الله تعالى وجلالته ، وكونه رائيا لك وإن لم تره ، ولا تظن أنه غائب عنك أو غافل عن شئ من خطراتك أو لحظاتك ، فإن ظننت ذلك فهو أعظم لوزرك ، وقد تبين أنك لست بعارف لربك ، فارجع إلى طلب معرفته ، ومعرفة جلالته وعظمته ، وخذه من الركن الأول من أصول الدين ، فإن ضعيف الإيمان لا يزال مبتلي بالتشكك في الله وفي صفاته ، كثير التسرع إلى تشبيهه بخلقه .

وليس يكفي في دواء هذا الإقبال على العبادة ، بل لابد من الابتداء أولا بحقيقة المعرفة.

فأما أهل الشهوات وأهل العشق للدنيا فابتلوا بحجاب الشهوات للدنيا ، المانع للقلب من الحضور عند العبادة.

ودواء هذا القبيل بالمعرفة الحقيقية للدنيا ورذالتها وسرعة زوالها كما تقدم مع استخدام الجوارح بالعبادة وشغلها بها وتغفيلها عن شغل الدنيا والإقبال عليها.

وأما المتجردون للعبادة فالحجاب المانع للقلب من حضوره حيث ينبغي شيئان :

أحدهما : الوسواس المستغرق للقلب إلى الفكر في الحروف ومخارجها ، والتشكك فيها والإعادة لها ، والتكرير لما لم يشرع تكريره ، وتقسيم التكبيرة وتكريرها بقوله : الله الله يطلب استحضار النية.

وثانيهما : الوسواس عند الصلاة بالفكر في شروطها من الوضوء والمكان واللباس ، وأنه كيف أتى بذلك ، وهل استقصي في نية الوضوء ؟ وهل تحرى في طهارة اللبلس ؟ وهل المكان بمجدد الطهارة أم على الأصل ؟ وأجناس ذلك ، وكل ذلك من حبائل الشيطان ليفسد على الآدمي عبادته ، ودواء ذلك بالأخذ بما أمر به من ظاهر الأمر في الطهارات ، ومن ظاهر ألفاظ أهل اللغة العربية في الصلاة وسائر آيات القرآن ، فإن ذلك نازل على لغة العرب ، وما كانوا يتعسفون هذا التعسف في كلامهم ، ولا شيء من ذلك بمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ، ولاعن أهل البيت عليهم السلام ، وإنما ذلك كله بدعة من جملة مغاوي الشيطان.

[النية في الصلاة]

فإذا حضر قلبك وفرغت من التوجه فانو بقلبك عين الصلاة التي تريدها من ظهر أو عصر أو غير ذلك ، وانوها عبادة لله عز وجل ، وتقربا إليه ، وأنك تفعلها لوجوبها ، وإن كنت إماما نويت الإمامة ، وإن كنت مؤتما نويت الائتمام ، وإن كنت مسافرا نويت القصر ، وإن كنت تقضي فائتة نويت القضاء ، وتنوي من آخر ما عليك ، أو من أوله لأجل التعيين فإن ذلك أقل ما يجب عليك من النيات ، وإن

كنت في صلاة سنة مؤقتة نويتها بقلبك ، ونسبتها إلى ما يتميز به لـــك بقلبــك ، وكذلك التطوع.

واعلم أنه لا ينفعك من ذلك إلا ما أحضرته بقلبك ، فأما ما لفظ به لسانك فغــير نافع لك ، بل الأولى تركه استحبابا ، وكراهة لإدخال الكلام في ألفاظ الصلاة.

وأحذرك أن تدخل في جملة نيتك أحد مراتب الرياء ، فتكون قد أشركت في عبــادة ربك والعياذ بالله ، وذلك إما أن تأتي بجلي الرياء ، وهو أن تقصد بالعبادة والقيام لها حضور من حضر من عباد الله ، بحيث لو لم يحضر لم تنهض لتلك العبادة أصلا ، فهذا شرك ظاهر وأنت في قيامك مستهزئ بربك ، غير عابد له على الحقيقة ؛ ولهذا قــال تعالى : {**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـــدا**}[1] ومن وقف بين يدي ملك يريد أن يريه أنه يخدمه ، وغرضه ملاحظة عبد من عبيـــد الملك ، والتشفي برؤية بعض جواريه ؛ فإنه لا يكون خادما للملك ، بـــل يكـــون مستهزئا به فهذا جلي الرياء.

وأما أن تدخل عليك في نيتك ما هو أخفى من ذلك ، وهو أن تكون رؤية الخلــق لك أو علمك بأنهم يرونك زائد في نشاطك بحيث يخف عليك من العبادة ما كـــان يثقل عند غيبتهم ، وإن كنت لا تدعها رأسا ، ومن هذه المرتبة أيضـــا أن يفيـــدك حضورهم داعيا تحسين القيام والقعود ، وكثرة الطمأنينة في الركـــوع والســـجود ، واستجلاب البكاء وإظهار الخشوع الذي لم يكن يحصل لولا علمك لمشاهدتهم لك.

وإما بأن يعتريك ما هو أخفى من ذلك ،وهو أن يقاربك في صلاتك حب إطــلاع الغير عليها ، وإن كنت لا تزيد فيها ولا في خشوعها بحضوره شيئا ، فهذا من أنواع الرياء فإنه لولا طلبك للمنـــزلة عنده والحظوة ما أحببت ذلك.

وإنما الذي ينبغي لك أن تطلب ذلك ممن أنت تعبده ، وهو ربك الذي يملك نفعــك وضرك ، وتعلم أن العباد لو علموا أنك ترائي في عملك لنقصوك بذلـــــك ، ومـــا

---

١) الكهف : ١١٠ .

أبلغوك إلا إلى نقيض ما رجوته منهم ، ولا ينجيك من ذلك عند اعتراضه لـــك إلا العزلة والوحدة في العبادة.

واعلم بأن الله تعالى هو الذي ينفعك ويضرك ، ويجلب لك قلوب الخلق وينفرهـــا عنك ، ومتى أردت أن تكون ممدوحا عندهم ، معروفا بالعبادة ـــ فاجعلها خالصـــة لربك فإنه يظهر ذلك لك من غير عناية منك ، قال الله تعالى : {**إن الذيـــن آمنـــوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا**}.[1]

وعن النبي ﷺ (لو أن رجلا عمل عملا في صخرة لا باب لها ولا كوة لخـــرج عمله إلى الناس كائنا ما كان).

فإذا أخلصت العمل لله عز وجل فكبر تكبيرة الإحرام ، رافعا بها صوتك مقدار مـــا تخرج به من المخافتة ، إلا أن تكون إماما كان مقدار ما يسمعك المؤتمون ، خالطـــا معها نية صلاتك.

واجتهد أن لا تعزب عنك هذه النية في جميع أركان الصلاة وأذكارها ، فإن ذلـــك من فضائل الصلاة .

[كيفية القراءة في الصلاة]

ثم اقرأ الفاتحة وابتدئ ببسم الله الرحمن الرحيم ، واقرأ بعدها سورة من القرآن ، أو ثلاث آيات ، وهو أقل ما يجب عليك ، واجهر بالقراءة في صلاة المغرب والعشـــاء والفجر إن كنت منفردا أو إماما ، وإن كنت مؤتما استمعت قراءة الإمام ولم تقـــرأ ، وخافت بالقراءة في صلاة الظهر والعصر سواء كنت إماما أو مؤتما أو منفـــردا ، ولا تدع تشديدة من تشديدات الفاتحة وثلاث آيات ، واجتهد في الفرق بـــين الضـــاد والظاء عند قولك : {المغضوب عليهم ولا الضالين} فإن كله بالضاد.

ولاتصل آخر قراءتك بتكبيرة الركوع ، بل تفرق بينهما بمقدار النفس.

---

[1] مريم : ٩٦ .

وأحذرك أن تكذب في قولك : (الحمد لله) وفي قولك : (إياك نعبد وإياك نستعين) بأن تكون حامدا لغيره ، ومعظما لسواه في عبادته ، أو مرائيا ، أو متوكلا على سواه من الناس ، وأنت تتوهم أنك تستعين به ، وإياك أيضا أن تكون غافلا عن تعظيمه عند قولك : {رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين} إلى غير ذلك من قراءتك فتكون هاذرا وعابثا ، ويعود ربحك خسارة عليك ، وإنما الواجب لله تعالى عليك أن تحضر قلبك عند كل لفظة وحركة ، وسكنة ورفعة ووضعة في عبادتك ، هذا حق الله تعالى عليك وقد أنعم عليك بأنه يسامحك في القضاء إذا اعتراك غفلة ، وأنه يقبل منك رجوعك إليه بالذكر له حتى في اللفظة ، ولكن غفلتك ونسيانك ينقص عليك ثواب عبادة ربك ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب والنصب ، فاحرس نفسك ، وأحضر قلبك في جميع صلواتك ، وكن محضرا قلبك في جميع قيامك مطرقا خاضعا متذللا ، قاصرا طرفك على موضع سجودك ، وإن جال فلا تخرج عن موضع صلاتك ، ولا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تنظر قدام وجهك ، واجعل ذلك كله خشوعا وخضوعا لربك .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تلتفتوا في الصلاة فإنه لا صلاة لمتلفت).

فإذا فرغت من القراءة فكبر للركوع تبتدئ بالتكبيرة قائما وتتمها راكعا.

وأحذرك أن تقول : (الله أكبر) وعندك أحد أكبر من الله تعالى وأعظم ، بحيث لا تستحيي من أحد في شيء أكثر من حيائك من ربك ، فإن فعلت ذلك فقد جعلت غيره أكبر منه عندك ، وحينئذ تكون ساخرا به في قولك : الله أكبر.

[كيفية الركوع في الصلاة]

فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ، واجعل أصابعك منشورة مفرقة ، وانصب ركبتك ، ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة ، وجاف مرفقيك عن جنبيك ، واقصد الخضوع لله تعالى والذلة له ، كأنك مستسلم لضرب عنقك لو أحب ذلك منك ، وتصور عظمة الله وجلاله وكبرياءه ، وقل في

ركوعك : سبحان الله العظيم وبحمده . ثلاثا ، واقصد بذلك معناه وهو : التنـــزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه لكونه إلها لا ثاني له ، ولا أعظم ولا أجل ولا أكبر ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، وإن زدت في التسبيحات إلى الخمس فلا بأس ، وهو أفضـــل في النوافل

[كيفية الرفع من الركوع]

فإذا فرغت من التسبيح فقل : سمع الله لمن حمده . تبتدئ بها في الركـــوع إلى أن تنتصب قائما ، هذا إن كنت إماما أو منفردا ، وإن كنت مؤتما قلت مجيبا للإمـــام : ربنا لك الحمد , وليكن قولك بعد قول الإمام.

وعليك بالسكينة والخضوع والخشوع ؛ فإنه لا صلاة لمن لا خشوع معه .

[كيفية السجود]

فإذا انتصبت قائما ، وأتممت الذكر لله تعالى قلت : الله أكبر. تبتدئ بها قائمـــا ، وتتمها ساجدا ، وتخوي في سجودك وابدأ بوضع يديك حيث تقـــدر أن خديـــك يكونان بينهما ، ثم تضع ركبتيك ، ثم جبهتك ، ثم أنفك بين يديك ، وليكن كفـــك حذاء خديك وبالقرب من أذنيك كذلك سجود رسول الله ﷺ .

ولا تغفل عن وضع أنفك على الأرض فإنه لا تقبل صلاة إلا بذلك ، ورد مـــأثورا عنه ﷺ ، وجاف مرفقيك عن جنبيك ، وارفع بطنك عن فخذيك ، ولا تفـــرش ذراعيك على الأرض ، واقصد الخضوع لله والتذلل والعبادة ، وقل : ســـبحان الله الأعلى وبحمده ثلاثا أو خمسا ، كما في الركوع ، واجعل في قلبك أنه لا أعلى مـــن الله .

وأحذرك أن تتوهم الاعتصام بغيره فتكون قد جعلت غيره أعلى منـــه ، وتكـــون كالمستهزئ به في تسبيحك ، واقصد الحمد لله والشكر على نعمائـــه ، واجعـــل في قلبك أنما من نعمة بك فمن الله ، ولا تتوهم النفاعة من الخلق ، فلولا أن الله تعـــالى

يجلب لك قلوبهم ما نفعوك ؛ فإنهم محتاجون مثلك ، والمحتاج لا يكاد يخرج عن القنوط .

[كيفية الرفع من السجود والاعتدال]

فإذا فرغت من التسبيح فأرفع رأسك وأنت تقول : الله أكبر . تبتدئ بها ساجدا ، وتتمها قاعدا على الأرض ، واجلس على رجلك اليسرى بعد وضع ظاهر القدم على الأرض ، وانصب رجلك اليمني على أطراف الأصابع ، تكون الأرض مماسة لباطن الأصابع اليمني ، وضع يديك على فخذيك ، وأصابعهما على أسافل الفخذين مما يلي الركبتين ـ مبسوطتان مفترقتان ، واقصد الخضوع والخشوع في جميع ذلك ، واسكن مقدار تمام التكبيرة التي ابتدأت بها من السجود مطولا لها ، ثم قل : الله أكبر، وابتدئ بها جالسا ، وأتمها ساجدا ، واصنع ما صنعته أولا في سجودك ، وراع الخشوع والسكينة ، واملأ الأركان من الذكر بحيث لا تنفك منه إلا عند الحاجة إلى النفس فقط ، فإذا فرغت من السجدة الثانية فكبر وانتصب قائما متكئا على يديك في موضعهما الذي هما فيه بحيث لا تميلهما عنه ، وافعل في الركعة الثانية مثل ما فعلت في الأولى .

وليكن نظرك عند قيامك مقصورا على موضع سجودك ، وعند ركوعك مقصورا على أصابع القدمين ، وعند سجودك مقصورا على طرف أنفك ، وعند قعودك مقصورا على موضع بدنك . والزم الخضوع في جميع ذلك

[كيفية التشهد الأوسط]

فإذا جلست بعد السجدة الثانية من الركعة الثانية فقل : (بسم الله ، وبالله ، والحمد لله ، والأسماء الحسنى ، كلها لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) .

وأحذرك أن تعزب عنك تصور العظمة لله والإجلال له ، والحياء منه عز وجل والخوف والخشية والرجاء والطمع ، وصور نفسك عند كل ركن وذكر بصورة ما

أنت فيه ، فإذا ركعت أو سجدت فأنت متذلل لله عز وجل ، فينبغي أن تصغر نفسك ، وتطاطئ قلبك حتى كأنك منطمس من مشاهدة الجلال ، وكذلك إذا ذكرت أسماء الله الحسنى وصفاته العلي ، وإذا رفعت رأسك من الركوع والسجود ، فكأنك مطلق مغفور لك ، مقبول منك ، فصور نفسك بذلك ، واستبشر وارج الخير من الله ، واملأ قلبك فرحا بكونه أنيسك ، وبكونك خادما له وعبدا له دون غيره ، وكذلك تفعل عند أن تقرأ من الآيات في صلاتك آيات الرحمة والمغفرة.

وإذا كنت في صلاة الفجر قنت في الركعة الثانية بعد رفع رأسك من الركوع ، وبعد قولك : سمع الله لمن حمده ، هذا إذا كنت إماما أو منفردا ، وإن كنت مؤتما استمعت قنوت الإمام ، وإذا قنت بشيء من الآيات التي فيها الدعاء بغفران الذنوب ذكرت ذنوبك ، وصورت نفسك بصورة المذنب الحقير بين يدي الملك العظيم ، بحيث تتضاءل حتى كأنك تموت من الحياء ، فليظهر ذلك في جوارحك من الفرق والحزن والبكاء والارتعاد ، واقشعرار الجلد ، وأجناس ذلك ، والزم هذا النوع من التصور في جميع صلاتك تظفر ببغيتك.

وان كنت في صلاة الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء قمت بعد التشهد الأوسط على خشوع وخضوع ، وفعلت ما تقدم إلا انك إن أحببت قرأت في قيامك في الركعتين الآخرتين ، أو الثالثة من المغرب سورة الفاتحة وحدها مخافتة ، وإن شئت قلت بدلا منها : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر) وعندي أنه أفضل ؛ لأنك تكون قد جمعت في صلاتك بين قراءة القرآن والتسبيح ، الذي فيه من الفضائل ما لا يحصى ، وهو مأثور أيضا.

[كيفية التشهد الأخير]

فإذا جلست بعد آخر سجدة من صلاتك جلست كما تجلس بين السجدتين في الهيئة وقلت : (بسم الله وبالله) إلى آخر ما ذكرناه من التشهد ، ثم قل : (اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

وعليك بحضور القلب والخشوع ؛ فإن ذلك هو عمدة الصلاة مع الأركان والأذكار والتفهم للمعاني والتصور بصورة ما تفهمه.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها ، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها).

وقال الحسن : (كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع).

وان كنت في صلاة الفجر صليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقيب التشهد بما ذكرناه ، وإن كنت في صلاة الوتر فهي كصلاة المغرب إلا انك في الركعة الثالثة تقرأ ما ذكرناه ، وتقنت فيها بعد قولك : (سمع الله لمن حمده) فإذا فرغت تشهدت وصليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكرناه.

[كيفية التسليم في الصلاة]

فإذا فرغت من ذلك في أي صلاة كنت فيها سلمت على يمينك وشمالك تقول : السلام عليكم ورحمة الله . وتبدأ باليمين ، وتحرف عند التسليم على اليمين حتى يكون خدك الأيسر مستقبلا للقبلة ، وعند التسليم على اليسار بحيث يكون خدك الأيمن مستقبلا للقبلة ، وانو عند التسليم على الملائكة الحافظين ، وإن كنت في جماعة نويت مع ذلك السلام على المسلمين المصلين معك ، واذكر أمر الملكين وحفظهما عليك ما تفعل ، وشهادتهما يوم القيامة عليك بما تصنع ، والزم التصور لعظمة الله وجلاله ، وعظم ما يستحقه عليك ، واخش من تفريطك في أداء حقه ، والزم هذه الهيئة في جميع عبادتك الفرائض والنوافل فقد كان علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهما إذا حضرت الصلاة يقشعر جلده ، ويصفر لونه ، وترتعد فرائصه ، ويقف تحت أديم السماء ودموعه تتحدر على خديه ويقول : (لو علم العبد من يناجي ما انتقل) .

ولقد برز يوما إلى الصحراء فسمعه مولى له فوجده قد سجد على حجار خشنة ، قال مولاه : فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه ، فأحصيت ألف مرة يقول : لا اله إلا الله حقا حقا ، لا اله إلا الله تعبدا ورقا ، لا إله إلا الله إيمانا وصدقا.

ثم رفع رأسه من سجوده وإن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه.

ووقعت نار في بيت فيه علي بن الحسين عليهما السلام وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله النار فلا يأبه لذلك حتى أطفئت ، فقيل له بعد ذلك : ما ألهاك منها؟ قال : ألهتني عنها النار الكبرى لا يموت فيها أحد ولا يحي).

وروى أن امرأة كانت تصلي فلدغتها العقرب في أربعين موضعا فما اكترثت ، فقيل لها في ذلك : يا أمة الله هلا نحيتيها ؟ قالت : إني لأستحيي من ربي أن أشغل قلبي بشيء سواه ، وأنا قائمة بين يديه .

وكان علي عليه السلام إذا توضأ تغير لونه ، وارتعدت فرائصه ، فقيل له في ذلك فقال : (حق لمن يقف بين يدي الله ذي العرش أن يصفر لونه ، وترتعد فرائصه وذلك يدلك على توفر الخاطر إلى العبادة ، وإقبال القلب[1] على خدمة الرب جل وعز ، وهذه درجات السابقين أولياء الله المخلصين.

[الواجبات في الصلاة التي لا يجب القضاء مع حصولها]

فأما من رضي لنفسه باسم العبادة ، وأن يسقط عنه قضاء الصلاة ، فإذا أتى بـاثني عشر شيئا في الصلاة كفاه في ذلك.

أحدها : النية مقدمة على التكبيرة بشيء يسير أو مقارنة ، وقيل : يجزي وإن تقدمت قبل الصلاة متصلة بأولها.

وثانيها : تكبيرة الإحرام مجهورا بها.

---

١) في نسخة : (وإقبال العبد) .

وثالثها : قراءة فاتحة الكتاب وثلاث آيات في صلواته مجهورا بها في المغرب والعشاء الآخرة ، والفجر ، ومخافتا بها في الظهر والعصر ، وغير لاحن فيها لحنا يخرجه عن القراءة

ورابعها : القيام في موضعه.

وخامسها : الركوع في موضعه والطمأنينة فيه.

وسادسها : القيام بعد الطمأنينة فيه.

وسابعها : السجود والطمأنينة فيه ووضع الأنف على الأرض مع الجبهة.

وثامنها : القعود بين السجدتين مع الطمأنينة ، ونصب الرجل اليمني ، والجلوس على اليسرى مسطوحة على ظاهر القدم.

وتاسعها : أن يستوفي أعداد الركعات والسجدات ، وما معها من القيام والجلوس بين السجدتين.

وعاشرها : الجلسة الأخيرة بهيئتها في القدمين خاصة.

والحادي عشر منها : التشهد الأخير فيها ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك الصلاة على آله عليهم السلام.

والثاني عشر منها : التسليم مجهورا به ، وما ترك غير ذلك لا يلزمه بتركه القضاء ولا يحصل له حظ العبادة والخدمة الكاملة الإلهية ، اللهم إلا أن يكون معذورا فما جعل الله في الدين من حرج بل عفا وسمح

الإرشاد إلى هيئة العبادة بالقرآن

فإذا أردت العبادة بالقرآن فأفضله أن تقرأه قائما في الصلاة ، هذه المرتبة الأولى .

المرتبة الثانية بعد ذلك : أن تقرأه على طهارة كاملة.

المرتبة الثالثة : أن تقرأه على طهارة من الحدث الأكبر فقط من غير وضوء .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة ، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من ذكر الله ، وذكر الله أفضل من الصدقة ، والصدقة أفضل من الصيام ، والصيام جنة من النار) الخبر.

وذلك يدل على فضل قراءة القرآن على كل حال.

وعلى هذا قال النبي ﷺ : (أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن).

[هيئة العبادة بالقرآن]

وهيئة العبادة بالقرآن على الجملة أن تكون على طهارة ؛ وتقرأه قائما في الصلاة ، فإن لم ... استقبلت القبلة ،

وجعلت جلستك للقراءة في المسجد لفضله ، واستشعرت في قلبك عظمة كلام الله لعظمته عز وجل ، ثم تفكر في إجلال ربك لك حيث أرسل إليك رسولا بهذا الكتاب الكريم ، الذي هو من كلام الرب جل وعز ، يستدعيك فيه إلى قربه ، والكون في جملة خواصه بخدمته[1] أسهل الخدم ليملكك ويجعلك في المشيئة مثله ما شئت كان ، وما أردت حصل على حسب إرادتك ، وأنت عبد ذليل ما كان مثلك في عقلك يحتمل أن يكتب إليك الرب جل وعز ، ولا أن يدنيك ويقربك كل هذا التقريب ، فألزم نفسك عند هذا الفكر التواضع له ، والإطراق بين يديه والسكينة والخشوع ، والاعتراف له بعظيم الإنعام ، وطهر قلبك من كل خبيثة لئلا تكون طاهر الجسد مخبث القلب ، وذلك بأن تتذكر جميع المعاصي حتى لا تبقي معصية إلا تبت منها مما قد اقترفت ، ثم عقب ذلك بتوبة بجملة تطهر بها جميع ما لا تعلمه من الخبائث الخافية ، كما تتحرى في طهارة ظاهرك .

ثم ابتدئ القراءة بترتيل وترتيب من غير إخلال بشيء من الحروف ، ولا بشيء من الحركات ، واحضر قلبك مع كل كلمة لتفهم معناها إن كنت ممن يدرك ذلك وإلا تفهمت وبحثت عن ذلك ، واجتن ثمراته في حال قراءتك وهي معرفة ما يقتضيه من جلال الله وعظمته ، وما فرض أو أوجب أو ندب أو حرم أو أباح أو كره أو سخط ، وما أوعد أو توعد فاستنبط منه جميع مصالحك في دنياك وآخرتك.

---

1) في نسخة (بخدمة أسهل الخدم) والخدم بمعنى : الخدمة .

قال علي عليه‌السلام : (لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها) فإذا قرأته في غير الصلاة فلتكن قراءتك في المصحف ؛ لتكون عابدا لله تعالى بأعضاء كثيرة منها حاسة البصر.

قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (أعطوا أعينكم حظها من العبادة) قالوا : يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه).

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (من أدمن النظر في المصحف متعه الله ببصره ما بقي في الدنيا).

واجتهد في تحسين الصوت عند القراءة ، وأحسنه أصوات الخاشعين . قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم).

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (إن أحسن صوت بالقرآن من إذا قرأ أريت أنه يخشى الله).

واجهر بقراءتك ما بعد عنك الرياء فإن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مر برجل يقرأ ويرفع صوته فقال : (يا أبا برزة أتراه مرائيا) ؟ فقال أبو برزة : الله ورسوله أعلم. فقال : (بل هو عبد منيب) . قال : يا نبي الله أفلا أبشره ؟ قال : (بلى) فبشرته ، فلم يزل لي أخا).

وإذا خلوت بالقرآن وحدك كان أنفع لك وأشفي ؛ لأن حركات الناس وأشغالهم يغير عليك قلبك ، ويشغله عن الحضور مع كل آية ، وعليك بتكرير الآيات وترديدها للتأمل والتفكر والتفهم ، واستجلاب الخشوع .

روي أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فرددها عشرين مرة .

وروى أبو ذر أن رسول الله قام ليلة بآية يرددها وهي قوله : **{إن تعذبهم فإنهم عبادك}** (1) .

وقام سعيد بن جبير ليلة بقوله تعالى : **{وامتازوا اليوم أيها المجرمون}** (2) .

وقام تميم الداري ليلة بقوله تعالى : **{أم حسب الذين اجترحوا السيئات}** (3) الآية.

---

1) المائدة : ١١٨ .

2) يس : ٥٩ .

3) الجاثية : ٢١ .

وصور نفسك بصورة ما تقرأه تتطأطأ وتصاغر عند ذكر العظمة ، وتنتهض وتستبشر عند ذكر الرحمة والمغفرة ، وتتضاءل وتفزع عند ذكر الغضب والنقمة ، وتتكسر وتنخفض عند ذكر الكفار وأهل المعصية ، وتعتمد في جميع قراءتك الخضوع والخشية والحياء ؛ ليتولد لك من ذلك البكاء ، وهو أحد هيئات قراءة القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا قرأتم القرآن فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) وغرضه أن نتباكى لأن نبكي ؛ لعظيم فضيلة البكاء عند قراءة القرآن ، ولن يحصل ذلك إلا مع التدبر لمعاني القرآن والتعظيم له ، واستشعار الخوف والارتداء للخضوع والخشية والرغبة والرهبة ، وينتج عن ذلك كله التصور لما فيه من ذكر الآخرة ، وتصوير الموت والقبر والنشر والحشر ، وما يقع هناك من الأفزاع والفجائع ، ثم تصور النار والجنة وما أعد الله فيهما لأهلهما.

ولكن القراء المتصورين لذلك قد بادوا وانقرضوا ، فلم يبق منهم إلا قليل من نوازع القبائل ، متفرقون في كل أوب ، مختفون من أعدائهم ، مخفون لخوفهم من ربهم خوف لائمتهم من أهل زمانهم ، أولئك أولياء الله وأولوا البقية من الصالحين ، وأين هم ؟ ومن لنا بهم ؟ وكيف السبيل إلى رؤيتهم ولقائهم ؟ وبلى لا تخلو الأرض منهم لأنهم حجج الله على عباده آمرون بالمعروف فاعلون له ، ناهون عن المنكر تاركون له.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ، ولا الأربعون ، كل ما مات منهم رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه ، وأبدل من الأربعين مكانه قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم؟ قال : يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل).

وقد وصف علي عليه السلام حال إخوانهم الماضين ونحن نذكر قوله فيهم ، ففيه زيادة تذكرة لمن أراد أن يتذكر.

روى محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال : (لما قدم أمير المؤمنين علي عليه‌السلام من البصرة بعد قتال أهل الجمل دعاه الأحنف بن قيس ، واتخذ له طعاما ، وبعث إليه وأصحابه ، فأقبل إليه أمير المؤمنين ثم قال : يا أحنف ادع أصحابي . فدعاهم ؛ فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوال ، فقال الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ما هذا الذي نزل بهم ؟ أمن قلة الطعام ؟ أم من هول الحرب ؟ قال : لا يا أحنف إن الله عز وجل إذا أحب قوما تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من فزع يوم القيامة ، من قبل أن يشاهدوها ، فحملوا أنفسهم كل مجهودها ، فكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله عز وجل توهموا خروج عنق من النار يحشر الخلائق إلى ربهم عز وجل ، وظهور كتاب تبدو فيه فضائح ذنوبهم ، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا ، وتطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا ، وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم من أجل المرد إلى الله عز وجل غليانا ، يحنون حنين الوآله في دجا الظلم ، ذبل الأجسام حزينة قلوبهم ، كالحة وجوههم ، ذابلة شفاههم ، خميصة بطونهم ، تراهم سكارى وليسوا بسكارى ، هم سمار وحشة الليالي متخشعون قد أخلصوا لله أعمالهم سرا وعلانية ، فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت العيون ، وهدأت الأصوات ، وسكنت الحركات من الطير في وكورها ، وقد بهتهم ذكر يوم الوعيد ذلك قوله عز وجل : **{أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون}** (1) فاستيقظوا لها فزعين ، وقاموا إلى مصافهم يعولون ويبكون تارة ، ويسبحون ليلة مظلمة بهماء ، فلو رأيتهم يا أحنف قياما على أطرافهم ، منحنية ظهورهم على أجزاء القرآن لصلاتهم ، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم ، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صارت في أعناقهم ، ولو رأيتهم في نهارهم إذا لرأيت قوما يمشون على الأرض هونا ويقولون للناس حسنا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما ، أولئك يا أحنف انتجعوا دار السلام التي من دخلها كان آمنا ، فلعلك شغلك يا أحنف نظرك إلى وجه واحدة تبيد الأسقام عصارة وجهها ، ودار قد

---

1) الأعراف : ٩٧ .

اشتغلت بتقريب فراقها ، وستور علقتها ، والرياح والأيام موكلة بتمزيقها ، وبئست لك دار من دار البقاء ، فاحتل للدار التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤة بيضاء ، فشق فيها أنهارها ، وغرس فيها أشجارها وأظل عليها بالنضيج من أثمارها ، وكنسها بالعواتق من حورها ، ثم أسكنها أولياءه وأهل طاعته ، فإن فاتك ما ذكرت لك فلترفلن في سرابيل القطران ، ولتطوفن بينها وبين حميم آن ، فكم يومئذ في النار من صلب محطوم ، ووجه مهشوم ، ولو رأيت وقد قام مناد ينادي : يا أهل الجنة ونعيمها وحليها وحللها خلود ولا موت ، ثم يلتفت إلى أهل النار فيقول : يا أهل النار ، يا أهل السلاسل والأغلال خلود ولا موت ، فعندها انقطع رجاؤهم ، وتقطعت بهم الأسباب فهذا ما أعد الله عز وجل للمجرمين وذلك ما أعد الله عز وجل للمتقين) .

فقد عرفت صفة أولياء الله تعالى وهم أهل القرآن على التحقيق ، فينبغي أن تتشبه بهم ، وتحمل نفسك على الارتقاء إلى درجاتهم ومنازلهم ، فإن الله تعالى ما حجب عنك عملهم ، ولا سلبك قدرتهم ، ولا أخفى عنك منهاجهم وسبيلهم ، فاهتد بهداهم ، وعليك بعملهم .

واعتمد في قراءتك للقرآن على توفير الخاطر على مثل توفيرهم لخواطرهم ، واخشع خشوعهم ، واجتهد جهدهم ، فإن النار لم تخلق لهم وحدهم ، وإنما خافوا منها فنجوا ، وعرفوا حقيقتها فعجوا إلى ربهم ولجوا ، ولا تفرح بكثرة الختم بغير ترتيل ولا تفهم ولا تخشع ، ولا تحر في الهيئة الفاضلة عند القراءة من كون ذلك في الصلاة ، وعند العجز عنها على الطهارة ، وكون ذلك في المسجد ، وفي الخلوة في بعض الأحايين ، ولا تخل منزلك من قراءة القرآن ليبعد عنك الشيطان ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة ، وتنكبته الشياطين ، واتسع بأهله ، وكثر خيره ، وقل شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبته الملائكة ، وضاق بأهله ، وكثر شره ، وقل خيره) .

ومن هيئة القرآن أن تسجد عند قراءتك لآيات السجدات .

روي أن غلاما قرأ عند النبي ﷺ السجدة ، فانتظر الغلام النبي ﷺ يسجد فلم يسجد ، فقال : يا رسول الله أليس فيها سجدة ؟ قال : (بلى ولكنك إمامنا فلو سجدت سجدنا) وكما أن الصلاة قد تكون في جماعة فالقراءة قد تكون في جماعة ، فاجعل من جملة أورادك وقوفك مع إخوانك المؤمنين الذين يطلبون مطلبك للقراءة في المسجد ، وذلك بأن يستقبلوا القبلة ، ويتعاطوا القرآن بينهم ، يقرأ أفضلهم أولا والآخرون يسمعون ، ثم يقرأ الذي يليه كذلك

ثم الذي يليه ، حتى تدور القراءة بينهم ، فتحصل لهم فضيلة القراءة والاستماع.

وفي حديث النبي ﷺ (ما من قوم يجتمعون فيتلون كتاب الله عز وجل ، ويتعاطونه بينهم إلا كانوا أضيافا لله عز وجل ، وإلا حفت بهم الملائكة حتى يقوموا ، أو يخوضوا في حديث غيره).

وليكن أقل ما تختم فيه القرآن أن تختمه في ثلاثة أيام ، فأما دون ذلك فليس بمستحب ، قال النبي ﷺ : (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه).

وازرع في قلبك تعظيم القرآن ، وتعظيم حامله ، وتعظيم المصحف ، وتعظيم البيت الذي هو فيه ، وتعظيم القرطاس الذي فيه منه ، حتى الكلمة الواحدة ، وقد كان بعضهم لا يدخل البيت الذي فيه المصحف إذا لم يكن طاهرا .

وقد كان عكرمة إذا نشر المصحف غشي عليه ، ويقول : هذا كلام ربي هذا كلام ربي .

ولهذا قال النبي ﷺ : (من رفع قرطاسا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا لله أن يداس كتب عند الله من الصديقين ، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين) .

فإذا ختمت ختمة فتحر أن تكون في أفضل الأوقات ، فإن لك عند كل ختمة دعوة مستجابة ورد ذلك مأثورا ، فإذا كان الوقت فاضلا كان أعجل في إجابة الدعاء .

فهذه هيئة القراءة للقرآن مختصرة .

الإرشاد إلى هيئات الذكر

منها هيئة : وهي أن تقصد إلى الذكر وأنت محب لله غير مشرك بــه في الحب وأمارة ذلك أن تحب من يحب الله ومن يحبه الله ، من ملائكته وأنبيائــه وأوليائــه صلوات الله عليهم أجمعين ، وتبغض من يبغضه الله من العاصين ، وأن تحب ما يحبــه من الطاعات ، وتكره ما يكره من المعاصي فإن هذا هو أمارة المحب الحقيقي ، وأنت إذا أنصفت من نفسك عرفت أن هذا هو أقل حقوق الله عليك ؛ لأنك بذلــك لا تنــزله في نفسك أعلى من منزلة بعض جواريك ، فإنك إذا صدق حبك لها دخل في ضمنه أنك تحب ما تحب وتكره ما تكره ، وتحب من يحبها وتبغض من يبغضها.

وهيئة أخرى

وهو أن يكون قلبك مملوءا من معرفة جلال الله وعظمته ، أمارة ذلك كثرة الحيـاء من الله تعالى بالتواضع والخشوع ، وترك المناهي على العموم ، وأنت تفعل ذلـك في كل من صدقت محبتك له.

وهيئة ثالثة

وهي أن تكون مشتهرا[1] بذكر الله تعالى ، بحيث يظهر أثر ذلك في لسانك وسائر أركانك ، وأنت تفعل ذلك متى أحببت بعض معشوقاتك ، فإنك تصير مشتهرا بـه في النظم والنثر ، ويظهر أثر ذلك على جسدك من الوهن والنحول ، وصفرة الوجـه وغزور العينين ، فلا تجعل معشوقك أعظم من ربك عليك .

وهيئة رابعة

وهي أن تجعل قلبك مستغرقا بالذكر له ، فإن اللسان معبر عن القلـــب فـإذا لم يتحرك القلب فلا فائدة في حركة اللسان فإنه يصير هاذرا عابثا ، وقلبك لا محالـــة يصير مستغرقا بذكر معشوقك ، فلا تجعل ربك أهون عليك من ذكر معشوقك .

---

١) أي مكثرا .

وأمارات استغراق الذكر للقلب أن تنسي غيره عز وجل ، فإن خطر بقلبك غـــيره معه

فأنت ذاكر له غير مستغرق القلب بذكره ، وكم من مستغرق قلبه بذكر بعـــض إماء الله تعالى وهو غافل عن ربه .

وهيئة خامسة

وهي أن تكون في حال ذكرك خائفا لله تعالى ؛ فإن الذاكر الحقيقـــي عـــارف ، والعارف لله ولعظمته وكثرة نقماته وسطواته خائف ، ولهذا تجد أكثر الخلق معرفـــة بالله تعالى أخوفهم من الله عز وجل.

وهيئة سادسة

وهي أن تكون معترفا لربك بالإنعام عليك ، فإن لم تعترف له بالإنعـــام عليـــك فلست بذاكر له ؛ لأن حقيقة الله هو الذي تحق له العبادة ، وإنما تحق له لإنعامه بما لا ينعم به غيره .

وهيئة سابعة

وهي أن تكون راجيا لله عز وجل ، فإن من يبتدئ بالإنعام من غير اســـتحقاق لا يزال يرجى خيره وعفوه وستره .

وأما فضل الذكر فقد تقدم بيانه وقد قال تعالى : {**ولذكر الله أكبر**}[1] وقـــال : {**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**}[2] وقال : {**واذكر اسـم ربـك وتبـتل إليـه تبتيلا**}[3] .

وقال النبي ﷺ : (سبق المفردون ، سبق المفردون قيل : ومن هم المفردون يـــا رسول الله ؟ قال : المشتهرون بذكر الله ، يضع الله عنهم أوزارهم ، فوردوا القيامـــة خفافا) .

---

١) العنكبوت : ٤٥ .

٢) الأنفال : ٤٥ .

٣) المزمل : ٨ .

وقال ﷺ : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من أعطائكم الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : وما ذاك يا رسول الله صلى الله عليك ؟ قال : ذكر الله).

وأما كمال الذكر

فأفضله أن يكون في الصلاة ، وفي المسجد ، ومن المساجد المساجد الأربعة ، والأفضل منها فالأفضل ، وأن يكون في الأوقات الفاضلة ، نحو وقت السحر وما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وما بين زوال الشمس إلى وقت العصر ، ثم إلى وقت المغرب ، ثم إلى وقت العشاء الآخرة على مراتبها. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

فأما الشهور فإنه يكون في شهر رمضان ، ثم في الأشهر الحرم ، ثم شعبان ، ثم المحرم ، وأن يكون رائيا للكعبة ، ومستقبلا لها.

والرتبة الثانية في الفضل : أن ينقص بعض ذلك ، ثم لا يزال يتناقص الفضل بتناقص شروطه حتى يبلغ إلى أدنى الدرجات وهو الذكر لله تعالى في الخلاء عند الغائط ، وفي غير أوقات الفضيلة ، وهو مع ذلك فاضل ، وعلى الجملة فلا ينبغي النسيان لله عز وجل فإنه تعالى يكافئ بالنسيان نسيانا كما يكافئ بالإحسان إحسانا ، ومن نسيه الله عز وجل لم يفلح أبدا قال تعالى : {نسوا الله فنسيهم}[1] وإذا لم تجتمع لك كمالات الذكر فلا تدع هيئاته .

ومن كمالاته استعمال الذكر المأثور عن النبي ﷺ نحو ما قدمنا ذكره ، والإحصاء لجميع ذلك يتعذر هاهنا لطلب الاختصار مخافة الإملال ، ولعدم القراطيس حالة الكتابة أيضا لهذا الكتاب ، والحمد لله على نعمائه .

نعم ــ وقد يبلغ الذكر إلى أدنى درجاته ، ويكون أفضل من ذكر غيره مع اجتماع أكثر الشرائط بأن يقع الخلل في بعض الهيئات .

---

١) التوبة : ٦٧ .

وعلى الجملة فالنسيان لله شؤم حاضر ؛ لأنه عدم الأنيس ، ومن كان بلا أنيس فهو مستوحش ،ومن استوحش في الدنيا لعدم ذكر الله تعالى فوحشته في القبر أعظم ثم عند النشر ، ثم عند الحشر ، ثم عند الحساب والعرض .

وفي مناجاة موسى عليه السلام يا رب أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : تذكروني ولا تنساني) وفيها قال موسى : يا رب أقريب أنت فأناجيك ؟ أم بعيد فأناديك ؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. قال : فأنا أكون على حال أُجِلُّكَ أن أذكرك عليها من جنابة أو غائط ، قال : اذكرني على كل حال).

فهذه هيئة الذكر مختصرة ، ولو ذهبنا إلى شرحها لطال ؛ لأن الذكر معظم الطاعات ولا تتم الطاعات من دونه.

وقيل : إن أحدا لا يعصي وهو ذاكر الله تعالى ؛ لأنه لا يذكره إلا وهو عارف بعظمته وجلاله ، ومن ذلك يتولد الحياء والخجل فلا يقع منه قبيح العمل ، فإن عصي وهو ذاكر بلسانه فليس بصادق الذكر ، بل قد خذله الهوى والشيطان بأن أنساه ذكر العظمة والجلال ، والكبرياء والكمال ، ولا ذكر مع نسيان ذلك لأنه الذي له صفات الكمال وقد ذكرنا فضائل الذكر وأوقاته وشيئا منه ، والإتيان على جميعه يتعذر لقصد الاختصار ، وعدم الورق في حال ترتيب هذا الكتاب .

[فضل الذكر لله سبحانه]

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا قال العبد لا إله إلا الله إلها وأحدا مخلصا ، ونحن له مسلمون. أمر الله الملك أن يكتبها على خطاياه ثم يأمره أن يمحو ما تحتها) .

وكما أن القراءة تكون في جماعة فكذلك الذكر .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المجلس الصالح يكفر عن المسلم المؤمن ألفي ألف مجلس السوء)

وعنه أيضا ﷺ (ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا قد بدلت سيئاتكم حسنات ، وغفر لكم جميعا ، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عدة من الملائكة).

وفي حديث طويل عنه ﷺ يخاطب الله الملائكة في شأن أهل الذكر فيقول : (فأشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون : إن فيهم فلان الخاطئ لم يردهم ، إنما جاء لحاجة فيقول تعالى : هم القوم لا يشقي بهم جليسهم).

فينبغي أيها المريد أن لا تغفل عن الذكر في حال من الأحوال ، فإذا قعدت فاذكر الله تعالى قال الله عز وجل : {**فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**}[1] وقال ﷺ : (ما جلس قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله تعالى إلا تفرقوا عن جيفة حمار ، وكان ذلك المجلس حسرة عليهم إلى يوم القيامة)

فإذا قمت من مجلسك فاذكر الله ، كان النبي ﷺ إذا قام من المجلس قال : (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . ويقول : هذا كفارة المجلس).

وإذا سمعت الرعد فاذكر الله قال النبي ﷺ : (إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا) .

وإذا دخلت السوق فاذكر الله قال النبي ﷺ : (إذا دخل المسلم السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير. كتب الله له بها ألفي ألف حسنة ، ومحي عنه بها ألفي ألف سيئة ، وبني له بيتا في الجنة) .

وعلى الجملة فلا ينبغي أن تدع الذكر لله في حال من الأحوال ، إما بآلتي الذكر وهما اللسان والجنان ، وإما بالقلب عند فترة اللسان .

---

١) النساء : ١٠٣ .

وفي حديث النبي ﷺ (أربع من كن فيه بني الله له قصرا في الجنة ، من كان عصمة أمره لا إله إلا الله ، وإذا أذنب ذنبا استغفر الله ، وإذا أولي خيرا قال : الحمد لله ، وإذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون).

وعنه ﷺ (من تعار من الليل على فراشه فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر اللهم اغفر لي ـــ إلا غفر له ، فإن قام وتوضأ وصلى ركعتين ، ودعا الله عز وجل استجاب الله له).

وهذا يدلك على عظم الذكر وفضله ، وجلالة قدره ، وقد تم بذلك ما أردناه منه هاهنا.

الإرشاد إلى هيئات الدعاء وفضيلته

أما أفضل الدعاء فقال النبي ﷺ : (الدعاء سلاح المؤمن ، وعمود الدين ، ونور السموات والأرض) .

وقال النبي ﷺ : (الدعاء مخ العبادة).

وقال ﷺ : (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء).

فإذا أردت أيها الطالب العبادة لله بالدعاء فعليك بما ذكرناه في هيئات الذكر .

ونفصل الآن ما يختص الدعاء من الهيئات لكونه دعاء .

أما هيئات الدعاء

فتختلف بحسب المقصود به ، وأما هيئة كونه عبادة لله سبحانه فبأن يقوم إليه الداعي وهو يقصد به العبادة ؛ لأن الله تعالى قد أمر به فهو من جملة العبادات قال الله تعالى : {**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**}[1] وقال تعالى : {**فادعوه مخلصين له الدين**}[2] .

والعبادة لا تتم إلا بالنية لقوله ﷺ : (الأعمال بالنيات) فهذه الهيئة الأولى .

---

١) الأعراف : ٥٥ .

٢) غافر : ٦٥ .

وهيئة أخرى لكونه عبادة

وهي أن لا تدعو به فيما يكره الله ، نحو أن تدعو به في قطيعة رحم ، أو ليحصل له مال حرام أو نكاح حرام ، أو لبعض العاصين ، أو غير ذلك فإن ذلك يخرجه عن كونه عبادة ؛ إذ لا يصح أن يكون عبادة والله تعالى يكرهه ، وعلى هذا قال النبي ﷺ : (إذا قال العبد : أي رب. قال الله عز وجل : ادع لنفسك ولخاصتك ، ولا تدع للعامة ، فإن العامة قد أغضبوني) .

وقيل : من هيئة كونه عبادة أن تدعو بشرط المصلحة. وقيل : لا يلزم .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم على المسألة ، وليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظم عليه شيء أعطاه)

وعنه عليه‌السلام (إن الله يحب الملحين في الدعاء) .

وهيئة أخرى

وهو أن يدعو وهو موقن بالإجابة ، تصديقا لقوله تعالى : {**ادعوني أستجب لكم**}[(١)] وإذا دعا وهو شاك فيما وعده به ربه فهو عاص في دعائه ، جدير أن لا يستجاب له.

وعن النبي ﷺ أنه قال : (إن ربكم حي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يده إليه يدعو أن يردهما صفرا).

وبرواية أخرى (إن الله ليستحيي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبتين).

وهيئة أخرى لكونه عبادة

وهو أن لا يكل الأمر إلى غيره فيما دعا فيه ، أو يشرك الغير في ذلك ؛ فإن الآدمي متى علم من الآدمي أنه قد انقطع إليه استحيا أن يخيب رجاءه ، فكيف برب العالمين

---

١) غافر : ٦٠ .

وروي أن جبريل اعترض لإبراهيم عليهما السلام في الهواء حين رمي به في النار فقال : (هل من حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا. قال : فادع الله تعالى . قال : كفي من سؤالي علمه بحالي) .

قال تعالى : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) [1] .

وهيئة أخرى

وهو أن لا يدعو بقلب غافل ، ساه عن الله كما تقدم في هيئة الصلاة.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ادعوا وأنتم موقنون بالإحابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب لاه غافل) .

فأما هيئات كمال الدعاء فهي كثيرة.

منها هيئة : وهي أن يرفع يديه عند دعائه ، ورد مأثورا .

ومنها هيئة أخرى : وهو أن يجعل باطن يديه إلى السماء ؛ لأنها قبلة الدعاء ، ومن حيث يترل الخير إلا في الاستعاذة فيقلب كفيه ، بحيث يكون ظاهرهما إلى السماء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا سألتم الله فاسألوه بباطن الكفين ، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما).

وهيئة كمالية : وهي أن لا يرفع إبطيه عند الدعاء ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا دعوتم الله فلا ترفعوا آباطكم وإذا تجشأتم فلا ترفعوا جشاءكم إلى السماء) .

وهيئة أخرى : وهو أن يمسح وجهه بيديه بعد الدعا ، ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما ، وامسحوا بها وجوهكم) .

وهيئة أخرى : وهو أن يكون الداعي مرضي العمل عند الله عز وجل ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله عز وجل لا يقبل دعاء عبد حتى يرضى عمله) .

وهيئة أخرى : وهي أن لا تستعجل الإحابة لا في حال الدعاء ولا بعده قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل. قيل : يا رسول الله كيف يستعجل ؟ قال : يقول : قد دعوت الله فما أرى الله يستجيب لي) .

---

١) الطلاق : ٣ .

وهيئة أخرى : وهي أن يدعو الله خوفا وطمعا ، وتضرعا وخفية ، كما نطق به الكتاب.

فأما الهيئات التي معها تسرع الإجابة

فاعلم أن الإجابة في الدعاء مقطوع عليها ؛ لورود الكتاب والسنة بذلك ، وإنما تقع الإجابة لمن وقع منه الدعاء ، فإن الدعاء عبادة مخصوصة ، فما أفسد كونه عبادة من رياء أو غفلة أو عزوب نية أو غير ذلك أفسد كونه دعاء.

وأيضا فالإجابة تقع بأحد أمور ثلاثة ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما من مسلم دعا بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ، ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال ، إما أن يعجل له دعوته ، وأما أن يدخر له في الآخرة ، وأما أن يدفع عنه من السوء مثلها).

والهيئات التي تسرع معها الإجابة كثيرة.

منها : أن يبتدئ الداعي بتطهير نفسه من الذنوب ، فيكون أول دعائه الاستغفار ، فإن من وقف بين يدي ملك يطلب منه جميع حوائجه وهو مذنب إليه ، مخالف عليه منتهك لنواهيه ؛ فإنه جدير أن لا يقضي له حاجة وإن قلت ؛ فكيف لمن يقف بين يدي مالك الملوك ورب الأرباب يطلب منه الدنيا والآخرة ولا يجدهما إلا عنده ؛ ولهذا قال تعالى : {**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا**}[1] فأبان أن استنزال الرزق بالاستغفار.

وقال عليه السلام : (خير الدعاء الاستغفار) .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستسقي فربما لا يزيد على الاستغفار ، وقال عليه السلام : (خير الدعاء الاستغفار ، وخير العبادة الاستغفار ، وخير القول لا إله إلا الله ، وذلك قوله تعالى : {**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**}[2]) .

فينبغي للداعي إذا لم تحصل له الإجابة أن يستخين نفسه ويقول : إن ربك قد وعدك الإجابة ، وربما كان يعجل لك لو كنت على هيئة سرعة إجابة الدعاء ، ثم

---

١) نوح : ١٠ ــ ١١ .

٢) محمد : ١٩ .

يصلح من نفسه ما قد أفسد ، ويفتقد مطعمه ومشربه ومنكحه وملبسه ومكسبه ، ويخرج من جميع ما نهى الله عنه ، ويضمر الندم ، ويعزم على ترك المنهي عنه في المستقبل.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : وقد ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ، فمطعمه حرام ، وملبسه حرام ، فأنى يستجاب لذلك).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من أحب أن يستجاب له فليطب مكسبه).

وهيئة أخرى للإجابة

وهي أن تدعو الله تعالى بأحب أسمائه إليه ، فتبتدئ بعد الاستغفار بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ؛ ولهذا قال الله تعالى : {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**}[1] .

ويختار من ذلك ما هو مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن علي عليه السلام ، وأجناسه موقوفا ومسندا ، نحو ما روي (يا من أظهر الجميل وستر القبيح) إلى آخره .

ونحو ما روي (يا من أقر له بالعبودية كل معبود ، يا من يحمده كل محمود) إلى آخره .

وغير ذلك مما لم يمكن شرحه لطوله ، وقلة الورق ومخافة الإملال .

وهيئة أخرى

وهي أن تصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قال : (ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا فعل ذلك انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء ، وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء)

---

١) الأعراف : ١٨٠ .

وهيئة أخرى

وهي أن يكون الدعاء عقيب قراءة شيء من القرآن ، وعقيب الصلاة ؛ فتبتدئ بالصلاة ، ثم تقرأ شيئا من القرآن مثل فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، والآيتين من سورة آل عمران كما تقدم ، وقل هو الله أحد ، ثم الابتداء بأسماء الله الحسنى ، ثم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بالاستغفار ، ثم يدعو بما أحب.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لكل من أدى فريضة عند الله دعوة مستجابة) .

وهيئة أخرى :

وهي أن يختار للدعاء أوقات الفضيلة ، وهي من الليل ما بين المغرب والعشاء ، ووقت السحر وهو آخر الليل ، ونصف الليل أيضا من كل ليلة ، ومن النهار من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، وما بين الزوال إلى صلاة الظهر ، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وما بين الأذان والإقامة ، وهذا من الساعات.

ومن الأيام يوم الجمعة كله لأنه فيه ساعة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له ، ويوم الصيام ، وفي رمضان أفضل ، ويومي العيد والأيام العشر ، ويوم عاشوراء .

ومن الليالي ليالي الأيام التي ذكرناها .

ومن الشهور رجب ، وشعبان ، ورمضان .

ونحن نذكر الآن شيئا من الأخبار .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد : هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من مكروب فيفرج عنه ، ولا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها ، أو عشارا) .

وقال في السحر : (إن الله تعالى في آخر ساعة تبقي من الليل يأمر بباب من أبواب السماء فيفتح ، ثم ينادي ملك يسمع ما بين الخافقين إلا الأنس والجن : هل من مستغفر فيغفر له هل من تائب فيتاب عليه ، هل من داع بخير يستجاب له ، هل من سائل يعطي سؤله ، هل من راغب يعطي رغبته ، يا صاحب الخير هلم ، يا صاحب

الشر أقصر ، اللهم أعط منفق مال خلفا ، اللهم وأعط ممسك مال تلفا ، فإذا كان ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره) .

وعنه ﷺ أنه قال : (والذي نفسي بيده إن دعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في الحاجة من الضارب بماله في الأرض) .

وقد بينا ما ورد في سائر الأوقات من الفضل .

وقال عليه السلام : (إذا أذن المؤذن فتحت أبواب السماء فلا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة) .

وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد) .

وهيئة أخرى للداعي

وهي أن يكون مسافرا ، أو مريضا ، أو مجاهدا في سبيل الله ، أو حاجا إلى بيت الله ، أو يكون والدا لولده ، أو يكون داعيا عند نزول المطر ، أو عند رؤية الكعبة ، أو يكون الداعي صائما ، أو مظلوما ، أو يكون داعيا لأخيه المسلم بظهر الغيب ، أو يكون الدعاء من أطفال الذرية الطاهرة عليهم السلام ، أو يكون دعاؤه عند رقة القلب وحصول الخشوع والبكاء ، فإن ذلك يؤذن بسرعة الإجابة.

قال النبي ﷺ : (خمس دعوات مستجابات : دعوة المظلوم حتى ينتصر ، ودعوة الحاج حتى يصدر ، ودعوة المجاهد حتى يقفل ، ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب وأسرع هذه الدعوات دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب).

وعنه ﷺ أيضا (دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته) .

وعنه ﷺ (إذا دخلت على مريض فليدع لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة) .

وعنه ﷺ (تفتح أبواب السماء ، ويستجاب دعاء المسلم عند إقامة الصلاة ، وعند نزول الغيث ، وعند زحف الصفوف في سبيل الله ، وعند رؤية الكعبة).

وقال النبي ﷺ : (دعاء أطفال ذريتي مستجاب ما لم يقارفوا الذنوب) .

وعنه أيضا ﷺ (ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المسافر ، ودعوة الصائم ، ودعوة المظلوم) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة ، ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام)

نعم ـــ وينبغي للمسلم أن لا يدع الدعاء على كل حال ، فإن من أدمن قرع بـاب ولج .

وفي حديث النبي عليه السلام (لا يرد القضاء إلا الدعاء) .

ومن حديثه عليه السلام (لن ينفع حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم يـنزل ، فعليكم بالدعاء).

وروي أن وهب بن منبه دعا الله تعالى أن يرفع عنه النوم بالليل ، فذهب عنه النوم أربعين سنة.

وكان لوهيب بن الورد جراب فيه سويق فخرقتها الفارة فدعا عليها وقال : "اللهم خذها فخرجت واضطربت وماتت" .

وعن يوسف بن المنكدر قال : "أودع خراساني عند أبي أربعمائة دينار ، وأذن لـه أن ينفقها بشرط الرد ، فأنفقها ، وقدم الخراساني من الحج وطلب المال ، فقال أبي : ارجع غدا إلي لأرده إن شاء الله ، وقام تلك الليلة وتوضأ وصلى وقال : إلهي انقطع رجائي من الخلق ، وأنت ثقتي ورجائي فلا تفضحني ، فإذا رجل دفع إليه منديلا فيه أربعمائة دينار ، وقال : اجعلها في حاجتك" .

وعن هارون بن بلال قال : "خرج رجل غازيا وكان له امرأة حامل فقال : اللـهم استودعك ما في بطنها ، فخرج ، وتوفيت المرأة ودفنت ، وذكر الناس أنهم يـرون نورا عند ذلك القبر ، وعاد الرجل فإذا امرأته ميتة ، وأخبر بذلك النور فراقبه فـرآه ؛ فنبش القبر فإذا الابن يرتضع من ثدي أمه ، فهتف به هاتف : اسـتودعت الولـد فرددناه عليك ، ولو استودعت الأم لرددناها أيضا.

وخرج الحسين بن علي عليهما السلام ليلة إلى المسجد ، فلما انتهى إلى البـاب رمـي بطرفه إلى السماء وقال : "اللهم غلقت الملوك أبوابها ، وقام عليها حراسها ، وبـابك مفتوح لمن دعاك" . ثم صلى ركعتين وأنشأ يقول :

يا ذا المعالي عليك معتمـــدي — طوبى لمن كنت أنت مـــولاه

طوبى لمن كان خائفا وجـــلا — يشكو إلى ذي الجلال بلـــواه

ومـــا بـــه علـــة ولا ســـقم — أكـــبر مـــن حبـــه لمـــولاه

إذا اشـــتكى بثـــه وحاجتـــه — أجابـــــه الله ثم لبـــــاه

فسمع صوتا من السماء

لبيك عبدي فأنت في كنفـــي — وكلما قلـــت قـــد علمنـــاه

صوتـــك تشـــتاقه ملائكـــتي — فحسبك الصوت قد سمعنـــاه

لو هبت الريـــح في جوانبـــه — خـــر صريعـــا لمـــا تغشـــاه

دعاك عبدي يجول في حجـــبي — وذنبك اليـــوم قـــد غفرنـــاه

سلني بلا حشمة ولا رهـــب — ولا تخفـــني فـــــإني الله

وروى أن أيوب السجستاني وهو من عباد الله الصالحين (أنه خرج مع نفـــر مـــن أصحابه ، فترلوا بالليل في بعض الطريق ، فلما استراحوا قال أصحابه : لـــو كـــان هاهنا ماء نتوضأ ، ونأخذ في الصلاة قال : هل تكتمون ؟ قالوا : نعم .فرفع يديـــه وقال : اللهم ارزقنا ماء . فإذا بعين من ماء ، فتوضؤا وصلوا ، وكان غزير الدمعـــة كثير البكاء ، وإذا هاج دمعه قال : "ما أشد الزكام يتستر في العبادة والخشوع" .

ولما حبس عبيد الله بن زياد ـــ لعنهما الله ـــ ابن أخي صفوان بن محمد ، وكـــان صفوان من العلماء الزهاد حزن عليه حزنا شديدا ، فكلمه الناس فيه فلـــم ينجـــع ، فرأى في المنام وهو في مصلاه أن قائلا يقول : "أطلب حاجتك من وجهها" . فقـــام وتوضأ وصلى ودعا ، فإذا الباب يضرب فقال : من هذا ؟ فقال : ابن أخيك قـــال : سبحان الله كيف حالك ؟ قال : انتبه الأمير في هذه الساعة فدعا بالبواب ، وفتـــح أبواب السجون فنادى مناد أين ابن أخي صفوان أخرجوه ، فأدخلت على عبيـــد الله فقال : قد منعت النوم منذ الليلة لأجلك ، خذ كيف شئت.

فهذا في الدعاء وقدتم الأصل الثاني بذلك والحمد لله رب العالمين .

الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بالزكاة

وهو الأصل الثالث من أصول الدين وفيه سبع معارف .

الأولى : وجوب الزكاة .

المعرفة الثانية : فيما تجب فيه الزكاة .

المعرفة الثالثة : في سبب وجوب الزكاة .

المعرفة الرابعة : في كمية الزكاة .

المعرفة الخامسة : في من توضع فيهم الزكاة .

المعرفة السادسة : في من تحرم عليه الزكاة .

المعرفة السابعة : في كيفية إخراج الزكاة .

المعرفة الأولى وهي وجوب الزكاة

اعلم أن الزكاة كالصلاة في الوجوب ولا ينفع إحداهما دون الأخرى قال الله تعالى : **{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}**(١) وقال تعالى : **{خذ من أموالهم صدقة}**(٢) وقال تعالى : **{والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون}**(٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (مانع الزكاة وآكل الربا حرباي في الدنيا والآخرة) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء حقا قدر ما يسعهم ، فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا ، وعذبهم عذابا نكرا) .

---

١) البقرة : ٤٣ .

٢) التوبة : ١٠٣ .

٣) التوبة : ٣٤ ـــ ٣٥ .

وعنه عليه السلام في آخر حديث (ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أسمن ما كانت وأعظمه تطأه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها ردت أولاها على أخراها).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت صفائح من نار فحمم عليها في نار جهنم فيكوي بها جنبه وجبهته)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن لله بقاعا يسمين المنتقمات يصب عليهن من منع ماله من حقه فينفقه فيهن) .

وعنه عليه السلام (لا تقبل صلاة إلا بزكاة ، ولا تقبل صدقة من غلول).

المعرفة الثانية فيما تجب الزكاة

اعلم أن الزكاة تجب في النفس ، وتجب في المال .

فأما زكاة النفس فهي صدقة الفطر ، وأما الأموال التي تجب فيها الزكاة فهي سبعة أصناف : أحدها : الذهب .وثانيها : الفضة.وثالثها : بهيمة الإنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم .ورابعها : ما أخرجت الأرض من مكيل أو غير مكيل .وخامسها : العسل .

وسادسها : أموال التجارة سواء كانت من الأصناف المتقدمة أو من غيرها.

وسابعها : المستغلات وماعدا ذلك لا تجب فيه الزكاة ، وبيانه مفصلا في الفقه.

المعرفة الثالثة سبب وجوب الزكاة

اعلم أن أسباب وجوب الزكاة تختلف بحسب اختلاف ما يزكي .

أما زكاة النفس وهي الفطرة فلوجوبها ثلاثة أسباب : إسلام من وجبت عليه ، ودخول يوم الفطر عليه ، وهو أول يوم من شوال ، ووجوده لقوت عشرة أيام له ، فإن وجد قوت عشرة أيام له ولمن وجبت عليه نفقته ، من زوجته ، أو عبده ، أو ذي رحمه ، وجبت عليه صدقة الفطر عنهم .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (فإن وجد له ولبعضهم هذا القدر وجبت عليه له ولهم) .

وأما زكاة الأموال

فلوجوبها أربعة أسباب أحدها : إسلام المالك ، أو كون أحد أبويه مسلما ؛ لأنها تجب في مال اليتيم .

وثانيها : ملكه للنصاب في الذهب عشرون مثقالا ، والمثقال وزن ستين حبة من الشعير الأوسط .

والنصاب في الفضة مائتا درهم ، والدرهم سبعة أعشار المثقال ، اثنتان وأربعون حبة من الشعير الأوسط .

والنصاب في الإبل أن تبلغ خمس ذود.

والنصاب في البقر أن يبلغ ثلاثين بقرة أو ثورا .

والنصاب في الغنم أن تبلغ أربعين شاة .

والنصاب في المكيل أن يبلغ خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعا ، والصاع خمسة أرطال وثلث ، ولكن الاعتبار بالكيل .

ونصاب ما لا يكال مما أخرجت الأرض أن تبلغ قيمة كل جنس مائتي درهم إما دفعة واحدة ، أو دفعات في السنة الواحدة.

ونصاب العسل أن تبلغ قيمته ما ذكرناه في السنة أيضا .

ونصاب أموال التجارة كذلك ، يعتبر بالقيمة ، وهي أن تبلغ قيمته مائتي درهم .

ونصاب المستغلات أن تبلغ قيمة ما يستغل من الدور والحوانيت وغيرهما مائتي درهم سواء بلغت الغلة هذا القدر أم لا .

ولا يضاف صنف إلى صنف ليكمل النصاب إلا الذهب والفضة فإنه يضاف أحدهما إلى الآخر ليكمل النصاب ، فهذا هو السبب الثاني في وجوب الزكاة.

وأما السبب الثالث

فهو أن يحول على المال الحول وهو نصاب ، ويعتبر بطرفي الحول ، وهو أن يملك النصاب في أول الحول وآخره ، ما لم يهلك كله في وسطه ، ولا يعتبر بما تناقص في وسط الحول .

وهذا في غير ما أخرجت الأرض .

فأما ما أخرجت الأرض فبدل هذا السبب سبب آخر سواه رابع :

وهو أن يبلغ إلى حال الحصاد أو الجذاذ وهو ما يقدر كونه نصابا ، فإذا كان كذلك وجبت فيه الزكاة ، وإن بلغ هذا الحال وهو دون النصاب اعتبر بالحول ، فإن جاء في الحول من الصنف الواحد من ذلك ما يكون نصابا وجبت فيه ، وإلا لم تجب فيه

المعرفة الرابعة في كمية الزكاة

اعلم أن مقدار الزكاة يختلف باختلاف المزكي .

أما زكاة النفس وهي صدقة الفطر فهي صاع من بر ، أو صاع من شعير ، أو صاع من ذرة ، أو غير ذلك مما يأكله المزكون ، أو قيمة الصاع .

وأما زكاة الذهب والفضة فهي ربع العشر ، وكذلك زكاة أموال التجارة والمستغلات .

وأما زكاة العسل وما أخرجت الأرض فهو العشر ، إلا أن يكون ما أخرجت الأرض مما يسقى بالدوالي وجنسها فهو نصف العشر .

وأما زكاة الإنعام فهي تختلف باختلافها.

أما البقر : ففي كل ثلاثين تبيع أو تبيعة ، وفي كل أربعين مسن أو مسنة .

وأما الغنم : ففي كل أربعين شاة إلى أن تبلغ مائة وعشرين شاة ، فإذا زادت واحدة ففيها شاتان إلى أن تبلغ مائتي شاة ، فإذا زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى أن تبلغ أربعمائة شاة إلا واحدة ، فإذا بلغت أربعمائة كان في كل مائة شاة كلما زادت الغنم بلغت ألفا أو زائدا .

وأما زكاة الإبل ففي كل خمس من الإبل شاة ، إلى أن تبلغ أربعا وعشرين ، فإذا زادت واحدة ففيها ابنة مخاض ، فإن لم يوجد فابن لبون يجزي عنها إلى أن تبلغ خمسا وثلاثين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لبون إلى أن تبلغ خمسا وأربعين ، فإذا زادت واحدة ففيها حقة إلى أن تبلغ ستين ، فإن زادت واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمسا وسبعين ، فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون ، إلى أن تبلغ تسعين ، فإن

زادت واحدة ففيها حقتان إلى أن تبلغ مائة وأربعا وعشرين فإن زادت واحدة ففيها حقتان وشاة ، وتستأنف الفريضة فيما زاد على مائة وعشرين على حساب ما تقدم

وقد قيل : إذا كثرت الإبل بعد ذلك كان في كل خمسين حقة ، وفي كل أربعين ابنة لبون وهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

المعرفة الخامسة فيمن توضع فيهم الزكاة

الذين توضع فيهم الزكاة ثمانية أصناف وهم المذكورون في قوله تعالى : {إنما **الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**}[1] والمسكين أضعف من الفقير ، والعامل : الجابي لها. والمؤلف : العصاة الذين لا يستغني عنهم الإمام لدفع مضرة عن الدين ، أو جلب منفعة إلى الدين .

والرقاب : المكاتب يعان في أداء كتابته . وفي سبيل الله : المجاهد . وابن السبيل : مارة الطريق ، ولا تكمل الثمانية إلا في زمن الإمام فقط ، ويشترط فيهم الورع إلا المؤلف .

المعرفة السادسة فيمن تحرم عليهم الزكاة

اعلم أن الصدقة قد تحرم لأجل النسب ، كما تحرم على بني هاشم ومواليهم ، بحيث لا تحل لهم إلا بعد أن لا يتمكنون من أكل الميتة فيحل لهم الاستقراض منها .

وقد تحرم لأجل الأحوال التي يجوز تغيرها ؛ فلهذا تحرم في حال دون حال ، من غير ضرورة ، وأهل هذه الأحوال ثلاثة الغني حتى يذهب ماله ويفتقر ، والكافر والفاسق حتى يتوب ويرجع ، ومن تلزمه نفقته من الأقارب حتى يحصل ما يمنع من لزوم نفقته ، نحو أن يحصل له ابن معسر وله أخ موسر ، فتسقط نفقة الابن عن سائر أقاربه ، ويجوز لهم دفع الزكاة إليه.

---

١) التوبة : ٦٠ .

المعرفة السابعة في كيفية إخراج الزكاة

ينبغي أيها الطالب للنجاة أن تحافظ في أمر الزكاة ست محافظات.

المحافظة الأولى

أن تخرجها في وقتها على التعجيل فلا تؤخر ما يتعلق بالحول عند كمال الحول ، وما يتعلق بالحصاد عند الاستحصاد ، وما يتعلق بالجذاذ عند صلاح الجذاذ ، وما يتعلق باليوم عند ذلك اليوم ، نحو صدقة الفطر فإنها تعلق بيوم عيد الفطر من طلوع الفجر إلى آخره ، وأفضل ذلك إخراجها قبل صلاة العيد في ذلك اليوم .

فإن أخرتها أعني الزكاة عن وقتها كنت كمن آخر الصلاة عن آخر وقتها ؛ فإنه لا صلاة إلا بزكاة ، ورد مأثورا .

وروى عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل فقال : يا رسول الله قول الله : {**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**}[1] ما هم ؟ قال عليه السلام : (لا يعاتب الله المشركين ، أما سمعت ما قال الله {**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**}[2] ألا إن الماعون الزكاة ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ما خان الله أحد شيئا من زكاة ماله إلا مشرك).

وإذا تركها في وقت وجوب أدائها فقد خان الله ورسوله إذا كان متعمدا غير مضطر إلى تركها في وقتها كالصلاة ، ويكون غالا لها ، وقد قال ﷺ : (الغلول من جمر جهنم) وقال عليه السلام : (لو لم تغل أمتي ما قوي عليهم عدوهم) .

المحافظة الثانية

أن يتجنب إنفاق الخبيث في الزكاة ، فلا يخرج الحرام عن الحلال ، ولا الأدون عن الأعلى فإن ذلك لا يجوز ولا يجزي ، ولايتقبل ، قال الله تعالى : {**ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه**)[3] .

---

١) فصلت : ٦ ـــ ٧ .

٢) الماعون : ٤ ـــ ٧ .

٣) البقرة : ٢٦٧ .

وقال ﷺ : (إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب) .

وقال عليه السلام : (سبق درهم مائة ألف درهم .قالوا : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : كان لرجل درهما فتصدق بأجودهما ، وانطلق الآخر إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها) .

وعن حاتم الأصم "أراكم تفسدون الطيب وتطيبون الفاسد ، وتأكلون من الطعام ألذه ، وتلبسون من اللباس أرقه ، وتمسكون لأنفسكم من كل شيء أنفسه ، ويرجع ذلك إلى الكنيف والبلى ، وتصدقون بالخشن والخلقان ، وبذلك نجاتكم وهو ذخائركم) .

وعن أبي هريرة {يتزوج أحدكم فلانة بالمال الكثير ، ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة}.

فأما صدقة الفطر فتجزي مما يستنفقه المزكون ومن غيره ، والأفضل من الأعلى .

المحافظة الثالثة

النية : يجب أن تنوي بما تخرجه أداء الحق الواجب عليه على التعيين ، فتنوي هذه الشاة عن زكاة الغنم ، وهذه الشاة عن زكاة الإبل ، وهذا الدرهم عما يلزم من زكاة النقد سواء عينه عن أموال التجارة أو الذهب أو الفضة أو المستغلات ، أو لم يعين .

ويخرج هذا الصاع عما يلزمه من صدقة الفطر في هذا اليوم ، ولو أخرج عمن يلزمه نفقته ونوى ذلك عما يلزمه لصح ؛ لأنه واجب عليه لا عليهم ، فإنه إذا كان مع أحدهم نفقة عشرة أيام لنفسه سقط عن قريبه نفقته ، ولم يجب عليه إخراج الفطرة عنه ، فإن غفل عن النية لم يكن ما أخرج مجزيا ، ولا قربة ، كما في سائر العبادات والقرب .

المحافظة الرابعة

أن يتخير لصدقته محلا تزكو به الصدقة ؛ فإنها طهارة ماله ، وإنما يطهر باليد الطاهرة كما أن النجس إنما يطهر بالماء الطاهر لا بالنجس ، واليد التي تزكو بها الصدقة إما يد الإمام أو من يوليه ؛ لأنه لا يجوز أن يتعداه مع وجدانه .

وأما يد الفقير المؤمن ، فطهارات الأيدي تتزايد ، فيد ذي الرحم العالم الورع الزاهد المجاهد بآلات الجهاد الفقير الصابر أطهر الأيدي ، ثم ما نقص من هذه الصفات نقصت الطهارات المقصودة في الزكاة مع تمام الأجزاء، إلا أن ينقص الورع أو يزول الفقر ارتفعت الطهارة المعتبرة في ذلك ، فلا يحل مع ذلك صرف الزكاة إليه

المحافظة الخامسة

الكتمان فإنه ينبغي للمزكي أن يغتنم الكتمان في الصدقة ما أمكن ، فإنه أحب إلى الفقير ، ومحبوبه محبوب الله تعالى ، وأبعد من الرياء ، والرياء يحبط الأعمال ويفسدها

ومن كلام النبي ﷺ (صدقة السر تطفئ غضب الرب) .

وروي (صدقة الليل تطفئ غضب الرب) .

وقال تعالى : {**وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**}[1] الآية ، اللهم إلا أن يكون طالبا أن يقتدى به ، من غير فساد يعترض في قلبه ، فإن أبداها حسن ، ولهذا قال عليه السلام : (صدقة النهار تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار) .

المحافظة السادسة

أن يعطي بوجه طلق مستبشر مع ذلك ، بسكينة ووقار وتذلل وتواضع لمن يعطيه واعتراف أنه منعم عليه بقبولها وأخذها منه ، إذ أماط عنه الأذى ، وطهر له ماله ، وزكي له عمله فإنه ولي الله وواليه على أهل الأموال ، وإنما عليه القبض فقط ؛ وإلا فهي تصير بيد الله عز وجل فيربيها كما يربي الواحد فلوه أو فصيله . ورد ذلك مأثورا .

وقال تعالى : {**وأقرضوا الله قرضا حسنا**}[2] وإنما الذي يقبض هذا القرض هو الفقير ، وإنما يكون حسنا متى أقبضه وكيله عز وجل على حسب رضاه ، من تواضع وسكينة وتذلل ، واعتراف بالفضل له لكونه موضع الكنز الذي ينفع .

---

١) البقرة : ٢٧١ .

٢) الحديد : ١٨ .

وكان علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام إذا أعطي سائلا قبل يده ، فسئل عنه فقال : إنها تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع بيد العبد .

وكان إبراهيم بن أدهم إذا جاءه سائل دخل المترل فيقول : (جاءكم رسول المقبرة فهل توجهون إلى أهليكم بشيء) ؟.

وكان الثوري يقول : "جاءكم الغسالون يغسلون ذنوبنا" .

فهذا هو الأصل الثالث من أصول الدين

الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بالصوم

وهو الأصل الرابع من أصول الدين ، ونذكر فيه خمسة فصول :

فصل في فضيلة الصيام .

وفصل في كيفية الصيام .

وفصل في معرفة الصوم الواجب .

وفصل في معرفة الصوم المسنون .

وفصل في معرفة الصوم المكروه .

الفصل الأول في فضيلة الصيام

اعلم أيها الطالب أن الصوم من أعظم الطاعات وأقربها موافقة لمرضاة الله عز وجل ، وذلك أنه مختص بخصال الخير كلها.

منها : أن الصوم يذل النفس ويكسرها بانكسار شهوة البطن والفرج ، بمجرد الامتناع عن الأكل ، فيعرف العبد ذله وحقارته ، وعظمة الله وجلالته فيكسبه ذلك الخوف والخشية والخشوع والذلة ، ويمنعه من الكبر والاستطالة ، ويلزمه السكينة والوقار ، ويحصنه من جميع آفات البطن والفرج ، وهو معظم المعاصي كما قدمناه ، من أن البطن إذا امتلأ تحركت آلات المعاصي كلها ، فكفى في فضله أن يكون حجابا عنها ، فإنه إذا كان كذلك كان بابا لجميع الطاعات .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لكل شيء باب وباب العبادة الصيام) .

ومن فضائله أنه جهاد لأعداء الله تعالى من شياطين الجن والإنس ؛ فإنهم إنما يأتون في الأغلب من قبل الشهوتين ، شهوة البطن وشهوة الفرج ، فمتى حصنهما العبد بالصوم لم تقدر الشياطين على الدخول عليه ، ويكون قد هزمهم وكسر صفوفهم ، وردهم خائبين فيكون ملتزما بأمر الله تعالى بمجاهدة أعدائه ، وهذا معنى قوله : {إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش} .

وهو المراد بقوله عليه السلام في صفة رمضان : {إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر) .

وعلى هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : (الصيام جنة وحصن حصين من النار) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لو أن رجلا صام لله يوما تطوعا ، وأعطى ملأ الأرض ذهبا لم يستوف أجره دون يوم الحساب) .

ومن فضائله أنه من أخفى الأعمال وأخلصها عن الرياء ، وأسلمها من الآفات المعترضة للطاعات ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم قال الله تعالى : الصوم لي وأنا أجزي به) .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (فضل عمل السر على العلانية بسبعين ضعفا ، وفضل عمل العلانية على السر بسبعين ضعفا إذا أراد أن يتأسى به) .

وفضائل الصوم لا تخفي وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن في الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل معهم أحد غيرهم ، فيقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد) .

وقال عليه السلام : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظامئة أكبادهم وعزتي لأروينهم اليوم قال : فيؤتى بالصائمين فتوضع لهم الموائد ، فإنهم ليأكلون والناس يحاسبون) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح) .

وقال عليه السلام : (وكل الله ملائكة بالدعاء للصائمين) .

وقال ﷺ : (من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين جهنم خندقا كما بين السماء والأرض) . فهذا في فضله.

الفصل الثاني في كيفية الصيام

اعلم أن الصيام له هيئة مخصوصة لا يكون صوما إلا معها ، ونحن نذكر هيئاته مختصرة.

الهيئة الأولى : النية ؛ فإن الصوم من جملة العبادات ، والأعمال بالنيات كما ورد مأثورا .

والنية هي القصد والإرادة ، فينبغي أن يقصد بصومه عبادة الله والتقرب إليه ، ويريد ذلك إرادة خالصة عن كل شائب .

فأما محل النية فكل صوم يكون متعينا في يوم مخصوص فإن نيته يجوز تقديمها في الليل ، ويجزي تأخرها إلى قبيل آخر جزء من ذلك النهار ، نحو رمضان ، والنذور المعينة ، وصوم التطوع .

وكل صوم واجب في الذمة ووقته غير معين يجب تقدم النية له قبل طلوع الفجر كالقضاء والكفارة ، والنذور غير المعينة .

فأما مقدار ما يجزئ من النية فيجزئ منها إرادة عين المنوي ، فينوي مثلا أنه يصوم غدا من رمضان ، أو من قضاء ما فات عليه من رمضان إن كان عليه قضاء و لم يكن في رمضان

فأما ما تكمل به النية وتعظم به العبادة بالصوم فهو أن يتصور بقلبه كل ما أراده الله منه بالصوم ، ثم ينويه ، نحو أن ينوي أنه يصوم رمضان الذي افترضه الله عليه ، وأنه تعبده بذلك ، وأنه يمسك عما أراد الله الإمساك عنه ، ويفعل ما أراد الله فعله ، وغير ذلك مما نبينه في الهيئات إن شاء الله تعالى .

الهيئة الثانية للصوم

الإمساك عن إمرار شيء في الحلق طعاما أو شرابا ، أو غير ذلك ، والإمساك عن استعمال الفرج ، إما بجماع أو بإنزال المني عمدا من غير احتلام ، هذه الهيئة هي

حبس الشهوتين شهوة البطن ، وشهوة الفرج ، فإن منهما معظم الآفات كما سبق بيانه ، فالله تعالى شرع الصيام لتضعيف قوتهما ، وكسر حدتهما لتخف مؤنة الطاعة على العبد ، ويجب أن يكون الإمساك عن ذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس

وقد روي أن الصائم إذا نظر إلى الطعام سبحت أعضاؤه . وقال ﷺ : (من بات في خفة من الطعام والشراب تداكت ـــ يعني رقصت ـــ حوله الحور العين حتى يصبح)

الهيئة الثالثة

الإمساك عما يكره الله عز وجل من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك .

وإنما يتم ذلك بحبس الجوارح كلها عن استعمال المعاصي على ما شرحنا من تعريفها ، واختصاص كل جارحة بقسط منها ، وهذا الإمساك بنفسه صوم وإن لم تقارنه الهيئة الأولى والثانية .

ولهذا قال النبي ﷺ : (كف اللسان عن أعراض الناس صيام).

ولا يحصل الصوم المرضي وهو صوم الخواص من دون هذه الهيئة الثالثة ، وإن حبس العبد الشهوتين ، ونوى القربة إلى الله تعالى والعبادة ـــ متى اهمك في المحرمات ولهذا قال النبي ﷺ : (من لم يدع الخنى والكذب فلا حاجة لله عز وجل في أن يدع طعامه وشرابه)

وقال عليه السلام : (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) .

وقال عليه السلام : (ما صام من ظل يأكل لحوم الناس).

وإنما سمي الإمساك عن قضاء الشهوتين صوما مع النية وإن لم يقع الإمساك عن المحرمات ؛ كأنه لكونه إمساكا عن بعض ما حرم الله ، ومسقطا به وجوب القضاء تفضلا من الله تعالى ، وإلا فهو صيام العوام ، متى لم يقترن به ما ذكرنا من الإمساك ولهذا قال النبي ﷺ : (الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر) فجعل الله له مثل أجر الصائم الصابر ؛ وذلك لأنه صائم عن المحرمات وقائم بالواجبات ،

والإمساك عن المحرمات صوم وإلا فهو لا ينزل منزلة الصائم صوم الخواص الأولياء فافهم ذلك .

الهيئة الرابعة

وهي من كمال الثالثة أن يعتصم بالصيام من كل ما يعترضه من الآثام ، ويجعل ذلك العلة في الإمساك عن الحرام ؛ لتذعن النفس إلى قبول ذلك منه ، فإنه لو صرفها من دون تعلل بعلة ربما تصعبت عليه ، وإذا كان هناك علة سهل عليها الانقياد له في المراد ، ولو طلب أحدها من صديقه حاجة فقال : لا أقضيها لك لصعب عليه ذلك ومتى اعتل له بعدمها عنده ، أو بأنه مشغول بأمر مهم ـــ سهل عليه ذلك ، وإن كان لم يقضها له في الحالتين جميعا .

وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما من عبد يصبح صائما فيشتم فيقول : سلام عليك إني صائم إلا قال الله عز وجل استجار عبدي من عبدي بالصيام فأدخلوه الجنة) .

وقال عليه السلام : (إذا أصبح أحدكم يوما صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه فليقل : إني صائم ، إني صائم) .

وعنه أيضا عليه السلام (من أصبح صائما فشتم فقال : إني صائم ، سلام عليكم . قال الرب جل وعز : استجار عبدي بالصوم من عبدي أجيروه من ناري ، وأدخلوه جنتي).

الهيئة الخامسة

أن يرفع الصائم عن نفسه هيئة الجوع والعطش ، بأن يدهن ، ويكتحل ، ويتطيب ، ويتهيأ هيئة من نال الشهوتين جميعا حلالا ، وفائدة ذلك استمرار الكتمان لهذه العبادة فإن الكتمان فيها متيسر ، وهو أبعد من الرياء ، وأقرب إلى الإخلاص .

وعلى هذا قال ابن مسعود : "أوصاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أصبح يوم صومي دهينا مترجلا ولا تصبح يوم صومك عبوسا" الخبر.

ومتى نازعتك نفسك إلى إظهار هذه العبادة فاعرف أنها النفس الأمارة بالسوء ، وتحقق أنه قد دخل عليك في عملك نقص بدخول العجب معك فيه ، فلا تزد فيه نقصا آخر ، وهو حب الثناء والذكر بأنك من عباد الله الصالحين ، فإن ذلك لا يخلص لك من الناس إلا بتوفيق من الله تعالى متى رضي عملك ، وإنما يرضاه مع الإخلاص ، فمتى أخلصت ذلك كساك منه ثوبا بين الناس ، من غير حاجة منك إلى عبادهم .

قال النبي ﷺ : (من كان له سريرة صالحة كساه الله منها رداء يعرف به).

الهيئة السادسة

وهي من كماله لا من شرط كونه صوما أن يجيب دعوة أخيه المؤمن إذا دعاه ، فإن كان الصوم فرضا أشعر الداعي بذلك ثم يدعو له ، وينقلب مأجورا ، وإن كان نفلا أفطر تكرمة لأخيه المؤمن ، فهو في إفطاره بمنزلة الصائم .

قال النبي ﷺ : (من أفطر تكرمة لأخيه المؤمن فله أجران) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : صنعت لرسول الله ﷺ وأصحابه طعاما فلما قربت إليهم قال رجل من القوم : إني صائم فقال ﷺ: (دعاكم أخوكم وتكلف ، ثم تقول : إني صائم ، افطر واقض يوما مكانه) وإنما أمره بالقضاء في النفل استحبابا.

وقال ﷺ في الصوم الواجب : (من دعي وهو صائم فليدع بالبركة) .

وقال ﷺ : (يا علي الرجل إذا تكلف له أخوه المسلم طعاما فدعاه وهو صائم فأمره أن يفطر ما لم يكن صيامه في ذلك اليوم فريضة ، أو قضاء فريضة ، أو نذرا سماه ، وما لم يمل النهار) .

الهيئة السابعة

القيلولة بالنهار لأنها تعين على الصيام ، وهي هيئة لدوامه لا لإنشائه ، قال ﷺ : (ثلاث من فعلهن أطاق الصيام ، من أكل قبل أن يشرب ، وتسحر ، وقال) .

الهيئة الثامنة

الإفطار بعد غروب الشمس ، وتيقن زوال النهار ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن صوم الوصال ، وقال : (تعشوا ولو بكف من حشف ، فإن ترك العشاء مهرمة) .

ثم لإفطار الصائم هيئات تكون تكميلا لثوابه ، أحدها : تعجيل الفطر إذا كان محتاجا من ذلك ، بحيث يشتغل بذلك عن الصلاة ، أو يميل خاطره عنها.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر).

وقال عليه السلام : (قال الله عز وجل : أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الصائم لا يرفع عشاءه حتى تغفر له ذنوبه) .

وثانيها : الذكر والدعاء عند الفطر قبل أن يأكل ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن لكل صائم دعوة ، فإذا هو أراد أن يفطر فليقل عند أول لقمة : يا واسع المغفرة اغفر لي)

وقال عليه السلام : (إذا قرب إلى أحدكم طعام وهو صائم فليقل : بسم الله ، والحمد لله ، اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، سبحانك وبحمدك تقبله مني إنك أنت السميع العليم).

وثالثها : أن يكون فطره على الحلو ومما لم تمسه النار .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (أفضل ما يبدأ به الصائم من فطره الحلو أو الماء).

ورابعها : أن يعجل الأكل بمقدار ما يفطر به ، ويرد به جوعته ، ويكسر به شهوته لئلا يشتغل بالأكل عند أول وقت المغرب ؛ لورود النهي بتأخيرها إلى أن تشتبك النجوم .

وخامسها : أن يحمد الله بعد الطعام ، وإن كان أفطر عند بعض إخوانه قال ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال بعد أن أفطر عند سعد بن عبادة ، فإنه لما أتم من خبز وزيت قال : (أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة). فهذه هي هيئة الإفطار .

الهيئة التاسعة

من هيئات الصيام وهي مكملة لفضله ، ومواظبته على الغرض المقصود به ــ قلة الأكل في الليل ؛ لأن الغرض كسر الشهوة ، فإذا استوفى بالليل ما يأكله بالنهار والليل في العادة لم يحصل الغرض بالصوم ، وصار باستيفائه لعادته في الأكل بمنزلة المفطر ولهذا قال النبي ﷺ : (أبلوا أجسادكم بالجوع والعطش ، وأفنوا لحومكم وأذيبوا شحومكم لتستبدلوا لحوما طيبة ، محشوة بالمسك والكافور في الجنة).

وعن النبي ﷺ (ما من وعاء أبغض إلى الله من بطن ممتلئ ولو من حلال)

ولتقليل الأكل فوائد كثيرة :

الفائدة الأولى : صفاء الذهن ، ونفاذ البصيرة ؛ فإن الشبع يورث البلادة : وينتج الإغفال قال ﷺ : (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام ، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء) .

وقال ﷺ : (من أجاع بطنه عظمت فطنته ، وفطن قلبه) .

وقال ﷺ (إذا رأيتم أهل الجوع والتفكر فادنوا منهم فإن الحكمة تجري على ألسنتهم)

الفائدة الثانية : رقة القلب بحيث يدرك لذة العبادة ، وتظهر عليه آثار الخشية والخوف من البكاء والجزع ، روى عن الجنيد أنه قال : "يجعل أحدكم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة" .

وقال ﷺ (من أكل طعاما بغير شهوة حرم الله الحكمة على قلبه ، ومن تركها رزقه الله الحكمة) وإنما أراد بذلك كثرة الأكل ، واستعمال الحرام .

وقال ﷺ :(من تعود كثرة الطعام والشراب قسي قلبه)

الفائدة الثالثة : خفة البدن ، وسهولة الانزعاج للطاعة ، وكثرة القوة على العبادة

قال ﷺ : (إياكم والبطنة من الطعام فإنها مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجسد مورثة للسقم ، وإن الله ليبغض الحبر السمين ، ولكن عليكم بالسداد من القوت ؛

فإنه أدنى إلى الصلاح ، وأبعد من السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على عبادة الـرب إنه لن يهلك امرؤ حتى يؤثر شهوته على دينه).

الفائدة الرابعة : ذل النفس ، وانحسام داعية البطر والطغيان ؛ فإنه لا يكسر النفس شيء أعظم من الجوع ، وقد قال عليه السلام (طوبى لمن ذلت نفسه)

الفائدة الخامسة : كسر دواعي المعاصي كافة ؛ إذ لا يحركها شيء أعظم من الشبع

الفائدة السادسة : خفة المؤونة ، وإمكان القناعة بقليل من الدنيا ، فإن من كفـي شر بطنه لم يحتج إلى مال كثير ؛ فتسقط عنه أكثر هموم الدنيا.

الفائدة السابعة : مشاهدته لبلاء الله تعالى ، وإحساسه للجوع ،ومباشرته لمضرته ؛ فيدعوه ذلك إلى الرقة والرحمة للضعفاء والمساكين ، وهذه فائدة عظمي تكتسـب بالجوع ، وبذلك كله يتبين فضل الجوع على الشبع .

ولما تحقق السلف الصالح فضيلة الجوع ، وكثرة فوائده ــ واظبوا على اكتسـابه بالصوم وتقليل الأكل ، فكان أويس لا يأكل إلا مما يلتقط من النوى ، وهو صـائم نهاره ، وقائم ليله ، ويقول : اللهم إني أعتذر إليك من جوع كل جائع .

ونظر رجل إلى أويس فقال : مالي أراك كأنك مريض ؟ فقال : ما لأويـس أن لا يكون مريضا ينام المريض وأويس غير نائم ، ويطعم المريض وأويس غير طاعم).

وكان الأسود بن يزيد يصوم فيصفار ويخضار ، وذهبت إحدى عينيه من الجـوع والصوم .

وكان إبراهيم النخعي يصوم يوما ، ويفطر يومين .

وكان إبراهيم التيمي كثير الصيام ، قليل الأكل ، وقال للأعمش : لم آكل منـذ شهر ، قال الأعمش : قلت منذ شهرا؟ قال إبراهيم : ولا منذ شهرين إلا أن إنسـانا شدني على عنقود فأكلته فاشتكيت .

وزار رجل أبا عبد الله التيمي ، وهو غير إبراهيم التيمي فرأى منه عبادة عظيمـة ، قال الرجل : ورأيته سبعة أيام بلياليهن لا ينتقل عن الصلاة ، ولم أره يـذوق شـيئا

فقلت: رحمك الله لم أرك تأكل شيئا ولا أراك تضعف عن العبادة والصلاة !؟ فقال: إن عشت فستراني آكل ، فقلت إلى متى ؟ قال : إذا مضى من الشهر نصفه فستراني آكل أكلة ، ثم آكل رأس الشهر أكلة أخرى .

وكان أبو العباس رحمه الله لم ير أزهد منه ، فكان يأكل الخرنوب ، فقيل له : ما يمنعك عما يأكل الناس ، قال : وما يأكلون ؟ قال : يأكلون ألوان الطعام ، فقال : إن همهم الحلال ما قدروا على أكلهم الخرنوب ، فقد فسدت تجارات الناس ومكاسبهم فلم أر شيئا أحل من الخرنوب ، ينبت في الجبال ، ليس عليه خراج ، ولا يدعي أحد غراسة ، قيل : منذ كم هذا طعامك ؟ قال : وما أنت وذاك .

وروى أنه كان يأكله خمس عشرة سنة ، وكان يصلي في يوم وليلة ستمائة ركعة ، أربعمائة ركعة ، وكان يأمر وينهى .

وكان أبو إسحاق الأزرق رحمه الله لم يضع جنبه الأرض أربعا وعشرين سنة ، وكان يصوم النهار ولا يفطر إلا في خمسة عشر يوما ، وله في الشهر أكلتان .

وكان داود الطائي قد ذاب لحمه ، وخف جلده ويبس من خوف الله ، وكان لا يطبخ في بيته شيء أصلا ، وعاده الحسن بن قحطبه في مرضه فوضع إلى جنبه ألف دينار ، فقال داود : لا تضعها عافاك الله ، فلا حاجة لنا فيها ، قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، قال : هات ، قال : إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي .

وكان شعيب بن حرب يأكل في عشرة أيام أكلة ، ويشرب شربة .

وكان عبد الواحد بن يزيد يصوم الدهر كله ، وصام عمران الجوني ستين سنة ،

وكان أسود مثل العود مما يلقي من الصلاة والصوم .

وكان عتبة الغلام رحمه الله يبل دقيقه بالماء ويجعله أقراصا ، ويضعه في الشمس ويفطر عليه ، فقالت له مولاته : لو أعطيتني لخبزت لك ، فيقول : يا أم فلان إن هذا قد سد عني كلب الجوع .

ودخل عبيدة بن هلال على بعض الأمراء وهو يأكل ، فقال له : كل . فاستعجل فقال : إني صائم ثم خرج فقال : كذبت ، عزمت ألا أفطر أبدا ، وكان لا يفطر إلا يوم العيدين.

وكان لعمرو بن عبيد حظ في الصلاة والصوم ، وقلة الأكل.

وكان فرقد السبخي يقول : الناس يقولون : لا نصبر عل الطعام بغير إدام ، مالي من إدام إلا ملح منذ سنة بفلسين ، وكان لا ينام مخافة الساعة ، ويصلي الليل كله ، ولا يكلم أحدا إلى طلوع الشمس .

وشهد الحسن وفرقد ضيافة ، فأكل الحسن ولم يأكل فرقد ، فسئل عن ذلك . فقال لصاحب المترل : لئن كنت جمعته من حلال لقد أسرفت في هذه الألوان ، وإن كان من حرام فقد ذهبت المهناة ، وبقي الوزر عليك . فقال الحسن : كيف يا فرقد إن الله رزقك فضلا من العبادة فلا تضيق على الناس . فقال : أنشدك الله يا أبا سعيد هل تعلم أن أصحاب محمد كانت تأتي عليهم الستون والثمانون ، يجف جلده على عظمه ، يدعي إلى الدنيا وهي له حلال فيأبى ؟ قال : اللهم نعم . قال : أفتلومني إن لزمت سيرهم ، وتركت ما ابتدع الناس . قال الحسن : أبصرت الرشد ، الزم غفر الله لي ولك).

وبلغ فتح الموصلي النهاية القصوى في ترك الطعام ، وعرض عليه إخوانه شيئا فقرأ {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}(١) الآية ، وكان يعد الجوع نعمة جريا على عادة الأنبياء المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

ومن مناجاته : "يا رب بقلة الطعام جوعتني ، وفي الليل بلا سراج أظلمتني ، فبأي وسيلة كافأتني ، وما فعلت ذلك إلا بأوليائك وأحبابك ، فلا أدري أي شيء عملته من الحسنات فكافأتني بها) .

وكان يقول : أرأيتم جرابا لو ملئ سويقا كم يسع بعد من الدقيق ؟ قالوا : لاشيء .قال : فإذا ملأتم قلوبكم من حب الدنيا كيف يتسع لحب الآخرة .

---

١) طه : ١٣٢ .

وكان قتادة يصوم يوما ويفطر يوما ، وبلغ النهاية في الزهد مع العلم .

وكان القاسم بن الحسين وهو من الزهاد يقول : "إذا دخل فضول الطعام خرج فضول الكلام" .

واجتهد كليب البصري في العبادة حتى أيبسته ، وكان قد ذبل فصار كالعود اليابس من قلة الأكل ، وشدة العبادة .

وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا ويبله بالماء ويأكله ويقول : من رضي هذا لم يحتج إلى الناس ، ودخل على قتيبة وهو لابس جبة صوف فقال : ما حملك على هذا ؟ فسكت . فقال : مالك لا تجيبني ؟ قال : أكره أن أقول : زهدا فأزكي نفسي ، أو أقول : فقرا فأشكو ربي.

وبلغ وهيب بن الورد النهاية في قلة الأكل .

وروى عن بعضهم أنه أتى وهيبا فرآه مشتغلا بالصلاة ، حتى إذا كان العشاء أتى إليه بطعام وقيل له : أوجز في الصلاة . فقال : دعه وانصرف . فلما فرغ مما أراد أخذ لقمة فوضعها في فيه ومضغها ثم ألقاها وتمضمض ، وأقبل على الصلاة .

وأراد أن يشتري شيئا من صاحب الفاكهة ، فسأله أولا من أين شراها ؟ وكان صاحب الفاكهة فقيها ، فقال : لا ينبغي لك أن تسألني ، فقال وهيب : انظر إلى بطني هل ترى فيه عيبا ؟ فقال : لا. فقال : إني ما أكلت فاكهة مكة منذ خرج السودان. فقال الرجل : بلغني أنك تأكل من طعام مصر ومصر خبيث . فقال وهيب: علي عهد الله أن لا آكل في الدنيا طعاما قط حتى يحل لي الميتة ، فكان يعلق الرغيف في سقف بيته ويجيع نفسه فإذا بلغ به الجوع حال الضرورة قال : اللهم إني أخشى الضعف في العبادة ، وإلا لم آكله ، اللهم إن كان فيه شيء من حرام وشبهة فلا تؤاخذني ، ثم يأكل قال شقيق : فأتيناه ليلة وهو ينازع نفسه ونحن نسمع ، فلما دخلنا عليه قلنا : يرحمك الله من كنت تنازع ؟ قال : أسمعتم ؟ قلنا : نعم قال : كنت من أول أمس صائما ، وكان في بيتي رغيف ، فدخلت العشاء الآخرة فأردت أكله ، فقالت لي نفسي تريد مع الرغيف مرقة ، فتركته وأصبحت صائما ، فلما

صليت العشاء دخلت البيت فأردت أن أفطر بالرغيف ، فقالت نفسي تريد معه ملحا ، فتركته وأصبحت صائما ، فلما كان عند الظهر قالت نفسي : ما أحسن هذا الرغيف ! قلت : إني صائم ، فلما صليت العشاء دخلت البيت فإذا نفسي تطاوعني على أكله ، ونسيت المرقة والملح ، فكنت أعزي نفسي ، وأزهدها في لذات الدنيا ، فاصنعوا إخواني كذا فلعلكم تفلحون .

وبلغ هرم بن جبار النهاية في قلة الأكل ، وكثرة الصوم ، وكثرة الرضاء بالقضاء ، وقيل له : على ماذا بنيت أمرك ؟ قال : على أربع خصال . قيل له : وما هي؟ قال: علمت أن لي رزقا لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي ، وعلمت أن لي عملا لا يعمله غيري فأنا به مشغول ، وعلمت أن لي أجلا لست أدري متى هو ، فأنا أبادر طي صحيفتي ، وعلمت أني لا أغيب عن عين الله فأنا منه مستح .

ودخل السوق وهو جائع فقال : الأشياء في الأرض والقضاء في السماء فما ينقطع الطمع في المخلوقين .

وصام يزيد الرقاشي أربعين سنة ، وكان كثير العبادة والبكاء والخشوع .

وكان يوسف بن أسباط يجيع نفسه ، ويقول : الجوع يرق القلب . وكان قد اعتزل الناس ، وكان إذا خرج أتاه أهل العلم يطلبون منه الاستفادة فيرد السلام ، ويسكت فإذا طال بهم الجلوس قام ودخل المترل ، وفعل ذلك بابن المبارك ، فقال ابن المبارك : إن الرجل إذا اشتغل بنفسه نسي غيره.

ودعا سفيان الثوري أبا داود الثوري إلى العشاء ، فأخذ خبزه وأجابه ، فلما قدم سفيان إليه الطعام أكل من خبزته ، فقال سفيان : إنما دعوتك لتأكل من طعامي . قال : أنت أعلم بطعامك ، وأنا أعلم بطعامي ، وكل من حيث تدري ، وأنا من حيث أدري.

ورأى جماعة رجلا يصلي الليل فقال أحدهم : أوجز . فناوله درهمين ، فقال : لا حاجة لي فيهما ، فاعتذر وقال : والله ما ظننت بك إلا جهدا ، قال : هو ما ظننت مالي عهد بالطعام منذ سبعة أيام . قال : فخذ الدرهمين . قال : لا حاجة لي فيهما.

فهذه الأخبار إنما رويناها مختصرة ، وأخبار السلف كثيرة في هذا البـــاب ، وإنمـــا أخذوا ذلك من الأنبياء المرسلين عليهم صلوات رب العالمين .

وكان النبي عليه‌السلام يمسي ليالي ماله ولا لأهله عشاء ، وقد عرض الله عليه الدنيـــا من غير أن ينقص من أجره شيئا فأبى طلبا للفضل .

قال أنس : ما رأى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رغيفا محورا قط حتى فارق الدنيا) .

وكان أمير المؤمنين عليه‌السلام كثير الصيام ، قليل الأكل للطعام ، وتبعه أهله علـــى ذلك ، وبذلك جرت عادة الصحابة رضي الله عنهم .

وقال علي بن بكار : (من أخبرك أن من يشبع يطيق القيام فلا تصدقه) .

فهذا في فضل تقليل الطعام وتمت الهيئة التاسعة.

الهيئة العاشرة من هيئات الصيام

وهي تقويه على الدوام ـــ السحور فإن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سن السحور وكـــان يتسحر ، ويسميه الغداء المبارك .

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (تسحروا فإن في السحور بركة) .

وقال عليه‌السلام : (نعم سحور المؤمن التمر).

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليــه وسلموا تسليما ، ويصلون على المستغفرين ، والمتسحرين ، فليتسحر أحدكم ولـــو بجرعة من ماء) .

وهذه آخر الهيئات ، وتم الفصل الثاني من فصول الصيام .

الفصل الثالث (الصوم الواجب)

الواجب من الصوم ثمانية :

منها : صوم رمضان وهو الشهر المعروف.

ومنها : صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعات ، إذا لم يتمكـــن مـــن إحـــدى الكفارات الثلاث ، وهي العتق ، أو إطعام عشرة مساكين ، أو كسوقم .

ومنها : صوم الظهار ، وهو شهران متتابعان عند العجز عن العتق .

ومنها : صوم كفارة القتل ، عند العجز عن العتق أيضا ، وهـو صـوم شـهرين متتابعين .

ومنها : صوم التمتع إذا لم يجد الهدي ، وهو ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة أيـام إذا رجع.

ومنها : صوم المحرم فدية لما يمنع منه الإحرام ، فيدخل فيه الصوم فدية عن تغطيـة الرأس ، والصوم الذي يكون بدلا عن الجزاء إذا اصطاد ما لا يحل له صيده في حـال الإحرام .

فأما الفدية عن تغطية الرأس فهو صيام ثلاثة أيام .

وأما بدل الجزاء فعلى قدر الجزاء ، إن لزمه بدنة صام مائة يوم ، وإن لزمه بقـرة صام سبعين يوما ، وإن لزمه شاة صام عشرة أيام .

ومنها صوم النذر .

ومنها صوم المحصر إذا لم يجد الهدي ، وهو عشرة أيام كصوم التمتع .

فأما صوم رمضان ففضله عظيم ، وقد تقدم طرف فيه ولا يمكن الإتيان على كله ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا كان أول ليلة من شهر رمضـان نـادى الجليل جل جلاله رضوان خازن الجنة : بـخر جنتي وزينها للصائمين مـن أمـة محمد).

وقيل للنبي ﷺ : يا رسول الله ما الذي يبعد عنا إبليس ؟ قال : الصوم يسـود وجهه والصدقة تكسر ظهره) .

وقال ﷺ في رمضان : (من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله له) .

وعنه ﷺ (إن لله تعالى في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف عتيق من النار ، فإذا كان يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أعتق الله في كل ساعة ألف ألف من النـار ، ممن قد استوجب العذاب) .

الفصل الرابع في معرفة المسنون

اعلم أيها الطالب أن الصوم من أفضل الطاعات وأشرفها كما بينت لك ، فينبغي لطالب الخير الاستكثار منه .

وله مراتب : المرتبة العالية أن يصوم الدهر إلا ما لا يحل له صيامه ، فتكون قدركبت مطية الصبر ، ولحقت بأعلى درجات السابقين في الأجر ، واستجلبت لنفسك التذلل لله تعالى والخضوع ، والخوف من عقابه والخشوع ، فحينئذ تكون مجاهدا لأعداء الله عز وجل فتفوز مع ذلك بدرجات المجاهدين ، وقيل في قوله تعالى :{ واستعينوا بالصبر والصلاة}[1] إن الصبر هو الصيام ، ولا شك أن به تقع القوة على عبادة الله تعالى ، وعلى دفع الشهوات ، والميل عن السيئات ، وسهل معه الانصراف عن الدنيا جملة ؛ لكثرة أسباب طلبها ودواعيها ، وهذه مرتبة كثير من السلف الصالح كما تقدم .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا صام ولا أفطر من صام الدهر) فلأنه يدخل فيه صيام أيام لا يحل صيامها ، وسنبينها من بعد إن شاء الله تعالى ، فإذا تجنبها فهو في عالي الدرجات مع السابقين يوم القيامة ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :(نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف) .

وعنه أيضا عليه السلام (ما من عبد أصبح صائما إلا فتحت له أبواب السماء ، وسبحت أعضاؤه ، وأستغفر له أهل السماء إلى أن توارى بالحجاب ، فإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعا أضاءت له السموات نورا ، وقلن أزواجه من الحور العين : اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته . فإن هلل وسبح يكتبونها إلى أن توارى بالحجاب).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من استطاع منكم أن تكون له خبية من عمل صالح فليفعل)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من صام يوما في سبيل الله باعده من النار مسيرة خمسين خريفا)

---

١) البقرة : ٤٥ .

المرتبة الثانية : بعدها وهي من درجات السابقين أن يصوم يوما ويفطر يوما إلا ما ورد فيه الفضل بعينه من الشهور والأيام فيصومه على الكمال ، وهذا في نهاية الفضل ، وروي أن ذلك صوم داود عليه‌السلام ، أعني صيام يوم وإفطاره وأن ذلك أفضل الصيام ، وأن ابن عمر سئل عن أفضل الصوم فقال :"صم يوما وافطر يوما) ، وأن عمر ، أو ابن عمر أراد أن يصوم الدهر كله ، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (صم صيام أخي داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما) رواه في شرح الإبانة وأمالي المرشد بالله .

والصوم الذي ورد فيه الفضل بعينه من الأيام والشهور سوى ما ورد عاما على ثلاثة أضرب :

منه : ما لا يتكرر في الأسبوع . ومنه : ما لا يتكرر في الشهر . ومنه : ما لا يتكرر في السنة .

أما الضرب الأول : وهو ما لا يتكرر في الأسبوع ــ فهو صيام الاثنين ، والأربعاء ، والخميس ، ويوم الجمعة إذا ضم إليه يوم قبله أو بعده ، لأن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال : (لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوما قبله أو بعده) فصار انفراده مكروها ، كما قال عليه‌السلام : (لا تصوموا يوم الجمعة مفردا) .

وبيان فضل هذا الضرب قول النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بني الله له بيتا في الجنة ، يرى ظاهره من باطنه ، وباطنه من ظاهره) وكان عليه‌السلام يصوم الاثنين والخميس .

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (من كان صائما من الشهر أياما فليكن صومه الاثنين والخميس ، ولا يصومن يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب).

وعن أبي هريرة كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يصوم الخميس والاثنين ، فقيل له ، فقال : (إن الأعمال ترفع يوم الخميس ، ويوم الاثنين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) .

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (من صام يوم الجمعة احتسابا أعطي به عشرة أيام غرا زهرا لا تشاكل أيام الدنيا) .

وقال عليه‌السلام : (تفتح أبواب الجنة في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : انظروا هما حتى يصطلحا) .

فهذا ما لا يتكرر في الأسبوع.

وأما الضرب الثاني : وهو ما لا يتكرر في الشهر .

فهو صيام أول الشهر ووسطه وآخره ، والأيام البيض ، وهو ثالث عشر من الشهر ، ورابع عشر ، وخامس عشر .

والأربعاء بين الخميسين في ثلاثة أسابيع من الشهر ، قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (من صام يوم ثلاثة عشر من البيض كتب له صيام ثلاث عشرة سنة ، ومن صام يوم رابع عشرة كتب له صيام أربع عشرة سنة ، ومن صام يوم خامس عشر كتب له صيام خمس عشرة سنة ، وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : (صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر ، أيام البيض ثالث عشر ، ورابع عشر ، وخامس عشر)

وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في خبر طويل قال فيه لعلي عليه‌السلام : (فثلاثة أيام في كل شهر الخميس في أوله ، والأربعاء في وسطه ، والخميس في آخره .

وأما الضرب الثالث فهو ما لا يتكرر في السنة ، وهو قسمان شهور وأيام :

القسم الأول : وهو ما يستحب صيامه من الشهور ، فهو شعبان ، والأشهر الحرم ثلاثة سرد ، وهي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب .

أما شهر شعبان فهو شهر النبي عليه‌السلام ، كما روي عن أبي الدرداء "رجب شهر ربكم ، وشعبان شهر نبيكم ، ورمضان شهركم) .

وسئل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أي الصوم أفضل ؟ قال : (صوم شعبان تعظيما لرمضان).

وعنه عليه‌السلام : (أتدرون لأي شيء سمي شعبان ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : لأنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان) وقد تقدم في فضله ما يكفي .

وأما الأشهر الحرم ففضلها عظيم ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين من صوم غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من صوم ثلاثين من شهر حرام)

وأما فضلها على الخصوص ـــ أما ذو القعدة فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صام خمسة أيام من ذي القعدة كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، ومن أحب أن يلقاني فليصم ذا القعدة ولو ثلاثة أيام) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :(صوم ثلاثة أيام من ذي القعدة كفارة العمر إذا اجتنب العبد الكبائر) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من صام ثلاثة أيام من ذي القعدة أعتقه الله من النار) .

وأما ذو الحجة ففيه من الصيام ما هو مستحب ، وفيه ما هو محظور ، فأما المستحب فالتسعة الأيام الأولى منها ، كما سيأتي بيانه ، ويوم الغدير أيضا ، وهو يأتي بيانه ، ويوم ثلاثين منه ، وهو يأتي بيانه ، وهو آخر يوم منه لصوم زكرياء عليه السلام ذكره في شرح الإبانة .

وأما المحرم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر حديث : (وإن أفضل الصوم بعد شهر رمضان صوم شهر الله الذي تدعونه المحرم) .

وعن علي عليه السلام قال : أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال : يا رسول الله أخبرني بشهر أصومه بعد رمضان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن كنت صائما شهرا بعد شهر رمضان فصم المحرم ؛ فإنه شهر الله ، وفيه يوم تاب فيه قوم ، ويتاب فيه على آخرين).

وأما رجب فقد روي فيه من الفضل ما لا يمكن إيراده كله هاهنا .

من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (صوم أول يوم من رجب كفارة شهر) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين ، والثاني كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ، ثم كل يوم كفارة شهر)

وعنه ﷺ (إن رجب شهر عظيم ، تضاعف فيه الحسنات ، من صام يوما من رجب كان كصيام سنة ، ومن صام سبعة أيام منه أغلق عنه سبعة أبواب جهنم ، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة ، ومن صام عشرة أيام لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه ، ومن صام فيه خمسة عشر يوما نادى مناد من السماء إن الله قد غفر لك ما سلف)

وعنه ﷺ أنه قال : (ألا إن رجب شهر الله الأصم ، وهو شهر عظيم ، وإنما سمي الأصم لأنه لا يقارنه شهر من الشهور ؛ حرمة وفضلا عند الله ، وقد كان الجاهلية تعظمه في جاهليتها ثم لما جاء الإسلام لم يزدد إلا تعظيما وفضلا ، ألا إن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي ، ألا فمن صام من رجب يوما إيمانا واحتسابا استوجب رضاء الله الأكبر ، وأطفأ صومه في ذلك اليوم غضب الله ، وأغلق عنه بابا من أبواب النار ، ولو أعطي ملأ الأرض ذهبا ما كان ذلك بأفضل من صومه ، ولا يستكمل أجره بشيء من الدنيا دون يوم الحساب إذا أخلصه لله ، وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات ، إن دعا بشيء في عاجل الدنيا أعطيه ، وإلا ذخر له من الخير أفضل مما دعا به داع من أولياء الله وأحبائه وأصفيائه .

ومن صام من رجب يومين لم يصف الواصفون من أهل السماء وأهل الأرض ماله عند الله من الكرامة ، وكتب له من الأجر مثل أجور عشرة من الصادقين في عمرهم ، بالغة أعمالهم ما بلغت ، ويشفع يوم القيامة في مثل ما يشفعون فيه ، ويحشر في زمرهم حتى يدخلوا الجنة ، ويكون من رفقائهم .

ومن صام من رجب ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقا ، أو قال حجابا ، طوله مسيرة سبعين عاما ، ويقول الله عز وجل عند إفطاره : لقد وجب حقك علي ووجبت لك محبتي وولايتي ، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ومن صام من رجب أربعة أيام عوفي من البلايا كلها ، من الجذام والجنون والبرص وفتنة المسيح الدجال ، وأجير من عذاب القبر ، وكتب له مثل أجور أولي الألباب الأوابين التوابين ، وأعطي كتابه بيمينه في أول العابدين .

ومن صام من رجب خمسة أيام كان حقا على الله عز وجل أن يرضيه يوم القيامة ، وبعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر ، وكتب له عدد رمل عالج حسنات ، وأدخل الجنة بغير حساب ، فيقال له : تمن على ربك ما شئت .

ومن صام من رجب ستة أيام خرج من قبره ولوجهه نور يتلألأ ، أشد بياضا من نور الشمس ، وأعطي له سوى ذلك نورا يستضيء به أهل الجمع يوم القيامة ، وبعث من الآمنين حتى يمر على الصراط بغير حساب ، ويعافى من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم ، ويقبل الله عليه بوجهه يوم القيامة .

ومن صام من رجب سبعة أيام فان لجهنم سبعة أبواب يغلق الله عنه بصوم كل يوم بابا من أبوابها ، ويحرم الله جسده على النار .

ومن صام من رجب ثمانية أيام فان للجنة ثمانية أبواب يفتح الله له بصوم كل يوم بابا من أبوابها ، وقيل له : ادخل من أي أبواب الجنة شئت .

ومن صام من رجب تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله ، ولا يصرف بوجهه دون الجنة ، وخرج من قبره ولوجهه نور يتلألأ ، يشرق لأهل الجنة حتى يقولوا : هذا نبي مصطفى ، وإن أدنى ما يعطى أن يدخل الجنة بغير حساب .

ومن صام من رجب عشرة أيام جعل الله له جناحين أخضرين ، مفصصين بالدر والياقوت ، يطير بهما على الصراط كالبرق الخاطف إلى الجنان ، ويبدل الله سيئاته حسنات ، وكتبه الله من المقربين القوامين لله بالقسط ، وكأنما عبد الله ألف عام قائما محتسبا .

ومن صام من رجب أحد عشر يوما لم يواف عبد يوم القيامة أفضل منه ، إلا من صام مثله ، أو زاد عليه

ومن صام من رجب اثني عشر يوما كسي يوم القيامة حلتين خضراوين ، من سندس وإستبرق ويحبر بهما ، لو أدليت حلة منهما إلى الدنيا لأضاء ـــ يعني ما بين شرقها وغربها ـــ ولصارت الدنيا أطيب من ريح المسك .

ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوما وضعت له يوم القيامة مائدة من ياقوت أخضر ، في ظل العرش قوائمها ، من درة أو سع من الدنيا سبعين مرة ، عليها صحائف الدر والياقوت ، في كل صحفة سبعون ألف لون من الطعام ، لا يشبه اللون اللون ، ولا الريح الريح فيأكل منها والناس في شدة شديدة ، وكرب عظيم .

ومن صام من رجب أربعة عشر يوما أعطاه الله من الثواب ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، من قصور الجنان التي بنيت بالدر والياقوت

ومن صام من رجب خمسة عشر يوما وقف به موقف الآمنين ، ولا يمر به ملك ولا رسول ولا نبي إلا قالوا : طوبى لك ، أنت آمن مقرب مشرف ، مغبوط محبور ساكن الجنان .

ومن صام من رجب ستة عشر يوما كان في أوائل من نور الرحمن ، على دواب من نور تطير بهم في عرصة القيامة إلى دار الرحمن، لينظر إلى ثواب الكريم ، ويسمع كلامه اللذيذ.

ومن صام من رجب سبعة عشر يوما وضع له يوم القيامة على الصراط سبعون ألف مصباح من نور ، حتى يمر على الصراط بنور تلك المصابيح إلى الجنان ، تشيعه الملائكة بالترحيب والسلام .

ومن صام من رجب ثمانية عشر يوما زاحم إبراهيم في قبته في جنة الخلد ، على سرر الدر والياقوت

ومن صام من رجب تسعة عشر يوما بني الله له قصرا من لؤلؤ رطب بحذاء آدم وحواء ، في جنة عدن ، يسلم عليهما ويسلمان عليه ؛ تكرمة وإيجابا لحقه ، وكتب له بكل يوم يصومه فيها صيام ألف عام .

ومن صام من رجب عشرين يوما فكأنما عبد الله عشرين ألف عام.

ومن صام من رجب أحدا وعشرين يوما يشفع يوم القيامة بمثل ربيعة ومضر كلهم من الخطايا والذنوب .

ومن صام من رجب اثنين وعشرين يوما نادى مناد من السماء أبشر يا ولي الله من

الله بالكرامة العظمي ، قيل : وما الكرامة العظمي ؟ قال : النظر إلى ثـــواب الله ، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحســـن أولئك رفيقا .

ومن صام من رجب ثلاثة وعشرين يوما نودي من السماء طوبى لك يا عبـد الله ، نصبت وتعبت ، طوبى لك ، طوبى لك ، فأفضيت إلى جسيم ثـــواب ربك الكريم ، وجاورت الخليل في دار السلام .

ومن صام أربعة وعشرين يوما فإذا نزل به ملك الموت عليه‌السلام تراءى له في صورة شاب ، وفي يده قدح شراب ، فسقاه إياه عند خروج نفسه شـــربة تهـــون عليـــه سكرات الموت حتى لا يجد للموت ألما ، ثم يأخذ روحه في تلك الحريرة ، تفوح منها رائحة مسك طيبة ، يستنشقها أهل السموات السبع ، ويظل في قبره ريان ، ويبعـــث من قبره ريان ، ويظل في الموقف ريان حتى يرد حوض النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم .

ومن صام من رجب خمسة وعشرين يوما فإنه إذا خرج من قبره تلقاه سبعون ألـف ملك ، بيد كل منهم نجيبة من در وياقوت ، ومعهم طرائف الحلي والحلل ، فيقولون له : يا ولي الله المحيا إلى ربك ، وهو من أول الناس دخولا في جنات عـــدن ، مـــع المقربين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك هو الفوز العظيم .

ومن صام من رجب ستة وعشرين يوما بني الله له في ظل العرش مائة قصر مـــن در وياقوت ، على رأس كل قصر خيمة خضراء من حرير الجنان ، يسكنها مـــا عمـــر والناس في الحساب .

ومن صام من رجب سبعة وعشرين يوما وسع الله عليه القبر مسيرة أربعمائة عام ، وملأ جميع ذلك مسكا وعنبرا وكافورا ورياحينا وأشجارا وأنهارا ، مفتوحا جميـــع ذلك إلى الجنان

ومن صام من رجب ثمانية وعشرين يوما جعل الله بينه وبين النار سبعة خنـــادق ، كل خندق ـــ كما بين السماء والأرض ـــ مسيرة خمسمائة عام

ومن صام من رجب تسعة وعشرين يوما غفر الله له ولو كان عشارا ، ولو كانت

امرأة فجرت سبعين مرة ، وولدت سبعين ولدا ، بعد ما أرادت بـــه وجـــه الله ، والخلاص من جهنم لغفر الله لها .

ومن صام من رجب ثلاثين يوما نادى مناد من السماء : يا عبد الله أما مـــا قـــد مضى فقد غفر لك ، فاستأنف العمل فيما بقي وأعطاه الله في الجنان كلها ، في كـــل جنة أربعين ألف بيت ، في كل بيت أربعون ألف ألف مائدة من ذهب ، على كـــل مائدة أربعون ألف ألف قصعة ، في كل قصعة أربعون ألف ألف لون مـــن الطعـــام والشراب ، لكل طعام وشراب من ذلك لون على حده ، وفي كل بيت أربعون ألف ألف سرير من ذهب ، طول كل سرير ألف ذراع في ألفي ذراع ، على كل ســـرير جارية من الحور العين ، عليها ثلاثمائة ألف ذؤابة من لؤلؤ ، يحمل كل ذؤابة سبعون ألف ألف وصيفة ، يفوح منها المسك والعنبر إلى أن يوافيها صائم شهر رجب ، هذا لمن صام شهر رجب كله . قيل : يا نبي الله فمن عجز عن صيام شهر رجب لضعف أو علة كانت ، أو امرأة غير طاهرة تصنع ماذا لينال ما وصفت ؟ قال : يتصدق بهذه الصدقة كل يوم رغيف على المساكين ، والذي نفسي بيده إنه إذا تصـــدق بهـــذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر ، إنهم لو اجتمعوا جميع الخلائق كلهم مـــن أهل السموات والأرض على أن يقدروا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان مـــن الفضائل والدرجات ، قيل : يا رسول الله ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع مـــاذا لينال ما وصفته ؟ قال : يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوما هذا التسبيح مائة مرة ، سبحان الإله الجليل ، سبحان من لا ينبغي التســـبيح إلا لـــه ، سبحان الأعز الأكرم ، سبحان من لبس العز وهو له أهل) .

فهذا في صيام الأشهر .

وأما القسم الثاني :

وهو ما يستحب صيامه من الأيام وفي السنة . فهي العشر الأولى من المحرم عاشرها يوم عاشوراء ، وأول يوم من رجب ، وآخر يوم اثنين من شعبان ، وستة أيام بعـــد عيد الفطر من شوال ، والأيام العشر ، ومنها يوم عرفة ، وثلاثة أيام من الشهر الحرام

والخميس ، والجمعة ، والسبت ، والثامن عشر من ذي الحجة .

أما فضل العشر الأيام الأولى من المحرم بيوم عاشوراء ـــ فقال النبي ﷺ (من صام العشر من المحرم إلى يوم عاشوراء أورد الفردوس ، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة سنتين صيامهما وقيامهما ، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك ، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف شهيد ، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له أجر أهل سبع سماوات ، ومن أفطر عنده مؤمن يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ، ومن أشبع جائعا يوم عاشوراء فكأنما أطعم فقراء أمة محمد ، وأشبع بطونهم ، ومن مسح رأس يتيم في يوم عاشوراء رفعت له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة ، فقال عمر : يا رسول الله لقد فضلنا الله بيوم عاشوراء ، قال : نعم ، خلق الله السموات والأرض يوم عاشوراء ، والبحر كمثله ، وخلق العرش يوم عاشوراء ، وخلق الكرسي واللوح والقلم يوم عاشوراء ، وخلق جبريل يوم عاشوراء ، وملائكته كذلك ، وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء ، وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء ، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن عاد مريضا يوم عاشوراء فكأنما عاد ولد آدم ، ومن سقى شربة من ماء فكأنما لم يعص الله طرفة عين ، ومن صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة قل هو الله أحد ـــ غفر الله له ذنوب خمسين عاما ، وبني الله له في الملأ الأعلى ألف ألف منبر من نور) .

وكان عليه السلام يجمع بينه وبين اليوم التاسع في الصيام مخالفة لليهود ، وكان صيام هذا اليوم واجبا على أهل التوراة ، وكان واجبا في أول الإسلام ، ثم نسخ وجوبه بصيام شهر رمضان وبقي استحبابه .

وأما فضل أول يوم من رجب ، فقال النبي ﷺ : (ولدت في أول يوم من رجب ، فمن صام ذلك اليوم عدل صيام ستين شهرا ، وفيه أنزل الله الكعبة البيت الحرام) .

وأما فضل آخر يوم من شهر شعبان فقال النبي ﷺ : (من صام آخر يوم اثنين

من شعبان غفر له) .

وأما فضل الستة الأيام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (صيام رمضان بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر) وفي آخر خبر قال بعد ذكر رمضان : (ثم اتبعه بست من شوال قربه الله تعالى في الجنة مع الأنبياء ، حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ، ويجوز على الصراط كالبرق اللامع) وفي آخر خبر (من صامها وصام الأيام الغر البيض فهو من أهل هذه الآية {والصائمين والصائمات}[1] .

وأما فضل الأيام العشر وصيامها إلى يوم عرفة دون اليوم العاشر منها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل كان يصومها : (ما يحملك على صيام هذه الأيام ؟ قال : إنها أيام الحج والمشاعر ، عسي الله عز وجل يشركني في دعائهم . قال : لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة تعتقها ، ومائة بدنة تهديها إلى بيت الله ، ومائة فرس تحمل عليها في سبيل الله ، فإذا كان يوم التروية فلك عدل ألف رقبة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله ، فإذا كان يوم عرفة فلك فيه عدل ألفي رقبة ، وألفي بدنة ، وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله ، وصيام ستين سنة قبلها ، وسنة بعدها .

وأما فضل الثامن عشر من الحجة فقد روي (أنه من صام يوم الغدير فكأنما صام ستين شهرا .

وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، ويستحب لمن صامه أن يصلي ما ذكرناه في صلاة يوم الغدير .

وأما فضل الثلاثة الأيام من الشهر الحرام ففي حديث الصمام ، عن أنس بن مالك يقول : صمت أذناي إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من صام ثلاثة أيام من الشهر الحرام الخميس والجمعة والسبت ــ كتب الله له عبادة تسع مائة سنة)

وأما فضل صيام يوم الجمعة فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من صام يوم الجمعة

---

١) الأحزاب : ٣٥ .

صبرا واحتسابا أعطي به عشرة أيام غرا زهرا لا تشاكل أيام الدنيا) .

فقد عرفت أيها الطالب فضل الصيام فيما ذكرنا ، وتحققت ما أعد الله تعالى للصائم فينبغي أن تستكثر من هذا النوع من العبادة ، فتكون مرتبتك إذا عجزت عن صيام عمرك سوى ما حرم عليك ـــ أن تصوم يوما وتفطر يوما ، إلا ما ذكرناه من الشهور والأيام في الأسبوع ، وفي الشهر ، وفي السنة ، وما ذكرناه من الشهر فلا تدع صيامها ، ولا تعود نفسك إفطارها ؛ فإنك إذا فعلت ذلك فأنت بمنزلة من صام الدهر إن شاء الله تعالى ، على ما بينت لك من فضائلها فهذه هي المرتبة الثانية ، وهذه مرتبة عالية لم تخرج بعد عن درجات السابقين

المرتبة الثالثة في الصيام : وهي من أواخر درجات السابقين إن شاء الله تعالى ـــ أن يصوم ما ذكرنا من الأيام في الأسبوع ، وفي الشهر ، وفي السنة ، وما ذكرناه من الشهور الفاضلة دون ما عدا ذلك ؛ فتكون قد أخذت بحظ من هذه العبادة ، وتكون غير خارج من درجات السابقين ، ولاحق بدرجات أهل عليين .

المرتبة الرابعة : أن تصوم بعض ذلك دون بعض ، وتتوخى ما يكون أزيد في الفضل فتكون قد دخلت في جملة الصائمين ، وتوشك أن تكون إنشاء الله تعالى من أصحاب اليمين .

المرتبة الخامسة

أن تعتمد على الزيادة على صوم رمضان أبد الآبدين عمرك ، وأقله الستة الأيام التي عرفتك ، فتكون غير نازل عن درجات الصالحين ، ولا مرتق إلى درجات أصحاب اليمين ، ولا متشوق إلى منازل السابقين وأهل عليين ، فلا أنت تارك للتصرف في تجارة الآخرة ولا بالغ بتصرفك إلى درجات المنازل الفاخرة .

المرتبة السادسة

أن تقتصر على أداء فرضك ، وهو شهر رمضان ؛ فتكون بذلك مرضيا للرحمن ، ومغضبا للشيطان ، وحافظا لرأس مالك ، غير متشوق إلى شيء من الممالك فتكون بذلك من الناجبن ، وداخلا في جملة المؤمنين ، وكم راض بالسلامة غنيمة حذرا من

عطب الهزيمة ، وما بعد هذه المرتبة شيء من المراتب إلا ما فيه الهلاك وسوء المنقلب ، وهو أن تدع والعياذ بالله شيئا من رمضان أو كله فتكون حينئذ من جملة الخاسرين ، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، فتكون داخلا في زمرة الشياطين ، وأعداء رب العالمين ، فإن لم تستطع الترقي إلى درجات أهل الممالك فأحذرك أن تنزل إلى منازل أهل المهالك ، وإذا لم تكن سلطانا فلا تكن شيطانا ، فإن بين السلطة والشيطنة درجات كثيرة ومنازل جمة ، فاختر لنفسك ما فيه سلامتك ونجاتك ، إن لم تختر لها مع ذلك ما فيه جلالتك وحياتك وأحسن عملك ، وقصر أملك ، وقل : يا نفس أصوم اليوم فلعلي أموت غدا ، أو أصوم غدا فلعلي أموت بعد غد ، وفكر في كثرة صبرك في طلب تجارات الدنيا الفانية ، على الجوع والعطش ، وقبول أراذل المأكل في الطرقات والمسالك ، وتجرع ماء الذلة والصغار في الأسفار ، وركوب الأخطار ، وربما أفضى بك ذلك إلى الهلاك ، وإن وقعت على شيء من غرضك فبعد تعب ومشقة ، ولست تقع من ذلك على طائل ، فإنه لو بلغ ما بلغ فإنه إلى الهلاك والذهاب ، وربما هلكت قبله فكان تعبه عليك ، وتبعته مسوقة إليك ، ومن المعلوم البين أن خدمة الدنيا بأسرها أشق من خدمة الله ، وأن موضع شبر في الجنة من الجزاء أفضل من جميع الدنيا بأسرها ، فارجع عند الفترة إلى ما قد شرحته لك من الفكرة ، واجعل الموت نصب عينيك ، واحضر الآخرة وأحوالها بين يديك ، يسهل عليك كل عسير ، ويصغر عندك كل كبير ، فإنما تقع الغفلة عن الطاعة بحسب الغفلة عن الآخرة ، وبحسب طول الأمل ، فلذلك ثقل العمل والسلام.

الفصل الخامس في معرفة الصوم المكروه

وهي كراهة حظر . اعلم أن كراهة الصيام قد يكون لما يرجع إلى الزمان ، وقد يكون إلى ما يرجع إلى الأحوال .

أما ما يرجع إلى الزمان فخمسة أيام ، وهي يوما العيد الفطر والأضحى ، وأيام

التشريق ، فإن هذه الأيام أيام طعام وشراب ، فلا يصومن أحد ، والخبر متظاهر بالنهي عن صيام يومي العيد ، وكذلك أيام التشريق .

ومما يكره صيامه يوم الجمعة منفردا ، إلا أن الكراهة فيه ليست كراهة حظر ، وقد تقدم .

فأما ما يرجع إلى الأحوال ، فيكره صيام المرأة التطوع بغير إذن زوجها ، وهي كراهة حظر ، قال النبي ﷺ : (لا تصومن المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه) .

ولا يحل صيام الحائض والنفساء ، ولا من يخشى من الصوم الهلاك ، فإن صام هؤلاء لم يصح صيامهم فرضا كان أو نفلا ، ورد النهي عن ذلك ، ويجب القضاء على هؤلاء فيما يتركونه من شهر رمضان ، إلا أن يكون الخائف للهلاك آيسا من زوال هذه كالشيخ الهم ، فإنه يطعم عن كل يوم مسكينا ، نصف صاع من أي حب كان .

ومن ترك قضاء شهر رمضان حتى دخل عليه شهر رمضان القابل وجب عليه مع القضاء الكفارة عن كل يوم نصف صاع .

ويجوز إفطار رمضان للمسافر والمريض ، ولمن خشي الضرر ، فإن صام هؤلاء أجزأهم ،وهو أفضل ما لم يبلغ ذلك إلى خشية الهلاك .

فهذا هو الفصل الخامس ، وقد تم الأصل الرابع من أصول الدين .

الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بالحج

وهو الأصل الخامس من أصول الدين ، ونحن نذكر فيه سبعة فصول :ـ

فصل في وجوب الحج وفضله .

وفصل في فضائل أماكن الحج .

وفصل في شرائط وجوب الحج .

وفصل في أنواع الحج وأقسامه .

وفصل في بيان أفضل أنواعه .

وفصل في كيفية أدائه ، وبيان ما يتعلق به من مفروض ومسنون ، من وقت مفارقة المترل إلى تمام الحج . وفصل في بيان ما هو من كمال فضله .

الفصل الأول في وجوب الحج وفضله

أما وجوبه فقال تعالى : {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}[(١)] .

وقال النبي ﷺ : (من مات و لم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا) .

وعنه ﷺ (من مات و لم يحج مات ميتة جاهلية) .

وعنه ﷺ (حجوا قبل ألا تحجوا) .

وعنه ﷺ (من مات و لم يحج يسأل الرجعة عند الموت) .

وأما فضله فقال النبي ﷺ : (تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد)

وعنه ﷺ (الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف لهم ، والذي نفس أبي القاسم بيده ما كبر مكبر على نشر من الأرض ، ولا أهل مهل على شرف من الأشراف إلا أهل ما بين يديه وكبر ، حتى ينقطع به منقطع التراب) وعنه ﷺ (لا يرفع الحاج قدما ولا يضع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة ، ورفع له درجة وكتب له حسنة) .

وعنه ﷺ (من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ، ما أتاه عبد فسأل دنيا إلا أعطاه الله منها ، أو سأل آخرة إلا ذخر له منها ، أيها الناس عليكم بالحج والعمرة فتابعوا بينهما فإنهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن ، وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد) .

الفصل الثاني في فضل أماكن الحج :

قال النبي ﷺ : (يترل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت الحرام، وأربعون للعاكفين حول البيت الحرام ،وعشرون للناظرين إلى البيت الحرام) .

---

١) آل عمران : ٩٧ .

وعنه ﷺ (قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف ، فإن نقصوا أكملهم الله بملائكته ، وإن الكعبة تحشر كالعروس إلى الموقف ، وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها) .

وروي (أن البيت موضوع بحيال البيت المعمور وأن البيت المعمور يطوفه من الملائكة سبعون ألف ملك كل يوم ثم لا يعودون)

وروي (أن آدم بكى واشتد حزنه ؛ فبعث الله بخيمة من خيام الجنة فوضعها له بمكة في موضع الكعبة ، وهي ياقوتة حمراء ، والركن يومئذ نجم من نجومها ، وكان ضوء ذلك النور ينتهي إلى مواضع الحرم) .

وقال النبي ﷺ بمكة عند الفتح : (إنك لخير البلاد عند الله ، وإنك لأكرم البلاد على الله ، وإنك لأحب البلاد إلي ، وما خرجت منك إلا كارها ، ولولا أن الذين كفروا أخرجوني ما خرجت) .

وعنه ﷺ (خير بلدة على وجه الأرض وأحبها إلى الله مكة) .

وعنه ﷺ قال (إن حول الكعبة لقبور ثلاثمائة نبي ، وإن ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود لقبور سبعين نبيا ، وكل نبي من الأنبياء إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم فأتى الكعبة يعبد الله حتى يموت) .

وروي (أن قبر نوح ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، وإسماعيل فيما بين زمزم والمقام)

وقال ﷺ : (من نظر إلى الكعبة إيمانا واحتسابا غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر ، ويحشر يوم القيامة في الآمنين) .

وقد تقدم فضل الصلاة في المسجد الحرام .

وعنه ﷺ (من نظر إلى البيت من غير طواف ولا صلاة كان أفضل عند الله من عبادة سنة صائما وقائما وراكعا وساجدا) .

وعنه ﷺ (الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة ، يستغفرون لمن طاف بها ويصلون عليه) .

وقال ﷺ : (من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه كله ، وقام فيه ما تيسر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان في غيرها ، وكان له بكل يوم مغفرة وشفاعة) .

وقيل : لما خاف آدم الشيطان استعاذ بالله منه ؛ فبعث الله تعالى ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ، ووقفوا على جوانبها ، فأوقف الله الحرم من حيث كانت الملائكة وقفت.

وقيل : لما فرغ آدم من المناسك جاء جبريل بياقوتة وحلق شعره فطار شعره ، حتى بلغ طرف الحرم ، وجال حولها ، فجعل الله ذلك القدر حرما ، وسماه حرما آمنا .

وعن علي عليه السلام (خير واد وادي مكة ، وخير بئر بئر زمزم) .

وعن ابن عباس "صلوا في مصلى الأخيار ، واشربوا من شراب الأبرار ، قيل : وما ذاك ؟ قال : الصلاة تحت الميزاب ، وشرب ماء زمزم" .

وعن وهب قال : "الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة أنزلا فوضعا على الصفا ، فأضاء نورهما لأهل المشرق والمغرب ، فرفع الله نورهما ووضعهما حيث هما ، وهما يشهدان يوم القيامة" .

وعن وهب في كتاب من الكتب الأولى (ليس من ملك يبعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت ، فينهض من عند العرش محرما فيستلم الحجر ، ثم يطوف ويصلي ركعتين). وعنه أيضا "الركن عين الله في الأرض ، فيبعث يوم القيامة وله لسان وشفتان وعينان ، يشهد لمن استلمه بحق" .

وعن النبي ﷺ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ، والمسجد الحرام) .

وروي عن النبي ﷺ (أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم آتي أهل مكة فأحشرهم بين الحرمين) .

وقال : (لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف هذا البيت رجل من الأبدال[1] ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف به أحد من الأوتاد ، فإذا انقطع ذلك كان سبب

---

١) هم الذين بلغوا في العبادة والزهد حد الكمال . وهذا من المصطلح الذي استعمله أهل التصوف ، وكذلك الأوتاد.

رفعه من الأرض ، فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها أثر).

وقيل : هذا الذي يقال إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف ؛ فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب ، فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال فينزل عيسي فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها) هكذا الخبر من كتاب أخبار العلوم .

وعن النبي ﷺ (البيت الذي في السماء يقال له : الضراح ، وهو مثل بناء البيت الحرام ، لو سقط سقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون فيه أبدا) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم) .

وعنه ﷺ (ليبعثن هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق) .

وعنه ﷺ قال : (وكل الله به ـــ يعني بالركن اليماني ـــ سبعين ألف ملك ، فمن قال : أسألك العفو والعافية ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ـــ قالوا آمين) .

وكان النبي ﷺ يقبل الركن اليماني ، ويضع خده عليه.

وعن عطاء بن أبي رباح "من قام تحت مثعب الكعبة فدعا استجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" .

وعنه ﷺ (إذا خرج المرء يريد الطواف أقبل يخوض في الرحمة ، فإذا دخله غمرته ، ثم لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة ، وحط عنه خمسمائة سيئة ، أو قال : خطيئة ، ورفعت له خمسمائة درجة ، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل عليه السلام ، واستقبله ملك على الركن ، فقال له استأنف العمل فيما بقي فقد كفيت فيما مضى ، ويشفع في سبعين من أهل بيته) .

الفصل الثالث **في شرائط الحج وتعيين من يتعلق به**

أما من يتعلق به الحج ، فلا يجب الحج إلا على من كان بالغا ، عاقلا ، مسلما ، حرا . وشرط وجوبه على من نأت داره من مكة ـ الزاد ، بحيث يكون معه ما يكفيه سائرا وراجعا لنفسه ، ومن يلزمه نفقته ، إلا أن يكون ذا صناعة يمكنه التكسب بها وجب عليه الحج وإن لم يكن معه مال يقوم به سائرا وراجعا .

والراحلة كراء أو شراء .

وصحة البدن بحيث يستمسك على الراحلة .

وأمان الطريق إلا ما يعتاد في الطريق .

وحصول محرم يحج بالمرأة ، وقيل : هو من شرائط الأداء .

وحضور أشهر الحج وقيل : هو من شرائط الأداء .

وعن علي عليه‌السلام عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (من ملك زادا وراحلة يبلغانه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، إن الله تعالى يقول في كتابه : **{ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)** [1] .

وبيانه من الفقه.

الفصل الرابع في أنواع الحج

الحج ثلاثة أنواع : إفراد ، وتمتع ، وقران .

والعمرة الحج الأصغر ، وهي مسنونة ليست بفرض ، والأنواع على سواء في كل أمر إلا في ثلاثة ـ أحدها : النية فإنه يجب أن يعين كل نوع منها فتختلف بالتعيين .

والثاني : أن المتمتع يبدأ بالعمرة ، فإذا طاف لها وسعي ، وحل من إحرامه تمتع بما شاء ، بمعنى : أنه يجوز له الانتفاع بما كان يحرمه الإحرام .

والقارن يبدأ كذلك بالطواف والسعي للعمرة ، ولا يحل من إحرامه ، بل يعود ثانيا

---

١) آل عمران : ٩٧ .

فيطوف ويسعي لحجته .

والمتمتع يعود فيحرم بحجته من الحرم ، وأفضله من المسجد الحرام ، ويؤخر طواف القدوم وما بعده من السعي إلى أن يقدم من عرفات .

والثالث : أن المتمتع يلزمه دم ، وأقله شاة — ولا يكون متمتعا إلا بأن يحرم بالعمرة التي تمتع بها إلى الحج في أشهر الحج ، ويكونان في سفر واحد ، ولا يكون ممن هو حاضر المسجد الحرام ، فإنه لا يصح منه التمتع .

والقارن يلزمه سوق بدنة من موضع إحرامه ، ولايكون قارنا إلا بسوقها ، وقد قيل : يلزمه بدنة فقط ساق أو لم يسق ، ويلزمه دم إذا ترك السوق جاهلا ، والأول أولى ويطوف ببدنته المواقف كلها ، فأما المفرد فلا يلزمه شيء من ذلك ، وهم بعد ذلك مشتركون في سائر الأعمال.

الفصل الخامس في بيان أفضل الحج

عند الهدوية اليحيوية الإفراد إذا تبعه عمرة بعد أيام التشريق.

وعند القاسم القران أفضل ، ولا شبهة أنه أفضل من التمتع.

الفصل السادس في كيفية أداء الحج

وما يتعلق به من مفروض ومسنون من وقت مفارقة المترل إلى تمام الحج.

اعلم أيها الطالب هدانا الله وإياك أن الحج رهبانية هذه الأمة ، والجهاد المبرور عند عدم الإمام ، والعمرة هي الحج الأصغر ، وإنما أضاف الله تعالى البيت إلى نفسه تعظيما له وتفخيما لأمره على مثال حضرة الملوك ، من غير أن يكتنفه تعالى بيت ، ولا يحويه مكان ، واستدعاء العباد إليه شعثا غبرا ليظهر دخولهم في عبوديته ، وخضوعهم عند خدمته ، على مثال استدعاء الملك لبعض أهل ولايته على العجلة ، فإنه يخرج على هيئته من غير زيادة ، نحو كونه مكشوف الرأس والبدن ، وراجلا حثيثا في مشيته ، وغير ذلك من صورته وهيئته ، وإذا كان ذلك يفعله على وجه الخدمة والعبودية للعبيد ، فأولى أن يفعل ذلك للملك العزيز القوي الشديد ، المبديء المعيد ، الفعال لما يريد ، وجعل تعالى لبيته حرما محيطا به ، حرم فيه صيده وشجره ،

على مثال الحرم الذي يجعله الملوك لحصول الأمان للوفود والزوار ، وأهل الخدمة من الكبار والصغار ؛ ليكون ذلك أقرب إلى معرفتهم بحقوق العبودية لهم بحصول الأملن منه تعالى لهم لا منهم ، فينبغي لك أيها الطالب أن تتصور العبودية ، وتفهم معناها ، وتعترف بها ، وتعمل بحسبها ، وذلك بأن تتذكر ما عرفتك أولا من صفات الله تعالى ، وصفات عبيده ، وتتذكر إنعامه عز وجل على جميع الخلق مع كثرتهم وسعتهم ، وملكه لكبيرهم وصغيرهم من الملائكة والجن والإنس ، وسائر الحيوانات ، وسائر الحشرات من البعوضة فما دونها ، وما فوقها وما تحتها ، وجميع الجمادات من السموات والأرضين ، وما بينهما وما فوقهما ، وما تحتهما ، والدنيا والآخرة جميعهما ، فلا ينفذ شيء ولا يتحرك ولا يكون إلا وهو في ملكه عز وجل ، فبذلك تعرف جلالته وعظمته ، وحقارة غيره وعبوديته ، وأنه عز وجل ينبغي أن يعبد ويتذلل له ، ويخضع لعظمته وجلالته ، ولا يخالف في شيء من أمره ونهيه ، ولا ينتهك شيء من حرمته ، وأنا أنبهك من أعمال الحج من حين أن تعزم على السفر إلى أن ترجع على عشرة قوانين — إن شاء الله تعالى — وهي جامعة لفروض الحج ، ومسنوناته وما يستحب فيه وما يتعلق به ، وبالله التوفيق .

القانون الأول : العزم على الحج

فإذا عزمت على الحج فتوكل على الله واجعل عزمك خالصا لوجهه ، ولا تشرك في عبادة ربك في عزمك وضميرك شيئا آخر معه ، من تجارة أو غيرها متى أردت ثواب حجك يكون خالصا وكاملا ، فإنه على حسب ما ترى يرى لك ، وما تدين تدان بحسبه ، وعليك قبل كل شيء بالتوبة النصوح ، والعقد الصحيح بينك وبين ربك ، واخرج من جميع الذنوب والمظالم إن كان ذلك ، واكتب وصيتك واجعلها مع من تثق به من إخوانك ، وعليك بإعداد الرفيق قبل الطريق ، وليكن صالحا وعاقلا كما تقدم في شروط الصحبة.

واعلم أنك في أسفارك إلى الصاحب الصالح أحوج منك إلى النفقة ، فكما لا بد لك من إعداد النفقة فكذلك الصاحب ، وعليك فيه من الحقوق مثل ما ذكرناه في

الصديق ، واجعل نفقتك من أحل المكاسب وأطيبها ، وتصور الموت والبلى ، واجعل ذلك نصب عينيك ؛ ليهيج لك الخشوع من ابتداء هذه العبادة إلى انتهائها.

واعلم أن سفر الحج على مثال السفر إلى الآخرة ، فكما أنك لا بد أن تفارق أهلك وأحباءك ومترلك ، فكذلك لا بد من مفارقة ذلك عند سفر الآخرة ، ونزول الموت بك ليقذف بك إلى الساهرة ، وكما أنك تحتاج إلى إعداد الزاد على مقدار السفر ، فكذلك سفر الآخرة فإنك تحتاج إلى إعداد العمل ، فهو الزاد النافع ، وسفرك إليها طويل بخلاف سائر الأسفار ، فينبغي أن يكون زادك إليها كثيرا بحسب ذلك ، وكما تفتقر إلى الصاحب في السفر ، فكذلك سفر الآخرة ولا صاحب لك ينفعك هناك إلا العمل الصالح ، فهو نعم الزاد ونعم الصاحب ، وهو المؤنس في الوحدة ، والنافع في الشدة وكما تخرج من وطنك في سفرك فاعلم أنك لا بد أن تخرج من الدنيا في سفر الآخرة ، وكما تركب الجمل أو الأرض لابد أن تركب الجنازة في الطول والعرض ، وكما أنك تصير في غير أرضك كذلك تصير في قبرك ، وكما تصير مع غير معارفك سوى صاحبك ، كذلك تصير في القبر مع من لا تعرفه من الملائكة ، فلا تعرف غير عملك ، وكما تصير إلى الميقات وتخلع عنك الثياب ، فكذلك ميقات القيامة تصير متجردا.

واعلم أن ما بين مترلك إلى الميقات كما بين موتك إلى ميقات القيامة والحشر ، وكما تخاف قطاع الطريق فتصور كذلك منكرا ونكيرا ، وانفرادك من الأهل كانفرادك في القبر ، وكما تأخذ سكان البادية ما عليك من الثياب في بعض الأحوال فكذلك تنترك حرشات القبر على كل حال .

واعلم أن تلبيتك عند الميقات كتلبيتك عند البعث ، عند أن يدع الداعي إلى شيء نكر ، وكونك أشعث أغبر شبيه بحالتك عند المحشر ، واجتماعك مع الجمع بعرفات شبيه بالاجتماع عند العرضات ، وكذلك جميع أعمال الحج شبيه بأعمال الآخرة .

فتصور ذلك تجده كما ذكرت لك ، وأحسن عملك ، وقصر أملك ، وأحذرك أن تنصرف عن السفر للحج مخافة الموت ؛ فإنك لابد ميت ولا تموت إلا بأجلك الذي

قد قدر لك قبل كونك ، وهو يأتيك لا محالة ولو هربت منه أشد الهرب ؛ لأنه مربوط بعنقك ، وإذا كان لا بد من الموت فموتك على أحسن أعمالك خير لك.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من مات في أحد الحرمين لم يعرض ، ولم يحاسب ، وقيل له : ادخل الجنة) مذكور في كتاب إحياء العلوم .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من مات في طريق مكة مقبلا أو مدبرا غفر الله له ما تقدم من ذنبه) وقال : (لا ينشر لهم ديوان ، ولا ينصب لهم ميزان ، ويدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) .

فهذا هو القانون الأول مختصرا .

القانون الثاني :

في كيفية الخروج ، فإذا أردت الخروج لسفر الحج من مترلك فصل أولا صلاة السفر كما ذكرت لك في الصلوات .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إني أريد سفرا ، وقد كتبت وصيتي ، فأي الثلاثة تأمرني أن أدفع ؟ إلى أبي ؟ أو إلى ابني ؟ أو إلى أخي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ما استخلف العبد في أهله من خليفة إذا هو شد عليه ثياب السفر ـــ خير من أربع ركعات يضعهن في بيته ، يقرأ في كل واحدة منهن بفاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، ثم يقول : اللهم إني أتقرب بهن إليك فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي وولدي) قال : (فهو خليفته في أهله وماله وولده ، ودور حول داره ، حتى يرجع إلى داره) .

نعم ـــ فإذا فرغت من ذلك وودعت أهلك فادع بدعاء السفر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا سافر سفرا قال : (اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، وسوء المنظر في الأهل والمال) وروي (وعن الجور بعد الكور)

وعن علي بن أبي طالب عليه‌السلام (أنه كان إذا سافر سفرا قال : اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، وأنت الحامل على الظهر ، وأنت المستعان على الأمر ، اللهم أحسن لنا الصحابة ، واطو لنا الأرض ، وسهل لنا الطريق ، وهون علينا السير ، أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، ومن سوء المنظر في الأهل والمال ، اللهم بلغ بلاغا يبلغ خيرا ومغفرة منك ورضوانا ، عليك البلاغ وقصد السبيل) .

واجمع بين هذين الدعاءين ، فإذا صرت على باب الدار قلت : (بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك من أن أضل أو أضل ، أو أذل أو أذل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي ، أو أعتدي أو يعتدى علي

فإذا ركبت الدابة قلت ما روي عن أبي ربيعة ، قال : كنت رديف علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، فقال حين ركب : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال : ثم استضحك ، فقلت : مم تضحك ؟ قال : كنت رديف النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ففعل كما فعلت ثم ضحك ، فقلت : مم تضحك يا رسول الله قال : يعجب ربنا من العبد إذا قال العبد : لا إله إلا أنت ، سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) . ومعني يعجب : أنه يقبل ويرضى .

فإذا استويت على راحلتك وانبعثت ، قلت ما روي عن عمر قال : كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إذا سافر فاستوى على راحلته وانبعثت قال : (الله أكبر ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا السفر واطو لنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر ، في الأهل والمال) وإذا رجع قال : (آيبون ، تائبون لربنا حامدون) فهذا هو القانون الثاني.

القانون الثالث

في كيفية المشي ، وما يستحب فيما يقع في حال المشي إلى أن يبلغ الميقات :

فإذا مشت بك دابتك أو مشيت فليكن ذلك مع السكينة والوقار ، وكثرة الذكر والاستغفار ، فإذا نزلت مترلا فقل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (ما من مسلم ينزل منزلا فيقول حين ينزله : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق . ثلاثا ــ إلا أعيذ من شر منزله حتى يضعن عنه) .

فإذا جن عليك الليل فقل ما روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا سافر فأقبل الليل قال : (يا أرض ، ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد) .

فإذا أردت دخول قرية فقل ما روي عن ابن مسعود أنه كان إذا دخل قرية قال : "اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الجبال وما أرست ، ورب الرياح وما ذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، أسألك من خيرها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها) .

وإذا خفت اللصوص والسباع ، أو غير ذلك ، فاقرأ الثلاثين آية ؛ فإن محمد بن سيرين قال : نزلنا في نهر بريه[1] ، فأتى أهل ذلك المترل فقالوا : ارحلوا فإنه لم يقل في هذا المترل أحد إلا أخذ متاعه ، فرحل أصحابي وتخلفت للحديث الذي حدثني به ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قرأ ثلاثين آية لم يضره تلك الليلة سبع ضار ، ولا لص طار ، وعوفي في نفسه وماله حتى يصبح) قال : فلما أمسينا لم أنم حتى رأيتهم قد جاءوا أكثر من ثلاثين مرة مخترطين سيوفهم وما يصلون إلي ، فلما أصبحت رحلت ، فلقيني شيخ على فرس ذنوب[2] ، متنكبا[3] قوسا عربية ، فقال

---

١) نهر بريه ــ بضم الباء الموحدة ، ثم فتح الراء ، وياء ساكنة ، وهاء خالصة ــ بالبصرة .

٢) وفي نسخة (ذفوف) بمعنى : سريع .

٣) أي : متقلدا سيفا على منكبه .

لي : يا هذا أإنسي أنت أم جني ؟ قلت : لا بل من بني آدم ، قال : فما بالك لقد أتيناك هذه الليلة أكثر من سبعين مرة كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد ، فقلت : حديث حدثني به ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قرأ ثلاثين آية في ليله لم يضره تلك الليلة لص طار ، ولا سبع ضار ، وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح) قال : فنزل عن فرسه وكسر قوسه ، وأعطى الله عهدا ألا يعود فيها .

والثلاثون الآية : سورة الفاتحة ، وأول البقرة إلى قوله :{ **وأولئك هم المفلحون**}(١) وآية الكرسي وما بعدها ، إلى قوله {**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**}(٢) وقوله :{ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**} إلى قوله :{ **تبارك الله رب العالمين**}(٣) ثم قوله :{ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين**} إلى {**المحسنين**}(٤) ثم قوله :{ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان**} إلى قوله:{ **وكبره تكبيرا**}(٥) .

ثم اقرأ أول الصافات إلى قوله :{ **من طين لازب**}(٦) ثم اقرأ من سورة الرحمن :{ **يامعشر الجن والإنس إن استطعتم**} إلى قوله :{ **فلا تنتصران**}(٧) ثم اقرأ :{ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل**}(٨) إلى آخر السورة ، ثم اقرأ {**وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**}(٩) .

---

١) البقرة : ٥ .

٢) البقرة : ٢٥٧ .

٣) الأعراف : ٥٤ .

٤) الأعراف : ٥٥ ــ ٥٦ .

٥) الإسراء : ١١٠ ــ ١١١ .

٦) الصافات : ١١ .

٧) الرحمن : ٣٣ ــ ٣٥ .

٨) الحشر : ٢١ .

٩) الجن : ٣ ــ ٤ .

وعليك بقراءة هذه الآيات في جميع أوقات سفرك فإنها حافظة لك بإذن الله عز وجل مشهورة الفضل والبركة معروفة ، جربناها مرارا وأسفارا فوجدنا ذلك حقا.

وقل أيضا مع ذلك : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت رجاؤنا .

فإنه قيل لإبراهيم بن أدهم إن السبع قد ظهر لنا فقال أرونيه ، فلما نظر إليه ناداه يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت ، وإلا فعودك على يديك ، فضرب بذنبه ثم ولى ، قال الراوي فعجبنا منه حين فقه كلامه ، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ... الكلمات .

قال الراوي : فأنا أسافر منذ نيف وخمسين سنة ، وأقولها فلم يأتني لص قط و لم أر إلا خيرا .

وقل أيضا ما روى عن بعضهم أنه قال : كنت ليلة مع أهلي في داري نائما فحسست بحركة ففتحت عيني فإذا بلص قد أشرف في بيتي فقلت : أمهله حتى يدخل فأتمكن منه فآخذه ، فسمعته يقول : اللهم إني أسألك بحقك فلا حق أعظم عليك منك ، وبحق أسمائك الحسني عليك ، وبحق ما أنزلته على قلب نبيك محمد إلا حفظتني بما حفظت به كتابك المترل على نبيك المرسل ، فإنك قلت وقولك الحق : {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[1] {فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين}[2] {وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب}[3] قال : فحفظت الدعاء وأنا أنظر إليه ما يعمل حتى أتمكن منه ، وإذ قد ذهب بي النوم ، فدخل وأخذ ما كان في البيت فانتبهت وليس في البيت شيء ، فقلت الكلمات اللائي حفظتهن منه ورجعت إلى دكاني ، وسترت حالي ، وصبرت على ما كان ، فبينما أنا ذات يوم في دكاني وقد أتى على هذا الأمر نحو من سنة إذ برجل يتأملني ووجد خلوة فجلس إلي وقال لي :

---

١) الحجر : ٩ .

٢) يوسف : ٦٤ .

٣) هود : ٨٨ .

تذكر سارقا دخل بيتك وأخذ متاعك ، قلت : نعم قال : فأخبرني ماذا صنعت بعده ؟ قلت : وما سؤالك عنه ؟ قال : أمني على نفسي حتى أخبرك بشأني ، قلت : أنت آمن على نفسك ، قال : أنا الذي دخل بيتك ، وأخذت متاعك وكنت إذا أخذت المتاع دخلت السوق فأبيعه ، وإن متاعك على حاله ما اشتري منه شيء ، كلما دخل شيء منه السوق يقال : هذه سرقة ، فترد علي ، وإن أنفقت العين فيرد ، يقال : هذا البهرج ، فلا يؤخذ منه شيء ، قال : فأخبرته بقصتي وقراءتي الدعاء الذي سمعته منه ، قال : فتاب ، وحلف ألا يعود إلى مثلها ، ورد علي جميع متاعي .

فعليك أيها الطالب بهذا الدعاء .

وان أصابك في بعض جسدك وجع فضع يدك على الذي تجده ، وقل : (بسم الله) ثلاثا ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وبقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، فإنه مأثور عن النبي ﷺ .

وإذا أكلت طعاما أو شربت ماء فقل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (من أطعمه الله طعاما فليقل : بسم الله ، اللهم بارك لنا فيه وارزقنا ما هو خير منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وارزقنا ما هو خير منه ، وزدنا منه) الخبر .

فإذا فرغت أيها الطالب من الطعام فقل ما علمه النبي ﷺ أبا أمامة : (اللهم أطعمتنا وأسقيتنا وأشبعتنا وأرويتنا ، فلك الحمد غير كفي ولا مودع ، ولا نستغني عنك ربنا) .

وإن رفعت رأسك ونظرت إلى السماء فقل ما كان رسول الله ﷺ يقول : (يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك) .

وإذا رأيت الهلال فقل ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا تكبروا لرؤية الهلال ، وقولوا : هلال خير وبركة إن شاء الله ، اللهم إنا نسألك خير شهرنا هذا ، وخير ما قدرت فيه ، اللهم اختم لنا شهرنا الماضي برضوانك، وافتح لنا شهرنا المستقبل برحمتك) .

وإذا رأيت مبتلى فقل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (ما من رجل يرى رجلا

به بلاء فيقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء كائنا ما كان)

وجملة الأمر أن تشتغل في سفرك بما قدرت عليه من وظائف العبادات ، وأسهلها عليك وأليقها بك ــ العبادة بالذكر ؛ لأن ذلك يحصل بحاسة اللسان ، وهي فارغة في الأغلب من أشغال السفر ، وكذلك قراءة القرآن ، وهما من معظم العبادات .

القانون الرابع

في معرفة المواقيت ، وما يفعله الحاج من أعمال الحج إلى أن يبلغ مكة.

أما المواقيت فاعلم أن المواقيت التي وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإحرام لأهلها ، ولمن ورد عليها خمسة ، وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، ولأهل العراق ذات عرق ، ومن كان منزله أقرب إلى مكة من هذه المواقيت أحرم من منزله ، وميقات أهل مكة للحج الحرم ، وللعمرة الحل ، وذكر صاحب كتاب عماد المحتاج أن حد الحرم بالميقات من جهة المدينة على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق على تسعة أميال ، ومن طريق اليمن على سبعة أميال ، ومن طريق جده على عشرة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة أحد عشرة ميلا من بطن نمره ، وحد مكة من عقبة المدينتين إلى عقبة ذي طوى ، وحد مني من العقبة إلى وادي محسر ، وحد عرفات من بطن عرنة ، وثوبة ونمرة إلى ذي المجاز ، وحد المشعر من المأزمين إلى الحياض ، إلى وادي محسر ، هذا في عماد المحتاج هكذا.

وأما ما يفعله الحاج من أعمال الحج إلى أن يبلغ مكة.

فإذا بلغ الميقات فعليه من أعمال الحج أربع وظائف واجبة وسنة ، ونحن نميز بينها إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الأولى الإحرام :

اعلم أن الإحرام هو أحد الأركان الكبار التي لا يتأتى الحج ولا يصح إلا بها، فإذا بلغ المريد للحج إلى الميقات دخل في الحج بالإحرام ، والإحرام ينبغي أن يتقدمه الغسل ، والغسل له سنة وليس بفرض ، وينوي أن اغتساله هذا للإحرام ، ثم يحرم

وذلك بأن يتجرد عن القميص والعمامة والخف والسراويل والقبا ، وما شابه ذلك من المخيط ، فإن لم يجد نعلا قطع الخفين من تحت الكعبين ، وإن لم يجد شيئا من الثياب سوى ما ذكرنا شق ذلك وجعله ثوبا ومئزرا ، فإذا تجرد من ذلك لبس ثوبي إحرامه ، وهما ثوبان جديدان ، أو غسيلان إزار ورداء ، ويتوخى أن يكون إحرامه في وقت صلاة فريضة ، حتى يحرم عقيبها ، فإن لم يتفق ذلك صلى ركعتين ، فإذا تمتع فرغ من صلاته نوى ما أحرم له من إفراد ، أو قران ، أو عمرة .

فإن كان يريد الإفراد قال بلسانه حالة استحضار النية : اللهم إني أريد الحج إفرادا ، رغبة مني فيما رغبت فيه منك ، وطلب ثوابك وتحريا لرضاك ، فيسره لي ، وبلغني فيه أملي في دنياي وآخرتي ، واغفر لي ذنبي ، وامح عني سيئآتي ، وقني شر سفري ، واخلفني بأحسن الخلافة في أهلي وولدي ومالي ، ومحلي حيث حبستني ، أحرم لك بالحج مفردا شعري وبشري ولحمي ودمي ، وما أقلت الأرض مني ، ونطق به لساني ، وعقد عليه قلبي.

ثم يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك ، لبيك ذا المعارج لبيك ، لبيك بحجة مفردة لبيك ، وضعت لعظمتك السموات كنفيها ، وسبحت لك الأرض ومن عليها ، إياك قصدنا بأعمالنا ، ولك أحرمنا بحجنا ، فلا تخيب عندك آمالنا ، ولا تقطع منك رجاءنا، ثم يسير في طريقه يهلل ويكبر ويقرأ ويستغفر .

فإذا استوى بظهر البيداء ابتدأ التلبية رافعا بها صوته رفعا متوسطا ، وكلما علا نشزا من الأرض كبر ، وإذا انحدر وكذا في حال الاستواء لبى ، ولا يغفل التلبية الفينة بعد الفينة راكبا وماشيا ، وعند النوم ، وعند الانتباه ، وفي أدبار الصلوات ، وفي الأسحار .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(الوافدون إلى الله حين يفدون من هذه الأجبل فيلبي الملبي فيقول : لبيك اللهم لبيك . فيجيبه الله : لبيك وسعديك ، أجبت دعوتك ، وغفرت ذنبك وتقبلت منك نفقتك ، فاستأنف العمل) .

وإن كان المريد قارنا أحضر بدنته عند الميقات وأناخها ، فإذا اغتسل ولبس ثوبي إحرامه عمد إلى البدنة فيشعرها ، يشق في شق سنامها الأيمن حتى يدميها ، ويقلدها فرد نعل ويجللها بجلال ، ويصلي ويحرم كما ذكرنا ، وينوي في إحرامه القران بين الحج والعمرة معا ويلفظ بذلك ويقول : اللهم إني أريد الجمع بين الحج والعمرة معا ، ويتم التلبية والذكر كما ذكرنا ، ثم لا فرق بينه ، وبين المفرد في شيء من الأعمال إلى أن يبلغ إلى مكة ، غير أنه يذكر في تلبيته القران ، ويسير ببدنته معه حيث سار .

وإن كان المريد متمتعا نوى العمرة متمتعا بها إلى الحج ، وذكر ذلك في تلبيته ، وإن كان معتمرا قال : اللهم إني أريد العمرة .

ولا ينبغي للحاج أو المعتمر إن يغفل التلبية كما ذكرنا فهذه الوظيفة الأولى .

الوظيفة الثانية :

التجنب لما نهاه الله عنه من الرفث والفسوق والجدال بالباطل ، وهذا واجب على المحرم وغير المحرم ، ويختص المحرم في النهي بعشرة أشياء :

أحدها : تغطية رأسه إن كان رجلا ، وتغطية الوجه إن كانت امرأة ، فإن ذلك منهي عنه ، وإحرام الرجل في رأسه وإحرام المرأة في وجهها.

وثانيها : لبس المخيط فإنه يحرم على الرجل ويحل للمرأة ، ويدخل في ذلك السراويل والخف في حق الرجل دون المرأة.

وثالثها : حلق شعره ، وتقليم أظفاره ، وقطع شيء من جلده ، فإنه يحرم عليه كائنا ما كان.

ورابعها : لباس الثوب المصبوغ بزعفران أو بعصفر إذا كان مشبعا ، والحلية من الفضة أو الذهب سواء كان رجلا أو امرأة ، فإن ذلك يحرم .

وخامسها : الكحل فإنه يستحب تجنبه ، ويحرم إذا كان فيه طيب

وسادسها : الطيب فإنه يحرم على الرجل والمرأة.

وسابعها : الخضاب ، فإنه يحرم في اليدين والرجلين على الرجل والمرأة .

وثامنها : النكاح والانكاح فإنه لا يجوز للمحرم ، ولا يصح.

وتاسعها : الجماع ، والتقبيل ، واللمس بشهوة ، فإن ذلك يحرم علـــى المحــرم ، ويفسد الجماع حجه إلا أن يكون بعد رمي جمرة العقبة فإنه يحرم ولا يفسد الحج .

وعاشرها : قتل القمل ، وقتل الصيد ما يجوز أكله وما لا يجوز ، فإنه منهي عــن ذلك كله ، وكلما نهي عن قتله فلا يجوز له أن يصطاده ، ولا يعين عليه ، ولا يشـير إليه ، ولا يفزعه ، ولا يدل عليه ، ولا يشتريه ، ولا أن يمسكه ، ولا يجرحه مــا لم يخش ضرره نحو السبع إذا عدا عليه ، والذئب والأسد إذا خشـي عقـره ، ونحــو البرغوث والبق والدبر إذا تأذى بها ، وهذا شامل في الحيوانات كلها ماخلا الأنعـام ، وما خلا خمسة أيضا وهي : الحدأة ، والغراب ، والحية ، والعقرب ، والفأرة .

وعليك في طريقك كلها بالسكينة والوقار والتسبيح ، والاسـتغفار ، والقـرآن ، والأذكار إلى أن تبلغ إلى الحرم.

الوظيفة الثالثة :

أعمال الحرم فإذا بلغت الحرم فاغتسل سنة لدخول الحرم ، وعلق نعليك في يديك ، وادخل الحرم حافيا راجلا ما قدرت ولم يعنتك ، لأنك منهي عن الإعنات ، ومـــا جعل الله عليك في الدين من حرج ، فإذا وضعت أول قدم في الحرم فقل : اللهم هذا حرمك وأمنك ، والموضع الذي اخترته لنبيك ، وافترضت على خلقك الحج لك إليه ، وقد أتيناك راغبين فيما رغبتنا فيه ، راجين منك الثواب عليه ، فلك الحمد علـــى حسن البلاغ ، وإياك نسأل حسن الصحابة في المرجع ، فلا تخيب عندك دعاءنـــا ، ولا تقطع منك رجاءنا ، واغفر لنا وارحمنا ، وتقبل منا سعينا ، وأشكر فعلنا وآتنـــا بالحسنة إحسانا ، وبالسيئة غفرانا يا أرحم الراحمين ، يا رب العالمين.

وان قلت : اللهم هذا حرمك وأمنك الذي دعا إليه إبراهيم خليلك بأمرك ، اللـــهم اجعلني ممن أجاب فوفقته ، ورحل إليك فقبلته ، يا قابل التوابين ، ثم تقرأ سورة (إنـــا أنزلناه) وتكررها ، فإن ذلك حسن.

قال صاحب عماد المحتاج : روى أن من فعل ذلك عند دخول الحرم حرمه الله على النـــار، وحرم على أعدائه الجنة إلا أن يتوب ، ولا تغفل التلبية إلى أن ترمي جمرة العقبة.

الوظيفة الرابعة :

الاجتناب لمحرمات الحرم ، فإن الله تعالى شرفه وعظمه وأمنه ، لا يجوز اصطياد صيده ، ولا عضد شجره ، ولا إفزاع طيره أو وحشه ، لا لمحل ولا لمحرم ، إلا أن التحريم على المحرم آكد ، إلا الإذخر في الحرم ، فإنه لا بأس به .

القانون الخامس :

الأعمال عند ورود مكة ، فإذا دخلت مكة فالأعمال المتعلقة بها أربع جمل.

الجملة الأولى :

أن تدخلها بسكينة ووقار ، وكثرة خشوع واستغفار ، فإذا أردت دخول المسجد الحرام اغتسلت سنة ونويت بذلك دخول المسجد ، ومضيت إليه بخشوع وسكينة فإذا وقع بصرك على البيت ــ فإن كنت معتمرا ــ فاقطع التلبية ، وإن كنت حاجا فلا تقطعها حتى ترمي جمرة العقبة ، وقل عند رؤية الكعبة : اللهم البيت بيتك ، والحرم حرمك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم فأعذني من عذابك واختصصني بالأجزل من ثوابك ، ووالدي وما ولدا ، والمسلين والمسلمات ، يا جبار الأرضين والسماوات.

الجملة الثانية :

أن تدخل المسجد من باب بني شيبة ، وتقدم رجلك اليمنى عند الدخول ، وترفع يديك وتستقبل الكعبة وأنت تقول : اللهم إني أسألك في مقامي هذا وأول مناسكي مسألة المضطر إليك ، الراجي لما في يديك أن تقبل توبتي ، وتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري ، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام ، اللهم إني أشهد أن هذا بيتك الحرام الذي جعلته مثابة للناس وأمنا مباركا وهدى للعالمين ، اللهم إني عبدك ، والبلد بلدك ، والبيت بيتك ــ جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك ، مطيعا لأمرك ، راضيا بقدرتك ، أسألك مسألة المضطر إليك ، الخائف من عقوبتك ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، واستعملني بطاعتك ومرضاتك ، واحفظني بحفظ الإيمان ما أبقيتني ، وصل على محمد وعلى آل محمد ، ثم تمضي وأنت تكبر حتى تبلغ الحجر الأسود.

الجملة الثالثة :

إذا بلغت الحجر الأسود طفت طواف القدوم سبعة أشواط ، ترمل في ثلاثة أشواط منها ، وتمشي في الأربعة الباقية ، وليكن ابتداؤك بالشوط من الحجر الأسود ، تقبله وتمسحه بيدك اليمني ، أو تشير إليه إن لم يمكنك تقبيله ، وأنت تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وتأخذ في المشي عن يمينك من الحجر الأسود ، فإذا حاذيت باب الكعبة قلت : سائلك ببابك ، مسكينك ببابك ، فقيرك ببابك ، تصدق عليه بالجنة ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، وعافني من السقم ، وأوسع علي من الرزق الحلال ، وادرأ عني شر فسقة الجن والإنس ، وشر فسقة العرب والعجم ، وإن قال عند الباب ما ذكرنا أنه يقول عند رؤية الكعبة فهو قول جماعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ثم يمضي في طوافه ويقول : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم [إنك تعلم ما لا نعلم] إنك أنت الله الأعز الأكرم .

وتطوف من خلف الحجر ، ولا تدخله لأنه من جملة البيت ، وتستلم الأركان كلها ، [والاستلام وضع اليد على الركن ثم يقبلها ، وقيل : وضعها عليه ثم يمسح بها وجهه][1] .

وتقول عند استلامها : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار وتطوف إلى أن تنتهي إلى الحجر الأسود.

فإذا أتيت إلى الحجر الأسود في الشوط السابع وهو آخر شوط فافعل في تقبيلك له ما ذكرناه ، وأنت تقول : اللهم أعني على تمام مناسكي ، ووفقني لما يرضيك عني وتقبل مني صالح عملي ، واغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وصل على محمد وآله الطاهرين.

ثم تطوف إلى أن تحاذي باب الكعبة ، ثم تقول ما ذكرنا عند رؤية الكعبة .

---

١) ما بين القوسين غير موجود في بعض النسخ .

ثم تمشى إلى أن تأتي الركن الشامي فتستلمه وتقول: السلام عليك غير مغلــق ولا مهجور ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وافتح لي أبواب رحمتك ، واغلــق عني باب غضبك ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

ثم يتقدم الحاج إلى أن يحاذي الميزاب من وراء الحجر ، فإذا قابل الميزاب نظر إليــه وهو يقول بعد الصلاة على النبي ﷺ : اللهم اعتقني من النار ـــ وأوسع علي مــن رزقك الحلال . إلى آخر ما ذكرنا عند محاذاة باب الكعبة ، ثم يدور بالحجر حـــتى يصير عند طرفه الآخر محاذيا للركن الغربي فيستلمه ويقـــول : اللـــهم إن إبراهيــم وإسماعيل اللذين أمرهما برفع أركان بيتك أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركـــع السجود وهما يسالأنك أن تتقبل منهما ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليـــم ، ثم تقول قبل أن تصل المستجار وهو الركن اليماني إلى الركن الغربي : اللهم اغفــر لي ، وارحمني ، واهدني ، وعافني ، واعف عني ، وارزقني ، واحفظني ، ووفقني .

ثم يتقدم حتى يصل المستجار ، فإذا وصل إليه ألصق عليه خده وبطنه ، وقـــال : اللهم رب البيت العتيق واللطف الرفيق صل على محمد وآله المنتجبين ، والطف بي في الدنيا والدين بلطف من عندك يا رب العالمين ، اللهم هذا مقام من أساء واقـــترف ، واستكان واعترف ، وأقر بالذنوب التي اجترم ، هذا مقام المستغيث المستجير مـــن النار ، مكان من لا يدفع عن نفسه سوءا ، ولا يجر إليها نفعا ، هذا مقام مـــن لاذ ببيتك الحرام راغبا وراهبا بك ، أستعيذ من عذاب يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، اللهم صل على محمد وال بيته الطاهرين ، وسلمني مــن أهوال ذلك اليوم ، يا أرحم الراحمين ، رب إن البيت بيتك ، والعبد عبدك ، فـاجعل قرائي مغفرتك ، وهب لي ما بيني وبينك ، وأرض عني خلقك ، واغفر لي ولوالــدي برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصل على محمد وعلى آل محمد .

ثم تمشى إلى الركن اليماني فتستلمه وتلتزمه وتسأل الله الحوائج ، وتكثر من التضــرع إلى الله تعالى ، وتصلي على النبي ﷺ ، ثم تمضي أيها الحاج إلى الحجر الأســـود فتقول عنده مثل ما قلت في ابتداء هذا الشوط ثم تميل عنه إلى الملتزم ، وتلتزم بـــالبيت

وتلصق بطنك به ، وتتعلق بأستار الكعبة ، وتضع خدك الأيمن عليه ، وتبسط ذراعيك وكفيك عليه ، وتقول : اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار ، وأعذني من الشيطان الرجيم ، وامنعني من كل سوء ، ومتعني بما رزقتني ، وبارك لي فيما أعطيتني ، اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على محمد وآله ، وأحذرك أن تطوف إلا وأنت على طهارة وجوبا ، فإن الطواف يشبه الصلاة ولأن عقيبه الصلاة ، ولا تتكلم ، ولا تجادل في حال طوافك ، وأحضر قلبك في جميع أذكارك وأفعالك .

فإذا فرغت من الدعاء عند الملتزم فامض إلى مقام إبراهيم ، وقف عنده متوجها إليه من ورائه ، لتكون الكعبة أمامك وأنت متوجه إليه أيضا ، ثم افتتح صلاة ركعتين تنوي أنهما ركعتا الطواف ، وهما واجبتان ، واقرأ في الأولى بـ{قل يا أيها الكافرون} مع الفاتحة ، وفي الثانية معها بقل هو الله أحد ، فإذا سلمت فأرفع يديك وقل : إلهي قد مد إليك الخاطئ المذنب يديه لحسن ظنه بك ، إلهي قد جلس المسيء بين يديك ، مقرا لك بسوء عمله ، وراجيا منك الصفح عن زللـه ، إلهي قد رفع الظالم كفيه إليك راغبا فيما لديك فلا تخيبه برحمتك من فضلك ، إلهي قد جثا العائد إلى المعاصي بين يديك خوفا من يوم تجثو فيه الخلائق بين يديك ، إلهي قد رجاك العبد الخاطئ فزعا مشفقا ، ورفع إليك طرفه حذرا راجيا مستجيبا ، وفاضت عبرته مستغفرا نادما ، إلهي فصل على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لي برحمتك يا خير الغافرين وأرحم الراحمين ، واقرأ سورة (إنا أنزلناه)

الجملة الرابعة :

السعي وما يتعلق به ، فإذا فرغت من ركعتي الطواف ، وأكملت الدعاء فاخرج إلى الصفا من باب الصفا ، ومر من عند المقام على زمزم فترشرش من مائها ، واشرب منها ، وانظر فيها ، وقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واسقنا من حوض نبيك ، فقد أتيناك راجين لمغفرتك والظفر ببغيتنا منك ، واجعل ماء زمزم

تحريما لماء الحميم على بطوننا ، وشفاء لأسقامنا وأدوائنا ، وتطهيرا لقلوبنا بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

ثم اخرج منها وامض إلى أن تبلغ إلى الاسطوانتين المكتوبتين ، ثم مر بينهما إلى أن تبلغ إلى باب المسجد الخارج إلى الصفا ، فإذا بلغت إلى الصفا فارتق على الدرج إلى أن ترى الكعبة ، وابتدئ السعي من أصل الجبل لئلا تخلف شيئا من الصفا وراء ظهرك ، فإذا رأيت الكعبة فاستقبلها وقف منتصبا على قدميك وكبر الله تعالى ، وهلله ، واحمده سبع مرات ، وصل على النبي وآله ﷺ سبع مرات ثم قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ثلاث مرات ، ثم اقرأ سورة الفاتحة ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وآية الكرسي ، وآخر الحشر ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ، ثم قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا شريك له ، وأشهد أن لا إله إلا الله حقا وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم إني أسألك العفو والعافية ، واليقين في الدنيا والآخرة ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته ، فإن عدت فعد علي بالمغفرة إنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم أظلني بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم استعملني بطاعتك وسنة نبيك ورسولك ، وتوفني على ملته ، واحشرني في زمرته ، اللهم إنك تكفلت بأرزاقنا ورزق كل دابة فآتنا من فضلك ، وأوسع علينا من رزقك ، وبارك لنا في الأهل والمال والولد ، يا أكرم الأكرمين ، اللهم إنا أتيناك من الفج العميق إلى البيت العتيق ، فاعتق رقابنا من النار يا أرحم الراحمين ، وارزقنا منك رحمة نستغني بها عن رحمة من سواك يا إله العالمين ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وتجاوز عن خطيئتي ، ولا تردني خائبا يا أكرم الأكرمين ، واجعلني في الآخرة من الفائزين ، وأشرك في دعائي والدي وإخواني الصالحين ، وصل على محمد وآله الطيبين .

ثم انزل عن الصفا بسكينة ووقار ، وخضوع واستغفار ، وقل في طريقك ماشيا :

يا رب العفو ، يا من أمر بالعفو ، وهو أولى بالعفو ، العفو العفو ، ثم تمضي حتى تصل المناره وتحاذي الميل الأخضر المعلق في جدار المسجد ، ثم تهرول وأنت تقول : اللهم اهدني للتي هي أقوم ، واغفر ، وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم.

ولا تزال تهرول وتقول ذلك إلى أن تبلغ إلى الميل المنصوب في أول السراجين.

ثم اقطع الهرولة ، وامش في الزقاق وأنت تقول : يا ذا المن والطول والكرم والجود صل على محمد وآل محمد ، واغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا كريم) وتكرر ذلك حتى تبلغ إلى المروة .

ثم اصعد إلى المروة حتى تواجه الكعبة ، ثم تدع بما دعوت به على الصفا ، وقل في دعائك : اللهم إني أسألك حسن الظن بك ، وصدق النية في التوكل عليك ، اللهم افعل بي ما أنت أهله ، فإنك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذبني ولن تظلمني) .

فإذا فعلت ذلك فقد تم شوط ، ثم تعود إلى الصفا وتفعل في عودك ما فعلت أولا في شوطك ، فإذا بلغت الصفا فقد تم لك شوطان ، فأتم سبعة أشواط .

والمستحب أن يكون سعيك على طهارة ، فأما في الطواف فالطهارة واجبة ، فإذا فرغت من السعي ، فإن كنت معتمرا فاحلق رأسك ، وإن شئت أن تجز منه ما يبين أثره فهو يكفيك ، وقد فرغت حينئذ من أعمال عمرتك ، وحل لك كل شيء حرم بسبب إحرامك ، فأما ما حرم لأجل حرمة الحرم فلا تحل لأحد .

وإن كنت متمتعا أيضا وجزرت من رأسك فقد فرغت من عمرتك ، وحل لك ما كان يحرم بسبب إحرامك .

وإن كنت قارنا فلا تجز شيئا من شعرك ، وقد أفرغت عمل عمرتك التي قرنتها بحجتك ، فعد إلى البيت فطف به لحجتك طواف القدوم ، ثم اسع بعده بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، وافعل في طوافك وسعيك في طريقك إليهما ما ذكرته لك ، فإذا فرغت من ذلك فقد صار عملك في باقي حجك كعمل المفرد سواء ، وإن كنت مفردا فالطواف الذي أتيت به هو طواف القدوم ، والسعي أيضا هو السعي الذي بعده ، وأنت لا تجز من شعرك لأنك باق على إحرامك فافهم ذلك.

القانون السادس من عمل الحاج

الخروج إلى الموقف ، فإذا فرغ الحاج مما ذكرنا وقف بمكة إلى اليوم السابع من ذي الحجة ، فإذا صلى الظهر في هذا اليوم خطب أو استمع الخطبة ، فإن السنة أن الإمام يخطب في هذا اليوم بعد الظهر عند الكعبة ، وينبغي للخاطب أن يأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى مني يوم التروية ، ويعرفهم أن السنة إن يصلى فيها يوم التروية الظهر والعصر ، وأن يبيت الحاج بها ليلة عرفة ، ويصلى بها المغرب والعشاء والفجر ، ويعرفهم العود منها إلى عرفة للوقوف ، وأن الوقوف بعد الزوال ، وأن آخر وقته قبل طلوع الفجر يوم النحر ، وأن من فاته آخر هذا الوقت قبل أن يحضر الموقف بعرفة فإنه لا حج له ، ويعظ الناس ويذكرهم أعمال حجهم وفضيلته .

فإذا كان يوم التروية فإن كان الحاج متمتعا بالعمرة إلى الحج فإنه يجدد الإحرام بالحج من المسجد الحرام ، ويفعل له في وقته من الأفعال والأذكار ، ومن التجرد والاغتسال قبله ما ذكرنا فيما قبل ، ويخرج ملبيا .

وإن كان مفردا أو قارنا فإنه يخرج ملبيا إلى مني ، وينبغي أن يكون خروجك إلى مني قبل الزوال لتدرك مني أول وقت الظهر ، وينبغي أن تقرأ عند خروجك إلى منى {إنا أنزلناه} واستكثر من القرآن والذكر .

فإذا بلغت الرقطا دون الردم ، وأشرفت على الأبطحِ فأرفع صوتك بالتلبية ، وقل بعدها :

اللهم إياك أرجو ، وإياك أدعو فبلغني أملي ، وأصلح لي عملي . وأكثر من الدعاء والاستغفار وسائر الأذكار ، ولا تغفل عن التلبية .

فإذا بلغت مني فقل : الحمد لله الذي أقدمنيها صالحا ، وبلغنيها في عافية سالما ، اللهم هذه مني ، وهي مما مننت به علينا فأسألك أن تمن على بما مننت به على أنبيائك وأوليائك وأهل طاعتك ، فإنما أنا عبدك وفي قبضتك ، أستغفرك وأتوب إليك ، فصل على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لي ذنوبي ، واقض لي حوائجي ، فأنت المرجو وأنت البر الرحيم ، ثم تنزل بمني وتصلي بمسجد الخيف الظهر

والعصر والمغرب والعشاء والفجر يوم عرفة ، واشتغل في بقية يومك وليلتك بما استطعت من الطاعات ؛ لأنك في الأوقات الفاضلة ، والأماكن الفاضلة أيضا .

ولا تغفل عن دعاء التشريق بعد صلاة الفجر يوم عرفة ، وهو أن تقول ثلاث مرات : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد ، والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام) وإن زدت فيه : الحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا — فهو حسن ، تفعل ذلك عقيب ثلاث وعشرين صلاة فريضة من صلاة الفجر يوم عرفة ، إلى صلاة العصر يوم النفر الآخر ، وهو آخر أيام التشريق ، وهو رابع العيد وتكبير التشريق واجب عقيب الفرائض ، وسنة عقيب السنن على الحاج وعلى غير الحاج

فإذا فرغت من صلاة الفجر يوم عرفة في مني توجهت إلى عرفات ، وينبغي أن تقرأ عند توجهك فاتحة الكتاب و{إنا أنزلناه} ثم تقول : اللهم إليك صمدت ، وإياك اعتمدت ، ووجهك أردت ، وأمرك اتبعت ، وقولك صدقت ، فأسألك أن تبارك لي في رحلتي ، وأن تقضي لي حاجتي ، وتنجح لي طلبتي ، وأن تباهي بي اليوم من هو أفضل مني ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وأعني على تمام مناسكي ، وزك عملي ، واجعلها خير غدوة غدوتها ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك ، ثم تلبي ، وترفع صوتك رفعا متوسطا ، وعليك بالسكينة والخشوع والوقار والخضوع .

فإذا وصلت إلى عرفات فأكثر من القرآن والذكر ، ولا تقطع التلبية الفينة بعد الفينة ، ولا وقوف إلى أن تزول الشمس ، فإذا زالت الشمس فينبغي أن تغتسل سنة ثم تخطب أو تسمع خطبة ، ويفصل الخاطب بين كلامه بالتلبية ثلاث مرات ، أو خمسا ، أو سبعا ، ويعرف الناس أعمال المناسك ، وتجمع بين الظهر والعصر تقديما ندبا ، بأذان واحد وإقامتين ، وجميع عرفة موقف ما خلا بطن عرنة فاجتنبها.

وذكر صاحب كتاب إحياء العلوم أن صدر مسجد إبراهيم في الوادي بعرنة ، وآخر بابه بعرفة حيث يجوز الوقوف.

والأولى أن يقف عند الصخرات ، وفيما بين الجبال فهو موقف النبي ﷺ .

فإذا فرغت من الصلاة توجهت إلى القبلة ، ونويت الوقوف بعرفة لأجل الحج الواجب عليك ، وعليك بالتوبة والاستغفار واستمطاء مطية الأذكار ، وقراءة القرآن ، وليكن من جملة ذلك أن تسبح الله تعالى مائة مرة ، وتحمده مائة مرة ، وتهلله مائة مرة ، وتكبره مائة مرة ، وتقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة ، وتقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

ثم تقرأ عشر آيات من أول سورة البقرة بعد الفاتحة ، ثم تقرأ آية الكرسي ، وآخر آية من سورة البقرة من قوله **{لله ما في السماوات وما في الأرض}**[١] إلى آخرها وتقرأ **{ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام}** إلى قوله **{قريب من المحسنين}**[٢] ثم تقرأ **{قل أعوذ برب الفلق}** و**{قل أعوذ برب الناس}** وأول سورة الحديد ، وآخر سورة الحشر ، ثم تقول : اللهم إني عبدك فلا تجعلني من أخيب وفدك ، وارحم مسيرى إليك ، وحاجتي وبكائي وتوكلي عليك ، اللهم رب المشاعر الحرام كلها ، فك رقبتي من النار وأدخلني الجنة برحمتك ، وأوسع على من رزقك ، وادرأ عني شر فسقة الجن والإنس ، اللهم : إني أسألك بحولك وقوتك ومجدك وكرمك ومنك وفضلك ــ يا أسمع السامعين ، ويا أنظر الناظرين ، ويا أسرع الحاسبين ، ويا أرحم الراحمين ــ أن تصلي على محمد وال محمد ، وأن تغفر لي ، وترحمني وتفعل لي كذا وكذا ، ويذكر حوائجه ، للدنيا والآخرة ، ويقر بما يعرفه من ذنوبه ، ويعترف به ذنبا ذنبا ، ويستغفر بعد ذلك في الجملة لما لا يعرفه ولا يذكره ، ويرفع يديه إلى السماء ، ويقول : اللهم حاجتي هي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني ، وإن منعتني لم ينفعني ما أعطيتني ، هي فكاك رقبتي من النار ، اللهم فأجرني من النار ، ووالدي وكافة إخواني من المسلمين والمسلمات ، ياجبار الأرضين

---

١) البقرة : ٢٨٤ .

٢) الأعراف : ٥٤ ــ ٥٦ .

والسماوات ، اللهم إني عبدك ناصيتي بيدك ، وأجلي بعلمك أسألك أن توفقني لما يرضيك عني ، وأن تسلم لي مناسكي التي أريتها خليلك إبراهيم عليه السلام ، ودللت عليها نبيك المصطفى محمدا ﷺ ، اللهم اجعلني ممن رضيت عمله ، وأطلت في ذلك عمره ، وأحييته بعد الممات حياة طيبة ، والحمد لله الذي خلقني و لم أك شيئا مذكورا ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، وملكني و لم أكن أملك قليلا ولا كثيرا ، والحمد لله على حلمه بعد علمه ، والحمد لله على عفوه بعد قدرته ، والحمد لله على رحمته التي سبقت غضبه ، واجعل قلبك ولسانك مشغولين بالذكر ولا يستميلنك الشيطان بالنظر إلى الناس والاشتغال بذلك عن الذكر والدعاء .

فإذا فرغت مما ذكرنا من الدعاء فاقرأ سورة يس ، ثم قل : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، وهو مأثور ، ثم اقرأ قل هو الله أحد مائة مرة إن استطعت ، فإن لم تستطع إلا عشر مرات فعلت ، ثم تقول بعده : لا إله الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات والأرضين السبع وما فيهن، ورب العرش العظيم ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العلمين اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، خيرتك من خلقك ، الذي اصطفيته لرسالتك ، واجعله إلهي أول شافع وأول مشفع ، وأبرك قائل ، وأنجح سائل ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أفضل ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم إنك تجيب المضطر إذا دعاك ، وتكشف السوء ، وتغيث المكروب ، وتشفي السقيم ، وتغني الفقير ، وتجير الكسير وترحم الصغير ، وتعين الكبير ، وليس فوقك أمير ، ولا لك مشير ، ولا لك وزير ولا معين ولا ظهير ، بل أنت العلي الكبير القوي النصير ، يا مطلق المكبل الأسير، ويا رازق الطفل الصغير ، ويا عصمة الخائف المستجير ، يامن لا شريك له ولا وزير اللهم إنك أقرب من دعي،وأسرع من أجاب لما رجي ، وأكرم من عفا ، وخير من

أعطي ، وأوسع من سئل ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ليس مثلك مسئول ولا معطي ، دعوتك فأجبتني ، وسألتك فأعطيتني وفزعت إليك فرحمتني ، وأسلمت إليك نفسي فاغفر لي ولوالدي ولأهلي وولدي ولكل سبب ونسب في الإسلام لي ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم إني أسألك بعظيم ما سألك به أحد من خلقك من كريم أسمائك ، وجميل ثنائك ، وخاصة أوليائك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، وأن تجعل عشيتي هذه أعظم عشية مرت علي منذ أنزلتني إلى الدنيا بركة ، في عصمة من ديني ، وخاصة نفسي ، وقضاء حاجتي ، وشفعني في مسألتي وإتمام النعمة علي ، واصرف السوء عني ، وألبسني العافية ، وأن تجعلني ممن نظرت إليه في هذه العشية برحمتك ، إنك جواد كريم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعل هذه العشية آخر العهد مني حتى تبلغنيها من قابل ، مع حجاج بيتك الحرام وزوار قبر نبيك عليه [وآله]الصلاة والسلام في أعفى عافيتك ، وأعم نعمتك ، وأوسع رحمتك ، وأجزل قسمك ، وأسبغ رزقك ، وأفضل الرجاء ، وأنا لك بعونك على أكرم الوفاء ، إنك سميع الدعاء ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واسمع دعائي ، وارحم تضرعي وتذللي وتسليمي لأمرك ، لا أرجو نجاحا ولا معافاة ولا تشريفا إلا بك ومنك ، فأعني على طاعتك ، وطاعة أوليائك الذين اصطفيتهم من خلقك لخلقك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وسلم لي ديني ، وأمدد لي في أجلي ، وأصلح لي مع ذلك عملي ، وأصح لي جسمي ، يا من رحمني وأعطاني سؤلي اغفر لي ذنبي إنك على كل شيء قدير ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وتمم لي نعمتك فيما بقي لي من عمري ، حتى تتوفاني وأنت علي راض ياكريم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، ولاتحرمني التوفيق ، ولا تخرجني من ملة الإسلام بالخذلان ، ولا تكلني إلى غيرك فإني اعتصمت بحبلك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وعلمني ما ينفعني ، واملأ قلبي علما وخوفا من سطوتك ونقماتك ، اللهم إني أسألك مسألة المضطر إليك ، المشفق من عذابك الخائف من عقوبتك أن تغفر لي، وتتغمدني بعفوك وتحنن علي برحمتك ، وتجود علي

بمغفرتك ، وتعينني على أداء فريضتك ، وتغنيني بفضلك عن سؤال أحد من خلقك وتجيرني من النار برحمتك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وافلج حجة آل محمد بظهور قائمهم ، وانتشار كلمتهم على جميع عبادك وبلادك ، واجعلني من المنتفعين بآل محمد ، والمقتدين بهم ، والمودين لهم ، والراغبين فيهم ، والعارفين بفضلهم ، والناصرين لهم ، والمنتقمين من أعدائهم ، والفائزين بلحاقهم ، وارزقنا كرامة الدنيا والآخرة يا كريم ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وما أنكرناه من الحق فعرفناه ، وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، واستجب لنا جميع ما دعوناك وسألناك ، واجعلنا ممن يتذكر فتنفعه الذكرى ، وأعطنا سؤلنا في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ، اللهم أنت ربنا ورب آبائنا الأولين وإياك قصدنا ، ولك استجبنا ، وعليك توكلنا ، وإياك رجونا ، ومنك سألنا ، أعطنا سؤلنا ، وتجاوز عن سيئاتنا ، واهد قلوبنا ، وثبتنا على الهدى ، وآتنا تقوانا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ، وتقبل حجنا ، ولا تردنا خائبين برحمتك يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين ، والحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم لا يزال في الذكر والدعاء إلى أن تغرب الشمس ، وينبغي أن تجمع في الوقوف بين جزء من النهار وجزء من الليل ، ثم تفيض من عرفات ، وتأتي بباقي أعمال الحج.

القانون السابع في كيفية الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة وما تفعل هناك

فإذا غربت الشمس وأردت الإفاضة فقل : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا الموقف وارزقنيه أبدا ما أبقيتني ، واقلبني اليوم مفلحا منجحا مستجابا لي ، مرجوا مغفورا لي ــ بأفضل ما ينقلب به أحد من وفدك عليك ، وأعطني أفضل ما أعطيت أحدا منهم من الخير والبركة ، والرحمة والرضوان والمغفرة والعفو ، وبارك لي فيما أرجع إليه من مال أو أهل أو ولد أو قليل أو كثير ، وبارك لهم في يا كريم ، وصل على محمد وعلى آل محمد .

وينبغي أن تقصد في سيرك بسكينة ووقار إلى أن تصل إلى الكثيب الأحمر ، وهو على يمين الطريق ، فإذا وصلته فقل : اللهم ارحم موقفي ، وزك عملي ، وسلم لي ديني ، وتقبل مناسكي .

ثم تمضي حتى تصل إلى المأزمين ثم تقول هناك : الله أكبر الله أكبر ـــ سبع مرات .

ثم تقول : اللهم صل على خيرتك من خلقك محمد وعلى آله الطاهرين ، إلهي إلى هاهنا دعوتني ، وبما عندك وعدتني ، وقد أجبتك بتوفيقك وفضلك ـــ فارحمني وتجاوز عني بكرمك وعفوك .

وأخر المغرب والعشاء حتى تأتي المزدلفة ، فإنه لا يجزيك ذلك إلا بها.

فإذا وصلت المزدلفة جمعت بين المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، من غير توسط نافلة ، كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تبيت بها ليلتك .

واجتهد في هذه الليلة في الصلاة والدعاء ، فهي ليلة فاضلة ، وخذ منها سبعين حصاة لرمي الجمار فهي مقدار الكفاية ، وإن أخذت أزيد من ذلك مخافة أن يدخل عليك شك في شيء من الرمي بعد تمام الحصى فافعل ، وإن أخذت الحصى من بعض جبال مني أجزأك أيضا .

فإذا طلع الفجر صليت صلاة الصبح ، ثم ارتحلت ومضيت حتى تقف عند المشعر الحرام ، وينبغي أن تقف متوجها للكعبة إن شئت راكبا ، وإن شئت راجلا قاعدا أو قائما ، وتقرأ (إنا أنزلناه) وتقول : اللهم رب المشعر الحرام حرم جسدي على النار ، وتقول : اللهم إن هذا المشعر الحرام الذي تعبدت عبادك بالذكر لك عنده، وأمرتهم به فقلت وقولك الحق المبين : **{فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام}**[1] ولاذكر لك أذكرك به أفضل من توحيدك والإقرار بعدلك في كل أمورك والتصديق بوعدك ووعيدك ، فأنت إلهي لا إله لي سواك ، ولا أعبد غيرك ، تعاليت عن شبه خلقك ، وتقدست عن مماثلة عبيدك ، فأنت الواحد الذي ليس لك مثيل ، ولا يعدلك عديل ، لم تلد و لم تولد ، و لم يكن لك كفوًا أحد ، الأول قبل كل شيء

١) البقرة : ١٩٨ .

والآخر بعد كل شيء ، والمكون لكل كائن ، خالق الأولين والآخرين ، والباعث لكل الخلائق في يوم الدين ، البريء عن أفعال العباد ، المتعالي عن القضاء بالفساد ، والصادق الوعد والوعيد ، الرحمن الرحيم للعبيد ، نسألك يا رب الأرباب ويا معتق الرقاب في يوم الحساب أن تعتقني من النار ، وتجعلني بعزتك في خير دار ، في جنات تجري من تحتها الأنهار فإنك واحد قادر جبار ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ولوالدي ولمن ولدا ، ولمن ولدهما في الإسلام كما ربياني صغيرا ، وأجزهما عني أفضل الجزاء ، واعتقني وإياهما من النار ، اللهم اغفر لي ولأخواني من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، وأعطني سؤلي ، وقني شح نفسي ، وأمن خوفي ، وفك رقبتي من النار والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، اللهم لك الحمد كما ابتدأت الحمد ، ولك الشكر وأنت ولي الشكر ، ولك المن والإحسان ، اللهم فأعطني سؤلي في دنياي وآخرتي فأنت جواد كريم .

القانون الثامن في كيفية الإفاضة من المزدلفة إلى منى

وما يفعل في هذااليوم ، وهو يوم العيد إلى أن يقع الإحلال من الإحرام.

ثم أفض من المشعر الحرام قبل طلوع الشمس فبذلك وردت السنة ، ولتسر على خشوع وخضوع لرب العالمين ، وعليك بقراءة القرآن والذكر والاستغفار ، إلى أن تصل إلى وادي محسر ، وهو ما بين المزدلفة ومنى ، فإذا بلغت الوادي سعيت فيه إن كنت راجلا ، وحركت دابتك إن كنت راكبا حتى تجوزه ، وأنت تقول : اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم سلم عهدي ، واقبل توبتي ، وأجب دعوتي ، واغفر زلتي ، وأقل عثرتي ، وآنس وحشتي في قبري ، واخلفني في أهلي وما تركت بعدي.

فإذا جاوزت الوادي مشيت إلى أن تبلغ إلى منى ثم إلى جمرة العقبة. فإذا بلغت إلى جمرة العقبة رميتها بسبع حصيات ، وليكن بينك وبين الجمرة مقدار عشرة أذرع أو ما قارب ذلك ، وفائدة ذلك أن لا تكون ملقيا ، ولا مبعدا في الرمي.

وينبغي أن تكون على طهارة استحبابا، وينبغي أن يكون الحصي مغسولا استحبابا ولا بأس بأن يرمي الحاج راجلا أو راكبا ، وتكون الحصاة قدر أنملة ، ويستحب أن يتركها في شماله ، ويرمي بيمينه ، ويستحب أن يكبر مع كل حصاة ويقول :(لا إله إلا الله والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا) .

وليقطع التلبية مع أول حصاة ، ولا يرم بالحصي مجتمعات فإن فعل أعاد.

وليكن الرمي بعد طلوع الشمس وارتفاعها بمقدار الرمح .

ثم ليحضر الهدي إن كان قارنا أو متمتعا أو متطوعا ، والأضحية إن لم يكن هدي.

والأفضل من ذلك كله البدنة ، ثم البقرة ، ثم الشاة ، إلا أن القارن لا تجزيه إلا بدنة.

فالبدنة من الهدى تجزئ عن عشرة ، وكذلك إذا كانت أضحية ، والبقرة فيهما تجزئ عن سبعة ، والشاة عن واحد ، وهي أفضل له من المشاركة ، لورود الخبر بأن خير الأضحية الكبش الأقرن الأملح.

ولا تجزئ عن ذلك عمياء ، ولا عوراء ، ولا عرجاء ، ولا مريضة بين مرضها ، ولا عجفاء بين عجفها ، كله مأثور عن النبي ﷺ .

ويستحب أن يختار السمينة ، وإن يغالي في أثمانها ، قال النبي ﷺ : (اشتروا الأضاحي واستسمنوها ، واستعظموها ، ولا تماكسوا في أثمانها ؛ فإنما تخرجونها لله ، ولا يذبحن أضاحيكم إلا طاهر ، ولا يأكل منها إلا مؤمن ، واحظروها إذا ذبحت فإنه يغفر لكم عند أولى قطرة من دمها ، فإنكم ترون دمها يسيل في الأرض وهو في حرزه حتى يوفي صاحبها الأجر يوم القيامة بكل قطرة من دمها ، وبكل بضعة من لحمها ، وبكل شعرة من شعرها ، وبكل صوفة من صوفها ، حتى عظامها وقرونها تروها حسنات يوم القيامة في كتبكم ، وثقلا في موازينكم).

وقال ﷺ : (ما أنفقتم الورق في شيء أحب إلى الله من نحير ينحر يوم العيد) .

نعم ــ واقل ما يجزئ في الهدي والأضحية من الضان الجذع ، ومن سائرها الثني .

وإن لم يجد المتمتع الهدى صام ما أمره الله تعالى به ثلاثة أيام في الحج قبل يوم

التروية ، ويوم التروية ويوم عرفة. وسبعة إذا رجع إلى أهله.
ويستحب أن يصل صيامها وإن لم يصم هذه الأيام صام أيام التشريق من ثاني العيد إلى يوم النفر الثاني ، وإن وجد الهدي في أيام النحر يوم العيد وثانيه وثالثه انتقل إليه وترك الصيام، وإن لم يجد وخرجت أيام التشريق قبل أن يصوم الثلاثة الأيام فعليه دم ويصومها بعد ذلك مع السبعة الأخرى .

والهدي كالأضحية يأكل منه ويتصدق ، ولا يبع ، ولا يعط الجازر شيئا بخلاف الكفارات والفدية والجزاء فإنه لا يأكل منه بل يتصدق به.

وإذا أراد الذبح لهديه أو أضحيته فالمستحب أن يذبح بيده ، وأن يكون على طهارة ، فإن كان ينحر فليوجه ما ينحره إلى القبلة قائما ، ويربط يده بين الخف والركبة ، ويأخذ الحربة بيمينه فليطعن بها في اللبة ، وليقرن ذلك بالتسمية.

وان أراد أن يذبح فليضجع ما يذبحه على الأرض ، ويوجهه إلى القبلة ، ويأخذ الشفرة من جانبه الأيمن ثم يقول عند النحر أو الذبح : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا إله إلا الله والله أكبر، وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض إلى قوله : المسلمين).

ثم يقول : اللهم منك وإليك فتقبل من عبدك وابن عبديك ، كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمد رسولك صلى الله عليهما وعلى آلهما الأطهار).

فإذا فرغ من ذلك فليحلق رأسه أو يقصر ، وإذا حلق استقصي في إزالة جميعه ، وإذا قصر أخذ ما يبين أثره.

والمرأة تقصر ولا تحلق .

وليستقبل القبلة عند الحلق أو التقصير وهو يقول : اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة ، وأرفع لي بها درجة)والأصلع يمر الموسى على رأسه .
فإذا فرغ من الحلق أو التقصير فقد حل من إحرامه ، وأبيح له ما كان محظورا عليه من سبب الإحرام إلا النساء ، فإنه لا يحل له إتيانهن حتى يطوف طواف الزيارة ، وهو طواف النساء.

ثم يلبس ما شاء من اللباس ، ويتطيب بما شاء من الطيب ، ويفعل ما أراد إلا ما كان محظورا لحرمة الحرم.

ثم يصلي صلاة العيد كما تقدم بيانها.

القانون التاسع الزيارة للبيت

فإذا فرغ الحاج مما ذكرنا زار البيت في يوم العيد ، أو في أي يوم من أيام منى متى شاء ، فإن كان متمتعا ، أو لم يطف طواف القدوم فليبلغ إلى البيت ، ثم يطف طواف القدوم ويسع بعده ، ثم يعد إلى البيت فيطف طواف الزيارة وهو طواف النساء ، وهو أحد الأركان .

وإن كان غير متمتع وكان قد طاف طواف القدوم طاف طواف الزيارة ، وفعل في طريقه إلى مكة وعند دخوله المسجد ، وعند الركن ، وفي الطواف ، وفي السعي ، وفي جميع تلك الأفعال ـــ بما ذكرناه أولا من الأذكار والأفعال ، إلا أن طواف الزيارة ليس فيه رمل.

فإذا فعل ذلك فقد حل من إحرامه ، وحل له كل شيء من أمر النساء إن شاء الله تعالى .

القانون العاشر مما يفعله الحاج من باقي أعمال الحج

فإذا فرغ يوم النحر من طواف الزيارة عاد إلى منى فأقام فيها ليالي منى ، وهي ثلاث لا يبت إلا فيها ، فإن بات في غيرها فقد دخل في النهي ، ولزمه دم في كل ليلة يبيتها في غيرها متى فرق ، فإن جمع لزمه دم واحد ، وقد دخل في النهي .

وليشتغل في هذه الأيام بأنواع العبادات والقرب ، فإذا كان بعد الزوال في اليوم التالي من العيد ، وهو اليوم الذي يسمي يوم الرؤوس أخذ إحدى وعشرين حصلة ، وتقدم للرمي وهو متطهر ، وليبدأ بالجمرة التي وسط مني وهي أقربهن إلى مسجد الخيف ، فليرمها بسبع حصيات من بطن الوادي ، ويكون بينه وبينها مقدار عشرة أذرع أو خمسة عشر ذراعا ، ويفعل في الرمي ماذكرناه في جمرة العقبة ، إلا أنه يجعل

الجمرة التي رماها وراء ظهره ، ثم يقول : اللهم إيمانا بك ، وتصديقا لكتابك ، واتباعا لسنة نبيئك محمد ، اللهم إني عبدك وابن عبديك ، طالب منك ، ضارع إليك ، قصدتك فلا تخيبني ، إنك أنت إلهي لا إله لي غيرك ، بيدك ناصيتي ، وإليك رجعتي ، فأعطني بفضلك إقالة عثرتي ، وغفران خطيئتي ، وستر عورتي ، والكفاية لكل ما أهمني ، منك طلبت ، وإليك قصدت فأحسن مثواي في آخرتي وأمن يوم لقاك روعتي ، وأعذني من عذابك ، وأنلني ما أنت أهله من ثوابك ، إنك لطيف كريم رؤف رحيم) .

ثم ليمض حتى ينتهي إلى الجمرة الوسطى فيرميها بسبع حصيات ، ويقول من التهليل ما ذكرناه مع كل حصاة ، ثم يستقبل القبلة ، ويجعل الجمرة من ورائه ، ثم يقول : اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ، واغفر لي الذنوب التي تورث الندم ، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم ، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء ، واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء ، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء ، واغفر لي الذنوب التي تدخل في الهوى ، اللهم وفقني لما تحب وترضى ، واعصمني من الزلل والخطاء إنك أنت الواحد العلي الأعلى).

ثم يأتي جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات يقول مع كل حصاة ما كان قاله فيها ، ثم ينصرف ولا يقف عندها ، ويقول في طريقه : اللهم تولني فيمن توليت ، وعافني فيمن عافيت ، وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ، ولا يقضي عليك ، تباركت ربنا وتعاليت ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، سبحانك لا إله إلا أنت ، عز من نصرت ، وذل من خذلت ، وأصاب من وفقت ، وحار عن رشده من رفضت ، واهتدى من هديت ، وسلم من الآفات من صحبت ورعيت ، أسألك أن ترعاني وتصحبني في سفري ومقامي ، وفي كل أشيائي ، يا إله الأولين وآله الآخرين.ثم ينصرف حيث أراد .

فإذا كان من الغد ، وهو اليوم الثالث من العيد فعل الحاج بعد الزوال في رمي الجمار ما تقدم ، فإن أحب التعجيل إلى أهله نفر في هذا اليوم بعد الرمي ، ولا يجوز

له أن يرمي قبل الزوال ، وإذا نفر في هذا اليوم أتى الكعبة فطاف بها سبعة أشواط طواف الوداع لا رمل فيه ، وفعل في طريقه ، ودخول المسجد ، وفي الطواف من الأذكار ما بيناه ، ويصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه‌السلام ، ثم يستقبل الكعبة ، ثم يقول : اللهم إن البيت بيتك ، والحرم حرمك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم اجعله سعيا مشكورا ، وحجا مبرورا ، وذنبا مغفورا ، وعملا متقبلا ، اللهم لا تجعله آخر العهد بالبيت الحرام الذي جعلته قبلة لأهل الإسلام ، وفرضت حجه على جميع الأنام ، اللهم اصحبنا في سفرنا ، وكن لنا وليا حافظا ، اللهم إنا نعوذ بك من كآبة السفر ، وسوء المنقلب ، وفاحش المنظر في أنفسنا وأهلينا وأولادنا ومالنا ، وما اتصل بنا من ذوي أرحامنا ، وأهل عنايتنا ، وأرباب ملتنا ، اللهم لك الحمد على ما مننت به علينا من أداء فرضك العظيم ، ولك الحمد على حسن الصحابة والبلاغ الجميل ، اللهم لا تشمت بنا الأعداء ، ولا تسوء فينا الأصدقاء ، و لا تكلنا إلى أنفسنا ، ربنا وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما .

ثم تدخل زمزم فتشرب من مائها وتطلع فيها وتقول : اللهم أنت أخرجتها ، وجعلت الماء فيها ، وأقررته وأسكنته في أرضها ، تفضلا منك على خلقك بما سقيتهم منها ، ومننت عليهم بما جعلت من البركة فيها ، فاسقنا بكأس محمد يوم الظمأ ، واجعلنا من حزبك وحزبه ، وأدخلنا في زمرته ، وامنن علينا بشفاعته ، وأسكنا في جواره ، وامنن علينا في الآخرة بقربه ، واحشرنا يوم الدين على ملته ، إياك وحدنا ، وإليك العدل في أفعالك نسبنا ، وبجميع وعدك ووعيدك صدقنا ، وسنة نبيك اتبعنا ، وإياك على أداء جميع فرائضك استعنا ، فأعنا بعزتك ، وافتح لنا أبواب رحمتك ، ووسع علينا في الأرزاق ، وارفق علينا بأعظم الإرفاق .

ثم يسير إلى بلده إن شاء الله تعالى ، وإن آخر النفر إلى اليوم الرابع من العيد ، وهو آخر يوم من أيام التشريق فليتقدم بعد الضحى إلى الجمار ، فيرميها على النسق الأول

الذي ذكرناه ،وإن شاء أقام إلى زوال الشمس ثم رماها ، ثم نفر إلى مكة ، فأقام بها ما شاء ، فإذا كان يوم الخروج إلى بلده طاف بالبيت طواف الوداع ، وفعل فيه ما ذكرناه ، ولا يصح طواف الوداع إلا يوم الخروج.

ويستحب للحاج أن يتصدق بشيء يوم الخروج إلى بلده .

وإن كان الحاج مفردا وأحب إن يعتمر بعد حجه ليدخل في الفضيلة ، فإن ذلك هو الحج الأفضل ــ خرج إلى الحل فأحرم بعمرته ، وفعل من النية والتلبية والأذكار ما ذكرناه في الإحرام بالحج ، فإذا وصل مكة قطع التلبية عند مشاهدته للبيت ، ثم طاف لعمرته وسعي وقصر ، وقد تمت عمرته ، وزكت إن شاء الله تعالى حجته ، وقد تم بذلك الفصل السادس .

الفصل السابع في بيان ما هو من كمال أفضل الحج.

اعلم أيها الطالب وفقنا الله وإياك لمرضاته أن من كمال فضيلة الحج الزيارة للنبي ﷺ والزيارة لمن أمكن من أهل بيته وقرابته وأصحابه رضي الله عنهم ، ونحن نذكر كيفية الزيارة وفضلها ، وما يستحب فيها ، ويتم الغرض من ذلك في خمس جمل.

الجملة الأولى في فضل زيارة النبي ﷺ .

قال النبي ﷺ : (من حج وزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي)

وعنه ﷺ (من زار قبري وجبت له شفاعتي)

وعنه ﷺ (من أتى المدينة زائرا وجبت له شفاعتي يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعث آمنا)

وعنه ﷺ (من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائبا بلغته) .

وعنه ﷺ (من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام أسمي في ذلك الكتاب)

وعنه ﷺ (إن الله أعطي ملكا أسماء الخلائق ، وهو قائم على قبري إذا مت إلى

يوم القيامة فليس أحد من أمتي يصلي على صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه ، وقال : يا محمد صلى عليك فلان بن فلان) .

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أكثروا من الصلاة علي) قلت : وهل تبلغك الصلاة بعد أن تفارقنا ؟ قال : نعم ، يا علي إن الله تعالى وكل بقبري ملكا يقال له صلصابيل في صورة الديك ، ثاني عنقه تحت العرش ومخالبه في تخوم الأرض السابعة له ثلاثة أجنحة ، جناح إذا نشره بالمشرق والآخر بالمغرب ، والثالث منتشر على قبري ، فإذا قال العبد : اللهم صل على محمد لقطها في فيه كما يلتقط الطير الحب ، يرفرف على قبري ويقول : يا محمد يا محمد ، فلان بن فلان صلى عليك ، وأقرأك السلام ، فيكتب له ذلك في رق من نور بالمسك الأذفر ، وترفع له عشرون ألف درجة ، وتكتب له عشرون ألف حسنة ، وتغرس له عشرون ألف شجرة على شاطئ الكوثر ، فهو مختوم بالمسك الأذفر في قبري عند رأسي ، فأول من تنشق عنه الأرض أنا ، فيأتيني جبريل براية بين عينيها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لها سبعون ألف جناح ، تحت كل جناح جلجل من ذهب ، محشو بالمسك الأذفر ، ويسبح الجلجل بلسان لا يعلم الجلجل الذي بجنبه ما يقول ، إلا أنه يسبح ويهلل ، ويحمد رب العالمين ، فأدفع إلى رضوان خازن الجنة لوائي ، وهو لواء الحمد ، مكتوب في وسطه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لو نشره على جميع ولد آدم لغطاهم عن آخرهم ،وجبريل عن يميني وميكائيل عن يساري يهللان ويحمدان الله ، مع جلاجل البراق ، حتى أغرز لوائي عند الميزان وقد نصب ودعي العباد إلى الحساب ، فإذا دعي العبد الذي أكثر الصلاة علي ثم وضع في كفة الميزان فيخف الميزان ، فأقول للوزان : ارفق ، فإن له عندي وديعة وصنعة ، فيقول : يا محمد أنت اليوم مطاع ، ثم آمر بفك كتاب باسمه واسم أبيه وجده ، فأضعه في كفة الميزان فأدعو الله أن يرجح ميزانه)

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (من زارني في حياتي ، أو زار قبري بعد وفاتي صلت عليه ملائكة الله اثني عشرة ألف سنة)

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال : يا رسول الله مال من زارنا ؟ فقال ﷺ : (من زارني حيا أو ميتا ، أو زار أباك حيا أو ميتا ، أو زار أخاك حيا أو ميتا ، أو زارك حيا أو ميتا ، كان حقا علي أن أستنقذه يوم القيامة) فهذا فضل الزيارة.

الجملة الثانية : في كيفية زيارته عليه السلام

وما يستحب من زيارة من بالمدينة أو بالقرب منه من أهل البيت عليهم السلام وأصحابه رضي الله عنهم.

فإذا أردت الزيارة للنبي ﷺ وخرجت من مكة قاصدا إليه ، فينبغي أن تخرج على حال خشوع وخضوع ، وسكينة ووقار ، وقراءة القرآن ، ومعاهدة الدعاء والاستغفار ، ولجميع فنون الأذكار ، وانو المسير إليه ﷺ والزيارة مع زيارته لمن تحب من أهل بيته وصحابته ، والمواضع التي شرفت بمقامه وبركته .

فإذا وصلت إن شاء الله تعالى مسجد الغدير ، وهو على يسار المتوجه من مكة إلى المدينة دون الجحفة قليلا ، وقد قيل إن بينه وبين الجحفة ثلاثة أميال ، والله أعلم فادخله وصل في ميسرته ثم امض حتى تبلغ المعرس ، فإذا وصلت المعرس إن شاء الله تعالى فينبغي أن تنزل به كما نزل به رسول الله ﷺ فإن كان وقت صلاة فريضة صليت ، وإلا صليت صلاة نافلة ، ثم اضطجع به قليلا ليلا كان أو نهارا ، فإن لم تضطجع فانزل به قليلا ، ثم سر حتى ترى حيطان المدينة وأشجارها ، وعليك في طريقها بكثرة الصلاة على النبي ﷺ .

فإذا شاهدت المدينة مدينة النبي ﷺ فقل عند رؤيتها : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار ، وأمانا من العذاب وسوء الحساب . ثم اغتسل قبل الدخول من بين الحرة ، وتطيب والبس أنظف ثيابك ، فإذا دخلتها دخلتها متواضعا معظما لها ثم قل : بسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا .

ثم اقصد المسجد ، فإذا أردت دخول المسجد مسجد رسول الله ﷺ فادخله من باب جبريل ، فإذا صرت بالباب وقفت به وأنت تقول : بسم الله وبالله ، والسلام

على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)

ثم تقدم رجلك اليمنى ، وتدخل إلى القبر قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقف عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن ، عند زاوية من موضع رأسه ، ويكون منكبك الأيمن مما يلي موضع عود المنبر ، والأيسر إلى جانب القبر ، وتستقبل السارية التي جنبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيك ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم تأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقف عند وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بأن تستدبر القبلة وتستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية ، وتجعل القنديل على رأسك ، وليس من السنة أن تمس الجدار ، ولا أن تقبل ، ثم تقول :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا محمد بن عبد الله ، السلام عليك يا عاقب ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا نذير ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيئين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا قامع الشر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك يا سيد الأمة ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين ، وأزواجك الطاهرات ، أمهات المؤمنين ، السلام عليك يا طه ، السلام عليك يا طس ، السلام عليك يا يسين ، السلام عليك أشهد أنك قد بلغت الرسالة من ربك ، ونصحت لأمتك ، وجاهدت في سبيل الله ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، وأديت الذي عليك ، فجزاك الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصفيك وأمينك وخيرتك من خلقك ، وعلى آل محمد ــ أفضل وأحسن وأكمل وأجمل ما صليت على أحد من أنبيائك وأصفيائك وأهل الكرامة ، اللهم أعطه الدرجة الوسيلة من الجنة ، وابعثه مقاما محمودا يغبطه به

الأولون والآخرون من خلقك ، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، وسراج الظلمة ، يا محمد السلام عليك ، إني أتوجه بك إلى الله ربك وربي ليغفر لي ذنوبي ، ويتقبل لي عملي ، اللهم وأنا هذا بين يديك ، مستجيرا بك في فكاك رقبتي من النار ، أشهد أنك يا رسول الله أتيت بالحق ، وقلت بالصدق ، والحمد لله الذي وفقني للإيمان بك ، والتصديق بنبوتك ، ومن علي بطاعتك ، واتباع سبيلك ، وجعلني من أمتك ، والمجيبين لدعوتك ، وهداني إلى معرفتك ومعرفة الأئمة من ذريتك ، أتقرب إلى الله بما يرضيك ، وأبرأ إليه مما يسخطك ، مواليا لأوليائك ، معاديا لأعدائك ، جئتك يا رسول الله زائرا ، وقصدتك راغبا متوسلا إلى الله تعالى بك ، فأنت صاحب الوسيلة ، والمنزلة الجليلة ، والشفاعة المقبولة ، والدعوة المسموعة ، فاشفع لي إلى الله تعالى في الغفران والرحمة ، والتوفيق بالعصمة ، فقد غمرتني الذنوب ، وشملتني العيوب ، وأثقل الظهر ، وتضاعف الوزر ، وقد أخبرتنا — وخبرك الصدق — أن الله تعالى قال — وقوله الحق — : { **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** }[1] وقد جئتك يا رسول الله مستغفرا من ذنوبي ، تائبا من خطيآتي وسيآتي ، وأنا أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي ، فاشفع لي يا شفيع الأمة ، وأجرني يا نبي الرحمة صلى الله عليك وعلى آلك الطاهرين)

فإن كان لك حاجة فاجعل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم شفيعا لك ، واستقبل القبلة ، وأرفع يديك واسأل حاجتك ، وقل : اللهم إليك ألجأت أمري ، وإلى قبر نبيك أسندت ظهري ، وإلى القبلة التي ارتضيتها لمحمد صلواتك عليه وآله استقبلت بوجهي ، اللهم إني لا أملك لنفسي خير ما أرجو ، ولا أدفع عنها شر ما أحذر ، والأمور كلها بيدك ، فأسألك بحق محمد وعترته ، وقبره الطيب المبارك وحرمته ، وبحقك فلا حق أعظم عليك منك ومن رسولك اغفر لي ما سلف من جرمي ، واعصمني عن المعاصي في مستقبل عمري ، وثبت على الإيمان قلبي ووسع علي رزقي ، واحفظني

---

١) النساء : ٦٤ .

في أهلي ومالي وولدي ، واكلأني من الأعداء وأحسن لي العاقبة في الأولى والأخرى ، اللهم ما كان لي من حاجة سارعت في طلبها إليك ، أو لم أسرع ، أو لم أسألكها ، نطقت بها أو لم أنطق بها ، حفظتها أو نسيتها ، تصلحني في دنياي أو تقربني إليك في آخرتي ، فإني أتشفع إليك بنبيك وأقدمه بين يدي دعائي لقضائها ، قليلها وكثيرها ، وصغيرها وكبيرها ، وحقيرها وخطيرها ، بمنك وفضلك ، إنك سميع الدعاء)

ثم تأتي إلى الروضة هي ما بين القبر والمنبر إلى الأساطين التي تلي صحن المسجد فتصلي فيها ما أمكنك ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)

ولتكثر من الدعاء والاستغفار والتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد .

ثم تأتي إلى المنبر فتمسح بيدك رمانتيه ، ثم تمسح بهما وجهك ، فقد قيل : إنهما شفاء للعينين ، ثم قف عنده مستقبل القبلة تحمد الله ، وتثني عليه ، وتصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقول : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

ثم تقف عند المقام مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما بين القبر والمنبر في الروضة ، وقف عنده وصل أربع ركعات أو ركعتين ، فإذا سلمت فقل : اللهم هذا مقام نبيك ، وخيرتك من خلقك ، جعلته روضة من رياض جنتك ، وشرفته على بقاع أرضك ، وقد أقمتني فيه بلطفك ومنك ورحمتك وفضلك ، فأسألك في هذا المقام الطاهر أن تصلي على محمد وعلى آل محمد ، وإن تعيذني من النار وتمن على بالجنة ، وترحم موقفي وتغفر زلتي وتزكي عملي ، وتوسع لي في رزقي ، وتدم عافيتي ، وتسبغ نعمتك على ، وتحرسني من كل معتد على وظالم ، وتطيل في طاعتك عمري ، وتوفقني لما يرضيك عني ، وتعصمني عما يسخطك على ، اللهم إني أتوسل إليك بنبيك وأهل بيتك حجتك على خلقك وآياتك في أرضك ـــ أن تستجيب دعائي ،

وتبلغني من الدين والدنيا أملي ورجائي ، يا سيدي ومولاي ، قد سألتك فلا تخيبني ، ورجوت فضلك فلا تحرمني ، فاغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات ، يا جبار الأرضين والسموات .

ثم تأتي اسطوانة التوبة ، وهي اسطوانة أبي لبابة التي وقف عندها حتى نزل عذره من السماء ، فتدعو عندها بما تحب ، ثم تأتي الجبانة فتصلي عندها وتدعو بما تحب .

ثم تأتي اسطوانة أمير المؤمنين علي عليه السلام فتصلي عندها ، وتكثر من الدعاء ، وكل ذلك في الروضة ما بين قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره ، وكلها ملحقات إلى أعلاها لتكون علامة لمن ترك الأسطوانات ، فعليك فيها بالصلاة والدعاء .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (الصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في مسجد غيره إلا المسجد الحرام) .

ثم تأتي بعد ذلك إلى مقام جبريل عليه السلام فتقف بهذا المقام وتقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، أي جواد ، أي كريم ، أي عزيز ، أي قريب ، أي مجيب ، أسألك أن تتم نعمتك ، وأن تصلي على جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وعلى جميع ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين ، من أهل السموات وأهل الأرضين ، واجمع لنا خير الدنيا والآخرة ، واصرف عنا شر الدنيا والآخرة ، بمنك يا رحيم) .

[زيارة البقيع]

فإذا فرغت من ذلك زرت إن شاء الله قبور أهل البيت عليهم السلام بالبقيع .

والذين بالبقيع هم الإمام السبط أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام.

وأبو محمد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

وأبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

وأبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام .

وفيه العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويقال : بأن هناك قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فإذا أردت الزيارة لأهل البقيع فينبغي أن تغتسل ، ولاتزر إلا وأنت على طهارة ،

فإذا وصلت البقيع فاجعل القبر بين يديك وقل : السلام عليكم أئمة الهدى ، السلام عليكم أهل التقوى ، السلام عليكم أيها الحجج على أهل الدنيا ، السلام عليكم أيها القوام في البرية بالقسط ، السلام عليكم أهل الصفوة ، السلام عليكم أهل النجوى ، أشهد أنكم قد نصحتم وصبرتم ، وجاهدتم في ذات الله ، وكذبتم وأسيء إليكم فعفوتم ناصحين وصابرين ، غير ناكثين ولامرتدين ، حتى أتاكم اليقين ، فعليكم أفضل الصلاة والترحيم من الرب الواحد الكريم ، اللهم إن هؤلاء أئمة الهدى ، المجاهدون في سبيلك ، الباذلون أنفسهم في مرضاتك ، المجتهدون في طاعتك ، قد صاروا إليك وقد أتينا زائرين لهم ، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان ، وأقر بما جنى ـ يرجو بمقامه الخلاص ، وأن يستنقذه الله بهم ، فاجعلهم لنا شفعاء وقد وفدنا إليهم إذ رغب مخالفوهم عنهم من أهل الدنيا ، واتخذوا آيات الله هزوءا واستكبروا عنها ، يا من هو قائم لا يسهو ، ودائم لا يلهو ، ومحيط بكل شيء لا يغفل ، لك المن بما وفقتني له من محبتهم ، وعرفتني من فضلهم ، وأدخلتني في جملة شيعتهم ؛ إذ صد عنهم عبادك ، وجهلوا حقهم ، ومالوا إلى سواهم ، فلك الحمد يا مستحق الحمد فاغفر لي ، ولا تحرمني ما رجوته من بركة مودتهم ، والدخول في جملتهم ، والكون معهم ومن حزب جدهم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ويستحب أن يصلي صلاة الزيارة ركعتين عند كل واحد ؛ تقربا إلى الله تعالى فهو لنفسك فأعمل لها ما أحببت ، وادخر لها ما قدرت .

[زيارة شهداء أحد]

فإذا فرغت من ذلك فعليك بزيارة الشهداء بأحد .

فإذا أردت ذلك بدأت أولا بزيارة قبر حمزة عليه السلام ، فإذا أتيت قبره قلت : السلام عليك يا عم رسول الله ، السلام عليك يا خير الشهداء ، السلام عليك يا أسد الله وأسد رسوله ، أشهد أنك قد جاهدت في الله عز وجل ، وجدت بنفسك ، ونصحت لابن أخيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكنت فيما عند الله راغبا ، بأبي بأبي

أنت وأمي أتيتك متقربا إلى الله عز وجل بزيارتك ، ومتقربا إلى رسوله بتعاهدك ، راغبا إليه وإليك في الشفاعة ، وأبتغي بزيارتك خلاص نفسي من لوازم حقك ، متعوذا بالله عز وجل ، مستشفعا إلى ربك أن يهب لي ذنوبا اقترفتها ، وخطايا اجترمتها ، وسيئات احتطبتها على ظهري ، وأتشفع بك إلى ربي ، وأتقرب بزيارتك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعساه أن يشفع لي ببركتك ، فلم أجد أحدا أفزع إليه في الشفاعة خيرا لي منكم أهل البيت ، فكن لي شفيعا عند حاجتي ، فقد سرت إليك محزونا ، وأتيتك مكروبا ، وزرتك مغموما وسكبت دمعي عندك باكيا ، وصرخت إليك مفردا ، أنت ممن أمرني الله بمودته وصلته ، وحثني على بره ومحبته ، ودلني على فضله ، وهداني إلى زيارته ، ورغبني في الودادة إليه ، وأنتم يا أولي القربى لا يشقى من تولاكم ، ولا يخيب من أتاكم ، ولا يخسر من يهواكم ، ولا يسعد من عاداكم)

ثم تستقبل القبلة ، ولا تجعل القبر بين يديك ، وتصلي ركعتين للزيارة تقربا إلى الله ثم تنكب على القبر ، ثم تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم إني تعرضت لرحمتك بلزومي لقبر عم نبيك لتجيرني من نقمتك وسخطك ، في يوم تكثر فيه الأصوات ، وتطلب فيه التبعات ، وتشتغل كل نفس بما قدمت ، وتجادل كل نفس عن نفسها ، فإن ترحمني فقديما شملتني بعفوك ، وتابعت علي نعمتك حتى حلل اكتسابي معصيتك ، وإن تعذبني فأنا لذلك أهل ، وهو يا رب منك عدل غير أني قد صرت لائذا بقبر عم نبيئك صلى الله عليه وآله وسلم ، طارحا نفسي بين يديك ، شاكيا بثي إليك ، متقربا بمحبة أولى القربى إليك ، متشفعا بهم وبجدهم ، ومتوكلا عليك ، فلا تخيب رجائي ، ولا تبطل عنائي ، فأنت المرجو عند المهمات ، والمدعو عند الملمات ، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت ، ولا يرتفع منها إلا ما رفعت ، وإنما نتشفع إليك بغيرك من العبيد متى رضيت بذلك يا مبديء يا معيد ، وإلا فالخير كله بيديك ، والشر ليس إليك ، لا تحكم بالفساد ، ولا تقضي إلا بالرشاد ، فبحق نبيئك وأهل بيته صلوات الله عليهم ، وبحق توحيدك الذي ثبت في قلبي إلا وهبت لي ذنبي ، وغفرت لي ورحمتني وتخلصتني ، وقربتني إلى جنبك ، وباعدتني من نارك ، وقضيت

لي حوائج الدنيا والآخرة ، وعافيتني في العاجلة والآجلة ، وصلى الله على رسوله محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله .

فإذا فرغت من ذلك أتيت قبور الشهداء ، ثم تقول : السلام عليكم يا أنصار الله ، السلام عليكم يا أنصار رسول الله ، السلام عليكم يا أهل الديار ، أنتم لنا فرط ، وإنا بكم لاحقون ، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، اللهم انفعنا بزيارتهم وأمتنا على محبتهم، اللهم إنا نحب من أحبك ومن تحبه لأنه يحبك وتحبه ؛ تقربا إليك بما يرضيك ، اجعل عملنا مبرورا ، وسعينا مشكورا ، فأنت ولي الكرم والجود ، والإله المعبود ، يا غفور يا ودود ، يا حميد يا محمود ، يا من ليس بوالد ولا مولود ، خذ بنواصينا إلى رحمتك ، وأسكنا قرار جنتك ، وصل على محمد نبيك ورسولك ، وعلى آله الطاهرين) ثم تقرأ (إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

ويستحب أن تكون زيارة قبور الشهداء يوم الخميس ، واستحباب ذلك في حمزة أعظم وأكبر ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من زارني ولم يزر عمي حمزة فقد جفاني ، روح عمي حمزة يزورني يوم الجمعة ، وأنا أزور قبر عمي يوم الخميس) .

ولما أصيب مصعب بن عمير يوم أحد في رجال من المسلمين وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ {**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**}[1] الآية ، ثم قال : إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء الشهداء فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد مادامت السموات والأرض إلا ردوا عليه).

وعليك بزيارة قبر محمد بن عبد الله النفس الزكية ، وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وقبر عقيل بن أبي طالب رحمه الله ، وقبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

١) الأحزاب : ٢٣ .

الجملة الثالثة زيارة المساجد الشريفة

فإذا أردت زيارة المساجد المعظمة بدأت منها بزيارة مسجد قباء ، فهو الذي أسس على التقوى

مسجد قباء

قال النبي ﷺ : (المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء) وقيل : إنه المراد بقوله : {فيه رجال يحبون أن يتطهروا}[1] .

وإذا أردت زيارته فاقصد إليه يوم السبت إن أمكنك ذلك ؛ فإن النبي ﷺ كان يأتي أهل قباء كل سبت .

ويستحب أن تأتيه ماشيا ؛ فإنه كان لا يزوره إلا ماشيا في يوم السبت ، وكان يأتيه في غير ذلك الوقت ماشيا وراكبا ، فإذا دخلته صليت عند الاسطوانة التي تلي المحراب ، ولتكن الاسطوانة أمامك ــ ركعتين ، فإذا فرغت قلت : اللهم إن هذا مسجد قباء الذي قلت : {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين}[2] اللهم فكما رغبتنا في الوصول إليه والتوقير له فامنن علينا بإجابة الدعاء عنده ، بمنك ورحمتك يا كريم ، فإنا عظمنا ما عظمت ، وشرفنا ما شرفت ورغبنا فيما إليه رغبت ، أي عزيز ارحم ذلنا ، أي غني ارحم فقرنا ، أي قوي ارحم ضعفنا ، بمن يستغيث العبد إلا بمولاه ، وإلى من يطلب العبد إلا إلى مولاه ، ومن يرجو العبد غير سيده ، وإلى من يتضرع إلا إلى ربه وخالقه ومالكه ورازقه ، اللهم إنا نسألك سؤال من لا يجد لعثرته مقيلا ، ولا لضره كاشفا ، ولا لكربه مفرجا ، ولا لغمه منفسا ، ولا لفاقته سادا ، ولا لضعفه مقويا غيرك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعلنا ممن رضيت عمله ، وبلغته أمله ، وأعطيته الكثير ، من فضلك الواسع ، وأطلت عمره في طاعتك ، وأحييته بعد الممات حياة طيبة ، ورزقته رزقا كريما ، ونسألك يا سيدنا نعيما لا ينفد ، وفرحة لا ترد ،

---

١) التوبة : ١٠٨ .

٢) التوبة : ١٠٨ .

ومرافقة محمد وآل محمد ، وإبراهيم وآل إبراهيم ، في أعالي الفردوس يا كريم ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وتجارتنا من الغش ، وأعيننا من الخيانة ، وألسنتنا من الكذب ، وأسماعنا من كل ما لا يرضيك ، وتقبل منا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، ولا تردنا خائبين بمنك وفضلك يا أرحم الراحمين).

فإذا فرغت من ذلك أتيت إن شاء الله تعالى مشربة أم إبراهيم عليه السلام ، وهو مسكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتصلي ، وتدعو بما تحب وتصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فإذا فرغت من ذلك أتيت مسجد الفتح ، وهو مسجد الأحزاب .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا في مسجد الفتح يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ــ فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه.

فإذا أتيته فصل فيه ركعتين وتقول : يا صريخ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، ويا مغيث الملهوفين ــ اكشف همي وكربي وغمي ، كما كشفت عن نبيك صلوات الله عليه وآله في هذا المكان ، واكفني مؤنة عدوي وحسادي ، كما كفيت نبيك صلوات الله عليه وعلى آله مؤنة عدوه وحساده في هذا المكان ، يا رحيم يا كريم).

فإذا فرغت من ذلك أتيت مسجد السقيا ، تصلي فيه ركعتين وتقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن علم لا ينفع ، ومن عين لا تدمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن صلاة لا تقبل ، ومن دعاء لا يسمع ، اللهم إني أسألك مسألة مسكين بائس فقير ــ أن تغفر لي وترزقني ، وإن تهديني وترشدني ، إنك على كل شيء قدير) .

ثم تدنو من بير السقيا فتفيض من مائها على رأسك وبدنك ، وتشرب منها فإنها إنما عذبت بسقوط خاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فأمر بإخراجه منها ، وأمر أهل المدينة أن يغسلوا

مرضاهم وموتاهم من مائها ، وتقول عند ذلك : اللهم إني أسألك رحمة من عندك وبركة تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعثي ، وتشرح بها صدري ،

وتزيد بها في رزقي ، وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها أمانتي ، وترد بها غائبي ، وترفع بها شهادتي ، وتبيض بها وجهي ، وتزكي بها عملي ، وتلهمني بها رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء ، وتعافيني بها من كل بلاء ، إنك سميع الدعاء ، لطيف لما تشاء).

وزر مسجد الفضيح ، فإنه المسجد الذي ردت فيه الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام لما نام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجره ، وصل فيه ركعتين ، وادع لمهماتك .

وزر أيضا مسجدي أمير المؤمنين عليه السلام ، أحدهما المقابل لقبر حمزة عليه السلام ، والآخر عند مسجد الفتح .

وزر أيضا مسجد محمد بن عبد الله النفس الزكية عليهما السلام .

وهو بذي ناب فوق جبل ، وادع وصل فيه ركعتين وقل : اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى ، وصبر أهل العزم ومناصحة أهل التوبة ، وطلب أهل الرغبة ، وعرفان أهل العلم ، وتقوى أهل الورع ، حتى أخافك مخافة تحولني عن معصيتك ، وأعمل بطاعتك عملا أستوجب به كرامتك ، وحتى أنصحك في التوبة تخوفا منك ، وحتى أخلص في النصيحة حياء منك ، وأتوكل عليك حسن ظن بك ، اللهم إني أسألك أن لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا غما إلا كشفته ، ولا سقما إلا شفيته ، ولا ذنبا إلا قضيته ، ولا عيبا إلا أصلحته ، ولا كربا إلا أذهبته ، ولا حزنا إلا محوته ، ولا حاجة في الدنيا والآخرة إلا قضيت لي بخيرها ، وصرفت عني شرها ، وصل على محمد وعلى آل محمد).

وتزور دار زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ، وتدعو بما أحببت ، وتكثر فيها التضرع والسؤال لحوائجك ولإخوانك ، وتكثر أيضا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وتزور مسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وتصلي فيه ركعتين وتدعو بما تحب.

الجملة الرابعة

المجاورة بالمدينة مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا عزمت على المجاورة بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإتيان بالسنة في ذلك ، فإن كنت مقيما عشرا أتممت الصلاة ، ولا تصل الفرائض

إلا في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد بينت لك فضله ، وأنه أحد المساجد التي تشد إليها الرحال ، واستعمل الوظائف المتقدمة في العبادات ، وقدر الأوراد ، واشتغل بالعبادة ، واجهد نفسك فيها ، وليكن من جملة أعمالك فيها الاعتكاف ثلاثة أيام الأربعاء والخميس والجمعة ، وإنما يتأتى ذلك بصيام هذه الأيام ، وليكن اعتكافك في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا كان ليلة الأربعاء صليت عند اسطوانة أبي لبابة ، وهي الاسطوانة التي ربط فيها نفسه ، وهي اسطوانة التوبة ، وتقعد عندها يوم الأربعاء ، وتكثر من الدعاء والاستغفار ، فإذا كان ليلة الخميس صليت عند الاسطوانة التي تلي مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومصلاه ، وتقعد عندها ليلة الخميس ويوم الخميس ، وتكثر من الصلاة والقراءة والذكر ، فإذا كان ليلة الجمعة صليت عند مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومصلاه ليلة الجمعة ، وتقعد عندها يوم الجمعة ، ولتكثر من الأعمال في هذه الليلة وهذا اليوم ، لأنه قد اجتمع فيه لك فضيلة الزمان ، وفضيلة المكان ، وفضيلة الفعل ، واستكثر من الدعاء في هذه الأيام لنفسك ، ولمن تحب ، ولسائر المسلمين ، واقترب من مؤخر زاوية الحجرة التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي حجرة فاطمة عليها السلام ويقال : إنها حجرة مباركة ، وهي مما يلي المستجار وهي ظاهرة ، وقيل : إنها التي ولد عليها الحسن والحسين صلوات الله عليهما ، وقد قيل : إنها على قبر فاطمة صلوات الله عليها والله اعلم . فتدعو عندها وتقول في دعائك :

(اللهم إني أسألك بوجهك الكريم الذي كل شيء هالك إلا هو ، وبلطفك لما تشاء ، وتكوينك لما تشاء ــ لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ، ولا دينا إلا قضيته ، ولا فاسدا إلا أصلحته ، ولا عسرا إلا يسرته ، ولا غما إلا فرجته ، ولا ضيقا إلا وسعته ، ولا هما إلا كشفته ، ولا عدوا إلا كفيته .

فإذا أردت الخروج من المدينة ودعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وودعت أهل البيت عليهم السلام.

الجملة الخامسة في كيفية الخروج من المدينة

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله البررة الكرام.

ومتى أردت الخروج من المدينة إن شاء الله اغتسلت للوداع إن تمكنت من ذلك ، ثم أتيت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه كتسليمك يوم وصولك إليه ، ثم صليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثرت من الدعاء والتضرع ، ثم تقول : السلام عليك يا رسول الله سلام مودع لا قال ولا مال ، ولا سائم للمقام عندك ، ولا مستبدل بك سواك ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ولا قلي ، بل على ولاية لك مني ، ومحبة صادقة لك من قلبي ، وإيمان بك ، وتصديق لك فيما أخبرت به عن ربك ، وعن علم حقيقي بنبوتك ورسالتك ، ومعرفة يقينية أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، واجتهدت في النصيحة ونصحت الأمة ، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء ، وألحقنا بك من الصالحين وكافأك عنا أفضل ما كافأ نبيا عن أمته ، ورسولا عمن أرسل إليه ، ونسأل الله تعالى أن لا يجعله آخر العهد من زيارتك يا رسول الله ، ومن حضور مشاهدك ومواقفك ، والتوسل بك إلى الله تعالى ربنا وربك ، وبعترتك الطيبين الطاهرين ، الذين اذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا ، ونحن نسأل الله تعالى خير مسؤول ، وأكرم مأمول ـ أن يتقبل مزارنا ، ويزكي أعمالنا ، ويغفر ذنوبنا ، ويدخلنا يوم القيامة في شفاعتك ، ويحشرنا في زمرتك ، ويوردنا حوضك ويسقينا بكأسك ، ويجعل مأوانا إلى جنتك ، ولا يردنا خائبين ولا مقبوحين ، وأن يقلبنا مفلحين منجحين ، قد استجاب دعاءنا ، وغفر ذنوبنا ، وزكي أعمالنا ، وقبل مزارنا ربنا ، وشكر سعينا ، وردنا بأفضل ما ينقلب به وافد ، وخير ما يرجع به زائر واكرم ما يؤوب به راجع ، وأكثر ما ينصرف به داع ، إنك قريب مجيب سميع الدعاء ، لطيف لما تشاء ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد عدد ما خلقت ، وزنة ما خلقت وملء ما خلقت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مثل ذلك وأضعاف ذلك ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله وكفى ، ونعم الوكيل .

فإذا فرغت من وداع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتيت البقيع ، وجعلت قبور الأئمة عليهم السلام بين يديك وقلت : السلام عليكم يا أهل بيت النبوءة ، السلام عليكم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عليكم وعلى إخوانكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلوات الله

على أزواجكم الطاهرة المطهرة ، اللهم لا تجعله آخر العهد مني بزيارتهم ، وارزقنيها أبدا ما أبقيتني ، فإذا أمتني وتوفيتني فاحشرني معهم في زمرتهم ، وأظلني براية جدهم صلوات الله عليه وعليهم وعلى إخوانهم ، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها ، واستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ، وصلى الله على محمد واله.

ثم تمضي في طريقك على حال خشوع وسكينة وابتهاج وسرور بما فتح الله عليك من تمام غرضك ، وبلوغ نهاية أملك ، وتشكر الله تعالى كثيرا على ذلك.

ولنختم الكتاب بفصل يختص بذكر أهل البيت عليهم السلام لنزين به ختم الكتاب ونستمطر البركة بذكرهم من رب الأرباب ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (عند ذكر الصالحين تنزل البركة) .

(فصل) في ذكر أهل البيت عليهم السلام

علي عليه السلام

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إنما مثل على في هذه الأمة كمثل قل هو الله أحد في القرآن).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (إذا كان يوم القيامة أمر الله جبريل أن يجلس على باب الجنة فلا يدخلها إلا من معه براءة من علي بن أبي طالب).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة).

وقال عليه السلام : (أنت مني كراسي من جسدي).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (أنت مني كروحي من جسدي).

وقوله عليه السلام : (على خير البشر فمن أبى فقد كفر ، ومن رضي فقد شكر) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما عرج به إلى السماء رأى رجلا على صورة علي عليه السلام في السماء حتى لم يغادر منه شيئا ظنه عليه السلام عليا فقال : يا أبا الحسن كيف سبقتنا إلى هذا المكان ؟ فقال له جبريل : ليس هذا علي بن أبي طالب ، هذا ملك على صورته ، وإن الملائكة من كثرة ما سمعوا من فضل على اشتاقوا إليه ، فسألوا ربهم أن يكون لهم من هو على صورته فيرونه).

وروى سادات أهل البيت عليهم السلام موسى بن جعفر عن آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر التفاح بطوله ، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناول عليا تفاحا فسقط من يده وصار نصفين ، وخرج من وسطه مكتوب : تحية من الطالب الغالب لعلي بن أبي طالب .

وكذلك حديث الرمان ، وهو نزول المنديل من السماء فيه رمان لعلي بن أبي طالب).

وحديث الطشت والإبريق (لما خاف فوات صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الحجرة فوجد طشتا وإبريقا وماء ، فتوضأ به وانصرف ، وأدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما ينتظره في الصلاة ، وأخبره بعد الفراغ أن الملك الذي نزل بوضوئه من السماء

وروى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر : امضيا إلى علي بن أبي طالب يحدثكما ما كان منه في ليلته ، وأنا على أثركما ، قال أنس : فمضيا ومضيت معهما ، فاستأذن أبو بكر وعمر على علي عليه السلام فخرج إليهما وقال : يا أبا بكر حدث شيء ؟ قال : لا وما حدث إلا خير ، قال أبو بكر : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم امضيا إلى علي يحدثكما ما كان منه في ليلته ، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا علي حدثهما ما كان منك في ليلتك فقال : استحي يا رسول الله . فقال : حدثهما فإن الله لا يستحي من الحق فقال علي : أردت الطهور وأصبحت جنبا ، وخفت أن تفوتني الصلاة ، فوجهت الحسن في طريق ، والحسين في طريق لطلب الماء فأبطأ علي ، فأحزنني ذلك فرأيت السقف قد انشق فنزل على منه سطل مغطى بمنديل ، فلما صار في الأرض نحيت المنديل ، فإذا فيه ماء فتطهرت واغتسلت وصليت ، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما السطل فمن الجنة ، وأما الماء فمن نهر الكوثر ، وأما المنديل فمن استبرق الجنة ، من مثلك يا علي وجبريل يخدمك في ليلته).

وكذلك نزول الكوكب في دار علي عليه السلام بعد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من نزل هذا الكوكب في داره فهو الإمام بعدي) .

وحديث أصحاب الكهف لما سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإمام والوصي ، وعن

أصحاب الكهف ؟ فقال : الإمام من يجيبه أصحاب الكهف ، وأحضر بساطا ، وأجلس عليه عليا عليه السلام ثم أبا بكر وعمر وعثمان ، فارتفع البساط بقدرة الله تعالى حتى نزل بهم عند الكهف ، فقال أمير المؤمنين ليدعو كل واحد منكم أصحاب الكهف ويكلمهم ، فدعا كل واحد منهم و لم يسمع منهم جواب ، ثم دعا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسألهم فأجابوه ، وسألهم عن حالهم فأخبروه) .

وفي الخبر (أنهم سلموا رجلا رجلا فلم يردوا عليهم السلام ، فقام علي بن أبي طالب فقال : السلام عليكم معاشر الصديقين والشهداء ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقال أصحابه : ما بالهم ردوا عليك و لم يردوا علينا ؟ فقال لهم علي عليه السلام : ما بالكم لم تردوا على إخواني ؟ فقال أصحاب الكهف : إنا معاشر الصديقين لا نكلم بعد الموت إلا نبيئا أو وصيا ، ثم قال علي عليه السلام : يا ريح احملينا ، فحملتهم تدف دفيفا ، ثم قال : يا ريح ضعينا فوضعتهم فإذا هم بالحرة ، فقال على عليه السلام ندرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر ركعة ، فأدركوه في آخر ركعة يقرأ {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا}[(١)] .

فاطمة عليها السلام

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (تبعث ابنتي يوم القيامة على ناقة عضباء ، منسوج من ذنبها إلى عنقها بديباج مرصع بالياقوت ، عليها رحالة من الجنة ، ومريم ابنة عمران عن يمينها ، وآسية بنت مزاحم عن شمالها ، وكلثوم أخت موسى أمامها ، معها سبعون ألف حوراء ، وجبريل ينادى : أيها الناس غضوا أبصاركم ، هذه فاطمة بنت محمد تريد أن تجوز على الصراط)

والرواية متظاهرة متواترة بأنها في اليوم الرابع من النذر لما دخلت مصلاها وصلت ودعت سمعت خشخشة ، وإذا هي بجفنة فيها ثريد ولحم وزعفران ، ولما قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أهل بيته سجد وقال : الحمد لله الذي جعل ابنتي شبيهة مريم ينــزل عليها رزقها في المحراب) .

---

١) الكهف : ٩ .

وهي التي كانت إذا اشتغلت بصلاتها وبكاء ولدها ، يرى المهد يتحرك من غير محرك ، قيل : بعث الله ملكا حتى كفاها ، ولما ضعفت عن الطحن في اليوم الثالث من نذرها ، وأدركها وقت الصلاة ، وقدمت الصلاة على الطحن ، فإذا بالرحى تدور من غير محرك ، فطحنت لها حبها .

وهي التي لما شكت الفقر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : (اكشفي الحصير) فإذا الأرض سبائك الذهب ، فقال لها أبوها صلوات الله عليهما : (هذا لك هكذا ذهبا إلى سبع أرضين) فاختارت ردها ، فردت أرضا على حالها.

الحسن بن علي عليهما السلام .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إن ابني هذا سيد يعني الحسن بن علي عليهما السلام ، وليصلحن الله على يديه بين فئتين من المسلمين عظيمتين) .

الحسين بن علي عليهما السلام.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (حسين مني ، وأنا من حسين ، أحب الله من يحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط)

وقد بينا أن الله تعالى ناجاه ، وسمع الصوت من السماء ، وفي الحسن والحسين روي أنه لما قربت أيام العيد ولم يكن لهما ما يلبسان ، فكانا يقولان لفاطمة عليها السلام : أين ثيابنا ؟ فتقول : هي تخاط إن شاء الله ، تدفعهما بذلك ، فلما كان يوم العيد ناداها مناد : خذي هذه الثياب فوجدت ثيابا مخيطة ، ورداء وعمامة وخفين ، على قدر كُل واحد منهما ، فأخبرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الملك جاء بها من عند الله .

علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (يولد للحسين ابن يقال له : علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقم سيد العابدين)

زيد بن علي عليهما السلام

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسين : (يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له : زيد يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة غرا محجلين ، يدخلون الجنة بغير

حساب) وفي رواية (ينادي المنادى من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء دعاة الحق)

وعنه ﷺ (خير الأولين والآخرين المقتول في الله ، المصلوب في أمتي المظلوم من أهل بيتي سمي هذا ، ثم ضم زيد بن حارثة إليه ، ثم قال : يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبا ، سمي الحبيب من أهل بيتي)

علي بن موسى الرضي عليهما السلام

قال النبي ﷺ (ستلقى بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة ، وحرم جسده على النار)

وعنه ﷺ (ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ، ولا مذنب إلا غفر الله ذنبه) .

وعن جعفر الصادق (من زار على بن موسى ، والحسين بن علي في سنة واحدة كان كمن زار أهل السموات)

المهدي عليه السلام

قال النبي ﷺ : (يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة ، فيها مناد ينادي : هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه) .

وعنه ﷺ (لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه أسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأها قسطا كما مليت جورا وظلما)

محمد بن عبد الله النفس الزكية عليهما السلام

كان يسمي المهدي لما ورد من أخبار المهدي ، وكان فيه شيء من العلامات ، وسمي النفس الزكية لما ورد في الحديث أن النفس الزكية يقتل فيسيل دمه إلى أحجلو الزيت ، لقاتله ثلث عذاب أهل جهنم) .

ولا شك أن هذه الأمارات كانت فيه دون غيره.

الحسين بن علي الفخي عليه السلام

ينسب إلى فخ ، لأن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذلك الموضع موضع فخ صلى بأصحابه صلاة الجنازة ، ثم قال : (يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي ، في عصابة من

المؤمنين تنزل عليهم أكفان وحنط من الجنة ، تسبق أرواحهم أجسادهم) في فضائل ذكرها لم يحفظها الراوي .

وفي حديث (أجر الشهيد معه أجر شهيدين)

القاسم بن إبراهيم عليه السلام

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (يا فاطمة منك هاديها ومهديها ، ومستلب الرباعيتين ، لو كان بعدي نبي لكان هو) ومستلب الرباعيتين هو : القاسم بن إبراهيم عليه السلام .

الهادي إلى الحق عليه السلام

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أشار بيده إلى اليمن وقال : (سيخرج رجل من ولدي في هذه الجهة اسمه يحيي الهادي ، يحيي الله به الدين)

وعن علي عليه السلام قال : (ما من فتنة إلا وأنا أعلم سائقها وناعقها) ثم ذكر فتنة بين الثمانين والمائتين ، قال : (يخرج رجل من عترتي ، اسمه اسم نبي ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، يميز بين الحق والباطل ، يؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه ، كما تتألف قزع الخريف ، انتظروه في الأربع والثمانين وأول سنة واردة ، وآخر سنة صادرة)

ولا شك أن الخبر الأول نص صريح فيه عليه السلام ، والثاني تعريف له بعلاماته التي تميزه عن غيره ، فإنه ما قام في ذلك الوقت بعينه من أهل البيت عليهم السلام سواه.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفاطمة عليها السلام : (أبشري فإن من ولدك الهادي ، والمهدي والرضي والمرتضي والمنصور)

الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (يا على يكون من أولادك رجل يدعي بزيد المظلوم ، يأتي يوم القيامة مع أصحابه على نجب من نور ، يعبر على رؤوس الخلائق كالبرق اللامع ، يقدمهم زيد ، وفي أعقاهم رجل يدعي بناصر الحق حتى يقفوا على باب الجنة ، فتستقبلهم الحور العين ، ويجذب بأعنة نجبهم إلى أبواب قصورهم) والأخبار في أعيانهم كثير ، فأما ذكرهم على العموم.

أما فضلهم ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (نحن أهل البيت شجرة النبوة ، ومعدن الرسالة ، ليس أحد من الخلائق يفضل أهل بيتي غيري)

وقوله لعلي عليه السلام : (إذا كان يوم القيامة أجيء أنا وفاطمة آخذة بحجزتي ، وأنت آخذ بحجزتها ، والحسن والحسين آخذان بحجزتك ، وشيعتنا آخذون بحجزتهما ، فترى إلى أين يذهب بنا).

وأما القيام بحقهم

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة ، الضارب بسيفه أمام ذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، عندما اضطروا إليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه).

وأما عداوتهم

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم ، وعلى المعين عليهم ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم).

وأما اتباع مذهبهم :

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، ومن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) الخبر .

وأما إجابة دعوتهم :

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها أكبه الله على منخريه في نار جهنم)

وأما زيارة قبورهم :

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (من زار قبرا من قبورنا أهل البيت ، ثم مات من عامه الذي زار فيه وكل الله بقبره سبعين ملكا يسبحون له إلى يوم القيامة) .

وأما شيعتهم :

فقال ﷺ : (يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب ، ووجوهم كالقمر في ليلة البدر ، وقد فرجت عنهم الشدائد ، وسهلت عليهم الموارد ، وأعطوا الأمن والأمان ، وارتفعت عنهم الأحزان ، يخاف الناس ولا يخافون ، ويحزن الناس ولا يحزنون ، شرك نعالهم تتلألأ نورا ، على نوق بيض ، لها أجنحة قد ذللت من غير مهانة ، ونجبت من غير رياضة ، أعناقها من ذهب أحمر ، ألين من الحرير لكرامتهم على الله عز وجل) .

وأما فضل الجهاد معهم :

فسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن فضل الجهاد . فقال : (كنت رديف رسول الله ﷺ على ناقته العضباء ، ونحن مقفلون من غزاة ذات السلاسل ، فسألته عما سألتني عنه فقال : إن الغزاة إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار ، وإذا تجهزوا نحو عدوهم باهي الله بهم الملائكة ، وإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ، ويخرجون من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها ، ويوكل الله عز وجل على كل رجل منهم أربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ولا يعمل حسنة إلا ضعفت له ، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل ، يعبد الله عز وجل ألف سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستين يوما ، اليوم مثل عمر الدنيا ، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم ، فإذا برزوا لعدوهم ، وأشرعت الأسنة ، وفوقت السهام ، وتقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها ، ويدعون الله عز وجل بالنصر والتثبيت ، وينادي مناد : الجنة تحت ظلال السيوف . فتكون الطعنة أو الضربة أهون على الشهيد من شرب الماء البارد في اليوم الصائف ، فإذا زال الشهيد عن ظهر فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل الأرض حتى يبعث الله عز وعلا إليه زوجته من الحور العين ، فتبشره بما أعد الله له من الكرامة ، فإذا وصل إلى الأرض تقول الأرض : مرحبا بالروح الطيب التي أخرجت من البدن الطيب ، أبشر بأن لك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا

خطر على قلب بشر ، فيقول الله عز وجل : أنا خليفته في أهله ، فمن آذاهم فقد آذاني ، ومن أسخطهم فقد أسخطني ، فتجعل روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء ، تأكل من ثمارها ، وتأو ي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس ،سلوك كل غرفة ما بين صنعاء إلى الشام ، يملأ نورها ما بين الخافقين ، في كل غرفة سبعون بابا ، في كل باب سبعون مصراعا من ذهب ، على كل باب ستون سترا مسبلة ، على كل غرفة سبعون خيمة ، في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب ، قوائمها الدر والزبرجد ، مرفوعة بقضبان الزمرد على كل سرير أربعون فراشا ، كل فراش أربعون ذراعا ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، عربا أترابا)

قال الشاب وهو السائل : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن العربة ؟ قال : الغنجة الرضية الشهية ، لها سبعون ألف وصيف ، وسبعون ألف وصيفة ، صفر الحلق بيض الوجوه ، عليهن تيجان اللؤلؤ ، على رقابهم المناديل ، بأيديهن الأكوبة والأباريق ، فإذا كان يوم القيامة فوا الذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقتهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم ، حتى يأتون إلى موائد من جوهر فيقعدون عليها ، فيشفع الرجل منهم في سبعين ألف من أهل بيته وجيرانه ، حتى إن الجارين يختصمان أيهما أقرب جوارا ، فيقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخلد ، فينظرون رحمة الله في كل يوم بكرة وعشيا).

وأنا أسأل الله تعالى أن يعينني وكافة المسلمين على العمل بما فيه ، وإن يجعلنا جميعا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن لا يجعله يوم القيامة حجة وشهيدا علي برفضه وترك العمل به ، وأن يعينني على نفسي ، وأن يصرف عني الشيطان ، وأن يصغر الدنيا في عيني ، وأن يرزقني حسن الخاتمة بحقه العظيم ، وأتشفع إليه برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يستجيبني فيما دعوت ، ولا يخيب رجائي فيما رجوت ، وأن يرزقني ما قد أملته في طاعته وطلب مرضاته.

وأحب من موالي أهل البيت ، بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، سلام الله عليهم ، ومن أتباعهم رضي الله عنهم أن يشركوني في دعواتهم الصالحة ، وأن ينوبوا عني عند قتال عدو الله حتى في الضربة الواحدة ، والخطوة الواحدة في سبيل الله ، وغير ذلك من أجناسه بعد موتي ولحاقي برب العالمين ، ويقولوا : اللهم إن هذا عن عبدك الذي أو صانا بالنيابة عنه إذ تعذر حضوره معنا ؛ لتوفيك له قبل قيام قائمنا ، وظهور كلمتنا ، وكان يحب أن يشاركنا ، وهو من موالينا ، وأهل محبتنا ، فأدخله في الشهادة معنا التي ترزقنا إياها إن شاء الله برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ومن أحب من إخواني تصحيح شيء مما رويته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يظهر فيه الغلط والخطأ فقد أذنت له في ذلك ، وهو إن شاء الله مثاب مأجور ، فإن الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ هو تنزيل العزيز الحميد .

هذا مع تحفظي فيما رويت ، واجتهادي في تصحيح ذلك ، وما لم يكن سماعاً لي فقد ذكرت أني وجدته ، ولم أطلق الرواية فيه ، وليس ذلك إلا في مواضع ندرة يجدها القارئ كذلك .

ثم فرغت من هذا التصنيف يوم الجمعة ، آخر جمعة من ربيع الآخر من شهور سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

تم الكتاب بمن الله العزيز الوهاب ، رب الأرباب ، ومالك الرقاب ، والمرجو مغفرته وعفوه وغفرانه يوم الحساب ، وذلك يوم الأربعاء لعله عاشر شهر صفر الذي من شهور سنة ثمان وخمسين وألف .

الفهرس

مقدمــــة الطبــــع ٣

تعريــف بالكتـــاب ٣

ترجمــــة المؤلــــف ٥

الناس أربعــة ١٠

نصيحة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل النخعي ١٤

الإرشاد الى النجـــاة ١٩

القسم الأول تهذيب النفس بترك المعــاصي ٢٢

تنبيه على أساس النحـلة ٢٥

الإرشاد الى ما تتعاظم معه المعصية ٢٦

العين وآفاتهـــا ٣٦

آفــات الأذن ٣٩

آفات اللسـلن ٤٢

آفات اليدين ٥٤

آفات البطــن ٥٩

آفات الفـــرج ٦٢

آفات الرجلـــين ٦٣

آفــات القلــب ٦٦

الآفة الأولى الشبهة ٦٧

الآفة الثانية الشهوة ٦٩

انفتاح باب العشق والتمني بما لايجـوز ٧١

انفتاح باب الريــاء ٧٢

انفتاح باب حب الذكر والثنـاء ٧٤

انفتاح بـــاب الكـــبر ٧٧
انفتح بـــاب الأمـــل ٨١
قصة صاحب الخورنـق ٨٩
انفتاح باب الحسد ٩٠
الآفة الثالثة الغضـــب ٩٤
القسم الثاني (تهذيب النفس بحسن الخلق مع المخلـوق) ٩٩
الإرشاد الى حسن المعاشرة مع العبـــاد ١٠١
المــدارة والمســامحة ١٠٥
العدل والإنصـــاف ١٠٧
النصيحـــة للكافـــة ١٠٨
الحياء والرفق والتـلّي ١٠٩
التواضـــــــع ١١١
الوفاء وأداء الأمانة وترك الخيانـــة ١١٢
الإرتداء بمعالي الأمور وأشـــرافها ١١٣
شـــرائط الصحبـــة ١٢٨
الإرشاد الى كيفية المعاشرة مع العباد بحسب اختلافـــهم ١٤٠
آداب العـــــالم ١٤٠
آداب المتعلـــــم ١٤٥
معاشـــرة الوالديـــن ١٥٠
المعاشرة بين الزوجين ١٥٢
حقـــوق الزوجـــة ١٥٢
حقـــوق الـــزوج ١٥٣
المعاشرة مع العيـــال (الأولاد) ١٥٦
المعاشرة مع المماليك ١٥٧
المعاشرة مع الرحـــم ١٦٠

المعاشرة مع الجـــار ١٦١
المعاشرة مع كافة المســلمين ١٦٣
حقوق المسلم على أخيه المسلم ١٦٥
المعاشرة مع الملوك الجبــابرة ١٦٨
القسم الثالث (تهذيب النفس بالخضوع إلى الله تعالى في جميع أوامره ١٧٩
أصــول التكليـــف ١٨١
الإرشاد إلى النجاة بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاتــه ١٨٢
الركن الأول (وجوب معرفة الله تعالى بتوحيـده ١٨٥
الركن الثاني (إثبات الصـــانع) ١٨٧
الركن الثالث العلم بصفاتــه ١٨٩
الركن الرابع (إثبات عدله وحكمته) ١٩٤
الركن الخامس (إثبات النبـوة) ٢٠١
الركن السادس (إثبات كلامه تعالى وهو القــرآن ٢٠٤
الركن السابع (إثبات أصول الشـــرائع) ٢٠٦
الركن الثامن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكــر) ٢٠٩
الركن التاسع (الإمامــة) ٢٠٩
فصل في فضل أهل البيت عليهم السلام وشـيعتهم ٢١٣
الركن العاشر (الوعد والوعيــد) ٢٢١
الجنة وصفتــها ٢٥١
النار وصفتــها ٢٥٩
معرفة النصحــاء ٢٧٦
التوبــة ٢٨٢
بيان أسباب التوبة ، وتبيين جماعة من أربابها ٣٠٣
الإرشاد إلى النجاة بالقرب إلى الله تعالى بـللصلاة ٣١٤
الإرشاد إلى ترتيب الأوراد في اليوم والليلة في جميع الســنة ٣١٧

المحافظـة الأولى ٣٢١
المحافظة الثانيـــة ٣٢٢
المحافظة الثالثـــة ٣٢٣
المحافظة الرابعة والخامســـــة ٣٢٥
كيفية الوضـــوء ٣٢٦
كيفية الاغتسال ٣٣٢
كيفية التيمـم ٣٣٣
المحافظة السادسـة ٣٣٥
المحافظة الســابعة ٣٤٥
المحافظة الثامنـة ٣٦٣
المحافظة التاسـعة ٢٦٨
الإرشاد إلى ما يختص الأسبوع كل يوم من أيامـــه (ليلـــة الأحـــد) ٣٨٧
ليلة الاثنـــين ٣٨٨
ليلة الثلاثاء ٣٨٩
ليلة الأربعاء ٣٩٠
ليلة الخميس ٣٩٠
ليلة الجمعـة ٣٩١
ليلة السبت ٣٩٧
الإرشاد إلى ما يخص الشهور من الصلوات ٣٩٨
شهر المحرم ورجـب ٣٩٨
شهر شـــعبان ٤٠١
شهر رمضـان ٤٠٢
شهر شــوال ٤٠٨
شهر ذي الحجـــة ٤١١
لإرشاد إلى العبادات التي لا تختص بأوقات ولا أســباب ٤١٢

صلاة التسـبيح ٤١٢
صلاة الفرقان ٤١٣
صلاة الخنـادق ٤١٤
صلاة الدهـر ٤١٦
الإرشاد إلى الصلوات ذوات الأسـباب ٤١٩
الإرشاد إلى الصلوات الراجعة إلى أحوال المصلـي ٤١٩
صلاة الخروج إلى السفر ٤١٩
صـلاة الأوبـة ٤٢٠
صلاة الخوف ٤٢٠
صلاة الحاجة ٤٢١
صلاة الاستخارة ٤٢٢
صلاة الذنـب ٤٢٣
صلاة الضريـر ٤٢٣
صلاة قضاء الديـن ٤٢٤
صلاة الحفظ ٤٢٤
صلاة الكفاية ٤٢٥
صلاة الإنتبـاه ٤٢٦
صلاة زيارة قبور أهل البيت عليهم السـلام ٤٢٦
الإرشاد إلى الصلوات ذوات الأسباب الراجعة إلى الزمـان ٤٢٧
الإرشاد إلى الصلوات ذوات الأسباب الراجعة إلى حدوث الحـوادث ٤٢٧
صلاة الجنـازة ٤٢٧
صلاة الكسوف والخسوف وسائر الآيات ٤٢٩
صلاة الاستسـقاء ٤٣٠
صـلاة الأذان ٤٣١
الإرشاد إلى الصلوات الفاضلة لما يرجـع إلى المكـان ٤٣٢

المسجد الحرام والكعبة ٤٣٢
مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣٣
مسجد قبـــاء ٤٣٣
مسجد بيت المقــدس ٤٣٣
فضل بناء المســاجد ٤٣٥
صلاة المــنزل ٤٣٥
صلاة البقــاع ٤٣٦
الإرشاد إلى هيئة الصلاة ظاهرا وباطنا ٤٤٣
التوجــه ٤٤٥
النية في الصــلاة ٤٤٦
كيفية القراءة في الصــلاة ٤٤٨
كيفية الركوع في الصــلاة ٤٤٩
كيفية الرفع من الركـــوع ٤٥٠
كيفية الســجود ٤٥٠
كيفية الرفع من السجود والاعتدال ٤٥١
كيفية التشهد الأوســط ٤٥١
كيفية التشهد الأخــير ٤٥٢
كيفية التسليم في الصـــلاة ٤٥٣
الإرشاد إلى هيئة العبادة بـالقرآن ٤٥٥
الإرشاد إلى هيئــات الذكــر ٤٦٢
الإرشاد إلى هيئات الدعاء وفضيلتـــه ٤٦٧
الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بالزكــاة ٤٧٦
الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بـالصوم ٤٨٤
فصل في فضيلــة الصيام ٤٨٤
فصل في كيفية الصيــام ٤٨٦

الفصل الثالث في الصوم الواجب ٤٩٧
الفصل الرابع في معرفة المسنون ٤٩٩
الفصل الخامس في معرفة الصوم المكروه ٥١١
الإرشاد إلى التقرب إلى الله تعالى بالحج ٥١٢
وجوب الحج وفضله ٥١٣
فضل أماكن الحج ٥١٣
شرائط الحج وتعيين من يتعلق ٥١٧
أنواع الحج ٥١٧
بيان أفضل أنواع الحج ٥١٨
كيفية أداء الحج ٥١٨
الإحرام ٥٢٧
الوقوف بعرفة ٥٣٧
الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ٥٤٢
الإفاضة من المزدلفة إلى منى ٥٤٤
طواف الزيارة وبقية أعمال الحج ٥٤٧
بيان ما هو من كمال أفضل الحج ٥٥٠
زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الزيارات ٥٥٠
فصل في ذكر أهل البيت عليهم السلام ٥٦٥

